

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

الكاتب والمؤلف محمد منير ادلبي في ذمة الله،  
نرجوا الدعاء له بالمغفرة والرحمة

سلسلة كتب "الإسلام الذي يجهلون"

تُوزَع هذه السلسلة بصيغة PDF إلكترونيًا فقط كصدقة جارية عن روح الكاتب محمد منير ادلبي وعائلته.

هذه الكتب ليست مخصصة للطباعة أو البيع، وأي جهة أودار نشر ترغب في نشرها أو طباعتها  
يجب أن تحصل على موافقة خطية موقعة من أبناء الكاتب محمد منير ادلبي.

للتواصل

Info@muniridilbi.com  
www.muniridilbi.com

سلسلة الإسلام الذي يجهلون (2)

# أبناء آدم من الجن والشياطين

ليسوا أشباحاً ولا أرواحاً، بل بشر مثلنا

محمد منير إدلي

بسم الله الرحمن الرحيم

بفضل الله وبرحمته

هو الناصر

## جميع حقوق النشر والطباعة محفوظة © محمد منير ادلي وأولاده

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور. تخزينها في نظام استرجاع، أو نقلها، بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير أو تسجيل أو غير ذلك، دون إذن كتابي مسبق من المؤلف أو أولاده.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the written prior permission of the author or his sons.

[www.muniridilbi.com](http://www.muniridilbi.com)

"جميع منشورات محمد منير ادلي مُصرح بها حصرياً وحماية بموجب قوانين حقوق النشر للتوزيع والنشر بواسطة دار ادلي للنشر والتجارة".

All publications by Munir Idilbi are exclusively authorized and protected under copyright laws for distribution and publication by Idilbi Publishing and Trading.

[www.idilbi.com](http://www.idilbi.com)

All Copyrights © MHD Munir Idilbi & Sons

## كلمة شكر

الحمد لله وحده..

وأَتوجّه بالشّكر من القلب إلى جميع الإخوة الأحبة الذين قدّموا يدَ عونٍ في إعادة تنضيد وتدقيق هذه الطبعة الثانية. وأخصّ بالذكر منهم: حسام النقيب، الدكتور وسام البراقي، المهندس خالد البراقي، الأخ علاء وتّار، وأولادي علاء الدين إدلي، ومحمد نور إدلي، ومراد الله إدلي.. عسى الله أن يتقبّل منّا أجمعين، وأن يجعله لنا حسنات جارية إلى يوم الدّين — آمين.

المؤلّف

الإهداء..

إلى كلّ ذرّة عقلٍ سُفِكتَ باسم الدّين ..  
أُهدي هذا البيان.

محمد منير إدلي

## المقدمة:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - نلفت نظر القارئ الكريم إلى أننا نعد البسملة في كل سورة على أنها الآية رقم (1) والتي تلها تكون رقم (2) وهكذا.

## الفصل الأول

# ضحايا الخرافة والخيال

قال ربنا عز وجل:

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾



لو كنتَ تتنزه ماشياً في غابة، ولحمتَ، عن بُعد، دخاناً يتصاعد من مكان ما فيها، تعلم، حينئذ، أنّ ثمة ناراً مشتعلة حيث يتصاعد الدخان.

هذه المرحلة من علمك بالنار المشتعلة تسمى: "علم اليقين".

ثم إذا تابعتَ سيرك فوصلتَ مكانَ الدخان ورأيتَ النار بعينيك وشهدتَ الدخان المتصاعد منها، تكونُ، عندئذ، في مرحلةٍ عِلْمٍ بالنار المشتعلة تختلف عن حالة عِلْمك الأولى.

هذه المرحلة الجديدة التي تشهّد فيها النارَ بعينيك تُسمى: "عينَ اليقين".

ثم إذا اقتربتَ من النار واصطليتَ بها، تصير، عند ذلك، في مرحلةٍ من العلم بالنار تسمى "حقّ اليقين"؛ وتلك هي درجات العلم الثلاث التي بيّنها القرآن الكريم.

والآن..

ما هي حقيقة العلم لديك بما يسمى بالجنّ والشياطين؟

هل علمك بهم هو:

علم اليقين..

عين اليقين..

أم حقّ اليقين؟

لو جاءك ابنك أو ابنتك يشكون أنهما يخافا الظلام وأن يكونا وحدهما في أيّ مكان، وأنهما يخافا ظهورَ الجنّ والأرواح، فماذا تستطيع أن تقول لهما؟

ولو قلتَ إنه لا وجود للجنّ والشياطين، فقال لك أولادك إنهم يسمعون عنهم من الناس ويتعلمون في المدرسة أنّ ذكر هذه المخلوقات قد ورد في القرآن الكريم والكتاب المقدس، وأنّ الكثير الكثير من مشاهير الكتّاب والمؤلفين قد كتبوا عن إيمانهم الراسخ بالجنّ والشياطين<sup>1</sup> وتحضير الأرواح.

هل تجد عندئذ أنك تملك جواباً مقنعاً تُنقذ به أولادك من شبح الخوف الجاثم لهم على عتبات الليل بسكونه وغموض حلّكه لو صَدَف أن وجد أحدهم نفسه وحيداً دون رفيق مؤنس يطرد خوفَ احتمال حضور الجنّ في أية لحظة، ولأيّ سبب كان؟

يقول الناس بوجود الجنّ وحضورهم، ويروون القصص الغامضة والمثيرة عنهم في البيت والشارع والمدارس وأمكنة العمل وكذلك في كلّ مدينة أو قرية، حيث تسمع الحديث عن شيخ ما يكتب الحُجب والتمائم للحماية من أذى الجنّ والشياطين، أو استجلاباً لِعَوْنهم!

ويجد المهتمّ مئاتٍ بل وآلافاً من كتب المشاهير من المؤلفين من أصحاب

---

<sup>1</sup> - باعتبارهم أشباحاً خفيه.

الاختصاصات الأدبية أو العلمية تتحدث بإسهاب عن إيمان أصحابها بالوجود الغيبي للجنّ والشياطين وإمكانية حضورهم أو تحضيرهم، وبقدرتهم على إيذاء الناس أو تقديم العون لهم عن طريق المشايخ (المؤاخذين) أو هُؤَهم وعبثهم وتخويفهم للمنفردين من الناس في البيوت والأماكن المهجورة والبساتين والدروب غير المطروقة.

وتجد حتى المدرّسين في المدارس يتحدثون بالإيمان نفسه عن هذه المخلوقات المزعومة الغامضة ويؤكدون على وجودها وحضورها، وينقلون الكثير من الروايات المثيرة عنها، ويدعمون إيمانهم بإمكان حضور وتحضير الجنّ والشياطين بما فهمواهم من القرآن الكريم أو الحديث الشريف وما تعلّموههم من المشايخ الناشرين لقصص الجنّ والعفاريت.

ولو وجدت من هؤلاء من لا يؤمن بإيمانهم، ولا يقول بقولهم ولا يعتقد بوجود مخلوقات شبحية تقفز وتنطط وتخيف الناس، لألفيته عاجزاً عن البرهان على رأيه وغير قادر على تقديم أيّ دليل مقبول، وخاصة حين يواجهه المناظر أو المجادل بحجة أنّ ذكر هذه المخلوقات—الجنّ والشياطين—قد ورد في القرآن الكريم والكتب المقدسة.

نعم، والحق يقال: إنّ ذكر الجنّ والشياطين قد ورد في القرآن الكريم، قال ربنا عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات 57

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الإسراء 54

ولكن السؤال الذي يطرحه العقل المتفكر هو: 'هل مجرد ورود ذكر الجنّ والشياطين في القرآن الكريم، يجب أن يعني بالضرورة، وبشكل حتمي، موافقة كتاب الله على المفهوم الخرافي الشائع بين الناس، بأنّ الجنّ والشياطين إنما هي مخلوقات شبحية غامضة، تقفز في كل مكان من الأرض والسماء، وتتصرف بقدرات عجيبة خارقة؟ فهي تارة تعبت بالناس تخيفهم وتسبب لهم "الفالج"؛ وتارة تدخل أجسادهم وتُسبب لهم الصرع والجنون؛ وتارة تُسبب العداوة والبغضاء، أو تجلب الحبّ والوفاق لبعض الناس بفعل "حجاب" كتبه الشيخ الفلاني من خلال قدرته على تسخير الجنّ؛ وهي أحياناً ترصد الكنوز وتؤدي من يقترب منها؛ أو تدلّ بواسطة (المندل) على الكنوز وتجلب الخطّ السعيد للباحث عنها. وهي تساعد الشيخ وأعوانه على معرفة الغيب وخفايا الأمور، ولكنها تؤدي من لا يصدّق بها وبقدراتها، كما تؤدي من يغسل ثيابه في الليل أو يقص أظافره، أو يهرق ماءً ساخناً يصادف مرورَ جيّ أو جنيّة أو ولدٍ لهما، والويل كل الويل إذا كان هذا الولد ابن أحد ملوك الجانّ الأزرق أو الأحمر أو غيرهما من الألوان. ويفصل المروجون لقصص الجنّ أسباب إيذاء الجنّ والعفاريت للناس فيقولون:

"إنه قد يكون عن شهوة ومحبة وعشق، كما هو الحال بين الأدميين، وقد يكون عن بُغض وانتقام، إذا ما صدر عن الإنس فعلاً يؤذيهم: كأنّ بالٍ عليهم وهو لا يدري، أو قتل أحداً منهم عن

غير قصد؛ وقد يكون عبثاً منهم.. لذلك فليحذر الإنسان من هذه الأشياء"<sup>(1)</sup>.

الحقيقة غير ذلك..

فالإسلام، سواءً في القرآن الكريم أو في بيان سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الشريف يُعلّمنا مفهوماً آخر عن حقيقة ما ورد من ذكرٍ للجنّ والشیاطین. علّمنا الإسلام عن الجنّ مفهوماً رائع البیان لا يتناقض مع العقل السليم، ولا يلفظه المنطق، ولا يرفضه العلم المختص بالدراسة والبحث والتحقيق.

ولكن قبل أن نورد البیان الحق، ونكشف السّر المخبوء، يفيدنا أن نُعيد إلى الأذهان الصّور العجيبة والغريبة عن الأفهام والعقائد الماثورة لدى الناس على اختلاف مستوياتهم العلمية أو الاجتماعية أو غيرها بما يسمى بحقيقة الوجود الشبهي للجنّ والشیاطین، وإمكانية استحضار الأرواح الطاهرة والخبیثة منها كما يزعمون.

يُکفّر المؤمنون بأشباح الجنّ من لا يؤمن إيمانهم فيقولون:

"فمن نكر وجودهم كافرٌ، لإنكاره ما علّم من الدين بالضرورة"<sup>(2)</sup>.

---

(1) راجع «الإنسان بين السحر والعين والجان» لمؤلفه زهير الحموي؛ والركاكة في اللغة هي في النّص الأصلي.

(2) راجع «الإنسان بين السحر والعين والجان» لمؤلفه زهير الحموي، طبعة 1990م،

ولو تتبععتَ وصَفَ الجنِّ في الكتبِ المروَّجة لها فإنَّكَ ستجد نفسك أمام  
صُور خرافية محضة لا يمكن للعقل السليم المخلص أن يقبلها إلا إذا استطاع  
أن يصدِّق الخرافات والأساطير عن بلاد السَّحر والعجائب ووحوش جزر  
واق الواق المروية في قصص ألف ليلة وليلة أو "أليس في بلاد العجائب"  
وأفلام الكرتون.

### \* المفهوم الخرافي للجنِّ

الجنِّ، عند هؤلاء، أجسامٌ عاقلة خفيفة تغلب عليها النارية أو الهوائية،  
وهم —كما يقولون— مخلوقات سفلية من أخلاط نارية صافية:

"وهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ولهم ذُرِّيَّة. ومنهم الذكور  
والإناث. وهم غالباً ما يسكنون في مواضع النجاسات والمعاصي  
كالحمَّامات والمزابِل، وفي الخرائب حيث يفضِّلون الأماكن الخالية  
من الإنس كالصحارى. وقد يسكنون مع الإنسان في سكنه. وأكثر  
ما يتواجدون في الأماكن غير المأهولة كالببوت المهجورة والأودية  
والأماكن المظلمة"<sup>(1)</sup>.

ويتساءل المرءُ مستغرباً: 'ترى من أين يأتي هؤلاء بهذه المعلومات  
والبيانات المفصَّلة كلّها عن هذه الأشباح؟'

ويزيد هؤلاء (العارفين) في التفصيل فيقولون:

---

ص120

(1) المرجع نفسه ص120.

"وللجنّ قدرات كبيرة ومهارات فائقة، وإبداعات فنية، فهم قد بنّوا  
لسليمان عليه السلام مدينةً تدمر الأثرية في بادية الشام، ومشهورٌ  
على ألسنة الناس في أوروبا أنّ جسر سان كلود في باريس وأنّ قنطرة  
(شوكير) في سويسرا من عمل الجنّ أيضاً"<sup>(1)</sup>.

ويؤكد أصحاب هذه المؤلفات إمكانية تسخير الإنسان للجنّ  
واستحضارهم وصرفهم. ويتحدثون عن طعام الجنّ فيقولون:

"إنّ فضلات طعام الإنسان من العظم هي طعامهم، وفضلات  
دوابّ الإنسان من الروث علف لدوابهم"<sup>(2)</sup>.

ويروي صاحب كتاب (الإيمان بالملائكة) أنّ الروث والعظام هي أيضاً  
من طعام الجنّ (ص257)، كما يورد صاحب كتاب: (الإنسان بين السحر  
والعين والجان) فهمه لحديثٍ عن رسول الله ﷺ، ويعلّق عليه كما فهمه هو  
فيقول:

"ولما خرج رسول الله ﷺ لقضاء حاجته أمر أبا هريرة أن يأتيه  
بأحجار يستجمر بها، وقال له: لا تأتني بعظم ولا روث".

ويعلق صاحب الكتاب فيقول:

"وبَيَّنَّ أنّ سبب ذلك أنهما من طعام الجنّ.. لذلك نهانا أن  
نستجمر بالعظم حتى لا نحرم الجنّ من أكله".

---

(1) المرجع نفسه ص121.

(2) الإنسان بين السحر والعين والجان ص121.

أي أنّ الجنّ—على عظّمة شأنهم وطول صرح عماراتهم وخارق قدراتهم، كما يؤمنون هم—لا يعيشون في أماكن النجاسات كالمراحيض والحمامات، كما يقولون، وحسب، ولكن قدّرهم المقدّر أيضاً أن يكون غذاؤهم من فضلات طعام الإنسان والحيوان كالروث والعظام. يقولون هذا بالرغم من اعتقادهم هم أنّ:

"الجنّ والشياطين عالم قائمٌ بمجد ذاته منهم المؤمنين، ومنهم دون ذلك، وهم على أديانٍ مختلفة. وأنهم كالإنس يملكون حرية التصرف والإدارة"<sup>(1)</sup>.

ويطلّع علينا المروّجون لقصص الجنّ وأخبارهم بنكاتٍ يأخذونها هم مأخذ الجد الرصين، حيث جاء في كتاب أحدهم:

"وإذا كان الإنسان القديم يخوّف صغاره بالجنّ والعفاريت فلا أستبعد أن يخوّف الجنّ في الوقت نفسه أولادهم بالإنسان وبأسه وبطشه، خصوصاً وأنّ وسائل الدمار والمكر والبطش، التي تتوصّل إليها الإنسان، قادرة على إبادة الأرض ومن عليها لا سمح الله"<sup>(2)</sup>.

ويروي صاحب كتاب (الإيمان بالملائكة) نكتةً أخرى عما أسماه: تأديب العاصي من الجنّ فيقول بأن تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ سباً 13

---

(1) «الجنّ والشياطين بين العلم والدين» رياض العبد الله، والأخطاء اللغوية من المصدر المذكور.

(2) المرجع نفسه ص 15.



"أي يسلط عليه (على الجني) الملك سوط النار فيضربه الملك إذا استعصى الجني عن طاعة سليمان عليه السلام".

ويدهشنا بالمزيد من خوارق الجن فيقول إنَّ جنَّ الملك سليمان:

"كانوا يصنعون له الجفان الكبرى التي هي كالحياض الكبرى وكلها مملوءة بالطعام، وأنه كان يقعد حول الجفنة الواحدة من تلك الجفان ألف رجل يأكلون من الطعام"<sup>(1)</sup>.

ولكن صاحب الكتاب لم يذكر لنا على نار أي بركان كانوا يطبخون طعام الصحن الواحد من هذه الصّحون العملاقة، كما أنه لم يذكر لنا شيئاً عن عمليات الإنقاذ بالقوارب الصّحنية لمن يسقط من الآكلين في مرق الطعام الموضوع في الصّحن المعد لألف رجل، أو ربّما كان يغرق في الحساء الكثير من الآكلين دون أن يتمكن أحدٌ من إنقاذهم!

وأورد الأستاذ عبد الوهاب النجار صاحب كتاب (قصص الأنبياء) في الصفحة 318 عن المفسرين يحكون عن بساط الريح الذي كان يطير به الملك سليمان على حدّ زعمهم، فيقولون:

"إن سليمان كان له نحو البساط من الخشب له ألف ركن، في كل ركن ألف بيت يكون فيها جند سليمان من كل صنف، وتحت كل ركن ألف جني يحملون ذلك الشيء الخشبي حتى يرتفع في الجو، وحينئذ تسير به الريح، وكان يخرج من القدس فيقول (اصطخر)،

---

(1) راجع الكتاب المذكور ص 243-244 لمؤلفه عبد الله سراج الدين.

ثم بيت في خراسان!"

ويورد الأستاذ عبد الوهاب النجار تحليلاً متفكراً لهذه الخرافة فيقول:

"لو أن القائلين ببساط سليمان الذي تحمله الريح اقتصروا على عشرة أذرع في مثلها، أو عشرين ذراعاً في مثلها، أو مائة ذراع في مثلها، لكان الأمر معقولاً مقبولاً. أمّا وهم يقولون: إنّ فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت، فإنّهم يجعلون له من السعة وترامي الأطراف مالا يقبله تصور. بل لم يكن في مُلك سليمان كله ما يكفي لشغله من الجنّد—إذا جعلوا فيه مليوناً من البيوت للجنّد—فإذا كان في البيت الواحد جنّديان فقط، كان فيه مليوناً مليونان من الجنّد. ولا يصحّ أن يكون قد خلّف من الجنّد أقلّ منهم لحماية البلاد، فتلك أربعة ملايين. فإذا كانوا عُشر السكان وجب أن يكون السكان أربعين مليوناً، وهو عدد لا يمكن أن تسكن فلسطين ولبنان وسوريا بنصفه أو ربعه".

ويتابع الأستاذ النجار حساباته لخرافة بساط الريح فيقول:

"ويكون البساط—على ما وُصف—في مساحة أكبر من مائة كيلومتر مربع، ومُحال أن تُجد في فلسطين مكاناً مستويّاً يستقر عليه هذا البساط، فضلاً عن البلاد التي ينتقل إليها على غير استعداد. وهذه مدينة المقدس ليس فيها مكانٌ مقداره عشرة أمتار في خمسين يوجد مستويّاً أصلاً. فأين كان سليمان يبسط بساطه؟!" (ص321)

ويؤكد المروّجون للخرافة والخيال على حتمية الاعتقاد بالجنّ كمخلوقاتٍ

غيبية شبحية خارقة، فيقولون:

"فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجنّ وأنهم عالمٌ حقيقي ليس وهماً تخليلاً، ولا ضرباً من النفوس البشرية، ولا من القوى البشرية الخبيثة، ولا نوعاً من الجرائم المكروبية الكائنات المجهرية الضارة، فإنّ جميع هذه الأفهام والأوهام حول عالم الجنّ هي تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة، وصرفٌ له عن الوجه المخبر عنه إلى وجه آخر هو في معزل عنه، وإنما الجنّ عالم خفيّ حقيقي الوجود، له شأنه وأحكامه. وقد صُنِّفَت الكتب في تفصيل ذلك"<sup>(1)</sup>.

وماذا صنف المصنفون في كتبهم عن الجنّ؟ قالوا:

"الجان: أبو الجنّ، والجنّ عند أهل الكلام والعلم باللسان منزّلون على مراتب:

إذا ذكروا الجنّ خالصاً، قالوا جيّ.

وإذا أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا: عامر.

فإذا كان ممن يعرض للصبيان، قالوا: أرواح.

فإن خبث وتعرّض، فهو: شيطان.

فإن زاد على ذلك وقوي أمره، قالوا: عفريت"<sup>(2)</sup>.

---

(1) «الإيمان بالملائكة» عبد الله سراج الدين.

(2) نقله صاحب كتاب «الإنسان بين السحر والعين والجان» عن أبي عمر (ابن عبد البر) الطبعة الأولى 1990، ص 117.

وقالوا بأنّ العلماء يرون الخلق الراقي أربعة أنواع هي: الملائكة والإنس والجنّ والشياطين.

والجنّ عندهم نوعان: شياطين لا خير فيهم البتّة. وجنّ منهم الصالح ومنهم الفاسد، وأنّ أصل الشياطين من الجنّ، وعليه فإنّ الشياطين يدخلون في الجنّ<sup>(1)</sup>، ولذلك فإنّ جمهور العلماء اتفقوا على أنّ الجنّ والشياطين جنسٌ واحد، وأطلق اسم الشيطان على المتمرد من الجنّ<sup>(2)</sup>.

ونقلوا عن ابن سينا قوله إنّ الجنّ حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة<sup>(3)</sup>.

وتحدث المروّجون لأشباح الجنّ عن أوصاف الجنّ وأجسامهم كما زعموا فقالوا: ويرى بعض العلماء أن الجنّ أجسامٌ هوائية لطيفة تتشكل بأشكال مختلفة، والشياطين أجسامٌ نارية من شأنها إضلال الناس وغوايتهم<sup>(4)</sup>.

ويصف الدكتور السيد الجميلي في كتابه (السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق)<sup>5</sup> الجنّ بأنها مخلوقاتٌ من لهيب نار السموم، ويقول بأنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل لها قدرة على التشكل، وقال إنّها تحيا حياة أثيرية (غازية) وأنّ:

---

(1) أي حين تقول شيطان فإنك تعني الجنّ أيضاً — المصدر نفسه.

(2) المصدر السابق.

(3) محيط المحيط مادة جنّ.

(4) المصدر السابق.

(3) طبعة دمشق 1991م

"طعامهم وشرابهم وملبسهم من الغازات التي تتناسب مع طبيعتهم".

ويتابع الدكتور الجميلي فيقول:

"وقد احتجبوا (الجنّ) عن أبصارنا كما احتجبت الملائكة ولّما كانت ذرّاتهم ممتزجة بالهواء كان الهواء مسخّراً لهم فإذا أرادوا الظهور كوّنوا من الهواء ومن الأشعة الكونية صوراً كثيفة تُمكن البشر من رؤيتهم ... وربما يكون للجنّي القدرة على التحكم في ذبذبات تكوينه الجسمي فيجعلها بطيئة تُرى في الشكل الذي يريده، والله في خلقه شؤون".

ويتابع الدكتور علّمه المفصّل عن الجنّ والنفاريت فيقول:

"وهي تختلف عن الملائكة ففيها الذكورة والأنوثة، وتختلف أيضاً عن البشر في التكوين، ولكنها تتساوى معهم في أشياء كثيرة فهي تأكل وتشرب<sup>(1)</sup> وتنام وتتزوج وتموت ... والجنّ يتناسل كبني آدم. ومنهم الصالحون والطالحون والعلماء والدماء كالإنسان سواء بسواء"<sup>(2)</sup>.

ويبيّن الدكتور طريقة تزاوج الجنّ—ولا أدري من أين حصل على هذه المعلومات (العلمية) العجيبة—حيث أنه لم يذكر مصدراً أو مرجعاً، فيقول:

"وللجنّ الذكور والإناث اتصال جنسي كتداخل الدخان بعضه

---

(1) سبق قوله بأن أكل الجنّ وشرابهم يكون من الغازات. المؤلف.

(2) راجع الكتاب المذكور ص 104. 105.

بعض، فيلنّذ كلّ من الذكر والأنثى بهذا التداخل، ويصلّ اللقاح  
أشبه بلقاح النخل بمجرد الرائحة"<sup>(1)</sup>.

ثم يتابع الدكتور عرض البيان العلمي بعلم الاجتماع المختصّ بالجنّ  
والعفاريت فيقول:

"وهم قبائل يروننا من حيث لا نراهم، وذلك لسرعة ذبذبات  
تكوينهم، كالهواء والريح والغازات والعوالم المائية التي لا نراها وهي  
كائنة بيننا"<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ هنا أنّ هؤلاء (العلماء) يقولون لنا مرة إنّ الجنّ يأكلون الروث  
والعظام، ومرة يقولون إنّ طعامهم وشرابهم الغازات، ومرة يقولون إنهم يأكلون  
كما يأكل البشر، وهكذا يجد المرء نفسه تحت رحمة علومهم ومعارفهم  
الخرافية المتناقضة بكل ثقة وثبات من غير سلطان أتاها أو برهان يقدمونه!.

وينقل الدكتور الجميلي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قوله:

"من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجنّ أبطلنا شهادته إلا أن يكون  
الزاعم نبياً".

ثم يعلق على هذا القول بأنّ الشافعي رحمه الله لم يكن يقصد عدم  
إمكانية رؤية الجنّ، فيقول:

"ولعل قصد الشافعي رضي الله عنه: الذين يرون الجنّ في صورتهم

---

(1) «السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق» د. السيد الجميلي ص105.

(2) المصدر السابق ص105.

الغازية. فإن كانوا كذلك فلم تكن هذه الرؤية حقيقية وإنما هلوّسات سمعية وبصرية وخداع الحواس".

ويتابع الدكتور فيصنّف الجنّ قائلاً إنّها في رأي العلماء ثلاثة أصناف:

"1 — صنف حيّات وعقارب وخشاش<sup>(1)</sup> الأرض والجراثيم وما إليها. وهذا الصنف من الجنّ ضّار، وعلى الإنسان قتلها إذا وجدها.

2. صنف كالريح في الهواء.

3 - صنف كبني آدم تماماً مكلفون يخاطبون بالشرع، مسؤولون يوم القيامة.

وللجنّ ممالك وأنظمة وقوانين.."(2).

ويلاحظ المرء أنّ هؤلاء يختلفون في موضوع قتل الحيّات الجنّية، حيث يخالف صاحب كتاب (الإنسان بين السحر والعين ولجان) الدكتور الجميلي في تنفيذ قتل الحية مباشرة، لأنّ قتلها مباشرة يمكن أن يؤدي قاتلها أو قد يؤدّي إلى أن ينتقم منه أهلها من الجنّ، فنجدّه يقول في معرض شرحه لحديثٍ على ما يفهمه هو:

"ومعنى ذلك أنّ الإنسان إذا رأى في بيته حية فلا يستعجل في قتلها، وعليه أن يؤذنها—أي يمهّلها—ثلاثة أيام فيقول لها:

---

(1) وردت في المصدر «خشخاش» وهو خطأ.

(2) «السحر وتحضير الأرواح» ص 106 د. الجميلي.

’أنشدكنّ بالعهد الذي أخذ عليكم<sup>(1)</sup> سليمان بن داوود، ولا تظهروا لنا، وإلا قتلتنكِ. فإن عادت بعد ثلاثة أيام قَتَلها”<sup>(2)</sup>.

نجد هنا أنّ صاحب كتاب (الإنسان بين السحر والعين والجان) يُعلّم الناس عدم التهور بقتل الحيات السامة التي قد يجذونها في بيوتهم، إذ ربما تكون من الجنّ، فعليهم أن يُكلّموها ويُذكّروها بالعهد الذي أخذه عليها الملك سليمان ألا تؤذيهم. ويحضر العاقل هنا سؤال:

’وماذا يحدث إذا صَدَف وكانت هذه الحيات أفاعي حقيقية سمّها زُعاف ولدغتها تبعث بمن يعترضها إلى القبر حالاً؟! كيف يمكننا أن نتخيل مصير من يقف أمام هذه الأفعى ليحادثها بثقافة ولباقة وتهذيب وهي تتلوى أمامه متخينة فرصة غرس أنيابها في رقبته، وتفرغ سمّها الزعاف في دمه في حين أنّه يُخلّفها قائلاً: "أنشدكنّ بالعهد الذي أخذ عليكم سليمان بن داوود لا تؤذونا..". إلى آخر العهد العجيب. ثم ماذا إذا صَدَف أن كانت هذه الحيّة لا تتحدث لغات أجنبية كلغة البشر مثلاً؟!!

لا شك، حينئذٍ، أنّ هذا العالم العارف بعهود الأفاعي من الجنّ، أو الجنّ من الأفاعي سيتورّم محقوناً بالسّم القاتل حتى قبل أن يكمل مناشدته للحية (الجنّية)!.!

ونتساءل هنا أيضاً: ترى ماذا عساه يكون مصير بقية أفراد أهل البيت

---

(1) الخطأ في اللغة من المصدر.

(2) ص 149 من المرجع المذكور.



الذي تُعطى فيه أفعى سامة مهلة ثلاثة أيام لتقتل هي من تشاء قبل أن تُقتل؟

يا سبحان الله ومن العلم ما قتل!

ولا شك في أنّ هذا التخريف يتعارض تماماً ويتناقض مع الحديث المشهور عن سيدنا رسول الله محمد ﷺ الذي أمر فيه بقتل الحية والفؤيسقة، أي الفأرة، والعقرب. ويتابع صاحب كتاب (السحر وتحضير الأرواح) الدجل عن مخالطة الجنّ للبشر وتقديم خدماتهم التي أسماها "جليلة" فيقول:

"وكثير من الجنّ خالطوا البشر وعاشروهم في كل زمان ومكان"<sup>(1)</sup>

وكثيراً ما قاموا لإخوانهم الإنس بخدمات جليلة" ص103

ثم يعلّق في ملاحظة هامشية فيقول:

"ليس في ذلك من غرابة، فبعض الإنس يستأنس الوحوش الفتاكة

والحشرات الضارة، والجنّ خلق بيننا يمكن لبعض الناس الاستئناس

بهم ومعاشرتهم" ص103 ويتابع:

"والأديان كلها، كما هي منتشرة بين الإنس، فهي منتشرة بين

الجنّ".

ولا شك في أنّ هذا يعني أنّ الجنّي يمكن أن يكون مسلماً من أتباع محمد ﷺ، أو مسيحياً من أتباع عيسى عليه السلام، أو بوذياً، أو مجوسياً أو..أو.

---

(1) لاحظ قوله عن مخالطة الجنّ للإنس في كل زمان وكلّ مكان واسأل نفسك أو غيرك إن كان قد رأهم مرة واحدة في أي زمان أو أي مكان.

ولكن المشهور في الحديث الصحيح عن رسول الله محمد ﷺ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ كَانَ يَرْسَلُ إِلَى بَنِي قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَلَمْ يَرْسَلْ إِلَى الْعَالَمِينَ إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ (1)، فَكَيْفَ إِذْنٌ يُمْكِنُ لِلْجَنِّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَاتٍ لَمْ تَعْنِيَهُمْ وَبِرِسَالٍ لَمْ يَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ—هَذَا لَوْ صَحَّ زَعْمُهُمْ؟! وَسَنُورِدُ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْفُصُولِ الْقَادِمَةِ شَرْحاً لِهَذَا الْإِشْكَالِ.

ثم يتابع الدكتور متحدثاً بلسان العارفين عن الجنّ فيقول:

"وربما أَنَّ الْجَنِّيَّ يَأْخُذُ حَكْمًا +

من يرافقه أو يُعَايِشُهُ أو يُسَاكِنُهُ أو يَدِينُ بدينه. ويقال أَنَّ الْجَنِّ هِيَ الَّتِي بَنَتْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويقال أَنَّهُ فِي بِلَادِ أَوْرُوبَا آخَتُ بَعْضَ نَفَرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْمُقَاتِلِينَ، فَأَقَامَتْ لَهُمُ الْأَسْوَارَ حَوْلَ مَمْلَكَاتِهِمْ وَحَفَرُوا الْقَنَوَاتَ وَعَبَّدُوا الطَّرِيقَ... وَيُوجَدُ فِي إِنْكَلْتَرَا أَسْوَارٌ سَمِيكَةٌ حَوْلَ الْخُرَائِبِ وَالْقُصُورِ الْمُتَهَدِّمَةِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا حَيْطَانٌ وَأَسْوَارُ الْجَنِّ" (2).

ولكن المؤلف يعود فيقول إِنَّهُ هُوَ شَخْصِيًّا لَا يَعْتَقِدُ بِهَذِهِ الْمَزَاوِعِ وَالظُّنُونِ. وَيُشْرَحُ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ طَرِيقَةَ اسْتِحْضَارِ الْجَنِّ فِيَقُولُ:

"وَالَّذِينَ يَسْتَحْضِرُونَ الْجَنِّ بِأَنْوَاعِ الْعَزَائِمِ إِذَا قُرِئَتْ عَلَى الْجَنِّ خَافَ خَوْفًا شَدِيدًا فَيَذْهَبُ عَلَى الْمَعْرَمِ وَفِي قَلْبِهِ كَرَاهِيَةٌ لَهُ وَفِي نَفْسِهِ

---

(1) سيرد نص الحديث في حينه.

(2) راجع المصدر المذكور ص 104.

ترتّب لإضراره، فهو يتحين الفرص لذلك<sup>(1)</sup>.

وتحت عنوان "علاقة الإنسان بالجنّ"، وردّاً على السؤال: هل يمكن الاتصال بالجنّ وكيف، وهل نصدّق أخبار الجنّ؟ يجيب صاحب كتاب (الإنسان بين السحر والعين والجان) فيقول:

"نعم، الاتصال بالجنّ أمر ممكن عقلاً وشرعاً، وثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ولكنه اتصال ليس خاضعاً للمقاييس والاعتبارات العادية عند البشر، لأنه اتصال من نوع آخر فقد تأثي الشياطين في صورة إنسان، وقد تتلبّس جسم إنسان، وتكلم بصوته وذلك في حالة الصرع<sup>(2)</sup>، وقد يسمع صوته ولا تُرى، وكما أسلفنا في بحث السحر، فإن هناك عزائم تُتلى لاستحضار الجنّ"<sup>(3)</sup>.

وتمهيداً للحديث عن إمكانية اتصال الإنس بالجنّ وتلبّس الجنّ لأجسام الإنس من خلال الصرع والاستحضار كما يزعمون، وكى يروي لنا حكايات عنها يزعم أنها من الواقع، يقول صاحب المصدر السابق ناقلاً عن مروّجي قصص الجنّ ما يلي:

"كما يمكن الاتصال بالجنّ ومحدثتهم من خلال تلبّسهم للإنسان

---

(1) المرجع السابق ص106.

(2) ثبت أن الصرع ناجم عن خلل في النشاط الكهربائي للدماغ ويمكن معالجته وضيطة دوائياً أو في بعض الحالات جراحياً بعد تحديد البؤرة المولدة للصرع- بالدراسة الكهربائية والوظيفية- والتي تطلق الانفراغات الكهربائية الشاذة، وقد نجح العديد من هذه العمليات الجراحية.

(3) ص106.

المصروع، وهو أمر معروف ومشاهد، وقد ذكر الشيخ محمد الحامد رحمه الله أنه قد وقف أهل الحق موقف التسليم للنصوص المخبرة بدخول الجنّ أجسام الإنس، وقد بلغت من الكثرة مبلغاً لا يصح الانصراف عنه، إلى إنكار المنكرين وهذيانهم، فإن الوحي الصادق قد أنبأنا هذا، ووقائع سلوك الجنّ في أجساد الإنس كثيرة مشاهدة<sup>(1)</sup> لا تكاد تحصى لكثرتها، فمنكر ذلك مصطدماً بالواقع المشاهد الشاهد ببطلان قوله<sup>(2)</sup>.

وبعد هذا التمهيد يطّلع علينا صاحب هذا الكتاب المذكور تحت عنوان: (من الواقع) بحكايات مروية عن مروجيها يسميها هو واقعاً مصدقاً عن دخول الجنّ الأجساد، فيقول:

"وهذه قصة واقعية من الوقائع الكثيرة التي تتحدث عن دخول الجنّ في الإنسان وتلبّسهم له، وتحدثهم بلسانه والقصص في هذا المجال كثيرة جداً، وأكثر من أن يأتي عليها الحصر!! وقد يكون لكل منّا مشاهدات في هذا المجال، لكنني أوردت هذه الواقعة لأنّ الذي يرويها (أستاذ في جامعة الأزهر) وهو الدكتور علام محمددين (المدرس بكلية الدراسات الإسلامية) حيث يروي الدكتور علام واقعة شاهدها بعينه، كانت سبباً في دخوله عالم الجنّ. فقد ذهب وصديقه أستاذ الشريعة إلى شاب في العشرين من عمره، بناء على طلب والده (لواء في الجيش).

---

(1) أين البرهان على هذا الزعم بكثرة مشاهدات دخول الجنّ أجساد الإنس؟

(2) ص138.

كان الشاب يعاني نوبات صرعٍ عاتية. وجلس إليه الصديق أستاذ الشريعة. وقرأ على الشاب بعض الآيات القرآنية. ظهر الجنُّ بعد أن غاب الشاب عني، وتقمص جسده وبدأ الجنُّ يتحدث بصوته من خلال جسد الشاب الغائب عن الوعي!..".

ويتابع قصته (الواقعية) فيقول:

"دار حوار بين الجنِّي وأستاذ الشريعة واتضح أنه جنِّي مسيحي ولا يؤمن بالقرآن، ولكنه يتحدث العربية<sup>(1)</sup>. عرض عليه أستاذ الشريعة الدخول في الإسلام<sup>(2)</sup>، رفض فزجره وأمره بالانصراف وإلا سيضطر إلى حرقه. خاف الجنُّ وانصرف. بعدها لم تعاود نوبات الصرع هذا الشاب أبداً، كما يقول الدكتور علام الذي سعى بعدها لتعلم هذه المهارة لخدمة المسلمين<sup>(3)</sup> وابتغاء مرضاة الله، وكان همه في البداية معرفة صحة ما شاهد، وهل هو حلالٌ أم حرام، ويؤكد أنه اكتشف بالبراهين الدينية والقرآنية أنَّ الاتصال بعالم الجنِّ لا ذنب فيه<sup>(4)</sup> طالما كان يقوم على القرآن والسنة، ويستخدم لأهداف نبيلة"<sup>(5)</sup>.

ويتابع صاحب الكتاب ذاته فيقول:

---

(1) لاحظ هذه التركيبة.

(2) نعلم أن شرح الإسلام أمر يحتاج إلى بيان علم وأركان وبراهين ومنطق يطول شرحه، فكيف يمكن تصور قبول الإسلام بمجرد العرض؟

(1) ولماذا خدمة المسلمين فقط؟! ألا يُثيب الله على خدمة غير المسلمين أيضاً؟!

(4) أين هذه البراهين؟

(5) ص 139 من كتاب «الإنسان بين السحر والعين والجان».

"ويحكى الدكتور علام محمد من تجاربه الشخصية في عالم الجنّ تجارب مثيرة: ذهبت يوماً مع صديق لي مستشار ورئيس محكمة قضائية<sup>(1)</sup> إلى منزل إحدى قريباته شابة متعلمة انتابتها نوبات صرع لم ينجح الأطباء في وقفها. كانت الفتاة مخطوبة وتعاني المشكلات مع خطيبها. بدأت الجلسة معها باسترخائها على معقد، ثم شرعت في قراءة آيات قرآنية وأستعيز بالله حتى أحصن نفسي. ثم بدأت في تلاوة الفاتحة قرب أذن الفتاة اليمنى<sup>(2)</sup> ثم قراءة آية الكرسي ثلاث مرات، وبعدها شعرت بتعب الفتاة، ولكنها لم تتكلم. ظللت حائراً، تشككت أن يكون الجنّ أبكم<sup>(3)</sup> بحثت في مراجع دينية فلم أصل إلى شيء<sup>(4)</sup>. عاودت الجلسة مرة أخرى<sup>(5)</sup>

---

(1) لاحظ الاختصاصات العلمية العليا.

(2) تصور الشيخ، مستحضر الجنّ وطارد الأرواح وهو ينحني هامساً في أذن الفتاة "المسكونة" بعزائمه ونفته، بينما الفتاة المريضة المسكونة لا تعي ماذا يحدث لها.. وهذا طبعاً وضع لا بد منه لطرد الجنّي من جسد الفتاة!!

(3) أو لا يتحدث اللغات!

(4) وهذا يعني أن الشيخ سيطرد الجنّي بعلم خاص من عنده وذلك بسبب خواء علوم الطب والدين من القدرة على تحريك ساكن في هذا المجال!

(5) تتكرر عادة جلسات طرد الجنّ من أجساد الفتيات وتطول وذلك بحسب جمال الفتاة "المسوسة" وكرم أهلها الأغنياء في الضيافة والاستجابة لمطالب الشيخ والأسياء من الجنّ. روى لي صديق أنّ شيخاً في إحدى القرى، بعد أن ضرب امرأة بالقضيب على جسدها لطرد الجنّي الساكن فيها، أعلن لأهل هذه المرأة أنه مضطر للبقاء في بيتهم قريبا مدة أربعين يوماً وذلك لأنّ الجنّي قد كُسر رجله داخل جسد المرأة أثناء ضرب الشيخ له، وكان لا بد من الانتظار طوال الفترة التي حددها الشيخ حتى يتم جبر كسر الجنّي فيستطيع الخروج من جسد المرأة الجميلة المسكونة، أو المسكونة —ضربة الجهل واستغلال العقائد الضالة والفسادة!

وقمت بنفس الخطوات السابقة حتى جاءني صوت الجنّة التي كانت داخل جسد الفتاة. وكانت الجنّة خائفة تتحدث العربية بأخطاء بسيطة كنت أصححها لها<sup>1</sup>. عرفتُ أنها مجوسية<sup>(2)</sup> وأن والدها ملك (الجان)، وأن أخاها مارد عنيد<sup>(3)</sup>. أما سبب تقمصها جسد الفتاة فيعود إلى أنّ أخاها المارد يرغب في الزواج من هذه الفتاة، ولذلك طلب منها إبعاد الفتاة عن خطيبها الإنسي<sup>(4)(5)</sup>.

وتحت عنوان "هل يجوز زواج الجنّ من الإنس" يروي المروّجون للخرافة والأعاجيب فيقولون إنّ الزواج من الجنّ أمر وارد ولا بأس به من الناحية الشرعية، وقالوا بأنه قد يتناكح الإنس والجنّ ويولد لهما، وأنّ هذا أمر كثير الحدوث ومشهورٌ وشائعٌ—على حدّ زعمهم—وينقلون أقوالاً مثل: "قال الشبلي أنّ نكاح الإنسي من الجنّة وعكسه ممكن"، وقال الثعالبي:

"إنّ التناكح والتّلاقح قد يقعان بين الإنس والجنّ". ويوردون عن الحسن البصري بأنه حين سئل عن التزوّج بجنّة، قال: "يجوز بشهود رجلين"<sup>(6)</sup>.

ويروي صاحب المصدر السابق الرواية التالية، قال إنّها عن الدرامي عن

---

(5) يا للذكاء! درس خاص باللغة العربية أثناء طرد الجن من جسد الفتاة المسكينة!

(2) تصور جنّة مجوسية وتتحدث العربية بأخطاء— براعة وإتقان في الإفك والدّجل!

(3) نسلم أنّ أخا الجنّة كان مارداً، ولكن كيف عرف الشيخ أنّه كان عنيداً؟

(4) الإنسان بين السحر العين والجان ص 140.

(5) ولماذا لا يصرع هذا المارد الولهان خطيب الفتاة بدلاً منها وبذلك تخلو له هي وحده؟!.

(6) المرجع السابق 143.

الأعمش، قال:

«حدثني شيخ من بجيل، قال: علق—أي عشق—رجلٌ من الجنّ جارية لنا، ثم خطبها إلينا وقال: إني أكره أن أنال منها محرماً، فزوجناها منه، قال: فظهر معنا يحدثنا، فقلنا: ما أنتم؟ فقال أممٌ أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم»<sup>(1)</sup>.

وينقل صاحب المرجع المذكور رأياً فقهياً يتعلق بكراهة زواج الإنسية من الجنّي فأورد في كتابه عن "الفتاوى" ما يلي:

"إنّ قوماً كتبوا للمالك، قالوا: إنّ ها هنا رجل من الجنّ يخطف إلينا جارية، يزعم أنه يريد الحلال فقال: ما أرى بذلك بأساً في الدين، ولكن أكره إذا وُجدت امرأة حامل فقيل لها: من زوجك؟ قالت من الجنّ، فيكثر الفساد في الإسلام"<sup>(2)</sup>.

ويعرض للمصدق بهذه المزاعم الكثير من الأسئلة:

ترى ما مصير ابن الجنّة أو الجنّي من الإنسي أو الإنسية؟

هل يأتي الولد هجيناً نصفه جنّي ونصفه الآخر إنسي؛ يعني هل يخاف نصفه من النصف الآخر؟!

وهل يرث الولد من جهة أمه أم من جهة أبيه؟

---

(1) ص 143.

(2) ص 143 ويعلم المطلعون والمهتمون أنه قد حصل مثل هذه الأحداث التي تنبأ بها الإمام مالك رحمه الله.



وهل يتزوج من قوم أمه أم من قوم أبيه؟

وهل يمكن للناس أن يروه كالإنس أم أنه يكون خفياً كالجنّ، وهل عندما ترضعه أمه أو تحدّثه يظنها الناس مجنّونة؟

وهل.. وهل؟.. رحم الله العقل والتعقل!

ويخاطب صاحب كتاب (الجنّ والشياطين بين العلم والدين) الذين ينكرون الوجود الشبهي للجنّ والشياطين فيقول:

"وأخاطب الآن الذين أنكروا وجود الجنّ والشياطين من الأصل فأقول: هل عرفتم وأدركتم كل ما في الكون الرحب من خلائق ولم تجدوا الجنّ والشياطين بينهم، وعلى هذا الأساس أتى إنكاركم المتعسف؟"<sup>(1)</sup>

ثم يعود صاحب الكتاب المذكور، فيتواضع للعلم ويقول:

"إذا كان العلم قد بيّن أنّ الجنّ والشياطين هراء.. فإنّ إنكارهم مقبول.. وعلى كل حال فإنّ ما نعرفه سويةً هو أنّ العلم لم يحدد إنكار وجود الجنّ والشياطين، بل على العكس فقد أكّد وجود مخلوقات راقية وغير مرئية وتحمل درجاتٍ عالية من الذكاء، بل ولها قدراتٌ خارقة غير مألوفة للبشر"<sup>(2)</sup>.

ونتساءل هنا.. هل هذه المخلوقات الراقية عالية الذكاء وخارقة القدرات

---

(1) ص16.

(2) المرجع ذاته ص17.

وذاات القوى غير المألوفة للبشر هي ذاتها التي يقولون عنها إنها تسكن الخرائب وأماكن النجاسات وتعيش وتتغذى على فضلات طعام الإنسان من العظام وعلى فضلات دوابه من الروث؟!.

ثم يتابع فيقول:

"وعلى هذا فإنّ أصحاب الإنكار قد أتى إنكارهم على وجه واحد فقط، هو حب المجادلة لا أكثر".

ثم يشدد المؤلف هجومه على من ينكر القول بوجود الجنّ والشياطين — على وصفهم المذكور — فيقول:

"إنّ من يعارض وجود الجنّ والشياطين يكون كالحرف لكتاب الله عن قصد وكالقائل (لا تقربوا الصلاة) دون أن يتم الآية فيقول (وأنتم سكارى)". و يتابع شارحاً:

"قد يكون ذلك جهلاً منه، وقد يكون ولغاية في نفس يعقوب أو مثله مثل الذي يتدّرع بالعلم والتكنولوجيا الحديثة فيعتبرهم الآلهة له يعبدها ويثق بها، علماً بأنه يدرك أنّ العلم هو ابن الإنسان"<sup>(1)</sup>.

وتجد هنا في اعتقاد هؤلاء السادة من الذائدين عن الاعتقاد بالوجود الشبهي للجنّ والشياطين أنّ من يتفكّر ليفهم أو يجرؤ على التفكّر يكون كمن يعبد العلم و"التكنولوجيا" ويجعلها بمثابة الآلهة يعبدها. وربما يقول قائل إنّ الحديث عن الجنّ والشياطين لم يعد في زمننا هذا يستأثر اهتمام الناس،

---

(1) الجنّ والشياطين بين العلم والدين ص29.

كما أنه لم يعد له أثر يذكر عليهم، فهل الحقيقة كذلك؟

يعبر الدكتور أحمد أمين في كتابه (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) عن دهشته من كثرة عدد الكتب التي تكتب عن موضوع الجنّ وكيفية تسخيرها لتحقيق الرغبات والوصول إلى الأغراض المستعصية فيقول:

"ويستغرب الزائر لدار الكتب من كثرة الكتب التي تحتويها في هذا الموضوع، وكثرة استعارة هذا النوع للمطالعة".

ومعلوم أنّ الخرافة المتعلقة بمفهوم الأشباح والمخلوقات الخفية قد تداخلت من خلال الأسطورة وغيرها مع الأديان لدى مختلف الشعوب منذ القدم. وقد لاحظ المستفيدون من نشر الوهم والخرافة بين الناس أنّ ربط الخرافة بالدين بشكل أو بآخر يُكسب هذه الخرافة مع الزمن قوّة متميزة ويدفع الجماهير الجاهلة إلى قبولها وتصديقها، مما يتيح لمحتري الشعوذة في المجتمع فرصة أكبر لاكتساب مكانة أكبر على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، وأحياناً السياسي كما تجلّى ذلك في المكانة التي وصل إليها "راسبوتين" في روسيا القيصرية.<sup>(1)</sup>

ونجد في كتاب أبي منصور الثعالبي أنّ عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بوجود ما يسمى بالجنّ والشياطين، وكانوا يقولون بذكورة وأنوثة الشياطين ويزعمون أنّ الجنّ تفعل الكثير مما يفعله الناس. فمثلاً نسبوا إليها أنّها بنّت مدينة "تدمر". ويزعم القطامي أنّها تغيّي. ويزعمون أيضاً أنّ للجن علاقة

---

(1) راجع «دراسات في العقلية العربية ج2 الخرافة د. إبراهيم بدرخان و د. سلوى خماش.

بالإنس، فقد "يعشق الجنيّ امرأة، وقد تعشق جنية رجلاً"<sup>(1)</sup> وذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسرّ العربية" أنّ الإنس والجنّ قد يتزاجون وينجبون<sup>(2)</sup>.

ولكنّ اعتقاد الجاهلين بالجنّ لم يكن جزءاً من عقيدتهم الدينية بشكل محدد، كما لم يكن معقّداً ومفصلاً كما هو الحال في زمننا الراهن، بل كان أكثر اعتقادهم بالجنّ أنّهم على شكل شياطين توحى إلى الشاعر بشعره. فلقد زعم العرب الجاهليون أنّ لكل شاعر شيطناً. يقول شاعرهم أبو النجم العجلي:

"إني وكلّ شاعرٍ من البشر شَيْطَانُهُ أَثْنَى وَشَيْطَانِي ذَكْرٌ"

ونجد في التاريخ أنّ خرافة الجنيّ والمارد الذي يخدم سيده ويحقق له أحلامه الاقتصادية والاجتماعية قد ظهرت ابتداء من القرن الرابع وحتى نهاية العصر العثماني. نجد ذلك واضحاً في عدد من قصص (ألف ليلة وليلة)، حيث نقرأ عن المارد المحبوس في "قمقم" منذ آلاف السنين والذي يصبح خادماً لصاحب الحظ السعيد فيحقق له رغباته وينقله إلى قصور خيالية حجارها من الذهب والفضة. الخ<sup>(3)</sup>.

وكذلك نجد في سِير (سيف بن ذي يزن) و"حمزة البهلوان"، و"الملك

---

(1) أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» ص 141.

(2) مطبعة الاستقامة القاهرة ص 117.

(3) دراسات في العقلية العربية. الخرافة.

الظاهر" وغيرها، حيث يظهر في هذه الفترة ميل العامة إلى نسج القصص والأساطير عن إمكانيات تسخير الجنّ لخدمة الإنسان. إلا أنّ التاريخ الإسلامي قد ذكر أيضاً عدداً من المفكرين الإسلاميين الذين امتازوا بنزعة عقلانية، بحيث لم يكونوا على استعداد لتصديق كثير من الخرافات الرائجة في عصرهم، وكان المعتزلة على رأس هؤلاء. وقد أدّت بهم نزعتهم العقلانية إلى تأويل الآيات القرآنية التي فيها إشارة إلى الجنّ والسحر أو ما يشبهها. ولعل الإمام الزمخشري كان من أبرز المفسرين الذين رفضوا الاعتراف بوجود هذه الخرافات وأوّلوا الآيات الدالة عليها بتأويلات تحمل معنى الرمز أو المجاز أو ما شابه ذلك<sup>(1)</sup>.

ومع أنّ مثل هذه التفسيرات كانت تخالف ما تعارف عليه المفسرون من أنّ المقصود بها كان فعلاً "الجنّ" بمفهومه الغيبي السائد، إلا أنّ أهمية هذه التأويلات والتفاسير جاءت مؤكّدة للموقف العقلاني الذي تمسّك به أصحابها كالزمخشري مثلاً ومحاولته لإيجاد تفسير للآيات القرآنية، ولكن ليس على حساب العقل والمنطق السليم.

ولقد استمر، حتى زمننا الراهن، الاعتقاد في تسخير الجنّ سواء في الشفاء من الأمراض الجسدية أو النفسية، أو في دفع فلان لحب فلانة، أو لبعث النفور والكراهية في قلب فلانة لفلان، أو في ضرب "المندل" للبحث عن ضالّةٍ فُقدت أو سرقت، أو في معرفة أسرار وأحوال بعض الناس

---

(1) راجع أحمد أمين «ضعى الإسلام» ج3 دار الكتاب العربي. بيروت ص25-27.

والإطلاع على أخبارهم الخفية، أو في دفع السحر وشر العين والحسد وغير ذلك مما هو مشهور بين الناس حتى الآن. ويؤكد الأستاذ أحمد أمين في قاموسه<sup>(1)</sup> أنّ الكثير الكثير من المشعوذين ينتفعون ويرتقون من استغلال إيمان الجهلة من الناس بهذه المعتقدات سواء خواصّهم أو عوامّهم، أغنياءهم أو فقراءهم، مسلموهم أو أقباطهم.

وهكذا يمكن إجمال مفهوم الناس المصدّقين بأشباح الجنّ أنّها مخلوقات شبحيّة نارية سريعة التنقل والحركة وتنتمي إلى عالم غيبي، فهم:

"غالباً ما يعيشون تحت الأرض ولكنهم يحبون زيارة الأرض ليلاً، وخاصة الأماكن الخالية والمهجورة، مثل المقابر، ولذا يستحسن في اعتقاد العامة الابتعاد عنها في الليل، كذلك يستحسن عدم زيارة القبور ليلاً فربما يكون فيها نفر من الجنّ... ويعتقد هؤلاء بأنّ الجنّ تأخذ أشكالاً مختلفة يلاحظها الإنسان بالإحساس (في الواقع بالوهم) بشيء غريب وغير عادي"<sup>(2)</sup>.

ويعتقد هؤلاء أيضاً بأنّ ثمة حوادث تشير إلى وجودهم، فإذا تعثر الإنسان في الظلام فالسبب يُعزى إلى مشيه فوق جني. والذي تصطك أسنانه أثناء نومه تتقمصه الجنّ، وإذا أكل المرء كثيراً ولم يشبع، فذلك

---

(<sup>1</sup>) ص 116.

(<sup>2</sup>) Sonia Hamdi «Temperment and character of the Arabs»

p. 174

بسبب مشاركة الجنّ له في طعامه<sup>(1)</sup>. والجنّ عند هؤلاء المصدقين بشبهيتهم وخوارقهم غالباً ما تكون مؤذية وشريرة، تجلب النحس والمرض والفشل بمشاركة الشياطين، وهي كذلك تنشر الرعب خاصة بين النساء اللاتي يعشن في خوف دائم منها. ويزعمون أيضاً أنّ ثمة فئات معينة من الناس تكون أكثر عُرضة للجن وأذاهم من غيرها وهم: الأطفال حديثو الولادة والمرأة النفساء والعريس وعروسه<sup>(2)</sup>.

ويحدد الدكتور عبد الحميد يونس في (الحكايات الشعبية) مفهوم جمهور الناس عن الجنّ من حيث العلاقة المتبادلة—كما يتصورونها—هم في الأوجه التالية:

"الجنّ يعين البشر.

. الجنّ يلحق الأذى بالبشر.

. الجنّ يخطف الآحاد من البشر لأغراض خاصة.

. استبدال الجنّ بواحد من البشر.

. زيارة أفراد من البشر أرض الجنّ.

. عشق الجنّ لواحد من البشر"<sup>(3)</sup>.

---

«Pagan Survival in Muhamadan Civilization» by (1)

.Westmark E.A. p.6

«Temprament and Charater of the Arabs» p. 176 (2)

(3) ص 49 من المرجع المذكور.

وقد تفنّن المحترفون، من المشعوذين وغيرهم من إخوان ملوك الجنّ  
"الأحمر" أو "الأزرق"، في اختراع أسماء للمردة والشياطين وكلمات مبهمة  
على الناس ممتزجة بآيات قرآنية وأسماء الله تعالى أو الرسول ﷺ، توحى إلى  
الإنسان العادي بأنّ ما يقال هو جزء من الدّين بصورة أو بأخرى، حيث  
تجد في (القصيدة الجملوتية) المشهورة لدى مشايخ الجنّ أنّ الشاعر  
يبدأ—حين يتحدث عن فنّه—باسم الله تعالى، ويصلي على محمد ﷺ، ثم  
يسأل الله تعالى باسمه الأعظم—وهنا يطمئن السامع إلى تقوى الشاعر  
وصدقه—ثم ما يلبث أنّ ينهال بصوته على المستمعين سائلاً:

"يَا ج، آهوووج

جلجوووت، هلهت

صمصا آآم، طمطآم

بمهراش الذي به النار أخدمت

بحق شماآآخ أشمخ.. الخ"<sup>(1)</sup>.

ونجد كذلك أنّ المشعوذين قد استغلوا ورود ذكر الجنّ والشياطين في  
القرآن الكريم، وتأكّد المشايخ على وجود هذه المخلوقات الشبحية  
المزعومة، وجهل الناس بحقائق علوم القرآن فحاولوا استغلال الحروف المجهولة  
المعنى لدى الناس في أوائل بعض السور من القرآن الكريم مثل:

---

(1) أحمد أمين «قاموس العادات» ص 117.



«طسم، كهيعص، الر، الم، ق، ص» لصالحهم فزعموا أنها مفاتيح لتسخير الجان وهم "وحدهم" الذين يُتقنون استخدامها. ولم يستطع رجال الدِّين أن يقطعوا ببطلان هذا الزعم لجهل معظمهم بمعاني هذه الحروف على وجه التحقيق<sup>(1)</sup>.

وقد ربط بعض المشعوذين من مشايخ القرى والأحياء وغيرهم بين إمكانية استخدام الجن وبين كثرة الصوم والصلاة وقراءة القرآن والجلوس في الخلوات، فقالوا:

"من أراد أن تخدمه الجن فإنه يصوم أربعين يوماً في خلوة لا يأكل إلا خبز الشعير والزبيب الأسود ولا يأكل إلا كل أربع وعشرين ساعة، ثم يتلو العزائم ويستحضر بها الخدام. وعندئذ يظهر الخدام الأول، وهو عبد أسود في يده حجر أحمر، وعزيمته لاستحضاره هي:

"يا بنووخ دردمووخ

أجيبووا أحيووا بحق سمعاط

شمووع

برهووت

برهين

---

(1) لاشك في أن لهذه الأحرف معانيها وبيانها في الاستخدامات اللغوية العربية، ولعل الله تعالى يرزقنا أن نبيها للناس في بحث خاص، المؤلف.

أسحيم.

تُقرأ ألف مرة<sup>(1)</sup>.

ومنهم من يدّعي أنّ قراءة الفاتحة مئة ألف مرة تمكّن قارئها من تملك خادم تقى من الجن يخدمه طوال العمر، ولكن عليه قبل المخاطرة بالدخول في هذه المحاولة أن يتأكّد من إيمانه وشجاعته وأنه لن يتردد أو يتراجع، لأنّ الجنّ لا بد حينئذ أن يؤذوه فيسبّبون له الفلج فيلتوي حنكه، أو يصاب بالشلل أو غير ذلك من البلاوي، وذلك لأنّه بعد قراءته للفاتحة بضعة آلاف من المرات سيظهر له الجنّ يرعبونه ويخوفونه ويجعلونه يرى الأهوال، فيرفعون السقف عنه ويهربون بالحيطان، وتظهر له كلاب سود تُكشّر أنيابها وتسعى للانقضاض عليه. ولكن عليه أن يصمد وألاّ يخاف لأن هذا كله مجرد تخويف لاختبار شجاعته وجرأته وكفاءته لاستخدام الجنّي المارد الذي سيصير عبداً له ويخدمه طوال عمره.

قد يعتبر بعض القراء الأكارم هذا الكلام من قبيل المبالغة في الوصف والتعبير، ولكنني أؤكد أنني كثيراً ما سمعت أمثال هذه الصفات والمعتقدات حتى من شباب مثقفين ويحملون شهادات جامعية عليا. ولا بد أنكم أنتم سمعتم مثل ذلك أيضاً.

وثمة من يدّعي أنّ قراءة آيات قرآنية معيّنة بالمقلوب تحقق المطلوب وتوصل أرباب العقول والقلوب من الذين يقرؤونها إلى التمكن من تسخير

---

1- «قاموس العادات والتقاليد...» أحمد أمين ص 117.

مارد من الجنّ يحقّق لهم جميع أحلامهم في الثراء والقوة والرفاه.  
وهكذا نسج البلاء خيوطه في عقول الكثير الكثير من الناس داخلاً من  
باب الاعتقاد بوجود مخلوقات شبيهة تسمى الجنّ والشياطين.

### \* الجنّ في الأدب العربي المعاصر

وأما في الأدب العربي المعاصر فإننا نجد أنّ أثر الاعتقاد بتسخير الجنّ  
والعفاريت والخوف من شرهم وأذاهم كان واضحاً بيّناً ومنتشراً، حيث نجد  
في (الأيام) أنّ طه حسين في سيرته الذاتية يصوّر لنا تعلق خياله كطفل  
بفكرة تسخير الجنّ والعتور على خاتم سليمان، إذ كان ينظر إلى القناة  
والضفة الأخرى وكأنها عالم آخر، فهو:

"كان يعلم يقيناً لا يخالطه الظن، أنّ هذه القناة عالم آخر مستقل  
عن العالم الذي كان يعيش فيه، تعمّره كائنات غريبة مختلفة، لا  
تكاد تُحصى فيها التماسيح التي تزدد الناس ازدرداً، ومنها  
المسحورون الذين يعيشون تحت الماء بياض النهار وسواد الليل،  
حتى إذا أشرقت الشمس أو غربت طفوا يتنسمون الهواء، وهم  
حين يطفون خطر على الأطفال وفتنة للرجال والنساء. ومنها هذه  
الأسماك الطوال العراض التي لا تكاد تظفر بطفل حتى تزدره  
ازدرداً، والتي يتاح لبعض الأطفال أنّ يظفروا في بطونها بخاتم الملك،  
ذلك الخاتم لا يكاد الإنسان يديره في إصبعه حتى يسعى إليه دون  
لمح البصر خادمان من الجنّ يقضيان له ما شاء؛ ذلك الخاتم الذي  
كان يتختمه سليمان فيسخر له الجن والريح وما شاء من قوى

الطبيعة. وما كان أحب إليه أن يهبط في هذه القناة، لعل سمكة من هذه الأسماك تزدرده فيظفر في بطنها بهذا الخاتم، فقد كانت حاجته إليه شديدة.. ألم يكن يطمع، على أقل تقدير، في أن يحمله أحد هذين الخادمين إلى ما وراء هذه القناة ليرى بعض ما هناك من الأعاجيب؟ ولكنه كان يخشى كثيراً من الأهوال قبل أن يصل إلى هذه السمكة المباركة"<sup>(1)</sup>.

وهكذا نلاحظ الأثر السائد للخرافة في الحلم بالحصول على خاتم الملك سليمان لتسخير القوى الجنّية والمردة لتحقيق الأحلام وإنجاز الأعمال.

هذه الصورة تبين النشأة الفكرية التي يعايشها أطفالنا في المدن والقرى، وفي البيئات التي يكون فيها للخرافة دور، بينما ينشأ الأطفال في المجتمعات المتقدمة علمياً وحضارياً واجتماعياً على تكريس العلوم والتكنولوجيا والاكتشافات لزيادة العقول علماً ونوراً وحقائق ووقائع تدفع بالمجتمع وأهله صُعداً لمزيد من التقدم والبناء لخير الإنسان أتّى يكون—أليست أمتنا أولى بالعلم الحق والنور؟ أليست هي التي أنارت العالم وأنقذته من ظلمات العصور الوسطى وأهدته علوماً أضاءت جنباته وأخرجته من الظلمات إلى النور؟

لماذا الإصرار على تعليم أولادنا الخوف والوهم والخرافة في عصر يُعَلِّم أولادَه استخدام التقنيات الإلكترونية الذكية والكمبيوتر وعلومه في معظم

---

1- طه حسين «الأيام» ج 1 ص 13 دار المعارف القاهرة.

جوانب الحياة اليومية، فيكون الطفل عالماً ينشأ على حبّ العلوم والاكتشاف والإبداع؟

في أرض الخرافة لا ينمو إلا الوهم والخيال فتذوي طاقة الإنسان تموت ويموت معها المجتمع المريض بها.. وفي أرض العلم والبحث والتفكير والاكتشاف، ينمو العقل ويزهر الإبداع وتأتي قوى الكون تخدم الإنسان في مجتمعه فيحيا بنور العلم ألف حياة وحياة.

ويرسم لنا طه حسين في روايته الشهيرة (شجرة البؤس) صورةً حيةً لتصديق أهل القرى البسطاء لحكايات الجنّ ودورها المباشر في حياتهم، فيقول:

"قالت أم رضوان 'كنتُ أخبز في قريتنا لجارة لنا ذات مساء كما أخبز الآن، وكانت صاحبة الدار أم عثمان جالسة معي بين أتراب لها وجارات... ولم تكد امرأة من القرية تخبر الجمع بما رأت وسمعت، حتى رأينا أم عثمان قد ثارت مولولة، فنفضت شعرها ومزقت ثيابها، وجعلت تلطم وجهها، وتضرب صدرها ونحن نحاول أنّ نردها إلى الهدوء ونسألها عن أمرها، ولكنها بعد حين تثوب إلى نفسها قليلاً.. ولكن ما راعنا إلا أن رأيناها تقذف نفسها في التنور، فلا نرى لها أثراً ولا نسمع لها حساً.

كانت جنيّة تمثلت لأبي عثمان امرأةً فتزوجها وولدت له ابنة عثمان، ثم جاءها النبا أنّ أخاها يحتضر، فأسرعت له قبل أنّ يموت، وسلكت إليه أقرب الطرق وهو التنور حين يكون ملتهباً،

والجنّيات يألفن التنور، ولذلك لا ينبغي أن يحمى التنور دون أن يُذكر اسم الله عند إشعال النار فإنّ ذلك يطرد منه الشياطين ويؤذّن - ينبه - الجنّيات المسلمات بأنه سيُحمى فيخرجن منه قبل أنّ يدركهن شيء من النار<sup>(1)</sup>.

ويبين لنا طه حسين أثر مثل هذه الروايات عن الجنّ على بعض الناس فيحدّثنا كيف أثّرت رواية (قصة أم عثمان الجنّية) من قبل أم رضوان على إحدى الحاضرات وهي نفيسة التي لا تتمتع بأي قسط من الجمال، فيقول:

"فلم تكذّ أم رضوان تبلغ هذا الموضع في حديثها، والنساء يسمعن لها مرتاعات ملتاعات، منهن من تمسك الشهيق، ومنهن من تدفعه، حتى ثارت نفيسة كأثما الجنّية وقد نثرت شعرها، وقدّت ثوبها، وأخذت تُعول إعوالاً متصلاً وتلطم وجهها وتضرب صدرها وهي تصيح وأبتاه، وأمامه، ثم تدفع نفسها إلى التنور تريد أنّ تدخل فيه"<sup>(2)</sup>.

يبيّن هذا الوصف الذي قدّمه لنا طه حسين صورة الجنّ في أذهان نساء قرية مصرية في أوائل هذا القرن، وأنّ الاعتقاد السائد لدى جماهير القرى هو أنّ الجنّ قادرون على تقمّص شكل الإنسان، وأنهم قد يكونوا أخوة أو آباء أو أزواجاً. وهي الخرافة ذاتها التي كانت معروفة لدى الجاهليين قبل

---

1- طه حسين «شجرة البؤس» ص140.

2- «شجرة البؤس» طه حسين ص141. 142.

الإسلام<sup>(1)</sup>.

ويورد الدكتور إبراهيم بدران والدكتورة سلوى الخماش في كتابهما (دراسات في العقلية العربية . 1. الخرافة) قصة واقعية نشرت في مجلة روز اليوسف المصرية<sup>(2)</sup> ومفاد هذه القصة العربية ملخصاً بتصرف ما يلي:

"تعلق شاب يحمل شهادة الدكتوراه بامرأة غير زوجته، ولم يجد وسيلة للالتقاء بعشيقته في بيته إلا باستغلال جهل زوجته والتأثير عليها من خلال إيمانها بالجنّ والأرواح، فمنع عنها الكتب الثقافية العامة، ثم بدأ يضع تحت يديها كتباً تتحدث عن الجنّ والأرواح، كما بدأ يقص عليها الكثير من الروايات الخيالية عن هذه الأرواح الشريرة المؤذية.

وأخذ بعد مدة يتظاهر بالمرض؛ وحين كانت زوجته تهتم باستدعاء الطبيب، كان ينهاها محذراً إياها، وأخبرها أنّ ملكة من ملوك الجنّ تحبه وأنّها هي سبب مرضه وعيابه، وكان يطلب منها أن تخرج من غرفته وتغلق عليه الباب ساعة ثم تعود.

وتعود زوجته بعد فترة لتسأله عما تم بينه وبين الجنية فيُخبرها أنّه قد تم الصّلح بينه وبين أبيها ملك الجان، ولكن شرط الصّلح أنّ يتزوج ابنة ملك الجان، لأنّها كانت واقعة في غرامه وليس بالإمكان الخلاص منها إلا بإرضائها وإرضاء أبيها ملك الجنّ.

---

3- راجع دراسات في العقلية العربية د. بدران، د. سلوى الخماش.

4- العدد 2391 في 1974/4/8 ص 46.

واستمر في تضليل زوجته، وصار يقول لها بأنّ الجان كانوا على وشك أنّ يضربوه ويؤذوا ابنه ويعذبوا زوجته، فتخاف الزوجة خوفاً شديداً على ابنها وعلى نفسها، وتسيطر عليها حالة رعب شديد أن يحدث لها أو له أذى بسبب تعلق تلك الجنّة بزوجها الحبيب. وعند ذلك يطلعها زوجها على الحل المطلوب منه للخلاص من شر هذه الجنّة وقومها وأبيها فيقول لها إنّ الجنّة لا تريد منه إلاّ أنّ ينام في الصالون مرتين في الأسبوع.

ويبدو أنّ الزوجة المسكينة المؤمنة بقدره الجنّ على التلبّس والأذى تصدّق قصة زوجها وخاصة بعد أنّ أعدّها إعداداً عقلياً ونفسياً مدروساً بكل خبث وإتقان.

كان للصالون باب مستقل على السلم.. وكانت تلك هي الخطة التي أعدّها كي يلتقي بعشيقته في بيته بكل ارتياح واطمئنان. واستمر على لقائه بجنّيته المزعومة، ثم بدأ يطلب لزوجه الجنّة عشاء وشراباً، فتقدم له زوجته المغلوبة على أمرها كل ما يريد مع غاية الطاعة والولاء حتى لا تؤذي الجنّة زوجها وابنها.. وحين لاحظ الجيران دخول امرأة غريبة في الظلام شقة الدكتور وخروجها معه في الفجر، بدؤوا يتحدثون في الأمر ويشيعونه حتى أوصلوه إلى زوجته، ولكن زوجته الطيبة كانت ترد قائلة:

’طبعاً هم فاكرين الجنّة واحدة ست.. طبعاً ماهيه تحضر له في صورة واحدة ست‘<sup>(1)</sup>.

---

1- عن روز اليوسف العدد 2391 1974/4/8 نقلاً عن المصدر السابق.



ولكن الجيران دبّروا كميناً وسلّموا المرأة للشرطة على أنّها لص تسلل إلى صالون الجيران. انفضح أمر الدكتور وعشيقته وطلبت الزوجة الطلاق من زوجها أمام ضابط الشرطة. لكن الزوج أصر على خداعه بأن: "أظن يهمس في أذن زوجته بكلمات كثيرة وهو يبكي ويتوسل، ثم نادى على المرأة الأخرى التي همست في أذن الزوجة بوضع كلمات". فعدلت الزوجة عن طلبها وطلبت من الشرطة أن ينفذوا الموضوع فخُفِظت القضية. وحين سئلت الزوجة بعد خروجها من مخفر الشرطة عن سبب تراجعها عن طلبها، قالت بأنها فهمت من زوجها 'المسكين' أنّ تلك المرأة:

'ليست امرأة.. بل هي الجنيّة ابنة ملك الجان، ولكنها أمام الناس اضطرت أنّ تظهر في صورة امرأة عادية حتى لا يؤذي أبوها ملك الجان الزوج والابن، وحتى لا يقول الناس عن الدكتور أنه معتوه وملبوس فيفقد وظيفته ومكانته' (1).

وبالرغم من تصديق الكثير من الرجال والنساء في مجتمعنا بالخرافات والروايات المحكية عن الجنّ والأرواح، إلا أنّ المرأة بحكم عزلتها وقلة خبرتها وبالتالي جهلها وأثر بيئتها ونشأتها هي أكثر أفراد المجتمع تجاوباً مع مثل هذه الخرافات وأكثر ميلاً لتصديقها وقبولها والعمل بإيحاءاتها (2).

وبقدم لنا الروائي العربي الشهير نجيب محفوظ في روايته (بين القصرين)

---

2- المصدر السابق.

3- العالم ليس عقلاً. القصصي.

أُمينةَ زوجة عبد الجواد كنموذج حي للمرأة التي تربّت تربية دينية محافظة، والتي كان يطغى على اعتقادها إيمانُها الخرافي بالجنّ وإمكانية تواجدهم في أيّ مكان وقدرتهم على عمل أيّ عمل بالناس.

وبيّنا لنا نجيب محفوظ في روايته المذكورة، كيف أنّ أُمينة كانت في أوّل حياتها تعاني من الخوف الكثير حين كان يتركها زوجها وحدها في البيت الكبير ويذهب هو لقضاء سهراته الطويلة. ولكي تبدد خوفها من حضور الجنّ وإيذائهم كانت:

"تطوف في الحجرات مصطحبة خادمتها، مادّةً يدها بالمصباح أمامها، فتلقي في أركانها نظرات متفحصة خائفة ثم تغلقها بأحكام، واحدة بعد الأخرى، مبتدئة بالطابق الأعلى، وهي تتلو ما تحفظ من سور القرآن دفعاً للشياطين، ثم تنتهي أخيراً إلى حجرتها، فتغلق بابها وتندسّ في الفراش، ولسانها لا يمسك عن التلاوة حتى يغلبها النوم. ولشّد ما كانت تخاف الليل في عهدها الأول، فلم يغب عنها—وهي التي تعرف عن الجنّ أضعاف ما تعرف عن عالم الأنس(1)—أنّها لا تعيش وحدها في البيت الكبير، وأنّ الشياطين لا يمكن أنّ تضلّ طويلاً عن هذه الحجرات القديمة الواسعة الخالية، ولعلها (الشياطين) أوت إليها قبل أن تُحمل هي إلى البيت، بل قبل أنّ ترى نور الدنيا. فكم دبّ إلى أذنيها من همساتهم، وكم استيقظت على لفحات من همساتهم، وما من

---

(1) راجع دراسات في العقلية العربية.

مغيث إلا أن تتلو الفاتحة والصمدية، أو أن تُشرع إلى المشربية، فتمدّ  
بصرها الزائف من ثقبها إلى أنوار العربات والمقاهي، وترهف السمع  
لالتقاط ضحكة أو سعلة تسترد بها أنفاسها.

ثم جاء الأبناء تبعاً ولكنهم كانوا أول عهدهم بالدنيا لحماً طرياً  
لا يبدّد خوفاً، ولا يُطمئن جانباً، وعلى العكس فقد ضاعف من  
خوفها بما أثار في نفسها المتهافنة من إشفاق عليهم وجزع أنّ  
يمسهم سوء، فكانت تحويهم بذراعيها وتغمرهم بأنفاس العطف  
وتحيطهم في البقطة والمنام.

أما الطمأنينة الحقة فلم تكن لتذوقها حتى يعود الغائب من سهرته،  
ولم يكن غريباً وهي منفردة بطفلها تنوّمه وتلاطفه، أنّ تضمه إلى  
صدرها فجأة ثم تُنصت في وجل وانزعاج ثم يعلو صوتها هاتفةً  
وكأنها تخاطب شخصاً حاضراً:

‘ابعد عنا، ليس هذا مقامك، نحن قوم مسلمون موحدون’. ثم  
تتلو الصمدية في عجلة ولهوّة. وعندما طالت بها معاشرّة الأرواح  
بتقدم الزمن تخففت من مخاوفها كثيراً، واطمأنت لدرجة إلى  
دعابتهم التي لم تجرّ عليها سوءاً قط، فكانت إذا ترامى إليها حسّ  
طائف منهم قالت له في نبرات لا تخلو من دالة:

‘ألا تحترم عباد الرحمن. الله بيننا وبينك فاذهب عنا مكرماً’<sup>(1)</sup>.

ونجد أيضاً في رواية (بين القصرين) أنّ أمينة:

---

1- نجيب محفوظ «بين القصرين».

"كانت تخاف خوفاً شديداً ويتأبها الذعر والهلع من أن يتردد اسم الجنّ في الدار، وكانت تُحذّر ابنها كمال من التفوّه بكلمة الجنّ أو العفريت درءاً لشُرور تذكر بعضها على سبيل التخويف، وتمسك عن البعض إشفاقاً ومبالغة في الحيلة.

ولذلك فقد كان يلوح في عينها التردد والحيرة حين تسمع ابنها كمال وهو يقرأ الآيات التالية ليستذكرها:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ حتى أتمّ السورة.

فلم تدر كيف تتصرف وهو يتلو أحد الاسمين الخطيرين في سورة شريفة، بل لم تدّر كيف تحول بينه وبين حفظها، أو ماذا تفعل لو دعاها كالمعتاد إلى حفظها معه. وقرأ الغلام في وجهها هذه الحيرة، فداخله سرور ماكر. وجعل يبدأ ويعيد ضاغطاً على مخارج الاسم الخطير وهو يلحظ حيرتها متوقفاً أن تُفصح أخيراً عن إشفاقها في لون من ألوان الاعتذار. ولكنها على شديد حيرتها لا ذت بالصمت فمضى يعيد عليها التفسير كما سمعه، حتى قال:

— 'ها أنتِ تَرَيْنَ أَنَّ من الجنّ من استمع إلى القرآن وآمن به، فلعلّ سكان بيتنا من هؤلاء الجنّ المسلمين، وإلا ما أبقوا علينا طوال هذا العمر'.

فقالَت المرأة في شيء من الضيق:

— 'لعلهم... ولكن من الجائز أنّ يكون بينهم غيرهم، فيحسن بنا  
إلا نردد أسماءهم'.

. 'لا خوف من ترديد الاسم.. هكذا قال مُدرّسنا'.

فحدّثته المرأة بنظر عتاب، وقالت:

. 'المدرّس لا يعرف كلّ شيء'.

. 'وإن كان الاسم ضمن آية شريفة؟'

وشعرتُ حيال تساؤله بقهر، ولكنها لم تجد بداً من أن تقول:

. 'كلام ربنا كله بركة'.

واقتنع كمال بهذا القدر ثم واصل حديثه عن التفسير قائلاً:

. 'ويقول شيخنا أيضاً إنّ أجسامهم من نار'.

وبلغ بها القلق غايته، فاستعادت بالله وبسملت عدة مرات، أما

كمال فاستطرد قائلاً:

- 'وسألتُ الشيخ هل يدخل المسلمون منهم (من الجن) الجنة فقال

نعم.. فسألتُه مرة أخرى كيف يدخلونها بأجسام؟ من نار فأجابني

بحدّة إنّ الله قادر على كل شيء.

. 'جلّت قدرته'.

فرنا إليها باهتمام ثم تساءل:

. 'وإذا التقينا بهم في الجنة ألا تحرقنا نارهم؟'

فابتسمت المرأة وقالت في ثقة وإيمان:

. 'ليس فيها أذى أو خوف' (1).

إنّ تصديق الطفل للخرافة وملء رأسه بخيالات مبهمة عن الجنّ والعفاريت والشياطين وتمثّلها له في الأشياء التي تصادفه، وتصديقه بأنّها مصدر شرور تتعمد إيذاؤه، وعجزه، في الوقت نفسه، عن تفسير ما يسمع أو يتخيل، يترك، كل ذلك، في ذهنه مكاناً ملائماً لنمو الخرافة<sup>(2)</sup> والوقوع في شر برائتها أو الاعتماد عليها والنظر إلى أمر الحياة من خلالها عند الضرورة.

وقد يبدو للوهلة الأولى أنّ المجتمع العربي الحديث قد تخلص من ذلك الواقع الذهني الذي صوّره طه حسين في (شجرة البؤس)، أو نجيب محفوظ في روايته (بين القصرين) مثلاً، إلا أنّ المدقق في الأمر لا بدّ أن يصل إلى نتائج أقلّ تفاؤلاً. حيث نجد في الواقع أنّ غالبية النساء في مجتمعنا هنّ من المعتقدات بالخرافة عموماً وبالجنّ خصوصاً؛ ومن الواضح أنّ خطورة هذه المسألة تنعكس على الأطفال في سنيهم الأولى حين تكون الأم هي المصدر الوحيد أو الأساس للمعلومات التي تشكل الخطوط العقلية العريضة للطفل وذهنه وبالتالي شخصيته؛ ويتفاقم الأمر خطراً وسوءاً حين تلجأ بعض الأمهات الجاهلات إلى استخدام الجنّ كوسيلة لتخويف أطفالهن أو لردعهم

---

1- نجيب محفوظ «بين القصرين» ص78.

2- راجع دراسات في العقلية العربية. 1. الخرافة.

عن القيام بما لا يعجبهن. وهكذا نجد أنّ الأمهات تنقلن دون شعور منهن خوفهن الحقيقي من الجنّ والعفاريت، ذلك الخوف الذي تحاولن إخفاءه بقناع من التخويف بحجة التربية بالضغط على الأطفال بما قد ينفع في ردعهم عما لا ينبغي فعله.

ويزيد المسألة سوءاً وتعقيداً جهل هؤلاء الأمهات، كما هو متوقع، بطبيعة الجنّ وأشكالها، الأمر الذي يدفعهن اعتماداً على خيالهن، استناداً إلى روايات سمعنّها خلال طفولتهن أو من جاراتهن ومعارفهن إلى تصوير الجنّ بكل شكل كان أو أيّ شكل كان. وكذلك يثرن في أذهان أطفالهن إمكانية حضورها وتلبّسها وتمثلها في أي زمان ومكان.

وينتقل هذا الوهم إلى الأطفال بصورة اعتقاد مخيف مروّع يجعل الطفل خوفاً يخشى الوحدة والظلام، ويسعى إلى تجنب أيّ عمل قد يثير عليه—كما يتوهم—حفيظة الجنّ وبالتالي إيذاءهم له.

وتتراءى للطفل بسبب هذه المخاوف والأوهام، وفي حالات مرضه أو انفراده، شتى الصور المروّعة التي يولّدها خياله فيجد نفسه في صراع مؤلم ودائم ضد هذه الكائنات المخيفة المؤذية وغير المرئية.

ولا شك في أنّ مثل هذا الخوف من المجهول الجاثم في كل مكان وكل حين، والخوف من الوحدة والظلام يقيد، بالضرورة، حركة أطفالنا ويشلّ انطلاقاتهم العقلية أو يعجزها، ويحدّ من رغبتهم الضرورية—سواءً بالنسبة إلى شخصياتهم المستقبلية، وعقولهم وأفكارهم—في الاستطلاع والتعرّف

على الأماكن والأشياء واكتشافها. وبذلك يظلّ الطفل راجباً في ملازمة أهله ومكانه المألوف له<sup>(1)</sup> وبذلك، أيضاً، تقتل أول ما تقتل في أطفالنا آباء المستقبل روح التحرر الفكري والنفسي والانطلاق في رحلة الإنسان الضرورية إلى الاكتشاف والإبداع والعمارة السليمة للأسرة والبيئة والوطن والعالم.

وعن مخاوف الطفل من الجنّ والعفاريت يزيدنا طه حسين في سيرته الذاتية (الأيام) عن خوفه حين كان طفلاً، من هذه المخلوقات المربعة، فيقول إنه كان:

"واثقاً أنه إن كشف وجهه أثناء الليل أو أخرج أحد أطرافه من تحت اللحاف، فلا بدّ أنّ يعثّر بها عفريت من العفاريت الكثيرة التي تعمّر أقطار البيت وتملأ أرجاءه ونواحيه والتي كانت تهبط تحت الأرض ما أضاءت الأرض واضطرب الناس. فإذا أوت الشمس إلى كهفها، والناس إلى مضاجعهم وأطفئت السرج وهدأت الأصوات، صعدت هذه العفاريت من تحت الأرض وملأت الفضاء حركة واضطراباً وتهامساً وصياحاً".

ولذلك:

"كان يقضي ليله خائفاً مضطرباً إلاّ حين يغلبه النوم.. ويقضي شطراً طويلاً من الليل في هذه الأهوال والأوجال والخوف من العفاريت حتى إذا وصلث إلى سمعه أصوات النساء يُعَدّن إلى

---

1- راجع دراسات في العقلية العربية ج1 الخرافة.



بيوتهم وقد ملأَن جزارهم من القناة وهنَّ يتعَنَّين 'الله يا ليل الله'  
عرَف أن قد بزغ الفجر وأن قد هبطتُ العفاريثُ إلى مستقرِّها من  
الأرض السفلى<sup>(1)</sup>.

ويؤكد الدارسون والمحللون للعقد النفسية لدى الطفل أنَّ: هذا الخوف  
والتقييد للانطلاقة الذهنية والجسمانية يستمر مع الطفل حتى بعد دخوله  
المدرسة، ويكون علامة بارزة في تكوين شخصيته في المراحل الحياتية التالية.  
وفي الغالب، فإنَّ المدرسة لا تستطيع أن تمحو كثيراً من الخرافات التي انتقلت  
إلى الطفل خلال ارتباطه بأمه في البيت، لأن المدرِّس سواء أكان مدرِّساً  
للدين أو العلوم أو غيرها من المواد يتحرَّج لسبب أو لآخر عن الخوض في  
مثل هذه المسائل ويأمر التلميذ أن يكف عن الاستفسار عن الجنِّ وما  
شابهها من مواضيع<sup>(2)</sup>.

ويلفت الدكتور بدران والدكتورة سلوى الخماش في كتابهما (دراسات في  
العقلية العربية — الخرافة) النظر إلى أنَّ الانفصال بين كلِّ من المجتمع والبيت  
والمدرسة، وطبيعة التعليم في الوطن العربي، والمفاهيم الثقافية السائدة، لا  
تُتيح في كثير من الأحيان للفتى أو الفتاة التخلص مما علق في ذهنهما في  
زمن الطفولة. وما يحدث للطالب في المدرسة هو أنَّ المواد الدراسية التي  
يدرسها تحزَّن في عقله بالإضافة إلى الخرافة، وكثيراً ما تمتزج بها. وفي أغلب

---

2- طه حسين «الأيام» ج 1 ص 7 دار المعارف.

1- دراسات في العقلية العربية.

الأحيان فإنّ الطالب، أو الطالبة، يكون غير قادر على استعمال معلوماته الجديدة سواء في الفيزياء أو الأحياء أو غيرها من العلوم أو حتى في الدّين نفسه لتمحيص ما تَعَلَّمَه من خرافات، نظراً لأنّ ذلك يفرض عليه الدخول في مسائل دينية قد علّمته المدرسة ألا يدخل فيها. وإذا استثنينا نسبة ضئيلة من المتعلمين والمتعلمات في مجتمعنا وبيئتنا، ومن بذلوا جهوداً ذاتية خاصة لتخليص أذهانهم مما علق فيها من خرافات.. إذا استثنينا هؤلاء فإنّ الكثيرين والكثيرين جداً من المتعلمين من الجنسين ما زالوا يحتفظون بأوهام وخرافات زمن الطفولة مكدّسة بين أكداش المعلومات الأخرى، ولم يستطيعوا بسبب دكتاتورية الفكر الخرافي وسلطانه أنّ يستخدموا علومهم في تفنيد ذلك الوهم وتلك الخرافة، ولذلك نجدهم هم أيضاً عرضة لتصديق أي ادعاء أو خرافة يتدعها أحد المبتدعين، سواء أكان دجّالاً ماهراً، أو مشعوذاً خبيراً، أو أحد الدراويش<sup>(1)</sup>.

### \* حفلات الزار وضرب الشيش

ومن المظاهر المشهورة في مجتمعنا، والتي تعتمد أساساً على الزعم بالوجود الشبهي للجن وتلبّسهم الناس وإيذائهم لهم، ما يسمى "الدّكر والزار" التي خاصّة ما تكون مشهورة ومعروفة في القرى، حيث يقيم بعض الشيوخ وأتباعهم حفلات صاخبة خاصة، الغاية منها استحضار الجنّ من خلال "تكنيك" معين يُستخدم فيه الضرب على الطبول والرقص والدوران

2- راجع «دراسات في العقلية العربية» د. إبراهيم بدران ود. سلوى الخماش ج1 «الخرافة».

والصياح والنداء بأسماء ما يسمى بـ "القطب" و "الغوث" وبقيّة حضرات  
الأسياذ والشيوخ الذين يُزعم أنه من خلال ذِكْرهم تُحدث الكرامات  
والمعجزات في حفلات الشيش والزار، حيث يتجمهر عددٌ من بسطاء أهل  
القرى على عدد من مقامي حفلات الزار في "بيت الشيخ" أو غيره، تُهزّ  
قلوبهم ضرباتُ الطبول القوية وتُقرعُ آذانهم صرخاتُ التوحيد المربعة الطويلة  
الممطوطة بلحنٍ ثاقب "حَيّ ي ي ي" و "أَلَاهُووو ياهووو"، وتتنطط  
عقولٌ وعيون الحاضرين مع القفزات والدوران والتلويح بالشيش الذي هو  
سيخ حديدي طويل يصنع خصيصاً لهذه المناسبات بغرض إظهار  
المعجزات والكرامات للأشياخ والأسياذ، من خلال التهجم على الحاضرين  
الذين يجمد الدم في عروقهم كلّما زعق الصارخ بحدّة وجنون ملوّحاً بالسلاح  
الأبيض (الشيش) في يده وهو ينوي طعن نفسه فيه أو حتى غيره من  
الحاضرين، حيث يتوقع المتفرج في كل حين إما أن يمسه جنيّ عفريت أو أن  
يضره هذا المجنون الراقص، الذي يبدو أنّه فقد صوابه مع الصراخ والصياح،  
بضرية الغاية منها أن ينفذ هذا السيخ الملوّح في يده من طرف في جسده إلى  
طرف آخر.

يحدث كل هذا بينما يكون خدام الشيش والزار قد وضعوا في وسط  
الحلقة الولد أو البنت—الضحية—أو الشخص المريض المرتحف خوفاً  
وهلعاً المطلوب شفاؤه ببركات الشيخ من مسّ الجنّ والشياطين.

ويسمع العابر في حارات القرى والأماكن التي تضجّ في ليلها حفلات

الذكر والزار، قرعات الطبول والصرخات المدوّية المجلجلة للراقصين على جهل الناس وأعراضهم وكرامة عقولهم، فيُخيّل إليه أنه في عرس الجنّ والعفاريت، ويوقن أنه لا بدّ من وجودهم حيث تصدر هذه الصيحات العنيفة والمجنونة.

ومن الملفت أن تجد أنّ الكثيرين—إن لم يكن أكثر—من يعمل بـ"مهنة" حفلات الدّكر والزار إنما هم من الذين لا تعرف لهم، حتى في مجتمعهم، فضيلة خاصّة أو سلوكٌ حسنٌ ولا حتى التزامٌ بعبادة أو صوم أو صلاة، بل ولا حتى أدنى معرفة متميزة بكتاب الله سبحانه وتعالى أو أحاديث رسوله الكريم محمد ﷺ. ثم الأغرب من هذا أن تجد، بعد ذلك كله، من بين المؤمنين والمصدقين بهذه الشعوذات نفرًا ليس بالقليل من الدارسين والمتعلمين وخريجي الجامعات، بل وأساتذتها أحياناً<sup>(1)</sup>.

ولعلم المشعوذين وأصحاب مهنة الشيش والزار أنّ من يأتيهم من الناس إنما يكون غالباً من المصدقين بشعوذتهم، فقد تفتّنوا في إبداعاتهم "التقنية" التي يحاولون من خلالها إقناع هؤلاء الناس أنّ بإمكانهم السيطرة على الجنّ والعفاريت أو طردها أو التخلّص من أذاها، إذ لا بدّ للعقلية التي آمنت بخرافات العالم السفلي، أن تؤمن بتقنية التعامل مع الجنّ وبالتالي أن تصدق بما يدّعيه المشعوذون من توافر الإمكانيات لديهم لاستئصال الجن أو أذاهم

---

1- من المؤكد أنّ ضرب الشيش يعتمد على خبرة خاصة ومران معين وليس له علاقة بالدين والكرامات، كما يزعمون، من قريب أو بعيد.

من أجساد المرضى والممسوسين.

ومن الملاحظ على مرّ العصور، أنّ الكهنة ورجال الدين كانوا أكثر الناس ترويحاً وتصديقاً—في الظاهر—لسطوة الكائنات غير المرئية من العالم السفلي بزعمهم من: أشباح وأرواح وعفاريت وشياطين وإمكانية إيدائها وعبثها بالإنسان والتعرّض له والسخرية منه، كيفما تشاء وفي أي وقت كان<sup>(1)</sup>.

ويدخل في "تقنية" هؤلاء المشعوذين، لإقناع البسطاء من الناس بالجنّ والعفاريت وأذاهم، أن يروّجوا أنّ هذه المخلوقات المزعومة يمكن أن تظهر للناس على شكل قطط وكلاب وحياتّ وماعز وغيرها من الحيوانات، وخاصة السوداء والشديدة السواد منها.

وهكذا وخلال قرون طويلة نشأ في كثير من بيئات مجتمعتنا أسلوب وطريقة "تقنية" خاصة لمقاومة الأرواح الشريرة والتغلب عليها وطردها من أجسام الممسوسين، وتدعى هذه الطريقة أو "التقنية" بما يعرف بـ "حفلة الذكر والزار"<sup>(2)</sup>.

ويبيّن لنا الكاتب المصري عبد الحميد جودت السحار في كتابه (قافلة الزمان) حفلات الزار، وأنها ليست في حقيقتها إلا تجارة بالخرافة وجهل الناس من خلال عقد صفقات رابحة مع المصدقين بالجنّ والعفاريت

---

2- راجع كتب المصدقين بتحضير الجنّ والأرواح وإمكانية عبثهم بالناس كيفما يشاؤون.

3- راجع دراسات في العقلية العربية. المرجع المذكور.

وامتصاص دمهم—ما لهم—وذلك من خلال وعدهم بالشفاء والخلاص على أيدي الأسياد من الجنّ وملوكهم الذين لا بد من إقامة حفلات وولائم دسمة خاصة بهم لنيل رضاهم وطلب عوئهم!

ويصور السّحار بشكل حي وواقعي الطريقة التي يتم بها التفاوض بين أهل المريض من جهة، وشيخ أو شيخة الزار من جهة أخرى، ثم ما يتبع ذلك من طقوس ظلماتية شيطانية في الحفلة ذاتها. فيروي لنا أنّ "أم زكية" قد جاءت إلى شيخة الزار تستنجد طالبة العون منها على شفاء ابنتها "زكية" من إغماؤها المتكررة، فتشخص شيخة الزار مرضَ زكية وتقول بأنّ الأخوان (العفاريت) قد لمسوها ليؤذوها، فسألتها أم زكية:

"وما يودّون الآن؟"

. 'ترضية'.

. 'نحن على استعداد لتقديم الترضية التي يطلبونها'.

— 'اتصلتُ بهم وعرضتُ عليهم أن نذبح على الساكت ما يطلبون وأن نكتفي 'برضوة' فقبلوا وكدت أنجح في مساعي لولا 'السجّان' فإنّه أصرّ على دقّ الدّفوف، فأنحاز إليه الباكون جميعاً'.

. 'وفيم يرغبون الآن؟'

. 'في إقامة زار بالطبول والدّفوف'.

. 'لهم ما يريدون'.

واطمأنت الشيخة إلى إقامة الزار، فالتفتت إلى زكية وسألتها:

. 'أما رأيت في منامك طيوراً وحيوانات؟'

. 'لا أذكر'.

— 'ألا تذكرين أنك رأيت دجاجة سوداء أو حمراء أو عاجلاً أو

خروفاً له علامة خاصة، أو أي شيء من هذا القبيل؟'

. 'والله لا أذكر يا ستنا الشيخة'.

. 'تذكرتي كل ما ترينه وقصّيه علي'.

. 'حاضر'.

وانقضت أيام حاولت زكية أثناءها أن تتذكر وتفكر في الطيور

والحيوانات قبل أن تنام. ثم جلست إلى الشيخة تروي لها ما رأت:

إنها لم تر إلا حيوانات لها سمة خاصة، فهذا خروف أسود "غطيس"

في جبهته هلال أبيض، وهذا ديك رومي أبيض فيه نقطة حمراء،

وهذا عاجل أحمر قرب ذيله شامة بيضاء.

وكانت الشيخة تنصت في انبساط، فإن ما رآته المريضة يعد بزار

كبير يستمر ثلاثة أيام بلياليها. وقالت الشيخة:

. 'اشتري كل هذه الأشياء، فإنّ الأسياد أَوْحوا إليك في المنام'.

وأقبلت أيام الزار، فذهبت زكية إلى بيت أختها، وذهبت أمها

وأمانة لتجهّز 'الكرسي' والكرسي نضد مرتفع يوضع في وسط

المكان، ويوضع فوقه صينية كبيرة يكس فوقها سكر وبُنّ ولوز

وسلطانية لبن زبادي وفطير وجبن رومي وزيتون وبوظة، وتُصَفّ حول الكرسي شموع طويلة تُنار طول الليل.

وفي أول يوم قامت الشيخة وألبست زكية ثياباً بيضاء فهي تُعتبر عروس ذلك اليوم، ثم اتجهت إلى الكرسي، وأخذت السكر والبرّ وكثيراً مما فوق الصينية وحجزته لنفسها، ووزّعت مما بقي على الواقفات، وخصت فتياتها اللاتي سيضربن الدفوف بالنصيب الأوفى.

..وجيء بالحيوانات والطيور، فاختارت الشيخة لنفسها ما يحلو لها، وبعثت به إلى دارها، ثم بحّرت ما تبقى وذبحته وحفظت الدّم في وعاء كبير، ولطّخت منه وجه زكية وذراعيها وثيابها، ثم أخذت مصاغها وغمسته فيه، فبدت زكية كأنما خرجت من معركة (دموية)<sup>(1)</sup> قاسية استعملت فيها السكاكين وسالت فيها الدماء.

وارتفعت دقات الدفوف، وجلجلت أصوات فتيات الشيخة بأناشيد العفاريث، فأخذت زكية تدور حول الكرسي وقد وضعت يديها خلف ظهرها، واتسعت حدقتا عينيها، وقام النسوة يتمايلن بجسومهنّ على دقات الدفوف، وارتفعت الدقات، واشتدت حتى استولت على المشاعر فاهتزّ كل شيء، حتى الحيطان بدت كأنما تهتز.

وخلعت زكية ثياباً وارتدت ثياباً، وكانت تنزل إلى ساحة 'التفكير'

---

1- الكلمة ليست في النص الأصلي.



كلّما دقت دقة جديدة، وتتمايل بجسمها الضخم، وتضرب  
برجلها الأرض فيهتز السقف تحتها، ويترجأ الأبواب والشبابيك  
أزيزاً، ومالت على الصينية وقبضت قبضة مما عليها، ونثرتها على  
الجالسات بجوار الحيطان ينظرن، فرجعن يجمعن ما نثرت في سرور،  
فإنّ العفريت راضٍ عنهن.

ومرت أيام الزار الثلاثة، وأهرق فيها دم كثير، حتى كادت زكية  
تستحم في الدماء. وجّهز الحمام، ودخلت زكية تستحم وتُبدّل  
ثيابها الملوثة بالدم، ثم خرجت منه وجلست تستريح قبل أن تعود  
إلى دارها وقد أحسّت راحة تشيع في نفسها، فإنّها لترجو بعد أن  
أقامت الزار، أن تكون جميع العكوسات قد فُكّت، وإنّها لتأمل  
كلّ الأمل بعد ذلك الزار، أن تُحمل وأن تُنسل نسلًا تقر به  
عينها<sup>(1)</sup>.

يتّضح لنا من هذا الوصف المأخوذ عن الواقع المشهود والممارس أنّ  
شيوخ "الزار" أو ما يسمى بـ "الدّكر" قد صنعوا من جهل الناس تجارة،  
واتخذوا منه حرفة ومهنة. فهم في الحقيقة نادراً ما يُعرف لهم حرفة أو مهنة  
غيرها، وهم من خلال جهل البسطاء من الناس وإيمانهم بشيّر وأذى الجنّ  
المحتمل في أيّ زمان ومكان، يحاولون دائماً الخروج بصفقات رابحة، سواء  
بالحصول على الأموال، أو الطعام من الذبائح الخاصّة، أو ما تطاله رغبتهم  
الدنيئة من أعراض النساء والفتيات الساذجات وغير ذلك من البلاوي.

---

2- عبد الحميد جودت السحار في «قافلة الزمان» ص 132.139.

وإمعاناً في تمثيل الدور واستغلال شيوخ الزار لجهل زبائنهم، فإنهم يخبرونهم أنّ الجنّ والعفاريت هم الذين يريدون ديوكاً أو عجولاً أو خرفاناً أو غيرها من الذبائح<sup>(1)</sup> وواضح أنّ مطالب الجنّ والعفاريت تتفق دائماً مع ذوق هؤلاء المشعوذين والمشعوذات من لذائذ الطعام وأغلاه ثمناً.

ويؤكد مؤلفاً (دراسات في العقلية العربية — الخرافة) أنّ حفلات الزار المشهورة في مصر وغيرها لا تقتصر على النساء فقط بل إنها تشمل الرجال أيضاً، وإنّ الاعتقاد بها ما زال منتشرّاً حتى اليوم، وحتى بين فئات قد نالت حظاً من التعليم.

وقد أشار إلى حفلات الزار أيضاً الدكتور محمد حسنين هيكل في روايته (زينب) وكذلك فعل طه حسين في روايته (شجرة البؤس) و(دعاء الكروان) وأيضاً عبد الحميد جودت السحار في (قافلة الزمان) كما مر معنا.

وتصف مجلة روز اليوسف، العدد 2192 في 15/6/1970 ص 23 حفلة زار أقيمت في بيت أم غريب في الإسكندرية بأنها كانت تشبه حفلة جاز صاخبة، فهناك:

"طبول تدق، وزحام من الناس يتمايل، يزيد في سخونة الزحام وجود عشرين سيدة وفتاة وفي حالة انسجام عصبي مثير"<sup>(2)</sup>.

ويبيّن الدكتوران إبراهيم بدران وسلوى الخماش أنّ حفلات الزار في مصر

---

1- وكأنما ملّ الجنّ من أكل الطعام والروث (طعامهم المفضل) كما مر معنا

2- نقلاً عن كتاب «دراسات في العقلية العربية».

وغيرها من المجتمعات التي يؤمن فيها الناس بأمثال هذه الخرافات قد وصلت إلى حدٍّ بالغ الخطورة والأثر السيئ في مثل هذه المجتمعات فيقولان:

"ولا يقتصر الأمر على وجود حفلات الزار خاصة بالرجال أو النساء كلٌّ على حدة، بل يبدو أنّ رياح التحرر قد لامست أطراف الخرافة أيضاً، حيث أصبحت تقام في السبعينات حفلات زار مختلطة للرجال والنساء. وفي مصر القديمة، وفي ضريح الشيخ أبو السعود، يقيم تجار الخرافة حفلات يرقص فيها النساء والرجال رقصات الزار من العاشرة صباحاً إلى العاشرة مساءً. والهدف هو الحمل. وعندما يتحقق لا يسأل أحد هل جاء نتيجة بركات الشيخ أبو السعود، أم نتيجة وجود عشرات من رجال العصابات وتجار المخدرات والقوادين والمحترفين في ساحة الزار"<sup>(1)</sup>.

وهكذا فإنّ البلاء أشدَّ خطراً من أن يُهمل شأنه من أيّ جانب أتيته!

وجاء في برنامج إذاعي تبثّه إذاعة دمشق اسمه "حكم العدالة" وهو يحكي قصصاً واقعية من ملفّ القضاء، أنّ سيدة شريفة نبيلة على جانب من الثراء وقعت ضحية دجال مشعوذ، وذلك بالاتفاق مع امرأة من معارفها فصارت موضع ابتزاز حقيق كاد يدمر حياتها الشخصية والعائلية ومُتمعتها بين الناس. وقد ساق هذا الشرّ كله إليها، إيماناً بقدرة بعض الشيوخ المشعوذين من أدعياء تسخير الجنّ والعرافيت في فك الرصد والمعالجة والشفاء مما استعصى

---

1- راجع دراسات في العقلية العربية ج 1 الخرافة د. إبراهيم بدران ود. سلوى الخماش ص72.

من الأمراض على الأطباء. والقصة باختصار هي:

أنّ هذه السيدة المتزوجة كانت متحرّقة إلى الحمل وأن يكون لها ولد تقرّ به عينها وعين زوجها الذي كان يكابد نفس الحرقة. اقترحت عليها إحدى معارفها أن تذهب إلى شيخ مشهود له بكتابة الحجب 'التي لا تخيب'، وبتحقيق المعجزات على يديه، وبشهرته في معالجة مثل هذه الحالات حيث أنّ الكثيرات من النساء اليائسات قد تمّ لهن الحمل ببركات أعمال هذا الشيخ الولي التقي!

وصدّقت المسكينة فوقعت في الفخ.

كان يطلب إليها أن تدخل وحدها غرفة البخور لتستفيد من التبخير في العلاج وحصول الحمل، وكان عليها أن تخلع ثيابها في تلك الغرفة، ولم تدر المسكينة الحمقاء أنه كان يتم تصويرها بشكل سري وهي تخلع ثيابها.

وتكررت زيارات هذه المرأة الضحية بناء على طلب الشيخ والوسيلة لضرورة العلاج وتكرر طلب المال منها لقضاء حاجات ملوك الجنّ التي لا تنتهي، إلى حد أنّ السيدة الضحية بدأت تضطر إلى بيع حليّها حتى لا تطلب من زوجها المزيد من المال لتغطية نفقات علاج الشيخ وأقرانه من الجنّ المتربصين بالأذى. وعندما أعلنت عجزها عن دفع المزيد فوجئت بتقديم صورها المحرّجة والفاضحة لها والتي تم التقاطها دون أن تدري. وتمّ إطلاعها علناً على السعي لابتزازها وأنّ عليها أن تدفع ما يرضي الشيخ ووسيطته، وإلاّ تمّ إرسال صورها إلى زوجها الذي كان قد نهاها، منذ البداية، عن

التصديق بمثل هذه الشعوذات وعن الذهاب إلى مثل هؤلاء الشيوخ المشعوذين.

ولكنها لرغبتها الشديدة وأملها في أن تحمل وتصير أمّاً وأن تُدخِلُ الفرحة والبهجة على قلب زوجها الذي سيصير أباً، ذهبَتْ سرّاً مع تلك الوسيطة، وهكذا سقطت ضحية ضعيفة مهیضة الجناح بين يدي ذئب متوحش يستغل إيمان الناس بالقدرات الخرافية للجن والعفاريت، واعتقادهم بقدرات الشيوخ في التأثير والسيطرة عليها، وما أعلى الثمن المدفوع في النهاية عبثاً!

ويروي الناس أيضاً، وهذا مشهور بينهم، أنّ بعض هؤلاء المشايخ من المشعوذين يدّعي للنساء المستعيزات به من شر السحر والعين والجان ضرورة أن تتم كتابة بعض الحجب والتعاويذ بالمسك والزعفران على بطن المرأة التي ترجو الحمل وذلك كي يتم الحمل لها، ولا شك بأنّ الشيخ ذاته هو الذي يجب عليه أن يجري بيده المباركة كتابة الأسماء والطلاسم والتعاويذ المقدسة على بطون البنات والنساء الساذجات اللاتي كثيراً ما أهدرن عرضهن وشرفهن بهذه الصورة المهينة المخزية لهن ولذويهن وللمجتمع الساكت عن هذه الممارسات المخزية!

**\* آمِن بالخرافة وإلاّ فأنت سخيّفٌ أو مجنون!**

والقصص الغريبة العجيبة، على واقعيتها، كثيرة وكثيرة، وكلها تروي

حقائق الاستغلال البشع للجهد والمال والعرض والشرف والكرامة الإنسانية باسم الإيمان والاعتقاد بوجود هذه الكائنات الخرافية المزعومة، والتي تسمى بالجنّ والشياطين والعفاريت، والحجة في ذلك كله أنّ اسم هذه المخلوقات ورد في القرآن الكريم، وكذلك في الإنجيل والكتاب المقدس، ولذلك فهي من الدين، ولا بد من التصديق بوجودها... فالكافر وحده، أو السخيف وحده، أو عدو الدين وحده من لا يصدّق بهذه الخرافة وهذا الدجل الظالم وهذه الشعوذة البشعة. ولذلك فإنك كثيراً ما تجد في كتب "العلماء" تهجماً عفيفاً وتسخيلاً بالغاً بكلّ من يجرؤ على عدم الاعتقاد بالوجود الشبحي للجن، فهو عندهم مغرور يتبجح بالعلّمنة والعقلنة بينما هو في حقيقة الأمر، يتخبّط في حمأة الخلط والتهوؤس، وساقط في أشد مظاهر الغفلة والجهل، بل هو من المجانين الذين يرثى لعقولهم التي أفسدتها فلسفات وعلوم الغرب بصراعاتها الفكرية المريبة—على حد زعمهم وعادتهم فيّ التهجم على كل من يجرؤ على الخروج عن سلطان فهمهم واستبداده واستحكامه.

ويجد القارئ الكريم مثلاً واضحاً على مثل هذا التهجم المسبوك سبكاً دقيقاً ومحكماً في كتاب (كبرى اليقينيّات الكونية) لمؤلفه الأستاذ الدكتور سعيد رمضان البوطي الذي يُعدّ واحداً من أشهر علماء المسلمين في بلاد الشام. ومن المعلوم أنّ كتابه المذكور قد قارب عشر طبعات، وهو أيضاً من الكتب المقررة في كلية الشريعة—جامعة دمشق<sup>1</sup>.

ففي بحث "الجان" من كتابه المذكور، وتحت عنوان:

"إنكار وجود الجنّ سُخِّفَ يتقنّع بألفاظ العلم" يقول:

".. إذا تبين لك هذا، فاعلم أنه لا ينبغي أن يقع العاقل—على الرغم مما ذكرناه—في أشد مظاهر الغفلة والجهل من حيث يزعم أنه لا يؤمن إلا بما يتفق مع 'العلم' فيمضي يتبجح بأنه لا يعتقد بوجود الملائكة أو الجنّ من أجل أنه لم يرههم ولم يحس بهم.

إنّ من البداهة بمكان أنّ مثل هذا الجهل المتعالم يستدعي إنكار كثير من الموجودات اليقينية لسبب واحد هو عدم إمكان رؤيتها، وما من عاقل يحترم نفسه ثم يذهب هذا المذهب في الخلط والتهوؤس.

وما من عاقل فهم معنى 'العلم' إلا وعَلِمَ أنّ القاعدة العلمية المشهورة، تقول: عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود. أي عدم رؤيتك للشيء الذي تبحث عنه لا يستلزم أن يكون بحد ذاته مفقوداً" (1).

ويتابع الدكتور البوطي منتقداً من أطلق عليهم لقب "البسطاء من الناس" فيقول:

"ويغيب عن ذهن البسطاء من الناس، أنه كما لا يجوز الإيمان

---

1- راجع «كبرى اليقينيّات الكونية» للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص282 الطبعة الثامنة.

بوجود الشيء إلا إذا ثبت الدليل العلمي على وجوده، فإنه لا يجوز أيضاً الإيمان بفقدان الشيء إلا إذا ثبت الدليل العلمي على فقدانه".

ويتحدث الدكتور البوطي عما أسماه بـ "السخف العجيب" فيقول:

"غير أنّ السخف العجيب إنما يكمن عند من يزعم أنه مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه، ثم يمضي يجادل، أو يجادل القرآن بتعبير أصحّ، في وجود الجنّ مثلاً. ولا دليل يخاصمك به إلا أنه لم ير الجنّ ولم يحسّ بهم، أي لا دليل يخاصمك به إلا مجرد جهله كما قلنا".

ويتابع الدكتور البوطي مبيناً ما أسماه: 'حقيقة المسألة في جذورها'، فيقول إنها مجرد تقليد ومحاكاة لمحترفي الغزو الفكري ضد الإسلام وأهله — أي إنّ منكري الوجود الشبحي للجن هم، في النهاية، أشبه بالعبيد لأعداء الإسلام الذين يحترفون الغزو الفكري ضده، جاء في كتابه بيانه:

"والمسألة في جذورها مجرد تقليد ومحاكاة لمحترفي الغزو الفكري ضد الإسلام وأهله(1). فقد ألقوا الأذان إليهم، فسمعوههم يقولون: إنّ الاعتقاد بالجن والشياطين والملائكة(2)، إنما هو من الإحيائية والخرافات التي كانت سائدة عند العرب، فدعا إليها بعد ذلك محمد عليه الصلاة والسلام باسم الدين والإسلام فأحنوا رؤوسهم

---

2- هذه هي التهمة الجاهزة لكلّ متدبر ومتفكر بالقرآن الكريم، وذلك رغم قول ربنا عزّ وجل: (أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها)؟

3- لاشك أنّ الإيمان بالملائكة هو ركن من أركان الإيمان في الإسلام. المؤلف.



لما سمعوا، وأغمضوا العين والعقل عن التفكر في دليل هذه الدعوى وبواعثها وبراهينها العلمية، ثم انطلقوا يرددون هذا الكلام، دون أن يختلف أي اختلاف عن صوت ساداتهم<sup>(1)</sup>.

ويتابع الدكتور البوطي متحدثاً عن "السادة" ومن "ينغضون الرؤوس" فيقول:

"ثم لما عاد أولئك السادة أنفسهم يتحدثون عن الأرواح وقصة تحضيرها وكيفية مناجاتها، عاد هؤلاء مرة أخرى يستمعون، وعادوا مرة أخرى ينغضون رؤوسهم مؤمنين معتقدين، دون أن يكشفوا غطاء العقل لأي تأمل أو برهان علمي. ثم انطلقوا هذه المرة يعتقدون بالأرواح، ويعلمون الناس السبيل إلى تحضيرها ومكالمتها واستكشاف خفايا الماضي والمستقبل البعيد بواسطتها"<sup>(2)</sup>.

ثم يبين الأستاذ البوطي أنّ مسألة تحضير الأرواح قابلة للتصديق أو التكذيب، وذلك بحسب ما تُقدم من دلائل ومشاهدات ثابتة لدليها الحس. ويتابع فينبّه إلى أنّ الروح المحضرة قد تكون إحدى أرواح الجنّ الشريرة التي "تجيب وتناجي" من قعر السلة، بغية العبث والتسلي واللهو بالناس والسخرية منهم، وذلك—كما يقول—لأنّ في الجنّ، كما في الناس، أشراراً دأبهم الكذب والتلاعب بعقول الناس، ولذلك يجب الانتباه إلى أنه لا ينبغي تصديق الروح المحضرة، إذ ربما تكون من هؤلاء الجنّ العابثين الساخرين،

---

4- «كبرى اليقينيّات الكونية» للدكتور البوطي ص282 الطبعة الثامنة.

1- «كبرى اليقينيّات الكونية» للدكتور البوطي ص282 الطبعة الثامنة.

وإليكم بيان الدكتور من كتابه كبرى اليقينيّات الكونية الصفحة 283:

"لا بد أنك تتساءل عن موقف العقيدة الإسلامية من قصة تحضير الأرواح، وما شاع من نبأ ذلك في أوروبا، ثم في جهات كثيرة من العالم العربي.

والجواب: أنّ العالم يمتلئ بالأرواح المختلفة بدون شك، ولكن الإسلام علّمنا ألا نصدّق أحداً في تحضير روح أو مكالمتها إلا إذا ثبت ذلك ببرهان التجربة المشاهدة، إذ التحضير والمكالمة من الأمور الخاضعة للحس، فلا يمكن أن يكون دليلها أيضاً إلا الحس (1) وقد مضى بيان ذلك في تمهيد هذا الكتاب. فإن ثبت أمامك ببرهان التجربة والمشاهدة على ذلك، فلا مانع من تصديقه، بل لا مناص من تصديقه، ولكن الذي لا يزال مجهولاً بعد ذلك هو ماهيّة هذه الروح.. ولا يكفي لرفع الجهل أن تنطق الروح أو تكتب أو تزعم، بواسطة ما، أنها روح فلان من الناس، فهو خبر يحتمل الصدق أو الكذب. ولا دليل على صدقه، وكما أنّ في الناس أشراراً دأبهم الكذب والتلاعب بعقول الناس، فإنّ في الجنّ أيضاً كذلك. فمن أين لك أنّ الذي يناجيك أو يكتب لك جواب أسئلتك من قاع السلة ليس شيطاناً مريداً، جاء ليلبس

---

2- الغريب أن يرفض الدكتور البوطي ما أسماه «دليل الحس» في التحقيق في موضوع الجنّ، ثم يؤكده شرطاً في موضوع الروح رغم انتماء البحتين كليهما إلى عالم يعتبره العقل الإنساني حتى الآن خفياً!

عليك دينك ويلهو بمخادعتك ويتلذذ بالكذب عليك؟" (1).

ويبين الدكتور البوطي حقيقة الأرواح التي تسيطر — بحسب اعتقاده — على المجانين والمغرورين الذين يعتقدون أنهم أحباء الله وأوليائه، وأنّ الله قد أكرمهم بأنه أسقط تكاليفه عنهم فيقول:

"..وأيقنوا أنهم وزراء الله المدللون في الأرض بينه وبينهم نسب الأرواح الطاهرة التي تناجيهم مع أنها ليست إلا أرواحاً حقيرة من أرواح مردة الشياطين التي تحط فوق قممات العقول والأفكار (2) تتلهى بإغوائها واللعب بها" (3).

ثم يتابع الدكتور البوطي متحدثاً عن الروح الشريرة التي تلهو بمخادعة الناس والضحك على عقولهم، فيقول:

"فالأرواح لا شك في وجودها، ولكنها لا ينبغي أن تكون صادقة إذا قالت لك إحداها: أنها روح أحد الأنبياء، ثم راحت تقدم لك المبادئ والعظات بناء على أنها كذلك. إنها بدون ريب روح شريرة تلهو بمخادعتك" (4).

أرواح شريرة تلهو بمخادعتنا!

تَصَوّر أن تعتقد وتؤمن بأنك محاط، في كلّ مكان، بأرواح شريرة تلهو

---

1- «كبرى اليقينيّات الكونية» حاشية ص 284.

2- بيان رائع رفيع المقام.

3- الدكتور البوطي في «كبرى اليقينيّات الكونية» ص 284.

4- المرجع السابق ص 248.

وتتسلى بمخادعتك ومخادعة الناس، وكأنها حرة (فلتانة) في ملكوت الله، سبحانه وتعالى، وغير تابعة إلى عالم معين أو محكومة به!

كيف، والروح، بحسب المفهوم الإسلامي، بعد الموت وفي حياة البرزخ، تكون إما في حفرة من حفر النار، أو في روضة من رياض الجنة، كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح؟!

فهل من المعقول أن تترك الروح الطيبة روضات الجنة لتستقر في قعر سلة مُحضّر الأرواح، لتلهو وتتسلى بمخادعتهم فتكتب وتناجي وترد على أسئلة الناس؟!

أو هل في إمكان الروح المسجونة في برزخ (حفرة النار) أن تنطلق من سجنها، وتتحرك من عذابها، على هواها، حين استدعائها للخروج من حفرة عالم الروح للنزول في حفرة قعر السلة؟

ثم، وهل للروح وزن مادي يجعلها تهبط في قعر السلة ثم تضغط بثقلها لتحرك قلماً يكتب على ورقة ويجب على أسئلة المحضّرين؟

ثم لماذا تكون الإجابة كتابة ولا تكون صوتاً وكلاماً وظهوراً؟ فهل يسمح للروح بالحضور<sup>(1)</sup>—حين يأمرها المحضّر—ويسمح لها بالإشعار بوجودها بالحركة والخط والكتابة، ثم يحرم عليها أن تصدر صوتاً أو كلاماً؟ أم أنّ ثمة

---

1- يعلمنا الإسلام أنّ الروح من أمر الله وحده، قال عز وجل ﴿قل الروح من أمر ربي﴾  
الإسراء 86 ، ولم يقل أنها تأتي بأمر غيره أيضاً!

تخصصات في أشكال ظهور الأرواح، حيث أنّ منها ما يستهويه النزول في قعر السلة والسيطرة على حركة القلم المثبت إليها، ومنها ما ينزل على الحبال الصوتية للوسيط فتكلم بصوته من عالم البرزخ تخاطب الناس وتحدثهم عن الماضي أو غيب المستقبل<sup>(1)</sup> أو غيره مما يسألونها عنه؟!

ونسأل هنا: ترى ما الغاية من كلّ هذه الحركات والتأليفات، بل وما الفائدة، وما النتائج التي حققتها لصالح الإنسان أو يُنتظر أن تحققها، سوى زجّ عقول الناس في سجون الوهم والخرافة والخيال، والقعود بهم، ودفعهم بعيداً عن مدارج الترقّي والتقدم ومواكبة الحضارة الإنسانية الراقية أينما وجدت؟ ثم أليس في ترويج الاعتقاد بالجن وتحضير الأرواح إعطاء للفرصة وفسحٌ للمجال في أن يتمكن المشعوذون من استغلال جهل الناس وإيمانهم بالخرافة؟ ثم أين في هذا الترويج "كشف الغطاء عن العقل" للتأمل والبرهان العلمي الذي دعا إليه الدكتور البوطي؟!.

أين التأمل في تصديقك بروح جني شرير "تعبث بك وتلهو بمخادعتك؟" وأين البرهان العلمي في ذلك؟

لقد قطع التعليم الإسلامي في القرآن الكريم الطريق على جميع الحركات الخادعة التي تتصيد في جهل الناس وتستغل نقاط ضعفهم. ولكن قبل أن نبين قول القرآن الكريم في أمر الروح، لا بد من لفت النظر إلى مغالطة كبيرة

---

2- يعلمنا الإسلام أنّ الله وحده يعلم الغيب، قال ربنا في القرآن الكريم: ﴿وعنده مفاتيح

الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ الأنعام: 59

اشتهرت بين مروجي الاعتقاد بتحضير الأرواح وهي تتعلق بالخلط الكبير بين مفهوم "الروح"، ومفهوم "النفس".

### \* بيان القرآن الكريم في النفس.. والروح

من المفيد في سياق بحثنا هنا أن نعرج على دراسة موجزة وهامة تتعلق بشرح المفهوم القرآني لـ (الروح) و(النفس) لبيان الخطأ الشائع في الخلط بينهما، وكذلك لدحض الزعم بما يسمى بـ (تحضير الأرواح).

يخلط بعض الناس في اللغة الدارجة بين النفس والروح، فيقولون إنّ فلاناً طلعت روحه، أو زهقت روحه أو أنّ روحه اطمأنت أو أنّها تتعذب أو أنّها تاتقت واشتافت أو ضجرت وملّت وكل هذه تعبيرات خاطئة، لأنها في الحقيقة، أحوال تخص "النفس" وليس "الروح"<sup>(1)</sup>.

يبين لنا القرآن الكريم أنّ ما يخرج من بدن المحتضر عند الموت والحشرجة هي نفسه وليس روحه، حيث يورد لنا قول الملائكة للمجرمين لحظة الموت:

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام 94

فها هنا بيان قرآني واضح أنّ التي تخرج عند الموت هي النفس، وليست الروح. وكذلك يبين لنا القرآن الكريم أنّ النفس هي التي تذوق الموت وليس

<sup>1</sup>- راجع كتاب الدكتور مصطفى محمود (القرآن كائن حي).

الروح، يقول ربنا عز وجل:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ العنكبوت 58

ونجد هنا أنّ النفس تذوق الموت، ثم تمضي بعد ذلك في رحلة إلى رها عز وجل، يقول تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي

فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ الفجر 28-31

والنفس، في القرآن الكريم، تندرج في مدارج ثلاثة:

\* أولاً: النفس الأمارة

قال ربنا عز وجل:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يوسف 54

وهذا يعني أنّ النفس تُغري صاحبها بالشر والسوء وبذلك تدفعه بعيداً عن تحصيل كماله الأخلاقي، وتحتّه على اتّباع السبل السيئة والشريرة<sup>(1)</sup>. وهذه الحالة تسيطر على عقل الإنسان قبل دخوله المرحلة الأخلاقية التي هي مرحلة "النفس اللوامة". وتستمر حالة النفس الأمارة للإنسان<sup>(2)</sup> طالما أنه منساق بغرائزه وغير منقاد بعقله وفهمه وتقواه، حيث أنه منهمك في

---

1- (فلسفة أصول التعاليم الإسلامية) للإمام ميرزا غلام أحمد القادياني، مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

2- وهي أيضاً القرين الذي يأمر بالسوء.

الانغماس—وبشكل غريزي—في الأكل والشرب والنوم واليقظة والغضب والاستفزاز، كما هي الحال لدى الحيوان في استجابته لغرائزه. ولكن عندما يعتمد الإنسان إلى الانقياد والاهتداء بعقله وفهمه، ومن ثم يُخضع حالته الطبيعية لسيطرة وضبط عقله بالشكل الملائم والمناسب، فإنَّ حالته هذه تتوقف عن كونها الحالة الطبيعية وتدخل في المرحلة الأخلاقية، التي هي مرحلة (النفس اللوامة)<sup>(1)</sup>.

### \* ثانياً: النفس اللوامة

وهي مصدر الحالة الأخلاقية عند الإنسان، قال ربنا عز وجل:

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ القيامة 3

وتدفع هذه النفس الإنسان إلى التخلص من أسر النفس الأمارة، كما تدفعه إلى اتِّباع السلوك الأخلاقي الراقى، وضبط الغرائز الطبيعية والسيطرة عليها وعلى العواطف والرغبات وتنظيمها بفعل العقل. ولقد شَرَّفَ الله عزَّ وجلَّ هذه النفس حين أقسم بها. وبما أنَّها تلوم الإنسان على كلِّ تحرك سيئٍ وشرير فقد سُميت بالنفس اللوامة<sup>(2)</sup>. وهي أيضاً القرين الذي يأمر بالخير.

### \* ثالثاً: النفس المطمئنة

وهي تشكل بداية المرحلة الروحية لدى الإنسان، قال ربنا في القرآن

---

1- المرجع نفسه.

2- المرجع السابق بتصرف.



الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي

فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر 28-31

وهذه هي المرحلة التي تمتلئ فيها روح الإنسان بالطاقات الروحية وتؤسس صلة بالله عز وجل الذي لا تستطيع بدونه تعالى أن توجد أصلاً، وتأتي هذه المرحلة بعد أن يكون الإنسان قد تخلص من كلِّ ضعفه ونقائصه.

وكما الماء ينصب منحدرًا من شاهق ولا معيق له، كذلك فإنَّ النفس المطمئنة تنطلق متوجهة إلى ربها<sup>(1)</sup>.

تلك إذن هي مدارج النفس الثلاثة. فالنفس تطوع لصاحبها العمل الخاطئ والشرير.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ...﴾ المائدة 31

وهي أيضاً شيطان الإنسان الذي يوسوس له:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ سورة ق 17

وهي أيضاً تُسَوِّلُ لصاحبها، وتضيق عليه، وتزهق، وتأمره بالشَّح، جاء في القرآن الكريم:

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ...﴾ يوسف 19

﴿وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ..﴾ التوبة 119

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة

﴿..وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر 10

﴿وَأَخْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ النساء 129

فالنفس، هي المتهمة في القرآن الكريم بالشح، والوسواس، والسوء، والفجور، والطبيعة الأمارّة أو اللوامة؛ وللنفس في القرآن تَرْقٍ وعُروج، فهي يمكن أن تتزكى وتتطهر، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَهْمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الشمس 8-9

وأما الروح في القرآن الكريم، فتُذكر دائماً بدرجة عالية من التقديس والتشريف، ولا يُذكر لها أحوال من عذاب، أو هوى، أو شهوة، أو شوق، أو تطهر، أو تدنّس، أو رفعة، أو هبوط، أو ضجر، أو ملل، ولا يُذكر أنها تخرج من الجسد أو أنها تذوق الموت... ولا تُنسب إلى الإنسان، وإنما تأتي دائماً منسوبة إلى الله<sup>(1)</sup>.

يقول ربنا تبارك وتعالى في قصة مريم:

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم 18

وفي قصة آدم يقول عز وجل:

---

1- راجع «القرآن كائن حي» للدكتور مصطفى محمود.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سورة ص 73

فها ربنا هنا يقول "روحي" ولا يقول روح آدم.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ..﴾ المجادلة 23

نجد كلمة الروح هنا أيضاً منسوبة إلى الله تعالى.

وفي التعبير القرآني جاءت كلمة الروح لتعني القرآن الذي أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا..﴾ الشورى 53

والروح في القرآن هي وَحْيُ الله لعباده المرسلين:

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..﴾ غافر 16

نجد من هذا البيان القرآني الواضح أنّ "الروح" في كتاب الله عز وجل تأتي دائماً منسوبة إلى الله تعالى، وهي دائماً في حركة من الله وإلى الله، ولا تجري عليها الأحوال الإنسانية ولا تكون محلاً لشهوة أو هوى، أو شوق، أو عذاب، ولهذا فقد جاءت في القرآن الكريم في موضع تكريم وتشريف من الله سبحانه وتعالى.

فالروح إذن هي غير النفس، وهي نفخة الخالق فينا، ولكلّ منا نصيبه منها، قال تعالى في قصة خلق آدم:

﴿يَا خَالِقَ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

وما حدث من أمر التسوية والتصوير والنفخ في صورة آدم يعود فيتكرر في داخل الرحم في الحياة الجنينية لكل منا.. فيكون لكل منا تسوية وتصوير، ثم نفخة ربّانية حينما تنهياً الأنسجة ويستعد المحل لتلقي هذه النفخة.. وينتقل الخلق بهذه النفخة من حال إلى حال، قال ربنا:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

فيقول عند النفخة:

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾

إشارة إلى نقلة هائلة من المضغة المكسوة بالعظام إلى خلق لا يقدر عليه إلا أحسن الخالقين—وذلك بالنفخة الربانية.

ويتكلم القرآن عن هذا النفخ في الجنين بعد تسويته، في آية أخرى عن نسل آدم:

﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ السجدة 9-10

ونفهم من هذا أنّ السمع والبصر والفؤاد هي من ثمار هذه النفخة الروحية.. وأنه بهذه المواهب ينتقل الإنسان من نشأة إلى نشأة، ومن مستوى إلى مستوى.

﴿مُ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

إنّ نصيب الإنسان من الروح هو إذن نصيبه من هذه النفخة وكلّ منا يأخذ من هذه النفخة على قدر استعداده. وبفضل هذه النفخة يصبح للواحد منا خيال وضمير وقيّم وعالم من المثل..

والعلاقة بين الجسد والروح فينا هي أشبه ما تكون بالعلاقة بين أرض الواقع وسماء المثل. وأما علاقة نفس كلّ منا بروحه وجسده فهي أشبه بعلاقة ذرة الحديد بالجال المغناطيسي ذي القطبين. والذي يحدث للنفس دائماً هو حالة استقطاب.. إما انجذاب وهبوط إلى الجسد.. إلى حمأة الواقع وطن الغرائز والشهوات؛ وهذا هو ما يحدث للنفس الجسدانية الحيوانية حينما تُشاكل الطين وتجانس التراب في كثافتها... أو يحدث للنفس انجذاب وصعود إلى الروح إلى سموات المثل والقيم والأخلاق الربانية، وهو ما يحدث للنفس حينما تُشاكل الروح وتجانسها في سموها ولطفها وشفافيتها.

وتكون النفس طوال الحياة الدنيا في حركة تذبذب واستقطاب بين القطب الروحي، وبين القطب الجسدي.. مرة تطغى عليها ناريتها وطينتها، ومرة تتجلى فيها شفافيتها وطهارتها.

والجسد والروح هما مجال الامتحان والابتلاء، حيث تبلى النفس وتمتحن بهاتين القوتين الجاذبتين إلى أسفل وإلى أعلى لتُخرج سرّها وتُفصح عن حقيقتها وترتبتها وليظهر خيرها وشرها.

وبهذا المعنى تكون كلمة "تحضير أرواح" خاطئة فالأرواح لا تُستحضر، ولا يمكن لأي روح أن تُستحضر، لأن الروح نور منسوب إلى الله وحده، وهو تعالى ينفخ فينا هذا الروح لنستنير به... وهذا النور من الله وإلى الله يعود، ولا يمكن حصره أو استحضاره<sup>(1)</sup>.

وإني وإن كنت أوافق الدكتور مصطفى محمود وغيره ممن يفهم من القرآن الكريم هذا الفهم في التمييز بين الروح والنفس، إلا أنني أخالفه، في تفسيره لـ "تحضير الأرواح" على أنه تحضير للقرناء من الجنّ، حيث يقول:

"أما ما يُحشر ويُستحضر فهي الأنفس وليست الأرواح.. هذا إذا صحَّ أنَّ هؤلاء الناس يستحضرون أنفساً في جلساتهم.. وأغلب الظن أنَّ ما يحضر يكون من الجنّ المصاحب لهذه الأنفس في حياتها (القرناء) وكلّ منا له في حياته قرين من الجنّ يصاحبه، وهو بحكم هذه الصحبة الطويلة يعرف أسرارهِ ويستطيع أن يقلّد صوته وإمضاءه، وهذا الجنّ الذي يلبس الوسيط في غرفة التحضير المظلمة، ويدّهب الموجودين بما يحسبونه خوارق"<sup>(2)</sup>.

إنّ الدكتور مصطفى محمود يعكس هنا تصديقَه بالوجود الشبهي للجنّ، كغيره ممن يصدقون بذلك، وأما دحض هذا الاعتقاد فسيكون محله الفصول القادمة من كتابنا هذا بعون الله تعالى.

---

1- راجع في هذا البيان كتاب الدكتور مصطفى محمود «القرآن كائن حي».

2- مصطفى محمود في «القرآن كائن حي» ص 30.

إذن ليس صحيحاً الزعم بأنّ نفس الميت، أو روحه على ما يزعمون، تعود إلى الدنيا بناء على نداء المحضّر لها فتكلم على لسان الوسيط أو تستقر في قعر السلة تكتب وتخطب الناس وتجيّب على أسئلتهم.

ويؤكد القرآن الكريم بأنّ النفس التي يتوفاها الله عز وجل يمسكها أن تعود إلى الدنيا فلا تعود، قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ الزمر 43

وهل يمكن لـ "نفس" أمسكها الله أن يحررها "مُحَضِّرُ الأرواح" مهما كانت قدرته؟ إنّ كلمة يمسك هنا واضحة البيان في أنّ النفس تبقى بعد الموت في عالمها الذي يحجزها أن تعود، وهو عالم البرزخ. كما يبين القرآن الكريم ويؤكد معنى إمساك النفس هنا بأنه عدم السماح لها بالعودة إلى الدنيا لأيّ سبب كان، حيث تتابع هذه الآية فتقول:

﴿وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الزمر 43

إذن نحن في هذه الآية أمام نفسين: إحداها يمسكها الله، وهي التي قضى عليها الموت، فكيف تأتي روحٌ من عالم أمسكها الله فيه لتجلس في قعر سلة مُحَضِّرِ الأرواح أو تهتزّ على الحبال الصوتية لوسيطه؟ وكيف يمكنها الإفلات من قبضة أمسكها الله بها؟!.

وأما النفس الثانية فتظلّ متعلقة بجسد صاحبها حتى الموت وهي التي تكون قد غادرته جزيئاً حال النوم الذي هو أشبه ما يكون بالموت، إليكم

الآية كاملة:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر 43

وتبين الآية التالية من سورة المؤمنين أنه يستحيل على نفس توفاهها الله بالموت أن تعود إلى الحياة الدنيا لأنّ الله عز وجل يحجز الأنفس جميعاً وراء برزخ لا تستطيع تجاوزه حتى يبعث الله فيه الأنفس، ويقوم العباد لرب العباد، يقول ربنا تبارك وتعالى مبيناً هذه الحقيقة:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ 100-101

فما هو جواب الله تعالى لهذه النفس:

﴿كَلَّا إِنَّمَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون 101

والبرزخ في اللغة العربية هو الحاجز الفاصل، قال تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن 20-21

إنّ البحث في شأن الروح أمر يطول، وهو ليس موضوع بحثنا في هذا الكتاب، بل سيكون لنا بعون الله بيان مفصّل يتعلق بالحقائق الإسلامية المتعلقة بالروح في كتاب آخر نُفرده لدراسة الروح في الفلسفة الإسلامية على ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف لرسول الله ﷺ. ولكنني لم أجد



مناصباً في هذا الكتاب من تقديم بعض البيان المتعلق بالروح للرد على من يزعم بأن الجنّ والأرواح الشريرة تحضّر بشكل أو بآخر لتلاعب بعقول الناس تسخر منهم وتستتهزئ بهم من خلال ما يسمى بـ"جلسات" تحضير الأرواح".

وهكذا باسم الوجود الشبهي للجن والشياطين والعفاريت والأرواح الخبيثة والشريرة، نزت العقول والجهود والكرامات عمراً مكسوراً يئنّ من ثقل الخوف الباطل من الشر والأذى، ف وقعت فريسة سهلة في براثن الشر والأذى على أيدي محترفي الشعوذة والتلاعب بجهل الناس وإيمانهم بالخرافة.

لقد ابتلع غول الخرافة والخيال ما لا يحصى من الضحايا البشرية على مدى الدهور والأزمنة.. وقد آن الأوان، إن لم يكن لإنقاذ أنفسكم، فلإنقاذ أولادكم، وأهلكم، ووطنكم، وأمتكم، والأجيال القادمة بعدكم من طحن هذا الفك المفترس والخلاص من ضريبة الجهل وإهمال الفكر والتعقل.

يفيدنا كثيراً أن نقف أمام وجداننا وعقولنا وقفة متأملّة متفكرة، وأن نعترف ببساطة وصراحة أنّ الخرافة، التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي ولا تخضع إلى أي مفهوم علمي، إنما تکرّس في مجتمعنا العربي الغارق، والإسلامي المظلم التبعية للوهم والجهل والخيال، فتعطّل جانباً كبيراً من القدرات والطاقات العاملة والمنتجة الهامة، والضرورية لأمتنا من أجل النهوض بمجتمعنا العربي والإسلامي من حالة التكاثر والتواكل، إلى حالة السعي الواثق والواعي والمستنير بحضارة العقل والعلم لمواكبة ركب الحضارة

الإنسانية الحقمة في جميع مجالات نهضتها.

والآن..

أعود فأكرر السؤال ذاته الذي جاء في مطلع هذا الفصل:

هل علمك بالجن والشياطين والعفاريت..

علم اليقين..

أم عين اليقين..

أم حق اليقين؟

وإذا كنت ممن لا يؤمن بالخرافة ولا بوجود مخلوقات شبحية جنيّة أو عفريتية خارقة، فهل باستطاعتك أن تُقنع بذلك أولادك وأهلك، أو أصدقائك ومعارفك، أو من شئت من الناس؟

وهل تقدر على تقديم البيان والبرهان على أنّ هذه الخرافات ليست من الدّين ولا من العقل، وأنّ حجة القائلين بأنّ ذكر الجنّ والشياطين قد ورد في القرآن الكريم، لا يبرر بأيّ حال من الأحوال أيّاً من هذه الخرافات وبأية صورة أو شكل كان؟

وهل لديك الدّليل والبيان المقنع من كتاب الله القرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ على أنّ الزعم بوجود مخلوقات شبحية خارقة الأذى والقوى تتدخّل في شؤوننا وتُفسد حياتنا ، إنما هو زعم باطل يرفضه القرآن الكريم كما

يرفضه الحديث الشريف—أي يرفضه دين الله 'الإسلام'؟

هل لديك البرهان؟

إنه في كتاب الله القرآن، والأحاديث الصحيحة لمحمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين ﷺ.

يمكنك، أن تقدّم البرهان المبين من هذين المصدرين العظيمين (القرآن والحديث) على أنّ كلّ هذه الاعتقادات الباطلة وما يتبعها من تأليفات وتصورات وأوهام وخيالات وممارسات، ليست من الدين والإيمان في شيء، بل هي مجرد تحريف ودجل باطل وتجارة يتكسّب بها المشعوذون من ضحاياهم الذين يذبحونهم بجهلهم وبسكين الوهم والخرافة والإيمان الباطل بالقدرات الخارقة للمخلوقات الشبحية المزعومة باسم الجنّ والشياطين..

ولقد كانت، ولا تزال دماء هذه الضحايا والقرايين تسيل على مذابح الخرافة والدجل: أعماراً، أموالاً، شرفاً وكرامةً إنسانية تدوسّها أقدام الدجالين والمشعوذين والساكّتين عنهم .. فاحذر موطئ الأقدام!

**\* سؤال مخلص**

إذا قفز شخص مذعوراً من فراشه يقول لك إنه رأى عقرباً ينسلّ منسدّاً إلى غرفة نومه، هل تستطيع أن تطمئنّه وتذهب الروح عنه بمجرد أن تقول له: لا تخفّ ليس ثمة عقرب في غرفتك أو فراشك إنما أنت واهم ويمكنك العودة إلى النوم براحة واطمئنان وسلام؟!

هل تقنعه بمجرد تأكيدك دونما برهان؟

طبعاً لن يقبل منك، ولن يصدق كلامك إلا إذا بحثت وفنتشت معه في كل مكان من الغرفة والفرش فجعلته يعلم حقّ اليقين أن ليس ثمة عقرب أو غيره مما يؤذي في غرفته وفرشه، أو أن تجد العقرب فتسحقه بقدمك أمام عينيه فيراه مسحوقاً مقتولاً بأمّ عينيه. عند ذلك فقط تسكن هواجسه وتطمئن نفسه إلى عدم وجود عقرب في غرفته أو فراشه فيعود إلى نومه أو يتابع عمله أو دراسته فيها أو ما يخصه من شأن دون أن يبدده ويقتله هاجس الخوف في كل لحظة وحين.

وطالما أنه لم يتم تفنيد الحجة بأن ورود اسم الجنّ والشياطين في القرآن والحديث يرر كل هذه الصور من الخرافة والخيال، فلن يتم حقاً القضاء على هذه التجارة الرهيبة بجهل الناس وكرامتهم وقدراتهم في وطننا ومجتمعنا وأمتنا.

القصد من هذا الكتاب الذي هو الثاني من سلسلة (الإسلام الذين يجهلون) أن نبرهن بعون الله تعالى أنّ الإسلام في كتابه القرآن وعلى لسان رسوله محمد ﷺ يرفض كل هذه الصور من الدجل والخرافة والأباطيل من أساسها، ويقدم للناس في حقيقتها برهاناً ونوراً مبيناً يرفع الإنسان بعقله ومعتقداته الحق وإيمانه المخلص السليم إلى ذرى الحضارة والخير والعطاء.. ويبرهن دائماً على أنه كتاب الله العظيم.

وبعون الله أبداً...



## الفصل الثاني

# الاختلاف الكبير

إنَّ الاعتقاد بالوجود الشبهي للجنِّ والشياطين على أنَّها مخلوقات مغايرة للبشر

يستلزم وجود تناقض واختلاف كثير في القرآن الكريم.

قال ربنا عز وجل:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء 83

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

والقرآن الكريم هو كلام الله الواحد الأحد..

ولذلك فإنَّ كلَّ ما فيه يدلُّ على وحدانية الله تعالى..

وهو الكتاب الذي أحكمت آياته..

وهذا يعني أنه يستحيل وجود تناقضٍ، أو اختلاف في أية آية من آياته أو أيِّ جزء من أجزائه، وهذا أساس وواحد من أهمِّ مفاتيح فهم آياته وبَيِّناته الكريمة.

فلو ظهر، حين دراستك لأيِّ موضوع كان، أدنى تناقض أو اختلاف أو تعارض، فلا بد عندئذ من الانتباه إلى أنك تناقش هذا الموضوع وتدرسه من خلال فهم خاطئ لا يصحَّ ولا يؤيده القرآن، وإلا لما بدا لك أيُّ اختلاف، قال ربنا عز وجل عن القرآن الكريم:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء 83

إذن يجب أن نفهم المواضيع التي يعرضها القرآن الكريم على أساس قاعدة أنه يستحيل وجود أيِّ تعارض أو تناقض أو اختلاف فيه لأيِّ سبب، وبأيِّ شكل كان. وهذا هو الدليل الذي ألزَمَنَا به ربُّنا عز وجل للبرهان على أنَّ القرآن من عنده وحده تبارك وتعالى، وهو كلامه المحكم

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإلاّ فإنّ وجود أيّ اختلاف فيه لابدّ أن يؤدي بالعقل السليم والمنطق الإنساني إلى عدم التصديق بأنّ القرآن الكريم هو كتاب من عند الله، وذلك بسبب التناقض والاختلاف.

وبناءً على هذا فإنّ دَحْضنا للباطل في الاعتقاد بالمفاهيم الخاطئة المتعلقة بالجن والشياطين، يقوم أساساً على برهاننا من كتاب الله عز وجل: إنّ مثل هذا الاعتقاد لا بدّ موصولٌ صاحبه إلى وجود اختلافٍ وتناقض في القرآن الكريم، الأمر الذي يستلزم تصحيح هذا الاعتقاد على ضوء الدراسة والتحليل السليم لآيات كتاب الله القرآن وأحاديث سيدنا رسول الله محمد ﷺ كي يزول ذلك التناقض والاختلاف. وهذا لا يكون إلا بتصحيح هذه المعتقدات الباطلة واستبدالها بالمفهوم والاعتقاد الحق المقصود في القرآن الكريم لا المتوارث في عقول الناس بغير برهان ولا حجة. قال ربنا عز وجل:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ الأنبياء 19

والآن..

نتدارس معاً، بالتحقيق، الإشكالات القرآنية المترتبة على الاعتقاد بالوجود الشبحي لمخلوقات غير البشر من الجنّ والشياطين، والزعم بأنّ هذا هو الفهم الذي يريد القرآن منا أن نؤمن ونعتقد به.

وأقول ابتداءً:



إنَّ الإيمان بوجودٍ غيبيٍّ للجنِّ والشیاطین ليس ركنًا من أركان الإيمان المعروفة في الإسلام والتي هي: 'الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره من الله' كما جاء في الحديث الصحيح. ولذلك فلا مبرر لتكفير من يقول إنه لا يؤمن بوجود الجنِّ والشیاطین بالصورة الشبحية التي يقول ويعتقد بها الذين يفهمونها حصراً بهذا الشكل؛ ولا مدعاة لتكفيره واعتباره مرتدًا خارجاً عن ملة الإسلام كما يزعمون<sup>(1)</sup>.

أما عن القول بأنَّ الإيمان بالقرآن الكريم يستلزم الإيمان بوجود الجنِّ والشیاطین على أساس أنها مذكورة في القرآن الكريم، فأقول:

إنَّ التصديق بالقرآن الكريم يستلزم التصديق بأنَّ هناك ما يسمى بالجن والشیاطین. هذا صحيح، ولكنه لا يستلزم مطلقاً التصديق بالصّور الخرافية التي يعتقد بها عامة الناس على أنها هي وحدها المفهوم الإسلامي الصحيح الذي ذكره القرآن الكريم، أو جاءت به الأحاديث.

ولهذا نقول إنَّ اختلاف الناس في فهمهم لحقيقة لفظي الجنِّ والشیاطین الواردتين في كتاب الله عز وجل يجب ألا يؤدي، في أيِّ حال من الأحوال، إلى تكفير المسلمين بعضهم بعضاً، أو استعداد بعضهم لبعض. فلقد اختلف

---

1- راجع كتاب «مبادئ العقيدة الإسلامية» المقرر في جامعة دمشق كلية الشريعة لمؤلفه الدكتور مصطفى سعيد الخن يقول فيه: «الاعتقاد بوجود الجنِّ أمر معلوم من الدين بالضرورة.. فمن أنكر وجودهم فقد خرج من الإسلام». ص 303. / ولا بدّ من لفت النظر هنا إلى أنَّ ثمة فرقاً بين إنكار وجود الجن والشیاطین وبين رفض المفهوم الخرافي لوجودهم كما هو مشهور عند عامة المسلمين.

الأئمة السابقون رحمهم الله في كثير من المفاهيم والمسائل الإسلامية، سواء ما جاء في القرآن الكريم أو الحديث الشريف، فلم يكفر أحد منهم الآخر، بل عدّوا الاختلاف اجتهاداً في الفهم يؤجر صاحبه عند الله تعالى.

ونعود فنقول إنّ الاعتقاد بالوجود الشبهي للجنّ والشياطين واعتبارها مخلوقات من غير البشر، وأنها مكلفة ومأمورة بالإيمان بالقرآن الكريم ورسالة سيدنا رسول الله ﷺ، يؤدي — كما سنبين في هذا الفصل — إلى وجود إشكالات قرآنية واختلاف كبير في الآيات لا يمكن أن يزول مع الإصرار على الاعتقاد بهذا الفهم الخرافي السائد.

### \* الإشكال الأول

يَصّ القرآن الكريم على أنّ الإنسان وحده منوط بالتكليف والجزاء:

نعلم هذا بكلّ وضوح من قول ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب 73

جاء في كلام المفسرين للقرآن الكريم أنّ الأمانة هنا تعني: "التكليف"<sup>(1)</sup>، وهي تكليف الإنسان بحمل الشريعة والعمل بمبادئها وتطبيقها كاملة وعدم الخروج عنها.

---

1- راجع التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي.

ومن المعروف أنّ التكليف يأتي مع الرسل في رسالاتهم إلى الناس، فمن يؤمن بهم ويصدق برسالاتهم، ويحمل الأمانة، (أيّ يقوم بأمانة التكليف بأوامر الله تعالى ونواهيه الواردة في شرعه) يكون من الفائزين برضا الله وجنته، وأما من يفشل في حمل هذه الأمانة (يخالف التكليف) أو يرفضها، فانه يقع في سخط الله وعذابه. وهذا المفهوم المختصر واضح وبسيط ويعكس المنطق المفهوم لدى بعض الناس جميعاً فأين الإشكال إذن؟

الإشكال ينشأ حين نلاحظ أنّ هذه الآية الكريمة قد استثنت من رَفْضِ حمل الأمانة (التكليف) مخلوقاً واحداً فقط وهو: "الإنسان" ولم تستثن غيره. وإلى هنا ليس ثمة إشكال ولكن حين نتذكر قول الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الأعراف 180

هنا يحصل الإشكال، إذ كيف يدخل في حساب الله وعذابه من لم يُحْمَلْهُ الله أمانة ولا تكليفاً؟ فلقد علمنا من الآية السابقة أنّ المخلوق الوحيد الذي حمل الأمانة والتكليف هو حصراً "الإنسان": ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

ولم تقل الآية الكريمة، /حملها الإنسان والجنان/. بل ذكرت الإنسان وحده فقط.

إذن كيف يحاسب الجان مع الإنسان في العذاب أو يُجزون بالنعيم

وهم لم يحملوا أمانة ولا تكليفاً؟

وهل يجرؤ أحد على القول بأن هذه الآية ليست مُحْكَمَةً في معناها ومؤدّاها؟ هذا لا يمكن البتة فقد قال ربنا عز وجل في القرآن الكريم عن القرآن بأنّه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ هود 2

أي إنّ قول الله عز وجل في كتابه: إنّ الذي حَمَلَ الأمانة هو "الإنسان" يعني أنه لم يحملها أيّ مخلوق آخر غيره، بل الذي حملها وصار بذلك مكلفاً بها محاسباً عليها هو الإنسان حصراً لا سواه من المخلوقات سواء الملائكة أو غيرها. هذا إشكال يستلزم الحل<sup>(1)</sup>.

ونورد للإيضاح مزيداً من كلام ربنا تبارك وتعالى:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ الأعراف

هذه صورة للجنّ في العذاب.. وأما عن الجنّ في النعيم، فقد جاء في القرآن الكريم عن الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الرحمن 75

فها أنت ترى معي الجنّ في النار وتراهم في الجنة، فهل يدخلونها جزاءً على التكليف، في حين أنّ الإنسان وحده حامل الأمانة ومنوط بالتكليف، والجنّ غير مكلفين؟

إنّ هذا الإشكال لا يمكن أن يزول إلاّ إذا كان الجنّ فئة من الناس وأنّ

---

1- سنعمد في الفصول القادمة - بعون الله - إلى حل جميع هذه الإشكالات التي نطرحها في هذا الفصل.

الإنس والجنّ تَسْمِيتَانِ لجنس واحد من المخلوقات وهم البشر من أبناء آدم عليه السلام<sup>(1)</sup>.

## \* الإشكال الثاني

يؤكد القرآن المجيد على أنّ الله عز وجل لا يرسل رسولاً إلاّ من جنس المرسل إليهم:

قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ الإسراء 96

تبين هذه الآية الكريمة القرار والمنطق الإلهي في أنّ الله الحكيم الخبير بخلقه قد قدر ألاّ يُرسل إلى مرسل إليهم رسولاً إلاّ من جنسهم حتى لو كانوا ملائكة<sup>(2)</sup>. وهذا ينسجم أيضاً مع العقل والمنطق الإنساني في أنّ الأسوة أو المثل لقوم يجب أن يكون من جنسهم ولهم صفاته وقدراته ذاتها حتى لا يكون لهم حجة على رسولهم فيقولوا له نحن لا نقدر أن نتبعك أو نتمثل أفعالك وأقوالك، لأنك تتميّز بقدرات تختلف عن قدراتنا.

هذا منطق سليم يقبله كلّ عقل سليم.

---

2- هذا الاستنتاج في هذا الموضع مجرد ملاحظة، أما البرهان فسيأتي في حينه في الفصول القادمة مفصلاً.

3- قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ الأنعام 9

فهل يعقل أنّ نتخيل نسرّاً يدرب خرافاً على الطيران فتقلّده وتتمثل قدراته وتسعى لأن تتصف بصفاته؟

أو هل يُعقل أن يُطلب من النسر أن تتدرب على ידי خروف فتتحيا مثله وتأكل وتشرب مثله وتعيش مثل عيشه وتكون صورة عنه؟

أم هل يُعقل أن يُطلب من الجيّ والعفريت والمارد—هذه المخلوقات التي هي في عرف الناس تتأجج النار في عروقها وتسبق الضوء في سرعتها وتلمس السماء بأيديها وتشكّل بكل الأشكال وتجوب كلّ الأنحاء—هل يُعقل أن يُطلب من هذه المخلوقات (الخارقة) أن تتخذ لها أسوةً ومثلاً (إنساناً) يمشي على الأرض بطيئاً، يتعثّر ويغرقه الماء وتكويه النار، وإذا أغمض عينيه غفل عمّا حوله، وإذا عاش عاش عمراً قصيراً، تحببه المريّيات، وترهقه المسافات، ولا يرى إلا ما تراه العيون ولا يلمس إلا الماديّات؟! الماديّات؟!

ألا يكون في أمر الجنّ والمردة والعفاريت—هذه المخلوقات الخارقة القدرات على ما يزعمون—أن تتّبع إنساناً لا يملك شيئاً من قدراتها الخارقة، ألا يكون في ذلك حصرٌ وتحديدٌ بل سجنٌ لها ولقدراتها، وسعيٌ للتغيير والتبديل في طبيعتهم التي خلّقوا عليها وتميّزوا بها؟

إنّ أدنى تفكّر وتأمل يُبدي لنا أنّ هذا منطق بديهي لا يحتاج إلى شرح أو بيان؛ إذ لا بدّ لكلّ رسول أن يكون من جنس المرسل إليهم، وبذلك يمكنهم أن يتعلّموا منه ويقلّدوه ويتخذوا منه أسوة لهم، ويحاولوا أن يتمثّلوا

سيرته ويتأسّسوا بأسوته في كلّ أفعاله وأقواله وأحواله، ذلك أنه من جنسهم وأنهم من جنسه يقدرّون على كلّ فعل يقدر عليه إذا ما آمنوا به وتعلموا منه ودربوا أنفسهم على الاقتداء به والسير على هُدي أقواله وأفعاله.

وهذا هو المنطق الذي بيّنه الله العليم الحكيم الخبير في كتابه القرآن العظيم، وذلك في معرض ردّه على احتجاج الناس أن يبعث الله لهم بشراً رسولاً، قال تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ الإسراء 95

فجاء بيان ربنا مُبَيَّنّاً الحكمة في ذلك:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ الإسراء 96

هذا وقد بيّن لنا القرآن الكريم أنّ طائفة من الجنّ استمعوا إلى القرآن الكريم فأمنوا به، أي صاروا بعد إيمانهم جنّاً مسلمين:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجنّ 2-3

تؤكد هذه الآيات أنّ رسول الله ﷺ قد كان رسولاً إلى الجنّ أيضاً، وبما أنه عليه الصلاة والسلام من البشر من أبناء آدم عليه السلام، فلا بدّ إذن من أن يكون الجنّ أيضاً من البشر من أبناء آدم عليه السلام، وإلاّ

لما أرسل الله إليهم بشراً رسولا وذلك مصداً لما جاء في كتابه القرآن:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ الإسراء 96

### \* الإشكال الثالث

محمد ﷺ وحده الرسول إلى العالمين (الإنس والجن):

فعلى اعتبار أنّ الجن مخلوقات في العالمين من غير البشر، هذا يعني أنه لم يُرسل إليهم قبل سيدنا محمد ﷺ أحدٌ من الرسل، ولم يكن مطلوباً منهم أن يؤمنوا بأية رسالة قبل الإسلام.

ثبت في الصحيحين عن جابر عن سيدنا رسول الله ﷺ، قال:

(أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، وَذَكَرَ مِنْهَا:

وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبَعَثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً).

إنّ هذا الحديث يؤكد أنه ما من نبي أرسل قبل محمد ﷺ إلا إلى قومه حصراً، أما محمد عليه الصلاة والسلام فهو وحده الذي أرسله الله إلى العالمين، قال تعالى: مخاطباً عبده ورسوله محمد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء 108

وكذلك الكتاب الذي أنزله ربنا تبارك وتعالى هو وحده الكتاب الذي أنزله الله للعالمين كافة ليؤمنوا به ويهتدوا برسالته، قال ربنا عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يوسف 104



وفي هذا بيان واضح أنّ القرآن الكريم كتاب ورسالة إلى الجنّ أيضاً باعتبار أنّ كلمة العالمين تشملهم لكونهم عالماً من العالمين.

وبما أنّ القرآن قد نزل على النبي العربي محمد ﷺ، فهو إذن وحده الرسول إلى عالم الجنّ بالإضافة إلى الإنس.

(روى مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: فُضِّلْتُ على الأنبياء بست، فذكر منها: "وكان كلّ نبي يرسل إلى قومه خاصة وأرسلت إلى الناس كافة).

وقال الحافظ في الفتح: وثبت في التصريح بذلك — يعني أنه عليه الصلاة والسلام قد أرسل إلى الجنّ، في حديث:

(كان النبي يرسل إلى قومه، وبعث إلى الإنس والجنّ)<sup>(1)</sup>.

وجاء في (الفتح) عن ابن عبد البر أنه لا خلاف في (أنّ الرسول ﷺ قد بُعث إلى الإنس والجنّ)<sup>2</sup>.

والسؤال هنا: مع ثبوت أنّ الرسول وحده قد بُعث إلى الجنّ وأن غيره من الرسل لم يرسلوا إلّا إلى أقوامهم خاصة فأين الإشكال؟

يكمن الإشكال في حقيقة أنّ القرآن الكريم قد بيّن أنّ وفد الجنّ الذين أتوا رسول الله ﷺ وآمنوا به كان منهم قوم من اليهود الذين آمنوا بموسى

---

1- هذا الحديث فيما أخرجه البزار.

2- فتح الباري في شرح صحيح البخاري

والتوراة، وكان قوم آخرون من النصارى الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام، فمع الانتباه إلى حقيقة أنهم كانوا من الجنّ وأنّ الجنّ ليسوا من قوم موسى ولا من قوم عيسى — على أساس أنهم ليسوا بشراً — وأنّ موسى وعيسى لم يرسلوا إلّا إلى قوميهما حصراً<sup>(1)</sup>، فكيف إذن آمن هؤلاء الجنّ برسالة لم يختصّوا بها، ورسول لم يرسل إليهم؟.

وأما عن حقيقة أنّ هؤلاء الجنّ كانوا يهوداً ونصارى فالإيكم البيان:

جاء في سورة الأحقاف على لسان نفر من الجنّ الذين استمعوا إلى تلاوة القرآن أنهم مضوا بعد استماعهم إلى قومهم يندرونهم ويدعونهم إلى الإيمان بالكتاب الذي وصفوه بأنه ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾:

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ \* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأحقاف 31-32

إنّ قول نفر الجنّ: ﴿سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾

ووصفَ هذا الكتاب بأنه: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

يدل دلالة واضحة على أنّ هؤلاء النفر من الجنّ لم يكونوا فقط مؤمنين برسالة موسى عليه السلام بل كانوا أيضاً على علم بأحكام التوراة

---

1- قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾. وقال عن عيسى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: مما يؤكد أن رسالة موسى وعيسى قد كانت للناس من بني إسرائيل فقط.

وتفصيلاً، وهذا يؤكد أنهم كانوا من اليهود المصدّقين بموسى عليه السلام والتوراة التي أنزلها الله عليه.

وفي معرض تفسير قول الله عز وجل:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا

أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ الأحقاف 30

قال المفسرون إنّ نفر الجنّ المشار إليهم هنا هم من يهود "نصيبين"، أو كما قال بعضهم من الموصل أو نينوى في العراق<sup>(1)</sup>.

ونحن وإن لم نكن في معرض تفسير هذه الآيات الآن، ولكن ما نريد بيانه من هذه الآيات الكريمة هو أنّ هؤلاء النفر من الجنّ كانوا من اليهود المؤمنين بشريعة موسى عليه السلام، كما تبين معنا.

وأما في سورة "الجنّ"، فنجد أنّ نفر الجنّ الذين استمعوا إلى القرآن وآمنوا به وأسلموا وأعلنوا توحيدهم ونفّوا أن يكون لله صاحبة أو أن يكون له ولد كما يزعم المشركون من النصارى، قالوا: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ الجنّ 4

وفي هذه الآية بيان واضح يشير إلى حقيقة إنكار هؤلاء النفر من الجنّ للزعم المشرك أن يكون لله ولد كما يزعم الذين يقولون إنّ الله اتخذ ولداً— سبحانه— وأنّ مريم عليها السلام قد ولدت هذا الولد.

---

1- راجع تفسير روح البيان.

فحقيقة الأمر إذن أنّ هؤلاء النّفر من الجنّ كانوا من النصارى الذين آمنوا بوعيسى عليه السلام، كما كان نفر من الجنّ، المذكورين في سورة الأحقاف، من اليهود الذين آمنوا بموسى عليه السلام.

والسؤال هنا: قد علمنا أنّ رسالة موسى وعيسى عليهما السلام لم تكن عالمية، بل كانت حصراً لقوميهما من بني إسرائيل، فكيف إذن آمن هؤلاء الجنّ برسالة موسى وعيسى عليهما السلام إذا لم تكن تعنيهم ولم يكن مطلوباً منهم الإيمان بها؟

إنّ هذا يثير إشكال أنّ الجنّ كانوا مأمورين باتباع موسى وعيسى عليهما السلام، وهذا لا يصحّ إلاّ إذا كان الجنّ من البشر—من الناس—من قوم موسى وعيسى عليهما السلام.

ويؤكد القرآن الكريم أنّ التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ وبينّها في الإنجيل عيسى ﷺ، قد أنزلهما الله هدى للناس فقط، قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ﴾ آل عمران 4-5

فإذا كان المطلوب من الجنّ أيضاً أن يؤمنوا بالتوراة والإنجيل فهذا يعني أنّ الجنّ من الناس من أبناء آدم<sup>(1)</sup> وإلاّ فإنّ هذا الإشكال لا يزال يستلزم الحلّ لأن القرآن الكريم لا تناقض فيه ولا اختلاف.

---

1- سيأتي البرهان لاحقاً.

## \* الإشكال الرابع

### القرآن الكريم أحكام وهداية للناس حصراً<sup>(1)</sup>

يعلم المسلمون أنّ الإسلام بُني على خمسة أسس أو أركان وهي بالإضافة إلى الشهادة، الصلاة، والصيام، والزكاة، وحج البيت. كما جاء في الدين أحكام كثيرة تتعلق بالإنسان كبشر مثل أحكام الجنابة والطهارة والحيض والنكاح والطلاق والمعاملات، وكذلك أحكام القصاص، كمبدأ النفس بالنفس والعين بالعين، وحتى الجروح فقد تناولها القرآن الكريم بين أحكام الجزاء المترتبة عليها، قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ المائدة 46

ثم هناك الأحكام المتعلقة بالزكاة، والتي هي كما نعلم ركن من أركان الإسلام، فهناك زكاة المال والحلي والزروع والأنعام وغيرها على ما فيها من تفصيلات وتوضيحات عديدة.

وإنّ الدارس المحقق في هذه الأحكام يجدها تتناول الجانب المادي فيما كان من جسده كبشر أو مما بين يديه من ممتلكات وعينية.

والسؤال المطروح هنا: إذا كان الجنّ مخلوقات شبحيّة وغازية هوائية، أو نارية دخانية كما يزعمون فهل تنطبق هذه الأحكام المتعلقة بالبشر عليهم أيضاً؟ يعني هل تربص الجنّة المسلمة المطلقة بنفسها ثلاثة قروء عملاً بقول الله تعالى:

---

2- نورد هذا الإشكال هنا بشكل موجز وسيأتي بيان القرآن في حينه بعون الله تعالى.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ البقرة 229

ومن المعلوم أنّ من معاني كلمة (قرء): الطهر والحيض عند النساء<sup>(1)</sup>. وقُرُوء هي جمع كلمة قرء، فهل تحيض نساء الجنّ وتطهر مما يستلزم أن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قرُوء، أو ثلاث حيضات وطُهر ليعلم ما في أرحامهن؟ أم أنّ لنساء "الجنّ" أحكاماً خاصة بهنّ؟ وإن كان الأمر كذلك ففي أيّ كتاب جاءت هذه الأحكام؟ وما معنى إذن أن يؤمن الجنّ بالقرآن على أنه كتاب أنزل من الله يهدي إلى الرشد.

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ الجن 2-3

ومن المعلوم أنّ على المسلم أداء حق الزكاة، وهذا يعني أنّ على الجنّ المسلمين أيضاً أداء هذا الحق فهل يقدم الجني، في زكاة الأنعام، من المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين؟ ومن أين يأتي بهذه الأنعام؟ هل يسلبها من الإنس، أم يصطادها من البرّ، أم أنّ للجنّ أنعاماً خاصة بهم فهناك جمل جيّ وبقرة جيّة وماعر جيّ وغير ذلك؟!.

وهل يؤتي الجنّ زكاة أثمارهم لقول الله عز وجل:

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الكهف 142

أم أنّ الجنّ يُخرجون زكاتهم مما يأكلون من العظام والروث—على زعم

(1) راجع قاموس محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني.

من يقول بأنّ هذا طعامهم؟—أم أنّهم يقدمون الزكاة على شكل قطع من السُّحب والغازات—على قول من قال بأنّ طعامهم وشرابهم من الغازات<sup>(1)</sup>؟

وهل يُجلّد الجنيّ الزاني والجنية الزانية مئة جلدة لارتكاب جرم "تداخل سحايتيهما الدخائيتين بعضهما مع بعض" على زعم من قال بأنّ تناكح الجنّ يتم على هذه الشاكلة، كما مر معنا في كتاب الدكتور الجميلي حيث قال:

"وللجن الذكور والإناث اتصال جنسي كتداخل الدخان بعضه في بعض، فيلتدُّ كلٌّ من الذكر والأنثى بهذا التداخل"<sup>(2)</sup>.

إذن في حالة حصول التداخل السحائي بين الجني والجنية من غير عقد شرعي للنكاح وشهود الشاهدين على سنة الله ورسوله، هل يقام عليهما الحد بالجلد مئة جلدة بسوط عادي أم بسوط من غاز أو نار؟ وإن كان لهما في كتاب الله حكم آخر، فأين هذا الحكم في القرآن أو الحديث في الإسلام؟.

يعلم كلّ مسلم أنّ النظافة من الإيمان، وأنّ الإسلام قد تميّز بتعليم رائع يحفظ من خلاله نظافة الإنسان والمجتمع فيستمر سليماً معافى من العدوى

---

(1) راجع كتاب «السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق» للدكتور السيد الجميلي طبعة دمشق 1991.

(2) المرجع المذكور ص 105.

والأوبئة والأمراض. جاء في حديث لرسول الله ﷺ قوله:

(قصوا الأظافر فإنَّ الشيطانَ يَعْقِدُ علىَّ ما طال منها)<sup>(1)</sup>.

فهل تعتقد الشياطين من الجنِّ على الأظافر الطويلة للجنِّ أيضاً، أم أنَّ الجنِّ لا تطول أظافرهم، أم ما هي أحكام نظافتهم في الإسلام، وفي أيِّ كتاب أو حديث هي؟

وهكذا.. وهكذا لو تتبعنا الأحكام في القرآن الذي آمن به الجنُّ لطلنا بنا البحث والاستقصاء دون أن نجد أحكاماً خاصة بالجن—على اعتبار أنهم غير الناس—يعملون عليها ويهتدون بهديها.

فبأي شكل إذن يهتدي الجنُّ "الأشباح" بالقرآن الكريم وهم الذين قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ الجن 2-3

هل يهتدون بأن يؤمنوا—فقط—من غير التزام ولا تطبيقٍ للأحكام والمعاملات والتعليم والبيانات الدينية؟

وأسألُ الذين قد يقولون نعم:

ما الدليل لديكم؟

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!

---

(1) رواه مسلم.



## \* الإشكال الخامس

يبين القرآن الكريم أنّ ثمة تلازماً ومعاشرة بين الجنّ والإنس في التعامل والمعايشة والتبعية وغيرها من الصلات الواضحة في حين أنّ الواقع لا ييدي من ذلك شيئاً.

يجد الدارس للقرآن الكريم أنّ الآيات التي ورد فيها ذكر الجنّ والإنس تضع قارئها أمام صورة فئتين من العقلاء الذين هم في حالة معايشة وتعامل وتخطب وحوار دائم مستمر. وإنّ أبلغ دليل على ذلك هو استعمال القرآن لتعبير: (معشر الإنس والجنّ). وإنّ هذا التعبير ليضع التصور أمام صورة جمع من الناس يعيش متلازماً في بيئة واحدة غير منفصلة زماناً ولا مكاناً بحيث أنّ اتصال هؤلاء بعضهم ببعض لا يتم مصادفة أو في ظروف خاصة، بل هو اتصال معايشة وتعاشر مستمر وذلك بدليل وصفهم في القرآن الكريم بكلمة (\*معشر\*)، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مُثَوَّكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام 129

فها أنت أمام صورة معشر من الجنّ قد تعامل مع الكثير من الناس بشكل

أو بآخر واستمتع<sup>(1)</sup> بعضهم ببعض أيضاً، فكان لهذا المعشر الأثر البالغ في الإضلال المتبادل حتى وردوا النار وكانت مثواهم.

إذا ما درسنا معنى كلمة "معشر" من مراجع اللغة العربية نجد ما يلي:

"..العشرة: المخالطة.. اعتشروا وتعاشروا: تخالطوا. وعشيرة الرجل بنو أبيه الأذنون، وقيل هم القبيلة. العشير والمعاشر: القريب والصديق. وعشير المرأة: زوجها لأنه يُعاشرها وتُعاشره كالصديق والمصادق".

وجاء في حديث رسول الله ﷺ للنساء:

"وتكفرن العشير" أي الزوج. قال تعالى: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾، أي لبئس المعاشر. ومعشر الرجل: أهله.

وقال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد، نحو معشر المسلمين ومعشر المشركين.

والمعاشر: جماعات الناس<sup>(2)</sup>.

فكلمة معشر تدل إذن على الناس الذين يتعايشون ويتعاشرون عن قرب ومخالطة إلى حد أن يكون أمرهم واحداً في بعض الأحيان. وكذلك فإن معنى

---

1- إن لفظة «استمتع» تشير إلى التمتع باستمرار ولمدة طويلة. راجع الفرق بين معنى «تمتع» و«استمتع» في آيات القرآن الكريم وقاموس لسان العرب.

1- راجع لسان العرب الجزء الرابع ص 574.

الصديق والصدّاقة تدخل ضمن معنى العشير والمعاشرة، وهم الناس المتعاشرون والمخالطون والمشترون في أمر واحد يبرّر محاسبتهم عليه، لذلك نجد في القرآن الكريم صورةً لمحاسبة معشر الجنّ والإنس المشتركين في موقف واحد من دعوة رُسل الله إليهم وهو رفضهم القبول والاستماع إلى آيات الله والإيمان بها، قال ربنا عز وجل:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأنعام 131

وهكذا فإنّك تجد نفسك هنا أمام صورة قرآنية لمعشرٍ متآلف بعضه مع بعض، ويؤثّر بعضه في بعض وقد غرّته الحياة الدنيا فكفر بالله تعالى وباء بسخطه.

كما وتجد الإشارة إلى المعشر الواحد للجنّ والإنس في القرآن الكريم في المواضع التي يتحدّى الله فيها عز وجل هذا المعشر مشيراً إلى عجزه رغم تماسكه في معشر واحد واجتماعه لأمر واحد، يقول ربنا:

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء 89

ونجد في موضع آخر في القرآن الكريم، قول الله عز وجل:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ \* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ \* يُرْسَلُ

عَلَيْكُمَا شَوَاطِئَ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٤﴾ الرحمن 34..36

نرى هنا الخطاب والتحدي موجَّهين من الله عز وجل لمعشرٍ واحد أن يستخدم كل ما يملك من القوى والعلوم والقدرات المشتركة للنفاز من أقطار السموات والأرض أو للنفاز من قبضة الله تعالى، ونلاحظ هنا أن القرآن الكريم يتحدث عن هزيمة هاتين القوتين المتعاشرتين معاً بفعل أثرٍ لقوى مشتركة هي ذاتها سيرسلها الله على الفتنتين كلتيهما فيهزمهما بها مما يدل على أنه لا تمايز لفئة منهما على الأخرى في دفع الخطر عن نفسها فكلتاها ستنهزم خائبة بالنار والنحاس. وإذا كان الجنّ فئة متميزة عن الإنس بسبب أنهم من جنس النار بينما الإنس من جنس التراب، فلم لا تكون القوة المخصصة لإحباط الجنّ (الأقوى) مختلفة عن القوى المخصصة لهزيمة الفئة المتمردة من الإنس؟

وبيّن لنا القرآن الكريم صورة معشر أعداء الأنبياء الذين يجتمعون ويتحاورون ويتآمرون على دعوة الله وأنبيائه بما يوحي بعضهم إلى بعض من زخرف القول ونفخ الغرور والتعالي على دعوة الله والمصدقين بها، يقول ربنا عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام 113

فها هم أولاء معشر واحد يكر ويتآمر في عداوته للنبين مستخدماً أسلوب الوعود والتمني بالكلام المنتق والمزخرف الواعد، وهكذا فإنّ أفراد

هذا المعشر يُضِلُّون بعضهم بعضاً بالكلام المتبادل وزخرف القول بلغة واحدة مشتركة بينهم، وأما عن كلمة "يوشي" فليس من غير المؤلف أن تقول لمن قال كلاماً: قد "أوحيت" إليّ بفكرة كذا وكذا. أيّ ليس في كلمة "يوشي" ما يعني الخفاء بالضرورة. كما أن الوحي متبادل فالإنس يوشي للجن والعكس صحيح.

وهكذا نجد في بيان القرآن الكريم تداخلاً كبيراً في المعشر والتعامل بين الإنس والجنّ مما يؤدّي بنا إلى إدراك حقيقة أن هؤلاء الجنّ لا ينتمون إلى وجودٍ غيبي شبحي يفصلهم عن عالم الإنس، وإلا لما ذُكر عنهم هذا التعاشر والتداخل المتواصل والمستمر.

وعلى فرض أن الجنّ أمة تنتمي إلى عالم شبحي خاص بهم، فأين الواقع المشهود في أنهم يأتوننا من عالمهم الشبحي ليحاوونا ويعاشرنا ويتعاملون معنا ويستكثرون منا إلى حد أنهم يكادون يخالطوننا في كلّ أمر؟

وإذا لم تكن أنت شخصياً ممن حصّلت له عشرة أو معرفة "الجنّ" أو مخاطبتهم والتحدث معهم، فأين إذن تجد هذا المعشر المتداخل في القول والمعاملة والمكر والتخطيط وغير ذلك مما يرويه الرواة؟

إننا لا نجد في الواقع موضعاً واحداً يصادق على التداخل والمعاشرة مع العالم الشبحي المزعوم في ترويج القائلين بأشباح الجنّ والعمارة، فعن أيّ معشر يتحدث القرآن الكريم إذن؟

وأعود فأذكر هنا أنّ الغاية في هذا الفصل هي مجرد طرح الإشكالات القرآنية المترتبة على الاعتقاد بالوجود الشبهي للجنّ والشياطين، وأما الشرح والبيان والبرهان فسيأتي بعون الله تعالى في حينه في هذا الكتاب.

## \* الإشكال السادس

**الناس وحدهم هم وقود النار، فكيف يدخلها الجنّ أيضاً؟**

ذكر القرآن الكريم دار العذاب التي يورد الناس أنفسهم إليها بذنوبهم وخطاياهم وهي النار التي يأمرنا ربنا أنّ نقي أهلنا وأنفسنا عذابها، فقال عز وجل: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ التحريم 7

نلاحظ هنا بكلّ وضوح أنّ القرآن الكريم يبيّن حقيقة أنّ الذين يدخلون في عذاب النار فيكونون وقودها هم "الناس" حصراً والحجارة. وتؤكد آية كريمة ثانية هذه الحقيقة حيث نجد في سورة البقرة قول ربنا عز وجل:

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ البقرة 25

إذن الناس، دون بقية خلق الله تعالى، هم وحدهم عرضة لأن يدخلوا أنفسهم عذاب الله وناره، وهذا ما يؤكد لنا القرآن الكريم كما رأينا. والإشكال ينشأ حين نقرأ في القرآن الكريم أنّ الجنّ أيضاً يدخلون النار فيكونون وقودها، جاء في سورة الأعراف:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ الأعراف

ها نحن نرى هنا أنه بالرغم من تأكيد القرآن الكريم أنّ وقود النار هم

الناس حصرًا، فإنه يذكر أنّ الجنّ أيضاً يدخلون النار ويعذبون بكفرهم وذنوبهم، وفي هذا تناقض واختلاف لا يزول إلا إذا كان الجنّ فئة من الناس<sup>(1)</sup>.

## \* الإشكال السابع

هل الجنّ مخلوقات خارقة القوى أم أنها في غاية الضعف؟

يعتقد عامة الناس أنّ الجنّ يملكون قوى خارقة يعجز عن مثلها الإنسان، فهم ينتقلون بسرعة تفوق لمح البصر، ويصعدون إلى السماء يلمسونها ويسترقون السمع منها، ويدورون حول الأرض في لحظات يأتون بالعلم الخفي ويخبرون به إخوانهم من الإنس الذين يستحضرونهم بعزائم وكلمات خاصة؟!!

وبقدم هؤلاء الدليل على اعتقاداتهم هذه بما فهموه هم من بعض آيات القرآن الكريم. فهم يستدلّون على سرعة الجنّ الخارقة من الآية الكريمة التي تحدثت عن أمر سليمان عليه السلام لبعض جنّه أنّ يأتوه بعرش الملكة بلقيس.

تقول الآية: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ<sup>2</sup> مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾

النمل 40

---

(<sup>1</sup>) البرهان سيأتي لا حقًا، والملاحظة هنا للتفكير فقط.

(1) "العفريت: النافذ في الأمر المبالغ فيه مع دهاء... ويقال: رجل عفريت: أي شديد" محيط المحيط مادة (عفر).

فهذا دليل —لديهم— على السرعة الخارقة لعفاريت الجن؛ ويقولون بأنّ ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أيّ كتاب تسخير الجنّ على حدّ زعم بعضهم، كان أقدر من العفريت ذاته وأشدّ سرعة في إحضار عرش الملكة بلقيس —على ما يفهمون.

ويستدلون على أنّ الجنّ يصعدون إلى السماء يلمسونها ويسترقون السمع من خلالها بالآية الكريمة:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَطِحَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا \* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ الجنّ وكذلك يستدلون بالآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ الملك 6

ويقولون بأنّ الجنّ تعمل أعمالاً خارقة على كوكب الأرض أيضاً، فهي تبني الأبنية العظيمة وتغوص في أعماق البحار تُخرج كنوزها، وأنها هي التي شادت للملك سليمان بيت المقدس، وهي التي بنت مدينة تدمر في الصحراء، كما أنها شادت الكثير من الأبنية المشهورة في أوروبا<sup>(1)</sup>.

ويؤيد هؤلاء اعتقادهم بقدرة الجنّ على عمل الخوارق بالآيات الكريمة التي ذكرت تسخير الجنّ لسليمان عليه السلام قال تعالى:

﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءِ

---

1- سبق ذكر المرجع لهذه المعلومات.



وَعَوَّاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٧﴾ سورة ص 37-39

وقال ربنا عز وجل أيضاً:

﴿وَمَنْ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴿١٤﴾﴾ سبأ 14-15

من خلال الفهم الخاطئ لهذه الآيات الكريمة تخيل المتخيلون قدرات عجيبة للجنّ تُناقض ببيان القرآن الكريم وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>.

والإشكال هنا يكمن في أنه قد ورد في مجموعة من أحاديث رسول الله ﷺ أنّ الجنّ أضعف بكثير من أنّ تقدر على أداء عمل ولو كان سهلاً بسيطاً كفتح باب مغلق، أو حتى كشف قِدر طعامٍ مغطى، وهذا يؤدي إلى دحض الاعتقاد بتملك الجنّ لقدرات خارقة تفوق قدرة البشر.

جاء في صحيح مسلم:

(عن جابر عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: غطوا الإناء وأوكوا السقاء، وأغلقوا الأبواب وأطفئوا السراج فإنّ الشيطان—وفي رواية فإنّ الجنّ—لا يحلّ سقاء، ولا يفتح باباً، ولا يكشف قدراً).

فإذا كانت الجنّ والشياطين أعجز من أنّ تفتح باباً مغلقاً أو أنّ تكشف

2- سيأتي تفسير الآيات في حينه بعون الله تعالى.

إناءً مغطى، فكيف يكون لها تلك القدرات الخارقة المزعومة؟!

وكيف إذن يمكن للشياطين التي تعجز عن فتح الباب المغلق أن تدخل إلى بيوت الناس لثُوسُوس في صدورهم إذا كانوا قد أغلقوا أبوابهم جيداً ولم يفتحوها للجن والشياطين التي لا تقدر أن تفتح باباً مغلقاً؟

### \* الإشكال الثامن

لماذا لم ينصر الجن المسلمون رسولَ الله ﷺ وأصحابه في جهادهم في الذود عن دين الله؟

أرسل الله رسوله محمداً ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأبَت شياطينُ الإنس والجنّ إلا أنّ تكفر بدعوته والنور الذي أنزل عليه، وتأمروا وكادوا للقضاء عليه وعلى الإسلام حتى أنهم أعدّوا العدة وجمعوا الفرسان والصناديد وزحفوا بالخيال والرجال مدججين بأَمْضى السلاح للقضاء على رسول الله ﷺ والذين آمنوا معه، محاولين بذلك القضاء على دين الله الإسلام حتى لا تقوم له، بعدَ ضربتهم التي جمعوا لها، قائمة.

فقام أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا بالله الواحد يزودون عن الإسلام بقلب المؤمن الواحد والجسد الواحد يضربون المعتدين من الكفار بشدة وهم ذوو القلوب الفياضة بالرحمة إلى حدّ أنّ الله تعالى قد وصفهم في قرآنه الكريم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح 30

ولا شك في أنّ نصر محمد ﷺ ودينه الإسلام، كان من أهم الواجبات

التي كان على المسلمين المؤمنين حينئذ أن يقوموا بها دفاعاً عن دينهم ضدّ هجمة الكفار والمشركين الجاهلية الظالمة التي كانت تريد محوهم واستئصال شأفتهم. ولقد هبّ المسلمون المؤمنون لنصرة دين الله عزّ وجل كما أمرهم ربهم، وقد شهد لهم التاريخ بإيمانهم وانتصارهم لدين الله وبذلهم النفس والمال وكل ما كانوا يملكون في سبيل ذلك، وهم الفقراء الذين كانوا قلة مستضعفين في الأرض، ومع ذلك فقد وقفوا بإيمان صادق لمواجهة الكثرة من صناديد قريش وأبطالها وغيرهم من أعداء دين الله ورسوله.

ولقد كان الأمر من الله تعالى بالنفرة لنصر دين الله واضحاً بيناً ومُلحاً في دعوته لجميع المؤمنين دون استثناء لينفروا في سبيل الله، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ التوبة 39

والإشكال هنا هو، على فرض أن الجنّ الذين آمنوا بالإسلام بعد أن استمعوا للقرآن، كانوا يملكون كثيرهم من الجنّ القوى الجنية الخارقة، فلماذا لم يهبّوا بقدراتهم الخارقة الخفية لنصر محمد ﷺ طاعةً لأمر الله تعالى في القرآن الذي آمنوا به، فينفروا في سبيله عز وجل منتصرين لدينه ضد هجمة قريش والقبائل المتحالفة معها والتي كانت تهدف إلى تدمير محمد ﷺ ودينه الإسلام؟

إنّ التاريخ ورواة الأحاديث لم يذكروا لنا شيئاً عن مشاركة ولا حتى جنّي مسلم واحد في الدّود عن دين الله تعالى مع محمد ﷺ وأصحابه، لماذا؟

أليس القرآن كتاب المؤمنين من الجنّ أيضاً، على ما يقولون؟ ألم يكن من الواجب عليهم طاعة أمر الله عزّ وجلّ في سبيله لنصر دينه ودعوته؟ لا بد من التفكّر<sup>(1)</sup>.

وختاماً لهذا الفصل نقول:

لو أراد الدارس المحقق أنّ يعرض كلّ الإشكالات الإيمانية المترتبة على الاعتقاد بالجنّ والشياطين على أنّها مخلوقات شبحية خارقة القوى، على ما يزعمون، للزمه إفراد كتاب خاص يتمم فيه الإشكالات جميعها ومن كافّة جوانبها.

ولكن السؤال هنا: ألا يكفي ما أوردنا في هذا الفصل من إشكالات قرآنية بُعية لُفت نظر صاحب المنطق السليم؟

أليس في هذا بيان كاف لمن يريد أنّ يسمع أو يتفكر.

وعملاً على حلّ جميع الإشكالات الإيمانية المترتبة على الفهم الخاطئ لحقيقة مفهوم الجنّ والشياطين ننطلق متابعين البحث بعون الله..

---

1- راجع كتاب «المفهوم الإسلامي الصحيح للجنّ والشياطين» للأستاذ نذير المرادني



## الفصل الثالث

دراسة تحقيقية في المعنى اللغوي للفظي "الجنّ"  
و"الشيطان"

يقول ربنا عز وجل في كتابه المجيد:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف (3)

﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فصلت (4)

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف (4)

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ الرعد (38)

وقال ربنا تبارك وتعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ\* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ\* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء

إذن لا يصح فهم القرآن وبيانه وأحكامه إلا على أساس الأخذ بالمعنى اللغوي الصحيح لكل لفظة ومفردة، وفي سياقها الذي وردت فيه، إذ لا بد من فهم هذه المعاني والمفردات انطلاقاً من أصول اللسان العربي الذي شاء الله عز وجل أن يُنزل به كلامه المبين في قرآنه الكريم ليكون كتاباً للعالمين. ولذلك فقد أجمع علماء التفسير على أنّ اللغة العربية السليمة بأسسها وقواعدها هي إحدى أهم مصادر تفسير آيات القرآن الكريم لفهم بواطنها والمعاني التي فيها، وهذا يعني أنّ من لا يأخذ بأصول اللغة العربية في الفهم والبيان، لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال أن يفهم آيات القرآن الكريم ولا أن يشرحها أو يفسرها ويبيّن ما فيها من معاني وحقائق على وجهها الصحيح.

ولهذا لم أجد بُدّاً من أفراد هذا الفصل للبحث والتحقيق اللغوي لبيان

المعاني الصحيحة للفظي "الجنّ" و"الشيطان" تمهيداً لفهم الآيات الكريمة التي ورد فيها هذان اللفظان، وسنعمد بعون الله تعالى في هذا الشرح إلى تناول أشهر وأوثق مراجع اللغة العربية.

ويفيدنا هنا أن نتذكر معاً أنّ الجهل السائد باللغة العربية عمقاً واتساعاً، سواء من حيث قواعد اللغة أو تعدّد المعاني لمفرداتها، يؤدي بالناس إلى استغراب كثير من الحقائق والمعاني التي هي من أصل اللغة فيسارعون إلى إنكارها ورفضها في الوقت الذي تكون فيه هذه المعاني من أعمق جذورها وأصولها وأبلغ معانيها.

والأمثلة على ذلك كثيرة يعرفها الباحثون والمهتمون، وأما عامة الناس والقرّاء العاديون، فقد لا يدركون من المعاني اللغوية للمفردات إلّا ما أشتهر تداوله حتى إذا واجههم متحدث بمعنى لم يطلعوا عليه ولم يسمعوا به حسبوه جهلاً منه أو اختراعاً يفترى به على اللغة العربية ومعانيها.

ونستطيع في هذا السياق أن نضرب مثلاً يساعدنا على فهم إمكانية الإشكال في الفهم للفظة واحدة من اللغة حيث يكون سبب الإشكال هو الأخذ بالمعنى المتداول فقط وعدم التفكير والبحث عن المعاني الأخرى للفظة ذاتها. وإليك المثال:

لنفرض مثلاً أنّ مريضين جاءا إلى طبيب يشكوان علة واحدة، ولنفرض أنّ هذا الطبيب كان من العارفين بالمعاني المتعددة لمفردات اللغة العربية، وكذلك كان أحد هذين المريضين على مستوى الطبيب في الخبرة اللغوية. ثم



لنفرض أنَّ الطبيب قال بعد الفحص والتشخيص للمريضين كليهما: إنَّ علَّتكما واحدة، وإنَّ كلاً منكما يعاني من "الجنَّ" الذي في صدره، ولذا فإنني أنصحكما أنَّ تراجعاً مختصاً في أمراض "الجنَّ".

ماذا تراه يحدث بعد ذلك؟

سيذهب المريض الذي لا يعرف من كلمة "الجنَّ" إلَّا المعنى الشائع المتداول بين الناس، إلى شيخ يرجوه أنَّ يبحِّره أو أن يكتب له حجاباً يخلِّصه به من "الجنَّ" الذي يسكن صدره ويسبب له اعتلال صحته.

وأما المريض الآخر الذي افترضنا أنه خبير بمعاني ومفردات اللغة العربية، فسيذهب إلى مختص في أمراض "القلب" ليشرح له علته ويصف له الدواء، لماذا؟.. لأن هذا المريض الخبير بمعاني ومفردات اللغة العربية يعلم أنَّ كلمة "الجنَّ" تعني أيضاً "القلب"<sup>(1)</sup>.

قال ربنا عز وجل: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فاطر 15

وبغية إدراك الفهم السليم، سنعمد معاً، عزيزي القارئ، إلى استخراج المعاني اللغوية الأصلية اللازمة لبحثنا، وبعون الله نبدأ:

**جاء في "لسان العرب" ما يلي:**

"جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جُنّاً: سَتَرَهُ.

وكلَّ شيءٍ سَتَرْت عَنْكَ فَقَدْ جُنَّ عَنْكَ (أي هو جُنِّي بالنسبة إليك)

---

(1) راجع «لسان لعرب» مادة (جنن).

(1) وَجَنَّهُ اللَّيْلُ يَجْنَهُ جَنَّاً وَجُنُوناً وَأَجَنَّهُ: سَتَرَهُ

وبه سُمِّيَ الْجَنُّ لَاسْتِتَارِهِمْ وَاخْتِفَائِهِمْ عَنِ الْأَبْصَارِ

وَمِنْهُ سُمِّيَ الْجَنِينُ لَاسْتِتَارِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

وَجِنُّ اللَّيْلِ وَجُنُونُهُ وَجَنَانُهُ: شِدَّةُ ظُلْمَتِهِ وَادْلِهْمَامُهُ

قَالَ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ الْأَنْعَامُ 77

وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا سَتَرَ عَنْكَ: جُنٌّ وَأَجَنٌّ

وَجَنَّ الْمَيِّتَ جَنَّاً وَأَجَنَّهُ: سَتَرَهُ

الْجَنُّ: الْقَبْرِ لِسَتَرِهِ الْمَيِّتَ

وَالْجَنُّنُ أَيْضاً: الْكَفَنُ

وَالْجَنِينُ: الْمَقْبُورُ

وَالْجَنَانُ: الْقَلْبُ لَاسْتِتَارِهِ فِي الصَّدْرِ

وَرَبَّمَا سُمِّيَ الرُّوحُ جَنَاناً لِأَنَّ الْجِسْمَ يَجْنَهُ

الْجِنِّ: الْقَلْبُ

الْمَجْنُّ: الْوَشَاحُ

الْمَجْنُّ: التَّرْسُ

وَالْجِنَّةُ: مَا وَارَاكَ مِنَ السَّلَاحِ وَاسْتَتَرَتْ بِهِ مِنْهُ

---

1- كَمَا أَنَّ مَا خَفِيَ عَنْكَ يَكُونُ خَفِيًّا، فَكَذَلِكَ مَا جَنَّ عَنْكَ يَكُونُ جَنِّيًّا.

والجِنَّة: السِّترة.

ويقال استجَنَّ بِجِنَّة: أي استتر بِسِترة.

وقيل كلَّ مستور جنين، حتى قيل حقد جنين وضعن جنين.

والجِنَّة: الوقاية، وفي الحديث: "الإمام جُنَّة" و"الصوم جُنَّة"

وجنَّ الناس: معظمهم، لأنَّ الداخل فيهم يستتر بهم.

وجنان الناس: جماعتهم وسوادهم ودهماؤهم.

الجِنَّة: الجنون وطائف الجن.

الجانَّ: ضرب من الحيَّات.

الجانَّ: الشيطان.

وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جنًّا لاستتارهم عن العيون.

وجنَّ الشباب: أوله، وقيل جدته ونشاطه.

ويقال: كان ذلك في جنِّ صباه، أي في حدائته.

وكذلك جنَّ كل شيء: أول شدَّاته<sup>(1)</sup> وجنَّ المرح كذلك.

وجنَّ النبات: زهره ونوره.

وقد تجننت الأرض وجنَّت جنوناً.

---

1- لاحظ أنَّ هناك جنَّ الناس، وجنَّ الشباب، وجن النبات، وجنَّ كل شيء، أي أنَّ لكل شيء جنه وحالته العادية. / التعليق من المؤلف.

جَنَّ النبت جنوناً: غلُظ واكتهل وطال والتفّ وخرج زهره.

وأرض مجنونة أي معشبة لم يرعها أحد.

والجَنَّة هي دار النعيم في الآخرة من الاجتنان، وهو السّتر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها.

والجَنِّيَّة: ثياب معروفة ومطرف مدوّر<sup>(1)</sup>./أي إذا قلنا: لبست سعادُ جنيّةً، يعني: أنها لبست ثوباً مطرفاً مدوراً، ولا يعني أنها تلبّست بشبح الجنية وصار يلزمها حجاب يطرد الجنّ والأشباح".

**وجاء في موسوعة "لين" الشهيرة للغة العربية:**

"الجنّ: الغريب".

**وجاء في معجم المنجد:**

"الجنّ من الشباب: أوّله.

والجنّ من النبت: زهره ونوره.

وجنّ الناس: معظمهم.

ويقال: لا جنّ في هذا الأمر، أي: لا خفاء فيه.

الجَنَّة: الحديقة ذات الشجر"<sup>(2)</sup>.

**وجاء في معجم محيط المحيط:**

---

1- راجع معجم لسان العرب.

2- راجع معجم المنجد.

"الجنّ كل ما استتر من الحواس من الملائكة والشياطين.. وقيل بين الملائكة والجن عموم وخصوص، فكل ملائكة جنّ، وليس كل جنّ ملائكة..

وقال أبو البقاء:

‘ظاهر كلام الفلاسفة أنّ:

الجنّ والشياطين: هم النفوس البشرية المفارقة عن الأبدان بحسب الخير والشر(1)‘.

والجن من الشباب وغيره: أوله وحدثانه، ومن النبات زهره ونوره..

وجنّ الناس: معظمهم.

وأما قول موسى بن جابر الحنفي:

"فما نفرتُ جنّي ولا قلّ مبردي ولا أصبحت طيري من الخوف وُقعا"

فإنه أراد بالجنّ: القلب، وبالمبرد اللسان

وقد شبهوا الرجل النافذ في الأمور بالجنّي والشيطان(2).

والجنون مصدر جنّ وزوال العقل وفساده.

والجنين: المستور من كل شيء، والمقبور.

والجنّ: الترس والوشاح.

---

3- أي هي أسماء وصفية تدل على نفوس البشر وليس على مخلوقات غيرها.

1- أي الجنّي والشيطان: هو أيضاً الرجل النافذ في الأمور.

ونُخْلة مجنونة: أي طويلة<sup>(1)</sup>.

وفي الحديث عن الجنّ لا بد أيضاً من الحديث عن الشياطين، خاصة وقد جاء في مراجع اللغة العربية أنّ كلمة الجنّي تعني الشيطان أيضاً.

**تحت مادة "شطن" جاء في معجم لسان العرب ما يلي:**

"شَطَنَ: بَعَدَ ، وَأَشْطَنَهُ أَبْعَدَهُ، وفي الحديث:

(كل هوى شاطن في النار).

الشاطن: البعيد عن الحق.

وشطنت الدار تشطن شطوناً: بعدت.

ونية شطون: بعيدة.

والشطين: البعيد.

والشطن: مصدر شطنه شطناً: خالفه عن وجهه ونيته.

والشيطان: فَيَعَال من شطن إذا بعد.

والشيطان: معروف، بأنّه كل عات متمرّد من الجنّ والإنس والدواب<sup>(2)</sup>.

وتشيطن الرجل وشيطن: إذا صار كالشيطان وفعل فعله.

وقيل الشيطان: فعّال من شاط يشيط إذا هلك واحترق.

---

2- راجع معجم محيط المحيط.

1- إذن كل عات متمرّد من الناس والحيوان هو شيطان وبالتالي هو جني أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ /الصفات 66/ كأنه رؤوس الحيات، فإنّ العرب تسمي بعض الحيات شيطانا.. وقد تُسمى الحية الخفيفة الدقيقة شيطانا وجناً على وجه التشبيه.. وجاء في الحديث: (إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم). وإذا جُعِلَت النون زائدة كان الفعل من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه والتهب. جاء في الحديث: (الراكب شيطان، والراكبان شيطانان والثلاثة ركب)"(1).

### وجاء في محيط المحيط:

"..سمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرّده. والشيطان: كل عات متمرّد من إنس، أو جنّ، أو دابة. وشاط الشيء يشيط شيطاً وشياطة وشيطوطة: احترق ومنه الشيطان. وقيل هو من شطن ومعناه: البعيد عن الرحمة.. ومعناه الهالك. وأشاطه إشاطة أحرّقه. وأشاط فلاناً: أهلكه"(2).

### وجاء في معجم المنجد:

---

2- راجع لسان العرب.  
1- راجع محيط المحيط مادة «شاط» و«شيطن».

"شطنه شطناً: خالفه عن نيته ووجهه، وأبعده.

شطن في الأرض: دخل.

وشطن الرجل: بعد عن الحق وغيره.

شطنه شطناً: خالفه عن نيته ووجهه، وأبعده.

شطن في الأرض: دخل.

وشطن الرجل: بعد عن الحق وغيره.

أشطنه: أبعده.

وشيطن شيطنة وتشيطن: فعل فعل الشيطان.

الشاطن: الرجل الخبيث، البعيد عن الحق.

الشيطان: كل عات متمرّد من إنس وجنّ أو دابة، والحية، ويقال

ركبه الشيطان: أي غضب<sup>(١)</sup>.

وأورد عباس محمود العقاد في كتابه (إبليس) شرحاً وتحليلاً لغويّاً لمعنى

كلمة الشيطان، قال:

"والأرجح عندنا أنّ الكلمة أصيلة في اللغة العربية قديمة فيها، لا

يبعد أن تكون أقدم من نظائرها في اللغة البابلية، لأن اللغة العربية

قد اشتملت على كلّ جذر يتفرّع منه لفظ الشيطان، على أيّ

احتمال وكل تقدير. ففيها مادة (شَطَّ) و(شَاطَ) و(شَوَّطَ)

---

2- راجع المنجد في اللغة العربية.



و(شَطَنَ) في هذه المواد معاني البعد والضلال والتلّهب والاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تفهم من كلمة الشيطان جميعها. فالشطط: من الغلو الذي يدخل في أخص عناصر الشيطنة. والشط: بمعنى الجانب المقابل، وقد يُلاحظ في مقابلة الخير بالشر من جانب الشيطان.

وشاط: بمعنى احترق وتلف.

وأشاطه: بمعنى أهلكه وأتلفه.. وانطلق شوطاً أي ابتعد واندفع في مجراه.

وشطن: أي ابتعد فهو شيطان على صيغة فيعال.

وقد كان العرب يسمون الثعبان الكبير بالشيطان، ويقال في بعض التفسيرات أنّ هذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الصفات 66 " (1).

## وجاء في (آكام المرجان)<sup>(2)</sup>:

"الجنّ: داخلون في مسمى الناس".

وهكذا نجد من أصول اللغة العربية وجذورها وما اشتهر من المعاني لدى العرب أنّ كلمة (الجنّ) هي من الكلمات المشهورة العادية والشائعة بين العرب، والتي كانت تطلق على كلّ ما استُتر عن العين مهما كان جنسه

---

1- راجع كتاب (إبليس) للكاتب العربي الكبير عباس محمود العقاد ص240.

2- راجع آكام المرجان ص36.

ونوعه، فهي تعني الملائكة وتعني الناس وكذلك تعني الدواب والحيّات والثعابين، كما وجدنا أنّ اشتقاقات هذه الكلمة تطلق أيضاً على الأرض وبعض النباتات وحتى الأشياء والأمكنة المستورة كالجنة، والجنّ (أي الترس)، والجنة (أي القبر) وغير ذلك مما يدخل فيه التميز بالقوة والشدة والستر والتستر. ولهذا فقد جاء في كتب المؤلفين والباحثين، كما مر معنا، أنّ الكائنات الحية الدقيقة الخفية عن أعين الناس (كالجراثيم والميكروبات مثلاً) هي أيضاً من الجنّ، ويطلق عليها اسم "الجنّ" لاستتارها عن أعين الناس وتعذر رؤيتها بالعين المجردة بالرغم من وجودها المادي العادي.

ولذلك فإنّ اللص المتسلل في الظلمة خلف جدران البيوت، والذئب المترصّ خفية لغنمة يريد افتراسها، والثعلب الكامن المترقّب بهدوء وحذر لاصطياد دجاجة أو طير في جانب بيت ريفي، وحتى الحية والثعبان والعقرب أو الفأرة المتسللة خلسة إلى البيوت تبحث عن الطعام في الصّحون والقذور... هذه كلها في اللسان العربي المبين وبدون أية فلسفة أو (فذلّة) هي من الجنّ حين تكون مستترة عن عيون الناس وحسّهم، تتحرك خلسة متربصة في سعيها وصيدها وبحنّها على غفلة من الإنسان الذي لا يراها ولا يحس بها، لاستتارها عنه، وهذا ما تشير إليه جميع معاجم اللغة العربية بكلّ جلاء ووضوح.

راجع معاجم اللغة العربية المشهورة — (لسان العرب) لابن منظور، ومعجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني، ومعجم (المنجد)، وموسوعة (لين) وغيرها مما عُرف واشتهر بين الدارسين والباحثين في اللغة العربية، فتجد أنّه

يمكنك أن تطلق لفظة الجنّ على الناس، والشباب، والغرباء، والنباتات المزهرة بقوة، والأشجار الملتفة، والأشجار الطويلة وغير ذلك من جميع مخلوقات الله تعالى مما تميّز بالقوة والتّستر والسيطرة وإيقاع الأثر القوي سواء بشكل مباشر واضح، أو بشكل خفي ومستور.

ولهذا فإنّ كلمة (الجنّ) يمكن أن تُطلق على الأثرياء، والقادة، والفنانين، وأصحاب الصنائع القوية، وأصحاب القوة والبأس والسلطان، والناشطين في الخفاء عن أعين الناس كالغرباء والجواسيس المهندسين بين الناس على غير علم أو دراية منهم<sup>(1)</sup>. وهؤلاء هم القسم الأول من الناس من أبناء آدم؛ وأما القسم الثاني فهم الناس العاديون والبسطاء المألوفة رؤيتهم ومعايشتهم في كل يوم وحين، وليس لهم قدرات خاصة غير عادية يتميزون بها عن العاديين من الناس.

ويمكن أن تُطلق على هذين النوعين من الناس كليهما لفظة (الناس) كما مر معنا بكل وضوح من المراجع اللغوية الموثقة التي لا مجال للطعن فيها بأي شكل كان. ولبيان أنّ هذا ليس رأياً استنتاجياً متفرداً، نعيد التذكير بما جاء في معجم لسان العرب الجزء السادس الصفحة 224 حيث يقول:

"الناس قد يكون من الإنس ومن الجنّ"<sup>(2)</sup>.

---

1- إنَّ إطلاق لفظة الجنّ على إنسان ما لا تعني الدم أو القدح به، بل تعني وصفه بالتميّز والقدرة والقوة الخ، بينما نجد أنّ لفظة الشيطان تعني الذمّ حتماً والبعد عن الحق.

(2) راجع لسان العرب.

يعني أنّ الناس هم من الجنّة ومن الناس.

وأما عن معنى لفظة "الشيطان" فقد جاء البيان في هذه المراجع اللغوية الشهيرة أيضاً واضحاً كل الوضوح، مبيناً أنّ لفظة "الشيطان" تنطبق على كلّ عاتٍ متمرد، وبعيد، ومهلك، وهالك، وحارق، وملتهب، سواء من الإنس، أو من الجنّ، أو الدواب والمخلوقات المهلكة كالحية والثعبان والعقرب وكذلك العوامل الممرضة كالجراثيم والفيروسات والطفيليات وغيرها من الكائنات الدقيقة الممرضة التي تسبب "الشَّيْطَان" أي الالتهاب، فتهلك الآلاف بل والملايين بالأوبئة القاتلة كالطاعون والكوليرا وغيرها، فهي جميعها في اللغة العربية من الشيطان أو الشيطان بعينه، وقد ورد بيان ذلك واضحاً في كثير من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ (1).

إنّ هذه المعاني اللغوية الواضحة اللفظي "الجنّ" و"الشيطان" تلفت التّظن المدرك الواعي إلى أنه ليس صحيحاً القول أو الاعتقاد بأن ذكر الجنّ أو الشيطان في أي موضع من كلام أو سياق يجب أن يعني المخلوقات الشبحية المزعومة على مدى الأزمنة والدهور، بل لابدّ من فهم دلالات هذه الكلمات على ضوء معناها اللغوي السليم والسياق الذي استعملت فيه وذلك لإدراك وفهم المعنى الصحيح الذي جاءت فيه اللفظة والسياق.

---

(1) سيأتي ذكر هذه الأحاديث في حينها بعون الله تعالى.

وإنني سأعتمد في الفصول القادمة من هذا الكتاب إلى شرح وبيان كلّ ذلك بالتفصيل المدروس المرکز وما توفيقني إلا بالله العليم الخبير.

## الفصل الرابع

# الشیطان الإمبراطور

إذا كان الشیطان، فی عالمکم، "إمبراطوراً"

یترتّع علی عرش ضلالتکم وجرائمکم،

فأنتم وحدکم المسؤولون والملومون علی ذلك، وليس الشیطان..

لأنکم أنتم ، وبوحي خیالکم، نصّبتموه إمبراطوراً واسع الأثر والنفوذ علیکم!

## زعموا أنّ الشياطين:

"أرواح غير منظورة، شريرة، ولا يمكننا الاستدلال عليها بحواسنا، وهي ترانا ونحن لا نراها، وهم جند إبليس الأوفياء" .. وقالوا:

"الشيطان من طبيعته الكبرياء والأذى وإلحاق الضرر بالإنسان فالإنسان عدو له ولأبيه إبليس دون سبب أو سابق معرفة، لا يدفعه إلى ذلك سوى الحق.. فهو لا يعدم الوسيلة أيّا كانت لضرر الإنسان في دينه ودنياه.

وقد فهم الفلاسفة الأوروبيون ذلك فاشتقوا كلمة Devil بمعنى الشيطان وهي مشتقة من كلمتين Do بمعنى يفعل و Evil شرّاً"<sup>(1)</sup>.

## ويتحدثون عن عقول الشياطين فيقولون:

"وعقول الشياطين بعيدة عن الحق، لأنها محرومة من فهمه وإدراكه"<sup>(2)</sup>. وهذا لا يمنع ما فيهم من ذكاء خارق في الشر فقط وسعة حيلة في الإضلال، وهو يستمد طاقة الشر من أبيه إبليس. والشيطان بدأ حياته على الأرض منذ وجد الإنسان، وحدث الاحتكاك بينهما في الجنة.

---

1- راجع كتاب «السحر وتحضير الأرواح» للدكتور السيد الجميلي.  
2- إذا كان هذا الزعم صحيحاً فالشياطين إذن ليست مسؤولة عن شرورها وأثامها، لأن شرع الله يقول:

﴿.. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا..﴾ (الطلاق (8))

ولقد آمن بالشیطان عباقرة الأمم<sup>(1)</sup>.

ویبین هؤلاء عظمۃ وهؤل امتداد أثر الشیطان فیقولون :

"وهذه الحضارة قامت أكتافها على أساليب الشياطين في الإضلال والهلاك، فأصل الأمم جمعاء، وعبر عن الحضارة في أذهانهم بأنها الفسق والإباحية والشذوذ والفواحش وتغيير خلق الله، وما من رذيلة في الأمم السابقة، إلا وجدناها فضيلة في الأمم حالياً، وأخذت مشروعيتها بألفاظ حديثة".

ویتابعون الحديث عن الإرهاب الشیطاني:

"وهذه الآلات الجهنمية، القنابل الذرية، الصواريخ، وما إليه من الفتك بالبشرية كلها من وحي الشیطان لدى عباقرة العلوم، وقد اتخذ الشیطان من البشر دعاة له للإغواء والإفناء..."

ویرصد الدكتور الجميلي في كتابه الحديث (السحر وتحضير الأرواح) أثر الشیطان البالغ في العالم وفي تعبّد الناس له فیتحفنا بتلخیص مفید لظاهرة عبادة الشیطان فیقول:

"وازدادت شهرة الشیطان في الشر وازدهرت أعماله فدعا بعض الناس إلى عبادته شخصياً، ففي بعض الأمم قوم یقال لهم "عبدة الشیطان" وهم في الوقت نفسه یعبدون الله. ویقولون إنما نعبدہ

---

1- المرجع السابق.



لنتقي شره، هذا في بعض أمم الشرق<sup>(1)</sup>. أما في الغرب فقد ازدهرت هذه العبادة وازدهرت صلة الإنسان بالشيطان ليس من طريق الإغواء فحسب، بل من طريق الاتصال الشخصي أيضاً<sup>(2)</sup> ففي خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر، تكوّنت الجمعيات وتأسست الأندية المختلفة في أوروبا وأميركا لعبادته والإقرار بفضلها.

وتتضم هذه الجمعيات عقول كثير من المفكرين والفلاسفة والأثرياء في أمريكا وإنكلترا وفرنسا وألمانيا، وأول جمعية أنشئت لهذا الغرض، جمعية أمريكية باسم Satanists أي المتشيطين. وغرض هذه الجمعية عبادة الشيطان ذاته شخصياً حتى لا يضرهم، وانضم لهذه الجمعية العدد الوفير منهم بقصد قضاء حاجة معينة، ومنهم ممن يقصد قضاء رغبة جنسية دنيئة، ومنهم من يقصد تعلم السحر<sup>(3)</sup>.

ويتابع الراصدون لنشاطات جمعيات عبادة الشيطان فيؤكدون انتشارها في أمريكا وأوروبا حيث تنتشر في إنكلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، حتى أوصلها المروّجون لها إلى جنوب أفريقيا.

ومن الجمعيات العالمية للاتصال بالشيطان جمعية الإله (مونتاك) في الهند، حيث يزعمون بأن الشيطان هناك يظهر في صورة مهيبة ليلاً في مكان

---

2- نقله عن كتاب «رحلة في ربوع آسيا» للرحالة محمد ثابت.

3- ترى ما المقصود من قوله: «الاتصال الشخصي» بالشيطان؟

(3) المرجع السابق ص116.

موجل بين الأدغال ويجب لأتباعه طلباتهم لإغوائهم وصددهم عن الطريق السوي.

وفي بلجيكا قام القس المدعو "دوكر" بالدعوة إلى عبادة الشيطان، فهو -في رأيه- الحاكم المطاع في العالم، وهو الذي يضر وينفع ويمتلك ناصية خير الناس وشرهم.

وكتبت رئيسة دير "راهبات لوسيفر" في مذكراتها أنها عبدت الشيطان وهي طفلة، ورأته شخصياً، وتدرجت في المناصب الشيطانية حتى أصبحت رئيسة دير "راهبات لوسيفر" وتعني كلمة "الوسيفر" الشيطان، وهو الاسم الذي يطلقه أتباعه عليه. ومما ذكرت في مذكراتها أنها حُطبت للشيطان "اسيمودس" وهو أحد نبلاء دولة الأبالسة، وتشرح بلا حياء ولا خجل أشكالاً من تعاملها معه<sup>(1)</sup>.

ويصف العالم الفرنسي "باتلا ليلي" رحلته إلى سنغافورة وحضوره إحدى حفلات تعميد الراهبات في دير الشيطان هناك وما دار فيها من خبث ورذائل.

كما يصف أحد الرجال كيف أنه حضر في بومباي في الهند حفلة أقيمت فيها الطقوس الدينية الشيطانية، ويذكر على حد زعمه كيف ظهر الشيطان متجسداً في هذه الحفلات، وألقى عليهم مواظته<sup>(2)</sup>.

---

<sup>1</sup>- راجع المصدر السابق.

<sup>2</sup>- المرجع السابق.

ويقول المتابعون لدراسة هذه الجماعات الشيطانية أنّ أعضائها في كل مكان من العالم قد اتخذوا لأنفسهم علامات ورموزاً وشارات سرية يتعارفون بها بعضهم على بعض.

ويؤكد هؤلاء بأنّ في كيمبردج وأكسفورد في إنكلترا جماعات شيطانية كثيرة أنشأها طلبة وأساتذة جامعتي هاتين المقاطعتين، وقد أسسوا هناك أيضاً ما يعرف بـ "نادي جهنم" بزعامة الإيرل ريتشارد بارسون، وهو يضم جماعة كبيرة من رجال المال والأعمال والفن والثقافة والسياسة<sup>(1)</sup>. وهكذا فقد اخترع الأفاكون للشيطان قوى وقدرات خارقة ييسط من خلالها سلطانه الذي لا يقف عند حد، وقد بالغ هؤلاء في الشر والأذى المنسوب إليه فجعلوه المسؤول والمعلوم عن كل جريمة وخطأ وزلل وفشل يقع فيه الإنسان حتى كاد بعض الناس أن ينسوا لوم أنفسهم على أخطائهم وتقصيراتهم وفشلهم، وكأنما يرون أنّ إرادة الشيطان وحدها هي القاضية والحاكمة المستبدة التي لا فكاك منها. جاء في كتاب (المسكونون بالشیطان) لمؤلفه رياض العبد الله:

"إذا استطاعت أجيالنا أن تحافظ على بعض قيمها وإنسانيتها وطبيعتها، فإنّ أبناءنا وأحفادنا تزحف نحو خطر مجهول السلاح والهدف.. إنه الشيطان برقته.. الذي لا منازع له على الإطلاق في تملك الشر في العالم"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>3</sup>- راجع كتاب «تحضير الأرواح» لمؤلفه محمد جعفر.

<sup>1</sup>- المسكونون بالشیطان لمؤلفه رياض العبد الله ص70.

وأما صرعات الفريق الآخر من المتشيطنين فهي كما رأينا، قد وصلت بهم إلى حدّ تأليه وعبادة الشيطان خوفاً من بأسه المزعوم ودفعاً لشره وأذاه.

إنّ هؤلاء الناس—سواء عن قصد منهم أو غير قصد—قد نسجوا من عند أنفسهم للشيطان في خيالهم صوراً وقدرات عجيبة خارقة يأبى العقل والمنطق السليم قبولها في أي شكل من أشكالها، فهم بما زعموا للشيطان من أثر وقدرات وتسلط وانتشار قد جعلوا منه إمبراطور الشر المتسلط الذي يتملّك بتأثيره وإرهابه الخفي كل ما ومن على الأرض، ويبتّ جنوده غير المرئيين، ينفثون ويوسوسون ويتملكون عقول الناس وقلوبهم، ويسيطرون على أعمالهم وأحوالهم، في حين أنّ الإنسان في كل هذا ضحية عاجزة لا حول له ولا قوة كالشاة اللبون الوديدة وقد غرس الذئب أو الضبع أنيابه الحادة المفترسة في قلبها وهي مسلمة له رقبته النازفة موقنة بالهلاك وعشية السعي للنجاة والخلاص، إذ أنّها مقضي عليها بين فكّي الشيطان المفترس لا محالة.

ولهذا فإنك تجد على لسان الناس أنّ اللوم فيما اقترفت أيديهم يقع دائماً على الشيطان "الله يلعنو"—كما يقولون.

فهو الملولم إن قتلوا أو سرقوا أو اختلسوا أو غشوا.

وهو الملولم في كلّ جرم وذنوب وإثم.

وهو الملولم في كلّ ظلم أو عدوان.. وهو دائماً القوي القادر على جميع الناس بما يوسوس لهم، وهم لا حول لهم ولا قوة. ركبهم اليأس واستكانوا

للضلال والظلم لأنفسهم وغيرهم، وهم دائماً يلعنون في ذلك كله الشيطانَ  
الرجيم، ولا يتفكرون في حقيقة ما تقترب أيديهم وما يجلبونه هم لأنفسهم  
من شر وأذى.

وهكذا تجد أنّ الناس قد جعلوا من الشيطان إمبراطوراً للشر في العالم،  
وصوّروا للأذهان أنّ له سلطاناً يمتد بلا حدود وأنه يجلس متربعا متمكناً  
على عرش الشر يحتل كل شبر من الأرض، وكل لحظة من الزمان، وكل فكرة  
أو خاطرة من خواطر البشر.

ومن المؤسف جداً أن تجد من هؤلاء الناس من يدعم إيمانه بالانتشار  
الواسع لسلطان الشيطان وقدرته على الناس بما فهم هو خطأ من بعض  
النصوص في الكتاب المقدس أو القرآن الكريم أو الحديث الشريف،  
وبذلك يزعمون أنّ الدين يؤيّد هذه الخرافة وأنه يؤيد الزعم بأنّ الشيطان  
قادر قوي بسلطانه على الناس بينما لا يملك الإنسان أيّ حول أو قوة  
لمنع انتشار شرور الشيطان الملعون الذي امتد بسلطانه على أبناء آدم  
جميعهم.  
والآن..

هل يوافق الإسلام على هذا التصور المفرط لقدرة الشيطان وامتداد أثره  
وسلطانه على عباد الله؟

في الفصل القادم ندرس معاً بيان الإسلام في (الشيطان) من خلال  
القرآن الكريم والحديث الشريف حيث سيتبيّن لنا أنّ الإسلام لا يرى

للشيطان أيّ سلطان على عباد الله، بل يؤكد عجزه وهوانه، وأنه حقير ومن الصاغرين.



## الفصل الخامس

# الشیطان الذلیل

قال ربنا تبارک وتعالی فی القرآن الکریم مبیناً ذلّة الشیطان وصغاره:

﴿فَاخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾



يبين لنا دين الله الإسلام من مصادره الأساسية في القرآن الكريم

والحديث الشريف أنّ الشيطان مخلوق ضعيف عاجز هالك مذؤوم  
مدحور وهو رجيـم ومن الصاغرين؛ وأما عن كـيده فقد علّمنا ربّنا تبارك  
وتعالى أنّ كيد الشيطان ضعيف لا خوف منه على عباد الله، قال عز  
وجل:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء 77

إذن فالشيطان في تعليم القرآن الكريم ضعيف الكيد والمكر والحيلة،  
لماذا؟ لأنّه لا يملك سلطاناً على عباد الله عز وجل قال ربنا تبارك وتعالى  
مبيناً عجز الشيطان:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر 42

ويعترف الشيطان بعجزه وضعفه فيقول:

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ إبراهيم 23

وكيف يكون للشيطان سلطان وقد لعنه الله وجعله من الصاغرين، قال

تعالى مبيناً حكمه على الشيطان: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأعراف 14  
كما يبيّن لنا القرآن الكريم حقارة شأن الشيطان وحكم الله عليه بأن  
يظل حقيراً مهزوماً خائباً على مدى العمر والدهر: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا  
مَّدْحُورًا﴾<sup>(1)</sup> الأعراف 19

1- قال المبرد: المدحور أشد الصغار والذل. راجع التفسير الكبير للرازي.

وهكذا نجد في بيان الإسلام أنّ حالة الشيطان إنما تعبّر عن العجز والضعف والانحزام والدّلّة والهوان، وهذا يناقض تماماً إفراط الناس ومبالغتهم في تصوير قدرات الشيطان واعتباره الملموم عن كلّ جريمة وذنب وإثم، فاللّوم، في حقيقة الأمر، يجب أن يكون على المخطئين والآثمين أنفسهم والبرهان في ذلك أنّه لا سلطان للشيطان على الناس إلّا أن يدعوهم وهم حين يستجيبون فإنما يستجيبون بإرادتهم هم ودونما سلطان قاهر عليهم، وقد صوّر لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة في صورة حوار بين الشيطان وأتباعه ساعة الندم والحسرة، حيث يقول الشيطان لأتباعه:

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنفُسَكُمْ﴾ إبراهيم 23

فالإسلام إذن يعبّر عن حقيقة مخالفة لما يُشيعه الناس عن أثر الشيطان وسلطانه. فالشيطان في المفهوم الإسلامي حقير ذليل منهزم ومدحور، وهو أيضاً ضعيف الكيد خائب السعي والرجاء، وهو فاقد السلطان إلّا على من يستجيب له من نفسه ويختار أتباعه بإرادته.

ويجد المتبع لحقيقة الشيطان في أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ أنها تكشف حقيقة ذلة الشيطان وعجزه وهوانه إلى حد بعيد.

كيف..

إليك الحقيقة من خلال عرض الصوّر التالية عن الشيطان الذليل والتي جاءتنا موثقة في أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ:

## \* عرش الشيطان

عَلِمْنَا، مِمَّا مَرَّ مَعْنَا، أَنَّ فَنَاتٍ مِّنَ النَّاسِ قَدْ عَظَّمُوا مِّنْ شَأْنِ الشَّيْطَانِ وَخَطَرَ شَرِّهِ إِلَى حَدِّ أَتَمِّهِ قَدْ نَصَّبُوهُ إِمْرَاطُورًا عَلَى عَرْشِ الشَّرِّ فِي الْعَالَمِ يَتَسَلَطُ بِقُدْرَاتِهِ الْمَزْعُومَةِ عَلَى الْبَشَرِ جَمِيعًا وَهُمْ فَاقِدُوا الْحِيلَةَ أَمَامَ جَبْرُوتِهِ وَسُطُوتِهِ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ شَيَّدَتْ لَهُ بَعْضُ الْفَنَاتِ مِنَ النَّاسِ أُبْنِيَّةً وَمَعَابِدَ تَعْبُدُهُ فِيهَا، وَاعْتَقَدُوا مَتَصَوِّرِينَ فِي خِيَالَتِهِمْ أَنََّّهُ يَقْعُدُ قُوْيًا مَّهِيْبًا عَلَى عَرْشِ الشَّرِّ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ. فَمَاذَا قَالَ الْإِسْلَامُ عَنْ عَرْشِ الشَّيْطَانِ؟!.

جاء في حديث لسيدنا رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَلِّمْ أَظْفَرَكَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَعْقِدُ عَلَى مَا طَالَ مِنْهَا) رواه أحمد

وهكذا ترى الشيطان الذليل يقعد مع الأقذار المتجمّعة تحت الأظافر الطويلة للإنسان وهو يرتجف خوفاً واهلجاً من سطوة المقص إذا ما جاء ليُلْقِي بعرشه إلى سلة المهملات ثم إلى مصيره المحتوم في حاوية الزبالة!

## \* فندق الشيطان

ينام الأثرياء من الناس حين أسفارهم في الفنادق الفخمة ذات الرفاهية الباذخة والأجواء المكيفة والأطعمة اللذيذة، ويتنعمون بالنوم في الغرف الهادئة والأسرة الناعمة، فأين ينام الشيطان وأين يبيت؟

جاء في حديث رواه أبو هريرة عن سيدنا رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإنّ الشيطان يبيت على خياشيمه). صحيح مسلم

وعن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في حديث عن الشيطان:

(..ولا تُبَيِّتُوا القُمامة معكم في حُجْرِكُمْ فَإِنَّمَا مَقْعَدُهُ، وَلَا تُبَيِّتُوا المِنْدِيلَ في بيوْتِكُمْ فَإِنَّهُ مضجَعُهُ..) زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة، الإصدار 2.04 للإمام السيوطي

إذن فالشيطان الذي القمامة مقعده ومناديل الناس مضجعه يبيت في أنوف الناس أيضاً يفترش مخاطها ويتدفأ بهواء الشهيق والزفير الداخل والخارج من فتحة المنخرين، والويل كلّ الويل له حين يقوم الإنسان صباحاً بتنظيف أنفه والاستنثار ثلاثاً، لأنه بعمله هذا سيُخرج الشيطان من أنفه ساقطاً مدحوراً مع المخاط وماء الاستنثار ويصير إلى مصيره المرعب الخانق في البالوعة والمجاري.. فإذا كان هذا مصير الشيطان في صباح كلّ يوم حين يُنظّف الناس أنوفهم، فكيف يكون إمبراطوراً ولا يكون ذليلاً؟.

**\*حاذر أن تبصق كي لا تُغرق الشيطان!**

في رحلات التنزه والاستمتاع يخرج الناس إلى البساتين والرياض يُمتعون أنفسهم على ضفاف الأنهار والبحيرات يتعشّون بمراى المياه العذبة أو السباحة فيها والارتواء منها. ويذهب الكثير منهم ليُمتعوا أنفسهم بالتفرّج

على عيون الماء التي تتفجر من الينابيع في كهوف الجبال، ثم تهدر جمالاً وروعة، وتنساب سحراً ورواءً في السهول والحقول والوديان، تشكل جنات ألفافاً ينتشي فيها الجمال بهياً زاهياً يخلب الأبصار والأبصار.

فإلى أيّ الكهوف يأوي الشيطان، ومن ماء أيّ الينابيع يستقي..

روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(إذا تئأب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإنّ الشيطان يدخل). صحيح

مسلم

وهكذا كلما تئأب إنسان دخل الشيطان إلى فمه يستروح عبق أنفاسه ونخر سوس أسنانه، ويسبح منتعشاً في لُعبه!

ولكن ماذا يكون مصير الشيطان إن بصق هذا المتئأب؟ حيثذ يقع على الشيطان البلاء والقدر المرعب المحتوم حيث يخرج من فم الإنسان مدفوعاً بقوة هائلة مع البلغم والبصاق واللعب ويستقر مكوّماً تعيساً، مقهوراً على تراب الأرض، إلى أن يجفّ البصاق في حرارة الشمس ثم تذروه الريح<sup>1</sup>!

**\* الشيطان يستجدي اللقمة**

من المحتمل أنك استجمعت ، ذات أوّل شهر، ما في صدرك من

---

<sup>1</sup> - أعتذر عن اللغة ولكن كان لابدّ من هذا البيان للضرورة.

شجاعة، وما في جيبك من مال ثم استعنت بالله ودخلت مطعماً دعتك إليه رائحة الشواء والمقبلات وأطايب الطعام. أو ربما صَنَعْتَ لك زوجك أو والدتك الغالية وليمة خاصة في مناسبة خاصة، أو ربما تكون على الأقل قد شاهدت في التلفزيون كيف أنّ في عالمنا الواقعي ولائم من الخراف المحشية والأسماك والفطائر والحلوى والفواكه وغيرها مما لم يحلم به إمبراطور في زمانه، فهل حَلِمَ الشيطان بوليمة كهذه، وهل يلدُّ له الأكل من الطيبات لو(صَحَّت) له؟

أبداً..

المسكين لا عمل له بعد أنّ يطرده المستيقظون صباحاً من خياشيمهم، أو يبصقه المتنحنحون من أفواههم، أو يقصه المتطهرون من أظفارهم، لا عمل له إذا جاع، إلا أن يقف ناظراً بذلِّ إليك وأنت تأكل راجياً أنّ تُسقط من فمك لقمة على الأرض ليأكلها—هذا إذا تركتها ولم تلتقطها ثانية فيرتدّ هو طاوياً على جوعه حتى الموت!

روى ثابت ابن أنس عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

(إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان). صحيح مسلم<sup>(1)</sup>.

ومع كلّ هذا الذل للشيطان (الإمبراطور) فهو لا يفصِّل من الأطعمة

---

1- راجع ما أورده ابن كثير في ذلك.

للحوم والفاكهة والقشدة والعسل أو غيرها من الطيبات، بل إنّ أحبَّ الأطعمة إليه: العظام وَرَوَتْ الحيوانات، فلقد ورد عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ نهي عن الاستنجاء<sup>(1)</sup> بالعظم أو الروث لأنها طعام الجنّ، فقال: (لا يستنجين أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرّة ولا روثة). صحيح مسلم

ونَصَحَ بعضُ الفاهمين لهذا الحديث بأنّ يعمل الناس على عدم استعمال العظم والروث بعد قضاء الحاجة، وبَيَّنُوا—على حد فهمهم—سبب ذلك فقالوا:

«حق لا نحرّم الجنّ من أكله»<sup>(2)</sup>.

ولو أراد الدارس المحقق أنّ يزيد في ذلّة الشيطان وهوانه في المفهوم الإسلامي لَوَجَدَ المجال واسعاً ممتداً أمامه. ولكن بما أننا سنعرض في الفصل القادم لشرح هذه الأحاديث الصحيحة على ضوء البيان السليم من اللغة العربية والقرآن الكريم والعقل والمنطق السليم، فإننا نكتفي هنا بما صوّرنا من ذلّ وهوان للشيطان الرجيم الذي جعل منه الكثير من الضالين—كما مرّ معنا—إمبراطوراً يجتاح العالم بِشَرِّهِ، أو حتى إلهاً يُعبد في معابد خاصة به، نعوذ بالله تعالى من شر ذلك ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم. والآن، كيف نفهم إذن الآيات والأحاديث التي ذكرت الجنّ والشياطين؟ نفهمها معاً بدءاً من الفصل القادم بعون الله تعالى.

---

2- أيّ التطهّر بعد قضاء الحاجة.

1- راجع كتاب: «الإنسان بين العين والسحر والجان» لمؤلفه زهير الحموي. ص134.

## الفصل السادس

# الجن والشياطين في بيان الحديث الشريف

سيدنا، محمد رسول الله ﷺ لا يزال حياً باقياً في رسالته وبيانه إلى العالمين. ولا تزال الشهادة على حياته وبقائه تشرق مُسفرة في كل يوم عن إعجاز وبيان جديد تتكشف عنه أحاديثه الشريفة فتؤكد أنه الرائد الأول الذي كشف البيان قبل البيان، وتحدث بالعلم قبل العلم، مؤكداً أنه لا ينطق عن الهوى، إنَّ هو إلاَّ وحي يوحى. وها هو لا يزال يبشّر العالمين بإعجاز محمدي جديد أنه:

لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله.



قد استعمر الوهم الشبحي المتعلق بالاعتقاد بالجنّ والشياطين أنحاء  
عقول الناس في كافة بقاع الأرض، وعلى مدى عصور كثيرة من الزمان  
انتهكت فيها حُرّمات العقل البشري وأُهل كيانه ومنطقه، وأُهين شرفه  
كرامته، وضُيِّعت شخصيته وملاحمه.

والآن ..

آن الآوان لأن يُبدّد نور دين محمد ﷺ ظلمات هذا الاستعمار الشبحي  
لعقول الناس في كلّ زاوية وركن من أركان الأرض، لتسطع بنور ربها وليدين  
الناس بالعرفان والتصديق والتقدير للإسلام الذي أسلف البرهان بأنّه حين  
ارتفعت رايته بالصدق، أشرق العالم بالنور والعلم والحرية من قيد كلّ جهالة،  
فانتكست رايته وزهق باطلها، وتبدّد ليلها.

وها هو ذا الإسلام يعلن، من جديد، على لسان محمد رسول الله ﷺ  
وفي بيان حديثه الشريف أنّ شمس الإسلام لا تغيب، فهي لا بد ستشرق  
من مغربها بعد أنّ ظن الناس أنّها قد آلت للغروب.

وبعد طغيان إرث ليل طويل من الجهل والوهم والخيال واحتلال الجنّ  
والشياطين والأرواح والأشباح لعقول الناس من مختلف فئاتهم ومستوياتهم،  
جاء الإسلام بنور الله ليبين حقيقة هذا الجهل المهلك، وليكشف الظلمات  
ويحرّر العقول والأفهام ويسطع ببيانه الحق في مفهوم الجنّ والشياطين.

وإليكم البيان:

تعلمون أنّ القرآن الكريم قد نزل على محمد ﷺ بلغة العرب وبيانهم، وقد قال ربنا عز وجل عنه:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ الرعد 38

وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء 196

فالحكم في الفهم والبيان إذن لِلّغة العربية كأصل من أصول التفسير، بالإضافة إلى ما جاء من أصول أخرى صنّفها العلماء.

ولقد تبين لنا من مراجع اللغة العربية الموثقة أنّ من معاني كلمة الشيطان: "الجنّ" أيضاً<sup>(1)</sup>.

ومر معنا أيضاً أنّ لفظة "الشيطان" تعني:

"كلّ عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب"<sup>(2)</sup>.

وهذا يعني أنّه يمكنك أنّ تقول:

الإنسان العاتي شيطان.

والدابة العاتية المؤذية شيطان.

والجني العاتي شيطان.

وهذا يعني أيضاً أنّ:

---

1- راجع المصادر المشار إليها.

2- لسان العرب، محيط المحيط، المعجم الوسيط وغيره.

من الجنّ شياطين .

ومن الناس شياطين.

ومن الدواب شياطين.

وكذلك بيّن لنا اللغويون في معاجمهم أنّ كلمة "الاحتراق" و"الشَّيطان" و"الالتهاب" تدخل أيضاً في جذور لفظة الشيطان. وقد تحقّقنا من ذلك معاً في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

وسنعمل الآن، معاً أيضاً، على أنّ نتبيّن ونفهم الحقائق الإعجازية المدهشة التي أشار إليها سيدنا رسول الله ﷺ والمتعلقة بلفظتي الجنّ والشيطان، فكان في ذلك الرائد الفريد في العلم والبيان.

ومما يجب الانتباه إليه أنّ هذه الأحاديث المعنيّة قد استعملت لفظة "الجنّ" في بعضها ولفظة "الشيطان" في بعضها الآخر في رواية ثانية للحديث ذاته. وإنني لا أقول هنا أنّ ورود لفظة الجنّ مكان لفظة الشيطان أو بالعكس يؤدي المعنى ذاته دون زيادة أو نقصان، بل أريد أنّ أشير هنا إلى حقيقة أنّ لكل لفظة دلالتها اللغوية والعلمية الدقيقة التي يجب الانتباه إليها بكلّ دقة وإخلاص، وعندها يتألق في أذهاننا الإعجاز المحمدي في أحاديثه الشريفة التي هي من نور الله عز وجل ووحيه إلى رسوله الكريم محمد المصطفى ﷺ، ليكون للعالمين سراجاً منيراً يضيء الكون كله بدين الله (الإسلام).

علّمنا أنّه قد ورد في معجم لسان العرب في معنى لفظة "الجنّ" ما يلي:

"وكل شيء ستر عنك فقد جنّ عنك".

أيّ كما أنّه يصحّ قولك عن كلّ ما خفي عنك بأنّه: "خفي"، فكذلك يصحّ قولك عن كلّ ما جنّ عنك (أيّ ستر عنك) بأنّه: "جنّي".

ولاشكّ في أنّ للجراثيم والميكروبات التي تنشر الوباء وتفتك بالألوف من الناس، وجوداً مادياً حقيقياً بالرغم من كونها مستورة عن أنظارنا، فهي لصغر حجمها ودقة أبعادها، لا نستطيع رؤيتها بعيوننا المجردة بالرغم من وجودها أمام أعيننا، ولذلك فهي تُعدّ من الجنّ بحسب ما جاء في اللغة العربية<sup>(1)</sup>.

ولكون هذه المخلوقات الدقيقة الحجم تسبب أيضاً الأمراض والحُمىّات والالتهابات وتهلك المصابين بها من الناس، فهي أيضاً من جنس "الشيطان" بسبب فعلها وعتوّها في الفتك والأذى، حيث مرّ معنا في تعريف الشيطان أنّه:

"كلّ عات ومنتهمرد من الإنس والجنّ والدواب".

فالجراثيم والميكروبات هي من الجنّ العاتي الذي لا تراه العيون وهي مع ذلك تبطش بالكثير من الناس والدواب وتهلكهم من غير أنّ يرى لها وجود عيني محسوس أو ملموس. ولأنّها مؤذية مهلكة فهي شيطان أيضاً.

---

(1) راجع ما أوردناه من تحقيق لغوي في فصل الثالث.

وإذا حاولنا فهم أحاديث رسول الله ﷺ على ضوء حقائق وبيان اللسان العربي المبين، وليس من منطلق الوهم والخيال المتوارث، فإنّ ظلمة الجهل ستنجلي، ويحل محلها الواقع المبين بنور المعرفة الحقّة.

### \* الحديث الأوّل

لأنّ النظافة من الإيمان، وكى نحى أنفسنا وأهلنا ومجتمعنا من أخطار الجراثيم والميكروبات والأوبئة، فقد بين لنا سيّدنا رسول الله ﷺ أنّ الجراثيم والميكروبات السامّة التي تسبب الأمراض بما تُحدث في الجسم من تسمّات والتهابات إنّما تُعقّد مع الأقدار على الأظافر الطويلة للإنسان، وهي من الجنّ لأنّها خفيّة عن النظر المباشر، وهي أيضاً من الشيطان لما تسبب من التهابات وأمراض مهلكة تنتشر عن طريق التلوث على شكل أوبئة فتاكة مهلكة للناس في كلّ مكان يحصل فيه هذا التلوث.

ولذلك فقد أمرنا سيّدنا رسول الله ﷺ أنّ ننّبه إلى أنّ نظافة الأظافر وتقليمها يمنع فرصة تراكم وعقّد هذه الميكروبات عليها، وبالتالي يمنع فرصة الإصابة بالأوبئة والالتهابات والحمّيات التي هي جميعاً من الشيطان وتدخل تحت تسميته، فقال:

(يا أبا هريرة، قلّم أظافرك فإنّ الشيطان يعقّد يقعد على ما طال منها). رواه أحمد

ولاشك في أنّ الأظافر التي تعقد عليها الجراثيم والميكروبات تسبب التسمّم والالتهابات للجروح والعيون وكذلك البلعوم حيث يضع الأطفال

أصابهم في أفواههم، فتسبب الأمراض والالتهابات، كما أنها تؤدّي إلى نقل العدوى بالأمراض والأوبئة التي تسبب الالتهابات والسخونة الشديدة. ولذلك فإنّ في تقليل الأظافر والحرص على نظافتها، صيانة صحّية هامة وضرورية للفرد والمجتمع وحفظاً لأنفسنا وأطفالنا من خطر الأمراض والأوبئة التي تسببها الجراثيم والميكروبات الجنيّة الشيطانيّة -أيّ الخفيّة المهلكة.

وفي هذا يكون سيدنا محمد ﷺ رائداً في التعليم الصحي للمجتمع الإنساني في هذا الباب من الهدّي والتعليم، وذلك قبل اكتشاف الميكروبات والجراثيم وإمكانية رؤيتها بالمجاهر الإلكترونيّة.

أما أن نُقرّ أو نصرّ على الاعتقاد والفهم بأنّ الشيطان الشبح المزعوم يترك كلّ ممالكه وديناه وينتظر منك أنّ تطيل أظافرك ليقضي عمره عليها، فهذه خرافة وخيال مضحك حاشا لله ورسوله أنّ يكون من الإسلام في شيء!

### \* الحديث الثاني

ولما كانت الأقدار ومعها الجراثيم والميكروبات السامّة تعقد على ثلثة القدح أو الكأس ويصعب تنظيفها تماماً، فقد نهى سيدنا رسول الله ﷺ عن الشرب منها كما في الحديث التالي الذي أورده صاحب لسان العرب نقلاً عن كتب الحديث، قال:

«وفي الحديث أنّه ﷺ نهى عن الشرب من ثلثة القدح.. وقد جاء في

الحديث أنه مقعد الشيطان»<sup>(1)</sup>.

كما روى أبو داود في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال:

(نهي رسول الله ﷺ عن الشرب من ثلثة القدح وأن ينفخ في

الشراب) . رواه أبو داود

فهل يصح الاعتقاد هنا، أيضاً، بأنّ الشيطان — الشبح المزعوم —  
ينتظر الكؤوس والأقداح حتى تثلم لكي يترّبّع على عروش ثلماتها ويجعل  
منها مقعداً ومركباً له، أم أنك توافقني على أنّ الحديث هنا أيضاً يحذّرنا  
من خطر التعرّض للتلوّث بجراثيم وميكروبات الأمراض والأوبئة والحمّيات  
-وهي كلّها من الشيطان- التي تعقد مع الأقدار على ثلثة الكأس  
وتصيب المتناوبين في الشرب من كأس مثلوم واحد ينتقل من فم إلى فم  
آخر؟.

### \* الحديث الثالث

ولقد أكد سيدنا رسول الله ﷺ في هديه على ضرورة ألاّ تبقى أواني  
وقدور الطعام والشراب مكشوفة معرضة للجراثيم والميكروبات، مما يؤدّي إلى  
تلوّثها بجراثيم الأمراض والأوبئة، ولذلك فقد أمر بتغطية الأواني وحمايتها من  
خطر التلوّث.

روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

1- لسان العرب مادة «ثلم».

(غطوا الإناء وأوكوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، واطفئوا السراج فإنّ الشيطان لا يحلّ سقاء ولا يفتح باباً ولا يكشف إناء) مسلم كتاب الأشربة

تخيّل معي هذا العجز الفاضح للجنّ والشيطان بالمقارنة مع الاعتقاد الشائع بالقدرات الخارقة المنسوبة إليها. إنّ الصورة في هذا الحديث الشريف تبين أنّه إذا أراد الشيطان أن يدخل بيتاً بابه مغلق، فإنّه سيبقى واقفاً أمام الباب بدلّة وهوان طوال عمره إذا لم يفتح له أحد الباب.

وكذلك حين يجوع الشيطان وينظر إلى أواني الطعام المغطاة ولعابه يسيل، فإنّه سيموت جوعاً إذا لم يكشف له فاعلٌ خيرٍ غطاءً إناء الطعام ليأكل فلا يَنفُق جوعاً، أو ليكشف له إناء الشرب ليروي حرقه ظمأه فلا يهلك عطشاً!

وكيف يصح للجنّ والشياطين أن تكون بهذا العجز والضعف الهائل وهي التي يعتقد الناس أنها قد نقلت، بقدراتها الخارقة، عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى فلسطين في لمح البصر، وأنها تطير أسرع من الضوء فتلمس السماء وتسابق الشهب، وأنها تصيب الناس بالمسّ فتصرع وتفلج، كما أنها تُعين وتؤذي وتخيف الناس بخوارقها وأعاجيبها؟!

فهل الجنّ والشياطين حقاً كذلك؟ إذن كيف يعلمنا الإسلام أنها تموت جوعاً أو تهلك عطشاً أمام وعاء طعام أو إناء شراب حَفِظَه الإنسان عنها بغطاء عادي، وأنها تقف محبوسة في العراء أمام بابٍ أغلقه الإنسان دونها؟!



من الواضح هنا أنّ تغطيه آنية الطعام والشراب يحميها من التلوث بالجراثيم والميكروبات المنتشرة في الهواء والمسببة للأمراض والأوبئة التي هي بدورها تسبب الالتهابات والحمّيات التي يمكن أنّ يطلق عليها في اللغة العربية اسم "الشيطان".

والبرهان الواضح على أنّ الرسول ﷺ كان يقصد بلفظة "الشيطان" في قوله: «فإنّ الشيطان لا يكشف إناء» بالوباء المتسبب عن الجراثيم، هو الرواية الثانية التي وردت في صحيح مسلم:

عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(غَطُّوا الإِنَاءَ وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَطَاءٌ، أَوْ سَقَاءٌ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءُ). صحيح مسلم<sup>(1)</sup>

تَرى هنا أنّ كلمة «الوباء» حلّت تماماً محل كلمة "الشيطان" في الحديث الذي يأمر بفعل واحد—وهو تغطية الأواني—لرد شرّ خطر واحد وهو الشيطان-الوباء، أو الوباء-الشيطان.

إذن فإنّ هذا الحديث يؤكد بكلّ وضوح أنّ الرسول ﷺ قد استعمل لفظة «الشيطان» للتعبير عن جراثيم وميكروبات الوباء الذي تنتشر معه الحمّى التي قال عنها رسول ﷺ أنّها من الشيطان.

---

1- الصفحة 1596 من صحيح مسلم.

ولكن ماذا عن الشيطان أو الجنّي الذي لا يفتح باباً مغلقاً ويقف عاجزاً  
دونه ينتظر ابن حلال يفتح له؟

لقد مرّ معنا أنّ لفظة "الشيطان" تعني من ضمن ما تعني: الحيّة السامة،  
وكذلك كلّ ضارّ ومؤذ من الدواب، وفي هذا تدخل العقارب السامة  
والذئاب والضباع والسباع وغيرها من الدواب والهوام المؤذية المهلكة والتي  
جميعها—في واقع الأمر—لا تستطيع أن تفتح باباً أغلقه دونها الإنسان.

وإذا ما أخذنا بالروايات التي استعملت لفظة "الجنّ" بدلا من لفظة  
"الشيطان" حيث ورد في رواية أنّ الجنّ لا تكشف إناء ولا تفتح باباً—نجد  
أنّ هذه الحيوانات والحشرات المؤذية، لكونها تنسلّ خفية مستورة، أيّ تنسلّ  
بجنّ (بخفاء) دون أن يحسّ بها الإنسان، تدخل في معنى «الجنّ» أيضاً، إذ  
كما تعلمون من اللغة العربية: "كل ما ستر عنك فقد جُنّ عنك" (1) أيّ هو  
جنّي بالنسبة إليك.

وهكذا يتم معنى حديث رسول الله ﷺ بهدّي رائع بُغية حفظ الناس من  
الشرّ والأذى المتسبب عن جميع المخلوقات المؤذية والضارة بالإنسان بدءاً  
من أدقّ الجراثيم والميكروبات، وانتهاء بالحيّات والعقارب والوحوش والسباع  
والحيوانات البرية المؤذية أو المفترسة التي قد تنسلّ خفية تحت ستر الليل أو  
الصمت، وتكون بذلك جنّاً وشياطين مؤذية مهلكة.

---

1- راجع المعاجم المذكورة آنفاً.

صلى الله على سيدنا رسول الله وآله وجزاه عنا ما هو أهل له — آمين.

### \* الحديث الرابع

وصفَ الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ بأنه «رحمة» للعالمين، فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء 108

كما شهد ربنا لمحمد ﷺ بأنه يتألم ويعزّ عليه عنتُ المؤمنين لأتته بهم رؤوف رحيم فقال تعالى:

﴿..عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة 129

وهذا يعني أنه، عليه الصلاة والسلام، رحمةُ الله تعالى للعالمين في كلِّ شأنٍ يعينهم، وأنَّ قلبه يفيض بالرحمة والرأفة للمؤمنين كأبناء له يعزّ عليه ويؤلمه أن يصيبهم أيّ مصاب يؤذيهم ويضرّ بهم. ولذلك فإنَّ من الطبيعي جداً أن يهتم رسول الله ﷺ بكلِّ ما ينفع الناس، وأن يهتم أيضاً بتحذيرهم من كلِّ ما من شأنه أن يؤذيهم في أيّ أمر كان. ونقرأ مصداقاً لهذا الاهتمام الحديث التالي:

روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(إذا كان جنح الليل — أو أمسيتم — فكفّوا صبيانكم فإنَّ الشياطين تنتشر حينئذ. فإذا ذهب ساعة فخلّوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله عليه فإنَّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً). صحيح مسلم

وعنه أيضاً أنّ رسول الله ﷺ قال:

(ولا ترسلوا فواشيكم<sup>(1)</sup> وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب  
فحمة العشاء، فإنّ الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى  
تذهب فحمة العشاء). صحيح مسلم

نرى من هذا الحديث أنّ رسول الله ﷺ يحذّر الناس من إيذاء هوام  
الأرض وسائمتها المؤذية كالحية والعقرب وغيرها من الحيوانات التي تخرج  
عادة مع بدء امتداد جنح الليل في البيئات الحارة نسبياً، وذلك لأنها تختبئ  
طوال النهار في جحورها من حرّ الشمس الشديد فتهرب عميقاً في حُفر  
الأرض وثغورها<sup>(2)</sup> متّخذة لها مأوى بارداً في أعماق الأرض، ولكن ما أن  
تبرد الشمس حين مآلها إلى الغروب ويأتي جنح الليل ببرودته حتى تخرج  
هذه الهوام والحشرات والحيوانات والحيات والعقارب من جحورها مسرعة  
وقد أمّضها جوع اليوم، لتبحث عن صيدها وطعامها لساعة أو أكثر ثم  
تعود إلى جحورها لتطعم صغارها وفقسها أو لتأوي هناك حتى يومها التالي،  
وهكذا.

وإذا ما كان ثمة أولاد منتشرون أو أغنام ودواب مما يرعى الإنسان فرمها  
تتعرض للأذى من جزاء انتشار هذه الهوام والزواحف المؤذية السامة، أو

---

1- الفواشي: كلّ منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم.

3- قد مر معنا معاني «شطن»: "دخل في الأرض"، وهذا يعني أنّ كلّ ما يدخل في الأرض  
يشطن فيها ويكون شيطاناً. راجع التحقيق اللغوي.

الحيوانات الضارية الشرسة. وهي، كما مرّ معنا، تُعدّ من الشياطين لعتوّها وأذاها، كما أنّها من الجنّ لتسللها خفية مستورة تحت جناح الليل .

ولابد، أنك لاحظت انتشار السحب السوداء الواضحة من البعوض لحظة الغروب تحوم فوق الرؤوس بكثافة وكثرة وتدور في دوائر مزعجة مسببة الأذى في العيون والأنوف والأفواه حين تدخل مع التنفس. إنّ ساعة انتشار هذه الحشرات توافق أيضاً ساعة غروب الشمس ودخول الليل. ومن باب رحمة ورأفة سيدنا رسول الله ﷺ أنّه نبّهنا إلى هذه الحالات الخفية من الأذى المحتمل في أوقات معينة، وجاء تحذيره لنا في هذا الحديث الجامع الذي حوّل الناس إلى خرافة عجيبة تبعث الاستغراب في العقل وتحرم الناس من الاستفادة من حقيقة هدي محمد ﷺ، فهم يفسّرون هذا الحديث في بعض كتبهم كما يلي فيقولون:

"إنّ هذا الوقت من الليل هو محلّ الأرواح الشريرة الخبيثة ولذلك فإنّ السحرة يختارون هذا الوقت غالباً للاتصال بالشياطين"<sup>(1)</sup>.

### \* الحديث الخامس

من المعروف أنّ العرب البدو والرعاة في الصحراء كانوا إذا خرجوا لقضاء الحاجة، استعملوا للتطهّر فيما يستعملون قطع الأحجار أو أعواد الخشب وغيرها، وكان من ضمن هذه الأشياء العظام والروث الجاف وبعر الحيوانات.

---

1- راجع كتاب «الإنسان بين العين والسحر والجان» لمؤلفه زهير الحموي ص136.

ولكون العظم والبعر والروث من المواد العضوية التي تتكاثر عليها الميكروبات والجراثيم وبيوض الديدان وغيرها، فقد حذّر رسول الله ﷺ من خطر استعمالها لإمكانية التلوّث بها، وقد جاء تحذيره هذا في صيغة جملة من الأحاديث الصحيحة التي حذّرت من استعمال هذه المواد العضوية بسبب أنّها تُشكّل غذاء المخلوقات "الجنيّة" (أي المستورة عن العين) والتي هي الميكروبات والجراثيم التي تتكاثر على هذه المواد العضوية.

جاء في صحيح مسلم، كما روى أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه نهى عن الاستنجاء أو الاستجمار بالروث والعظم لأنّها طعام الجنّ، فقال:

(لا يستنجي أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعر ولا روث).  
مسلم<sup>(1)</sup>

وأورد المهتمون بهذه الأحاديث روايات أخرى، فقد أورد صاحب كتاب (الإنسان بين السحر والعين والجان) الرواية التالية عن سيدنا رسول الله ﷺ فقال:

«ولما خرج رسول الله ﷺ لقضاء حاجته أمر أبا هريرة أن يأتيه بأحجار يستجمر بها وقال له: «لا تأتيني بعظم ولا بروثة» ويبيّن سبب ذلك أنّهما من طعام الجنّ<sup>(2)</sup>.

---

1- راجع في ذلك تفسير ابن كثير

2- المرجع المذكور ص 134. أنظر أيضاً صحيح البخاري وفتح الباري وسنن النسائي

ثم يعلق صاحب الكتاب على هذا الحديث قائلاً:

«لذلك مُهِيناً أن نستجمر بالعظم حتى لا نحرّم الجنّ من أكله»<sup>(1)</sup>.

وهو يقصد هنا أنّه إذا استعمل الإنسانُ العظام في التطهّر والاستجمار فإنّ الجنّ والغفاريّ سَتُحَرَّم من طعامها الذي هو العظام وتموت جوعاً، وهذه هي في رأيهم الغاية من الحديث وهذا هو هدي سيدنا محمد ﷺ، عندهم، في حين أنّ حقيقة الأمر هي أنّ هذه مواد عضوية ولذلك فهي تكون دائماً ملوّثة بالجراثيم والميكروبات التي تتكاثر عليها وتسبب الأمراض والأوبئة الخطيرة والفتاكة لمن يستعملها. وبذلك يحيق الخطر بصحة الناس والمجتمع، ولكنهم لو انتبهوا إلى خطر هذا التلوّث لاستطاعوا حماية أنفسهم ومجتمعهم من خطر انتشار الأمراض والأوبئة بسبب استعمال هذه المواد العضوية التي تتكاثر عليها هذه المخلوقات الجنيّة: (الميكروبات والجراثيم) التي لا تُرى بالعين المجرّدة ولذلك فهي خفيّة عن الإنسان وهي جنيّة وذلك بحسب التعريف اللغوي الذي مرّ معنا في المعاجم اللغوية: "وكل ما ستر عنك فقد جنّ عنك"<sup>(2)</sup> أي هو جنيّ بالنسبة إليك. وهذا هو عين ما بينه سيدنا رسولُ الله ﷺ بلسان عربي مبين، فقال لنا إنّ في هذه المواد العضوية مخلوقات لا تُرى بالعين تتغذى وتتكاثر عليها وهي طعامها، وهي تؤذي الإنسان الذي لا يستطيع رؤيتها لأنّها قد جُنّت عن عينيه وخفيت عنه لدقة

---

3- المرجع المذكور ص134.

4- المرجع السابق الصفحة 134.

حجمها.

أما أن تكون العظام والروث والبر طعام الجحش الأشباح التي منها المؤمنون، بزعمهم، والتي تصلي وتصوم، وقد تفرط على هذه المخلفات المفترض أنها طعامها الذي يجب ألا نحرّمها منه على حدّ زعمهم، فهذا أمر قبوله فوق طاقة العقل المتفكر!

### \* الحديث السادس

وحماية للبيئة من التلوث وانتشار الأمراض بسبب تراكم الذباب والديدان والجراثيم على مخلفات الطعام إذا زُميت أو تُركت، مما يؤدي إلى تكاثر هذه المخلوقات المؤذية بما تسببه من انتشار للأمراض والأوبئة، نجد في الحديث التالي أنّ رسول الله ﷺ قد أمر بالألّا يترك الإنسان شيئاً من الطعام للجراثيم حتى ولو كان بمقدار لقمة واحدة، لأنّها ستكون سبباً في نشر التلوث والوباء الذي يفتك بالناس بفعل "الشيطان" الذي هو جراثيم وميكروبات الأمراض والأوبئة التي تُسبب الالتهابات والحمّيات.

عن ثابت بن أنس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال:

(إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمِط عنها الأذى، وليأكلها ولا يدعها

للشيطان). رواه مسلم

وبذلك يمنع الناس أسباب تراكم الذباب والديدان والجراثيم ويحافظون



على سلامة صحتهم وصحة بيئتهم من الأمراض والتلوث<sup>(1)</sup>.

ألم تر يوماً لقمة طعام في الأرض قد تراكم عليها الذباب أو الدود الصغير أو النمل؟ ولكنك طبعاً لن تستطيع رؤية الجراثيم المتراكمة عليها بالملايين لأنها خفية عن عينيك لصغر حجمها ولذلك فهي من الجنّ بالنسبة إليك، وهي أيضاً من الشيطان لما تسببه من أذى مُهلك للناس حين تنتشر بالهواء مسببة التلوث (بجراثيم أخطر الأمراض والأوبئة).

أم أنك تعتقد أنّ الحديث يتكلم عن الشيطان الشبح المزعوم الذي يقف طوال اليوم منتظراً أن تسقط لقمة من فم الإنسان لينقضّ عليها ويأكلها قبل أن ينفق جوعاً؟!

### \* الحديثان السابع والثامن

وكذلك بيّن لنا سيدنا رسول الله ﷺ أنّ ما يعلق في الهواء من الجراثيم والميكروبات ينجذب إلى فم الإنسان حين يتشاءب بقوة (شفط الهواء) ولذلك فإنّ عليه أن يضع يده على فمه عند التثاؤب:

عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال :

(إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإنّ الشيطان يدخل). رواه

مسلم

---

1- وهذا ينسجم مع هدي رسول الله ﷺ في الحفاظ على نظافة البيئة وصحة المجتمع حيث قال في حديث له (البصقة خطيئة وكفارتها ردمها).

وكذلك فإنّ هذه الجراثيم الموجودة في الهواء الملوث يمكن، إن استنشقتها الإنسان، أن تسبب الأمراض والأوبئة..

وكذلك فإنّ هذه الجراثيم المنتشرة في الهواء والتي يمكن أن تسبب التلوث بالأمراض والأوبئة والحمى والالتهابات يشدّها استنشاق الإنسان وهو نائم مغلق الفم إلى فتحتي أنفه كما بينّ لنا ذلك رسول الله ﷺ فقال:

(إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاثاً فإنّ الشيطان يبيت على خياشيمه). صحيح مسلم

وهكذا بغسل أنفك بالماء والاستنثار تطرّد ما تراكَم من شوائب وجراثيم وميكروبات دقيقة دخلت مع الهواء واستقرت في خياشيمك فتسبب الالتهابات التي هي من الشيطان. أم تعتقدون أنّ الأشباح تنسلّ إلى الأفواه وتسكن في الخياشيم؟

### \* الحديث التاسع

ما يعرفه الناس جيداً هو أنّه ليس من خطرٍ أعتا وأشدّ فتكاً بالناس من انتشار الأوبئة. ومن المعلوم أيضاً أنّ هذا الخطر العاتي المهلك إنما يتسبب عن أحياءٍ دقيقة خفيّة لا تراها العين المجردة بالرغم من عتوّها وشدة خطرهما. جاء في حديث عن رسول الله ﷺ ما يلي:

(سُئِلَ رسول الله ﷺ، ما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن). رواه الحاكم وأبو حنيفة<sup>1</sup>

---

1- راجع «قبس من نور محمد» للدكتور المط.

إنّ كلمة «وخز» هنا ذات دلالة لافتة، وبما أنّ الجرائم مستورة عن عين الإنسان لصغر حجمها فهي تدخل في تعريف الجنّ كما مرّ معنا. وأما عن كونها عدوّاً للإنسان فلا شك في أنّ كلّ ما يؤذي الإنسان كالجرائم وغيرها يدخل في زمرة عدو الإنسان بما تسبب له من هلاك.

وكذلك قد بين لنا سيدنا رسول الله ﷺ أنّ الأحياء الدقيقة المسببة للحمّى والأمراض إنما تنتقل بالعدوى وتدور مع الدورة الدموية للإنسان فتصل إلى أوردته وشرائينه وكل موضع يجري فيه الدم حتى تهلكه فقال:

(إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم). صحيح مسلم

كما ورد عنه ﷺ في رواية أخرى قوله:

(إنّ الشيطان ليلبغ من ابن آدم مبلغ الدم). صحيح مسلم

وهكذا يتبيّن لنا، بكل جلاء ووضوح، من سلسلة الأحاديث التي تناولناها بالدراسة والتحليل في هذا الفصل، أنّ استخدام رسول الله ﷺ للفظي (الجنّ) و (الشيطان) إنما كان استخداماً بيانياً معجزاً من حيث كونه كلاماً عربياً جامعاً، بالإضافة إلى أنّه يشير في كلّ جانب منه إلى معنى دقيق مركّز يفهم الناس منه حقيقة متميزة في حدّ ذاتها.

وأنا لا أقول هنا إنّ لفظة الجنّ والشيطان تعني فقط الجرائم أو الحيوانات المؤذية للناس كما مرّ معنا في الأحاديث السابقة، بل أعني أننا إذا أردنا أن نفهم دلالات استخدام هذه الألفاظ، فلا بد لنا أن نفهمها من جذورها اللغوية من

جهة، ومن سياقها في النص المذكور من جهة أخرى. ولا يصح أبداً الإطلاق أو التقييد في الدلالة والمعنى من غير قرينة أو برهان لغوي واضح وسليم. ولذلك فإنّ إطلاق مفهوم الشبح<sup>(1)</sup> على كلّ لفظة «جني» أو «شيطان» أو حتى إطلاق مفهوم الجراثيم على هذه الألفاظ بصورة دائمة لا يكون صحيحاً ما لم تتم دراسة الدلائل اللغوية المقصودة في النص من أصول اللغة والسياق المترابط مع سياقه.

أشير إلى هذا هنا لأنّ لفظة «الشيطان» يمكن أيضاً، وفي سياق مختلف، أنّ تشير إلى الإنسان ووساوسه وأفكاره ونفسه الأمارّة بالسوء، أو عدّوه المضل المؤذي، أو المشرك والكافر وغيرهم من الناس ممن يتّصفون بالبعد والابتعاد عن الحق والوقوع في حمأة الهوى والضلال الشائن المهلك كما سيتبين معنا لاحقاً.

كما ويجب التفكير بالأسلوب نفسه فيما يتعلق بلفظة الجنّ الواردة في أيّ نص. ويفيد أن نتذكر هنا أنّ الشيطان في التعريف اللغوي وفي عُرف الناس يكون من الجنّ أيضاً.

### \* الجنّ الناس

إنّ هذا البيان المعجز من سيدنا رسول الله ﷺ يضع في أيدينا مفاتيح فهم حقيقة لغز الجنّ والشيطان في أيّ نص كريم من كتاب الله تعالى، أو

---

(1) على حد زعم القائلين بالمفهوم الشيعي للجنّ والشياطين.

حديث شريف له عليه الصلاة والسلام. وعسى أن يفيدنا في هذا المقام ذكر المزيد من الشواهد:

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال في حديث قدسي إنّ الله عز وجل يقول:

(...يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً...يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً).

نرى بوضوح مبين من هذا الحديث القدسي أنّ الله عزّ وجل قد أطلق على كلتي الفئتين (الإنس والجن) لفظة (إنسان) وذلك في قوله عزّ وجلّ في الحديث ذاته:

(فأعطيت كلّ إنسان مسألته).

بعد أن قال: (إنسكم وجنّكم...فسألوني).

إذن كما أنّ الإنس هم من الناس، فالجنّ أيضاً هنا هم من الناس في نص هذا الحديث القدسي، وهذا هو عين ما جاء في معاجم اللغة العربية حيث قرأنا في لسان العرب وغيره:

"والناس قد يكون من الإنس ومن الجن"<sup>1</sup>.

يتّضح لنا إذن من هذا الحديث القدسي أنّ الله عزّ وجلّ إنّما يخاطب (الناس) حصراً لأنّ جمع (الإنسان) هو (الناس)، التي مفردها أيضاً (لإنسان)، ولذلك قال ربّنا عزّ وجلّ في هذا الحديث القدسي بعد أن ذكر خطابه للإنس والجن، قال: "فأعطيت كلّ إنسان مسألته".

فإذا لم يكن «الجنّ» فئة من الناس الذين واحدهم «الإنسان» فلماذا لم يقل ربنا: فأعطيت كلّ إنسان وجنيّ مسألته؟

طالما أنّه عزّ وجلّ قد قال لو أنّ جميع «الإنس والجن» قاموا فسألوني؟

إنّ معنى هذا الحديث لا يمكن أن يستقيم هنا إلّا إذا أخذنا بالمعنى اللغوي الصحيح ومنطق السياق والسباق والذي يبيّن بكل تأكيد أنّ «الجنّ» هم فئة من الناس ولكنّها تتميّز بقدرات خاصّة عن الناس العاديين، ولذلك فإنّ الحديث القدسي هنا يخاطب الفئتين كليهما من الناس: العاديين منهم وغير العاديين من الأثرياء وأصحاب السلطان والقدرات المتميزة وكلاهما من عباد الله، ولذلك خاطبهم الله تعالى بقوله: "يا عبادي"<sup>(2)</sup>.

\* شاهد آخر

---

<sup>1</sup> - سبق ذكر المرجع.

<sup>1</sup> - راجع «المفهوم الإسلامي الصحيح للجنّ والشياطين» لمؤلفه الأستاذ نذير المرادني.

جاء في سيرة ابن هشام<sup>(1)</sup> في ذكر إحدى البيعات لرسول الله ﷺ أنه قال لمن يبايعونه:

(أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون عنه نساءكم وأبناءكم.. فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما تمنع به أزرنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر» ثم قام أسعد بن زرارة فأخذ بيد رسول الله ﷺ، وقال لقومه:

(إنكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم، والجنّ والإنس قاطبة)<sup>(2)</sup>.

ويعلّق الدكتور الخالدي في كتابه (البيعة في الفكر السياسي الإسلامي)، فيقول:

"فكان مقصود هذه البيعة حماية الحكم الذي يزمع إقامته والدولة التي يعمل لإعلانها، فكان موضوع البيعة نصرة الإسلام داخل كيان سياسي"<sup>(3)</sup>.

نلاحظ من نص هذه البيعة الموثّق قول هذا السيد العربي لقومه:

(إنكم تبايعونه—أي رسول ﷺ—على أن تحاربوا العرب والعجم والجنّ والإنس قاطبة).

---

2- ابن هشام ج2.

3- الفائق في غريب الحديث ج1 ص205، وانظر «الكامل في التاريخ» ج2 ص99، وراجع «البيعة في الفكر السياسي الإسلامي» للدكتور محمد الخالدي ص28.

4- المرجع المذكور ص28.

ونلاحظ أنّه يلفت نظر قومه إلى أنّهم لن يحاربوا العرب والعجم والإنس فقط، بل و«الجنّ» أيضاً. فهل سجّل التاريخ يوماً حرباً قامت بين جيش من الإنس وأشباه من الجنّ باعتبار الجنّ أشباحاً غير مرئية على حد اعتقاد الزاعمين بذلك؟

إنّ كلمة «الجنّ» هنا تعني ضمن ما تعني جنّ الناس أي أشدّاءهم وغرباءهم ودهماءهم ومعظمهم وأثرياءهم وأصحاب السلطان والقدرات الخاصّة، كما مر معنا من معاجم اللغة العربية حيث وجدنا:

"وجنّ الناس معظمهم لأنّ الداخل فيهم يستتر بهم".

و"جنان الناس جماعتهم وسوادهم ودهماؤهم".

وجن الشباب: أوله وجدته ونشاطه<sup>(1)</sup>.

وكذلك مرّ معنا أنّ كلمة "الجنّ" تعني في اللغة ضمن ما تعني: الغرباء من الناس والأجانب عن البلاد. جاء في موسوعة لين:

"الجنّ: الغريب"<sup>(2)</sup>.

هكذا نجد أنّ استعمال لفظة "الجنّ" هنا لم تكن تعني الأشباح والأرواح، بل كانت تعني المعنى الشائع والمشهور لدى العرب، أهل اللغة العربية، كما بيّنا آنفاً، وكان المقصود بها فئات متميزة من الناس البشر الذين هم أيضاً

---

1- لسان العرب مادة «جنن» والفصل الثالث من هذا الكتاب.

2- راجع موسوعة لين في اللغة العربية.



من أبناء آدم عليه السلام.

استأنسنا في هذا الفصل بطائفة من أحاديث وبيان سيدنا رسول الله ﷺ، وتحققنا من دلالتها اللغوية والبيانية فيما ذكر عن (الجنّ) و(الشيطان) وأدركنا معاً البيان المعجز الجامع والدقيق والسابق في حقائقه لعصر العلم والاكتشافات الحديثة، وثبت معنا كيف أنّ سيدنا رسول الله ﷺ، يبقى الرائد في العلم والبيان، شريطة ألاّ ننحو في فهم بيانه منحى الخرافة التي يرفضها العقل الراشد والمنطق السليم.

## الفصل السابع

# في بيان القرآن: الإسلام رسالةٌ إلى الناس حصراً

قال ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾

آل عمران 139

علماء اليوم يَعْلَمون الناسَ الاعتقادَ بأنَّ الجنَّ مخلوقاتٌ غيبيةٌ شبحيةٌ

مخيفةٌ، وأنهم صنفٌ آخر غير صنف الناس، يقولون:

"الجنُّ كالملائكة من الأمور الغيبية التي لا نعلم عن وجودها إلاَّ عن طريق الخبر الصادق، وكذلك لا نعلم عن حقيقتها وصفاتها إلاَّ من الطريق نفسه"<sup>(1)</sup>.

ويتابعون القول:

"إنهم صنف غير صنف الملائكة والإنسان، فهم مخلوقون من مارج من نار، أي من أخلاط نار صافية"<sup>(2)</sup>.

ثم يفصلون:

"إنهم مخلوقون قبل الإنس.. وإنهم يتناسلون ولهم ذرية.. وإنَّ من شأنهم أنهم يروننا من حيث لا نراهم.. وإنَّ الإنس لا يرون الجنَّ ما داموا على حالتهم التي هم عليها، وأما لو تحوَّلوا إلى شكل آخر فمن الممكن رؤيتهم.. والجنَّ قسمان: مؤمنون وكافرون، وهذا تابع لما منحهم الله إياه من الإرادة والاختيار، والكافرون منهم شياطين، وهم جنود الشيطان الأكبر إبليس اللعين، الذي كان أول من عصى أمر ربه من الجنَّ، وأول من كفر بنعمة الله منهم"<sup>(3)</sup>.

---

1- من كتاب الأستاذ في كلية الشريعة الدكتور مصطفى سعيد الخن في كتابه المقرر: «مبادئ العقيدة الإسلامية» طبعة عام 1987. 1988 بحث الجنَّ.

2- المرجع السابق

3- المرجع السابق

ويتحدثون عن القدرات الخارقة للجنّ فيقولون:

"إنّ لهم قدرات كبيرة ومهارات صناعية فائقة. فقد سَحَّرَ اللهُ  
لسليمان الجنّ يقومون بأعمال البناء الضخم والغوص في البحار،  
والأعمال الصناعية الرائعة كالجفان الكبيرة والقصور الراسية،  
والأعمال الفنيّة كالتماثيل والصور، وقد كانت جائزة ثم حُرِّمَتْ في  
الإسلام، إلى غير ذلك من الأعمال.." (1).

ويبيّنون حال الجنّ قبل بعثة محمد ﷺ فيقولون:

"إنهم كانوا قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام يسترقون السمع  
من أفواه الملائكة من السماء وينقلونها إلى قرائهم من الإنس في  
الأرض" (2).

وأما عن قدرتهم على التشكل، فيزعمون:

"إنّ لهم قدرة على التشكّل بالأشكال الجسميّة التي يمكن أنّ نراها  
بحسب استعداداتنا البشريّة" (3).

وعن تأثير الجنّ في أجسام "الإنس" يقولون:

"قد يؤثّر بعض خبثاء الجنّ بعض التأثير في أجسام بعض من  
الإنس، ولكن يكون هذا التأثير على من يستكين بأوهامه وتخيلاته

---

(1) من كتاب الأستاذ في كلية الشريعة الدكتور مصطفى سعيد الخن في كتابه المقرر:  
«مبادئ العقيدة الإسلامية» طبعة عام 1987. 1988 بحث الجنّ.

(2) المرجع السابق

(3) المرجع السابق

لسلطائهم من ذكر أو أنثى، أو يتعرض لتقبل مسّهم ونخباطهم باستعاذته بهم والتماسه نفعهم، أو استخدامهم للإضرار بأعدائه من إخوانه من الإنس، أو يغفل عن ذكر وتلاوة القرآن، ويتجافى عن التحصّن من شرهم بالأوراد المأثورة، والاستعاذات الدائمة بالله من كيدهم" (1).

ويؤكّد علماء المسلمين وجماهيرهم أنّ الجنّ مطالبون بالتكاليف الشرعية الواردة في الدين الإسلامي، فيقولون:

"ذهبت جماهير أهل العلم إلى أنّ الجنّ مكلفون بالشرائع الإلهية، وأنهم تتناولهم الأوامر والنواهي الشرعية.. وإنّ مُسيئهم كما يستحق العذاب بإساءته، فمحسنهم يستحق الدرجات بإحسانه، وذلك كله يستلزم أنهم كانوا في الدنيا مأمورين بالشرائع ومتعبدين بها.. فالجنّ مكلفون كما أنّ الإنس مكلفون، وإنّ تكاليف الجنّ هي تكاليف الإنس من حيث الإجمال، وأما من حيث التفصيل فقد يختص الجنّ بأحكام فرعية جزئية دون الإنس، لاختلافهما في الجنس، كما نص عليه العلماء والله أعلم" (2).

ورغم إصرار هؤلاء السادة على أنّ الجنّ مخلوقات غيبية من غير جنس الناس، فإنهم بالإضافة إلى ذلك يعدّون من لا يعتقد بوجودهم على هذه الصورة الشبحية الغيبية كافراً مرتداً وخارجاً عن ملّة الإسلام، حيث ورد في

---

(1) المرجع السابق

1- راجع كتاب «الإيمان بالملائكة» لمؤلفه الأستاذ عبد الله سراج الدين.

كتاب الدكتور الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (كبرى اليقينيّات الكونية) ما يلي:

"أجمع المسلمون على أنّ الإيمان بوجود الجنّ من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله عز وجل<sup>(1)</sup> وإنّ إنكارهم أو الشك في وجودهم يستلزم الردّة والخروج عن الإسلام"<sup>(2)</sup>.

ولاشك في أنّ المتهم بالردّة عند هؤلاء السادة يجوز عليه تطبيق حكم المرتد، وهو القتل على حد زعمهم وبذلك فإنّ الذي لا يؤمن بالوجود الشبحي للجن يصير مرتدّاً دمه مهدور وقتله حلال مباح<sup>(3)</sup>.

وجاء أيضاً في كتاب الدكتور مصطفى سعيد الحنّ المدرّس في كليّة الشريعة ما يلي:

"وفي شريعة الإسلام أنّ منكر وجودهم -أي الجنّ- كافر خارج عن الملة الإسلامية لمخالفته الأدلّة القطعية في ثبوتها ودلالاتها"<sup>(4)</sup>.

وكما بيّنا آنفاً فإنّ المقصود بالإنكار هنا ليس مجرّد الإنكار الكلّي، بل إنّ

---

2- أستغرب كيف يقول الدكتور البوطي ذلك، مع أنّ أركان الإيمان المعروفة في الإسلام لم يرد فيها ذكر الجنّ مطلقاً، بل هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

3- ص 280

4- راجع فصل بحث الردّة وأسبابها في كتاب (كبرى اليقينيّات الكونية) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وراجع كتاب (قتل المرتد، الجريمة التي حرّمها الإسلام) لمحمد منير إدلبي.

5- ص 317 من المرجع المذكور.

هؤلاء السادة يقصدون إنكار الجنّ على أنّها مخلوقات غيبية من غير جنس البشر من أبناء آدم عليه السلام، أي إنكار فهمهم هم!

وددنا لو أنّ الحق وافقهم أو لو أنّهم هم وافقوا الحق في زعمهم هذا. ولكن ما باليد حيلة، حيث أنّ الدارس للقرآن الكريم—على أساس أنّه رسالة إلى الجنّ أيضاً ليؤمنوا به وبمن أنزل عليه—يجد أنّ القرآن يؤكد على حقيقة أنّه قد نزل حصراً رسالة إلى الناس البشر من أبناء آدم عليه السلام، وأنه ليس بأيّ حال من الأحوال رسالة إلى غير البشر كما يزعمون، بل هو رسالة من الله إلى الناس حصراً؛ وإليكم فيض البيان الذي جاء في كتاب الله عز وجل، القرآن الكريم:

### \* القرآن الكريم كتاب أنزله الله للناس فقط

الآيات التالية من كتاب الله عز وجل تؤكد بكل وضوح أنّ القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى إلى الناس حصراً وليس إلى أشباح أو أرواح:

قال ربنا عزّ وجلّ في سورة آل عمران 139: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

وفي سورة البقرة 186 قال ربنا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ..﴾

وفي سورة إبراهيم 53 قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ..﴾

وفي سورة القصص 44: ﴿..بَصَائِرَ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

وفي سورة الإسراء 107: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ..﴾

وفي سورة النحل 45: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ..﴾

وفي إبراهيم 2: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..﴾

وفي سورة الزمر 42: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ..﴾

وفي سورة الجاثية 21: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

وفي سورة النساء 174: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ..﴾

وفي سورة يونس 58: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ..﴾

ها نحن نرى هنا أنّ القرآن الكريم إنما هو حصراً:

بيان للناس.

هدى للناس.

بلاغ للناس.

بصائر للناس.

برهان للناس.

موعظة للناس.



شفاء لما في صدور الناس.

لتقرأه على الناس.

لتبين للناس.

لتخرج الناس: ﴿من الظلمات إلى النور﴾

للناس بالحق.

ورحمة للناس.

فأين ذكر الأشباح والأرواح الجنيّة هنا؟

إنّ هذه الآيات الكريمة لتؤكد لنا بأنّ القرآن قد أنزله الله تعالى حصراً للناس.

\* محمد ﷺ رسول الله إلى الناس حصراً

وكذلك يبين لنا القرآن الكريم ويعلمنا أنّ الله تعالى قد أرسل سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام رسولاً إلى الناس حصراً. وإليكم البيان الإلهي:

قال ربنا تبارك وتعالى في سورة النساء 80: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

وفي سورة سبأ 29: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

وفي سورة الأعراف 159: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

جَمِيعًا﴾

وفي سورة يونس 3: ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وفي سورة إبراهيم 45: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾

وفي سورة الحج 50: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

إنَّ كلمة "إنما" تفيد الحصر كما يعرف أهل اللغة العربية جيداً.

وكذلك قال ربنا تبارك وتعالى في سورة يونس 109:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

وفي سورة النحل 45: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

وفي سورة النساء 106: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ

النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

وفي سورة النساء 171: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾

وكذلك بيّن الله تعالى أنّه قد أرسل أيضاً جميع الرسل إلى الناس ليحكموا

بالحق بما أنزل الله عليهم، يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة البقرة 214:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾

وهكذا نوقن من كتاب الله أيضاً أنّ الله تعالى قد أرسل محمداً ﷺ

برسالة القرآن والإسلام إلى الناس حصراً—الذين هم بشر من أبناء آدم عليه السلام.

ها قد وجدنا هنا في بيان الله تعالى عن مهمة محمد عليه الصلاة والسلام التي أرسله الله ليبلغها، فقال تعالى:

وأرسلناك للناس

وما أرسلناك إلا كافة للناس

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم

أنّ أنذر الناس

يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير

لتبين للناس

لتحكم بين الناس

وهكذا نجد في بيان الله وآياته أنّ محمداً ﷺ إنما هو رسول من الله تعالى إلى الناس وليس إلى جنس آخر من غير الناس أشباحاً كانوا أم أرواحاً.

**\* الآيات والأمثال في القرآن الكريم إنما هي للناس حصراً**

على فرض أنّ "الجنّ" أشباح من غير جنس البشر من الناس على ما يزعمون، وعلى أساس أنهم مأمورون بالإيمان بالقرآن الذي هو كتاب لهم

أيضاً، فهذا يعني أنه يجب أن يكون الله تعالى قد أنزل في القرآن الكريم أمثالاً لهم ليتهتدوا بها وألا تكون هذه الأمثال محصورة بالناس فقط، فهل حقيقة الأمر كذلك؟

يبين الله تعالى لنا في كتابه المجيد أنّ الآيات والأمثال التي أنزلها في كتابه إنما هي حصراً للناس، وإليك البيان:

يقول ربنا عز وجل في سورة البقرة 222: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾

فهنا بيان الآيات حصراً للناس ولا علاقة لغير جنسهم بها.

ويقول ربنا تبارك وتعالى في سورة العنكبوت 44: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾

إذن ماذا تستفيد المخلوقات التي هي من غير جنس الناس من هذه الأمثال القرآنية وماذا تستطيع أن تأخذ من القرآن لنفسها إذا كانت الأمثال فيه حصراً للناس فقط؟

ويقول ربنا في سورة الروم 59: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

وفي سورة محمد 4: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾

وفي سورة الحشر 22: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

وفي سورة النور 36: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

وفي سورة البقرة 188: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

فإذا كان الله تعالى يبيّن الآيات للناس فقط، فكيف يستطيع "الجن" إذا كانوا من غير جنس الناس أن يتبينوا الآيات وأن يتقوا حتى لا ينالهم عقاب الله تعالى؟

وهكذا نجد من كتاب الله تعالى أن بيان الآيات والأمثال، وبالتالي كل ما جاء في القرآن الكريم إنما هو حصراً للناس وليس لمخلوقات خفية من غير جنس الناس على ما يزعم الزاعمون.

### \* البيت والحج للناس حصراً

على فرض أن الجنّ مخلوقات شبحية خفية من غير جنس البشر، وعلى أساس أنهم مكلفون بالإيمان بالقرآن والإسلام وأنهم محاسبون على تطبيق أركانه، فهذا يعني أنهم مكلفون أيضاً بالحجّ إلى بيت الله الحرام وبما أن الحجّ ركن من أركان الإسلام، فهذا يعني أن الله تعالى كما جعل البيت الحرام للناس، فكذلك يجب أن يكون أيضاً لهذه المخلوقات على اعتبار أنها مكلفة بالإيمان ورسالة الإسلام، أما إذا ثبت أن الحجّ للناس حصراً، فماذا يفعل الجنّ إذا كانوا من غير جنس الناس؟

هل يكون لهم بيت خاص بهم وحج خاص بهم، أم أنهم لا يحجون؟

وإذا كانوا لا يحجون فكيف يقيمون أركان الإسلام كاملة؟

يبين الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم أنه عز وجل قد وضع البيت الحرام للناس حصراً وأنه قد فرض الحج على الناس حصراً.

قال ربنا في سورة الحج 26: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾  
فهذا المسجد الحرام قد جعله الله للناس فقط.

وقال تعالى في سورة البقرة 126: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾  
وهذا بيت الله مثابة للناس فقط وأمناً لهم هم حصراً.

وقال تعالى في سورة آل عمران 97: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي  
بِبَكَّةَ﴾

وها هو ذا بيت الله في مكة قد وضعه الله للناس فقط.

وفي سورة المائدة 98: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾

فالكعبة للمسلمين وهي للناس حصراً.

وبيين ربنا تبارك وتعالى أنّ الحج فريضة على الناس حصراً فيقول في سورة  
آل عمران 98:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

ولم يقل ربنا والله على الناس والجنّ حج البيت. لماذا؟ أفلا تتفكرون؟

\* في القرآن الكريم يضرب الله تعالى الأمثال بالناس فقط:

وعلى فرض أنّ القرآن الكريم كتاب لـ "أشباح" الجنّ أيضاً فيلزم من ذلك أنّ يجدوا فيه أمثالاً تُضرب بهم ولهم ليتعلّموا منها وليتّقوا الله ربهم، ولكن الدارس للقرآن المجيد يجد أنّ جميع الأمثال إنما تُضرب بالناس وللناس فقط مصداقاً لقول الله عز وجل:

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ محمد 4

ونبدأ بقول ربنا عز وجل في سورة البقرة 9:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

وفي سورة البقرة 166: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً﴾

وفي سورة البقرة 205:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

وفي سورة البقرة 208: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾

وفي سورة البقرة 201: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي

الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

وفي سورة الحج 4: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ

شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾

وفي سورة الحج 9: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾

وفي سورة الحج 12: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾

وفي سورة لقمان 7: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

وهكذا أمثال القرآن جميعاً تذكّر الناس وحدهم وتحذّرهم من السقوط في الخطأ. فلماذا لا يكون في القرآن الكريم مثال واحد يقول: ومن الجنّ، كما قال مراراً: ومن الناس؟

أليس الجنّ بحاجة إلى التعليم القرآني، أم أنّ ما ينطبق على الناس ينطبق عليهم أيضاً؟

### \* الخطاب في القرآن الكريم موجه إلى الناس حصراً

وكذلك نجد الخطاب في القرآن الكريم يتوجه إلى الناس حصراً، وأما ما ورد في سورة الرحمن فسنبيّن معناه في حينه بعون الله تعالى، وندرس الآن معاً الخطاب القرآني للناس: يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الحج 2:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

ألا يحتاج الجنّ أيضاً إلى الإنذار بأن يتّقوا ربهم خوفاً من زلزلة الساعة أم أنهم لا يقومون في الساعة لرب العباد؟



وفي سورة فاطر 4: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

وفي سورة فاطر 6: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾

وفي سورة فاطر 16: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

أليس الجنّ فقراء إلى الله؟

وفي سورة الحج 6: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾

وفي سورة العنكبوت 3: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

ونجد في سورة الروم 42 أنّ الفساد قد ظهر في الأرض بسبب الناس:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

وهل الجنّ بريؤون من إظهار الفساد في الأرض، أم هل شياطينهم

أيضاً غير ملومين على ما ظهر في الأرض من فساد؟! ولماذا يلعن الناس الشيطانَ إذاً؟

أم أنّ الجنّ من الناس، وهم جميعاً مشتركون في الفساد في الأرض؟

## \* الحساب للناس فقط

وكذلك نجد في بيان القرآن الكريم أنّ يوم الحساب إنما هو يوم موعود للناس حصراً، وأنّ المخلوقات الأخرى التي هي من غير جنس الناس ليست معنية بيوم الحساب، على الزعم بأن الجنّ من غير جنس الناس، وإليكم البيان:

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الأنبياء 2: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾

وماذا عن الجنّ؟ ألم يقترب حسابهم؟ أم أنّ يوم حسابهم لا يزال بعيداً؟

وفي سورة المطففين 7: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ولماذا لا يقوم الجنّ أيضاً لرب العالمين؟

وفي سورة هود 104: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾

ولماذا لا يكون مجموع له الجنّ والناس؟

وفي سورة آل عمران 10: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

ولمّ تمّ تقبل الآية الكريمة: ربنا إنك جامع الجنّ والناس ليوم لا ريب فيه؟

وفي سورة إبراهيم 45: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾

وماذا عن الجنّ، ألنّ يأتيهم العذاب، أم أنّهم غير مكلفين، أم أنّ

الإنذار هنا يعينهم أيضاً لكونهم فئة من الناس؟

وفي سورة الدخان 11-12:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ \* يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ولماذا يغشى دخانُ العذاب الناسَ فقط ولا يغشى الجنَّ؟ ألاَّهم مخلوقون من نار ولا يهيمُّهم الدخان؟ أم أنَّ الدخان يغشاهم هم أيضاً لأنهم هم من الناس كذلك؟

وفي سورة الحج 3: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

وفي سورة الإسراء 61: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾

هل أحاط ربنا بالناس فقط ولم يُخط بالجنَّ؟

وفي سورة الجاثية 27: ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وفي سورة الأحقاف 7: ﴿وَإِذَا خُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾

وفي سورة غافر 60: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

وماذا عن الجنَّ، هل جميعهم مؤمنون؟

وفي سورة الحج 2: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

وماذا عن الجنِّ إلا تزلزلهم الساعة؟

وفي سورة الزلزلة 7: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾

والجنُّ ألا يصعدون ليروا أعمالهم؟ وكيف يصعدون: ولمَّ لم تذكرهم الآية الكرمة؟

وفي سورة القارعة 5: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾

وكيف يكون الجنُّ؟ ليس من ذكر لهم في السورة!

ونجد أيضاً في بيان القرآن الكريم أنَّ الدار الآخرة خاصة بالناس فقط،  
نقرأ في سورة البقرة

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ 95

ونقرأ في سورة البقرة 25 أيضاً أنَّ الناس فقط هم الذين سيكونون  
وقوداً للنار وليس مخلوقات حية أخرى من غير صنف الناس، يقول ربنا  
تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

ولمَّ لم يقل ربنا: اتقوا النار التي وقودها الناس و"الجنِّ" والحجارة؟ ألم يقل  
عزَّ وجل في آية أخرى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود 120

فكيف إذن لا يكون الجنّ وقوداً لجهنم ويكون الناس حصراً  
وقوداً لها؟ أم أنّ الجنّ هم من الناس أيضاً؟

### \* مزيد من فيض البيان القرآني

نحن نؤمن أنّ الله تعالى رؤوف بالعباد جميعاً، ولكننا نقرأ في سورة البقرة  
144: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

وماذا عن الجنّ، أليس الله رؤوفاً ورحيماً بهم؟

وبعلّمنا القرآن الكريم أنّ دين الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله  
الناسَ عليها، فهو لذلك ينسجم مع طبيعتهم وفطرتهم ويلقى منهم القبول  
والاستحسان، قال تعالى في سورة الروم 31:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

فعلى أساس أنّ الجنّ أيضاً مأمورون بالإيمان بالإسلام، إذن لابد أن  
يكون دين الإسلام منسجماً أيضاً مع فطرتهم كما هو منسجم مع فطرة  
الناس، فهل هذا يعني أنّ الفطرة التي فُطر الجنّ عليها هي الفطرة نفسها  
التي فُطر الناس عليها؟

أم أنّ الجنّ هم فئة من الناس كما تقول معاجم اللغة العربية؟

قال ربنا تبارك وتعالى في سورة الحج 19:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴿١٠﴾

نرى في هذه الآية الكريمة أنّ جميع خلق الله تعالى يسجدون له عز وجل:

يسجد له من في السموات.

ويسجد له من في الأرض.

والشمس تسجد له.

والقمر يسجد له.

والنجوم تسجد له.

والجبال تسجد له.

والشجر تسجد له.

والدواب تسجد له.

وكثير من الناس يسجدون له.

كل هؤلاء يسجدون له، فأين ذكر الجن ولماذا لا يسجدون له؟

ولنفرض أنّ الكافرين من الجن لا يسجدون لله على شاكلة الكافرين من الناس، ولكننا نجد أنّ الله عز وجل قد ذكر أنّ كثيراً من الناس يسجدون، وكثير حقّ عليهم العذاب.

إذن لماذا لم يذكر الله أنّ المؤمنين من الجنّ هم أيضاً يسجدون له؟

أم أنّ الجنّ لا يسجدون لله؟

أم أنّهم من الناس الذين يسجدون له كما يسجد الخلق أجمعون؟

وهكذا نجد في بيان القرآن الكريم أنّ:

القرآن رسالة من الله تعالى إلى الناس حصراً،

وأنّ محمداً ﷺ هو رسول الله إلى الناس حصراً،

وأنّ الآيات والأمثال والموعظة والهدى في كتاب الله هي جميعها للناس حصراً،

وأنّ البيت الحرام وضعه الله للناس حصراً،

وأنّ الحج فريضة على الناس حصراً،

وأنّ القيامة يومٌ مجموع له الناس حصراً..

وهكذا القرآن كلّهُ للناس وبالتالي الإسلام رسالة الله التي أنزلها على عبده محمد ﷺ إنما هو رسالة إلى الناس حصراً، وليس إلى مخلوقات مختلفة من غير جنس الناس —الذين هم بشر من أبناء آدم عليه السلام.

من خلال هذا البيان القرآني الكريم تتوضّح لنا حقيقة قرآنية لا بد من الأخذ بها، وهي إمّا أن يكون الجنّ فئة من الناس وبالتالي فإنّ جميع ما

جاء في القرآن الكريم من هُدي وتعليم وأمر ونهي يَخُصُّهم وهم مكلفون به محاسبون عليه، أو إذا أخذنا بالزعم القائل أنهم مخلوقات غيبية من غير جنس الناس، فهذا سيُلزِمنا بالاعتقاد أنَّ القرآن لا يعينهم وأنَّ الإسلام لا يَخُصُّهم وأنهم غير مكلفين.

ولكنَّ الحقيقة في كتاب الله تعالى هي أنَّ الرسول المصطفى محمد ﷺ قد بلغ الجنَّ رسالة الإسلام وأنهم قد آمنوا بها، قال تعالى في سورة الجن 2:

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا﴾

إذن الجنَّ معنيون أيضاً بالإيمان بالقرآن والدخول في الإسلام وهم مكلفون ومحاسبون، قال تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ \* ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ الأنعام 131

تؤكد هذه الآية الكريمة أنَّ الله قد أرسل إلى الجنَّ رسالاً يدعوهم إلى الإيمان وأنهم كبقية الناس قد غرَّتهم الحياة الدنيا، فكفروا، وأنهم من أهل القرى التي لا يهلكها الله بظلم وأهلها غافلون لم يُرسل إليهم.

فإذا كان الجنَّ مكلفين ومحاسبين كما الناس مكلفون ومحاسبون فهذا



يعني أنّ جميع التعاليم القرآنية التي تخاطب الناس إنما تعنيهم هم أيضاً على أساس أنهم فئة من الناس ولكنها تميّزت بالثروة والقوة والسلطان والأثر البالغ في الناس، وهم لذلك من جنّ الناس وليسوا أنس الناس البسطاء العاديين.

قال تعالى في سورة الذاريات 57: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

أي إنّ هاتين الفئتين مأمورتان بعبادة الله تعالى بحسب تعاليم القرآن والحديث التي هي ذاتها رسالة الإسلام للناس جميعاً وليس لجنس آخر من غير الناس.

ونلاحظ من الآية السابقة أنها تتحدث عن رسل من الجنّ، ونذكر في مقام آخر من القرآن الكريم قول ربنا عز وجل في سورة يوسف 110 مخاطباً عبده محمداً ﷺ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾

إنّ قول ربنا ﴿إِلَّا رَجَالاً﴾ في هذه الآية يفيد الحصر كما هو معلوم لأهل البيان العربي، وهذا يعني أنّ الله تعالى لم يرسل رسالاً إلا كانوا رجالاً. وإذا لاحظنا البيان الإلهي في قول ربنا عز وجل: ﴿رَجَالاً مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ نزداد تأكيداً بأن هؤلاء الرجال إنما كانوا بشراً من أهل القرى المعروفين للناس، والمقيمين فيها.

وقد يكون ثمة من يزعم أنّ كلمة 'الرجل' في اللغة العربية يمكن أن تعني أيضاً الذكّر من المخلوقات الشبحية التي هي الجنّ بزعمهم. وردّاً على هؤلاء

السادة تُحيلهم إلى ما جاء في معجم لسان العرب، قال:

"الرجل: معروف، الذَّكَر من نوع الإنسان.. وقالوا: ما أدري أيّ ولد الرجل هذا: يعني آدم"(1).

جاء في المعجم الوسيط ج 1:

"الرجل: الذكر البالغ من بني آدم".

وجاء في التفسير الكبير في تفسير سورة الجن:

"الرجل: اسم الإنس لا اسم الجن".

لا شك في أنّ المجال يتسع للمزيد والمزيد من البيان الإسلامي العظيم؛  
إلا أنني أرجو أنّ يكون الله تعالى قد وفقني في لفت النظر وعرض البيان  
القرآني لمن آمن بالله واليوم الآخر ولم يجعل فوق حديث الله حديثاً، قال  
تعالى: ﴿فَبَآئِيَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الجاثية 7

صدق الله العظيم



## الفصل الثامن

# حقيقة مفهوم الجنّ والشياطين في بيان القرآن الكريم

قال الله تعالى

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ النجم

قد تبين لنا بالتحقيق في الفصل الثاني من هذا الكتاب أنّ الإيمان بالجنّ على أنها مخلوقات شبحية من غير صنف الناس، يؤدي إلى وجود إشكالات قرآنية تستلزم وجود تناقض واختلاف كبير في آيات القرآن الكريم من جهة، كما تؤدي إلى وجود تناقض وتعارض بين الحديث الصحيح والقرآن الكريم من جهة أخرى. وبما أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أُحكمت آياته فلا يصحّ الزعم بوجود أيّ اختلاف أو تناقض فيه، قال ربنا عزّ وجلّ:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء 83

وهذا يعني أنّ بروز أيّ اختلافٍ أو تناقض في القرآن الكريم إنما يكون حتما بسبب الإصرار على فهم خاطئ واعتباره صحيحا غير قابلٍ للنقاش أو لإعادة البحث والتحقيق.

سنعمد في هذا الفصل، بعون الله تعالى، إلى شرح وبيان معظم الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الجنّ، والتي—بسبب عدم فهمها فهماً صحيحاً—مال معظم الناس إلى الاعتقاد بالوجود الشّبحي الخرافي للجنّ، في حين أنّ القرآن الكريم يؤكد في آياته المعجزة على حقائق وبيانات إلهية عظيمة أخرى تتعلق بمفهوم الجنّ والشياطين.

ولما كان الإشكال والاختلاف ناشئين عن الخطأ في فهم الناس حتماً، وذلك لاستحالة وجود تناقض أو اختلاف في القرآن الكريم، كان لابد من

إعادة التحقيق في أفهامنا واعتقاداتنا، وحينئذ سيبتين لنا الفهم الصحيح  
السليم بعون الله تعالى، وسيزول معه كل إشكال أو اختلاف.

مرّ معنا في تحقيقنا اللغوي أنّ كلمة الجنّ تُطْلَق فيما تطلق على الناس..  
سوداهم ودهمائهم وشبابهم والغرباء، كما وأنها تعني عظماء القوم وأثرياءهم  
وزعماءهم الذين يملكون القدرات على الأعمال ذات الأثر الكبير في الناس  
فيكون لها سواد وانتشار وتغطية فتُجَنِّهم كما جنّ الليل على سيدنا إبراهيم  
عليه السلام، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ الأنعام 77

أي غطّاه وسأّره وأجنته واحتواه، ولهذا فإنّ مفهوم الجنّ يدخل في كلّ ما  
يُغَطّي ويسود ويسيطر بقدرة ما، سواء بشكل واضح ومكشوف، أو بشكل  
خفي مستتر وغير مباشر، ولهذا فإنّ أصحاب القدرات الخاصة من الناس،  
كالفنانين والعلماء والمفكرين والأثرياء والزعماء يدخلون جميعاً في فئة الجنّ من  
الناس، ولقد فهم الأولون من السلف الصالح حقيقة اشتراك فئة الجنّ من  
الناس مع الإنسان في لفظة "الناس" حيث جاء في التفسير الكبير للإمام  
فخر الرازي قوله:

"والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه الإنس والجنّ ما روي أنه  
"جاء " نفر من الجنّ فقيل لهم من أنتم؟ فقالوا أناس من الجنّ "<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>- راجع ((التفسير الكبير)) للإمام فخر الدين الرازي المجلد 32 الصفحة 199 طبعة دار  
إحياء التراث العربي.

وعسى أن يفيد في هذا المقام أن نُذكّر بما جاء في معجم "لسان العرب" الشهير في بيان معنى لفظة الجنّ، قال:

"جن الناس: معظمهم: لأن الداخل يستتر بهم"

ها أنت ترى معي بكل وضوح أنّ هناك جنّاً من الناس من أبناء آدم، وهذا يعني أنك تستطيع القول بحق إنّ من الناس من يكون جنّاً، كما ويمكنك القول إنّ من الناس من لا يكون جنّاً، وكلاهما من الناس، وهذا هو عين ما بيّنته سورة الناس التي سنشرحها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

وكذلك بيّن ابن منظور في قاموسه أن مرحلة الشباب عند الناس هي مرحلة جنّ الشباب، فقال:

"وجنّ الشباب: أوله، وقيل جدّته ونشاطه ويقال كان ذلك في جنّ صباه، أي في حدّاته"<sup>1</sup>

فهل كنت، عزيزي القارئ، تعلم ذلك عندما كنت في جنّ صباك؟ ويؤكد صاحب قاموس لسان العرب حقيقة أنّ لفظة (الناس) تعني وصفاً لفئتين كلاهما من الناس فيقول:

"الناس: قد يكون من الإنس ومن الجنّ"<sup>2</sup>

كما ونعلم ما جاء في موسوعة لين في اللغة العربية:

---

<sup>1</sup> - راجع لسان العرب لابن منظور مادة (جنن).

<sup>2</sup> - (لسان العرب) الجزء السادس الصفحة 224.

" الجنّ: الغريب "

إذن على ضوء ما جاء في بيان اللغة العربية في أشهر مراجعها، وتفسير المفسرين من السلف الصالح<sup>1</sup> وتدبر آيات القرآن الكريم يمكننا الآن أن نفهم، بسهولة، البيان القرآني المتعلق بالجنّ والشياطين بعون الله تعالى.

### \* من سورة الناس

يستشهد المعتقدون بشبحية الجنّ وبأثمّ صنف من غير الناس بسورة الناس، ويقولون إنها تؤكد كون الجنّ صنفاً آخر غير الناس، وذلك بدليل قول الله عز وجل:

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الناس 7

أي إنّ الموسوسين في صدور الناس نوعان: الناس البشر، والجنّ الأشباح المخفيّون من عيون الناس.

هذا الفهم ينتج عن الأخذ السريع المتعجل المتأثر بالشائع والمشهور من الأفهام. ولكن استبطان الحقائق والتعمق في إدراك ما وراءها يؤدي إلى تبين حقائق أوثق وأدقّ قد تكون في بعض الأحيان مخالفة تماماً للفهم المأثور والمتوارث جيلاً عن جيل دونما تفكير أو تدبّر. وأكثر ما يحدث من تباين واختلاف في الحقائق إنما يأتي من طريق الاختلافات اللغوية ودلالاتها وإشارتها المتعلقة بالسياق والسباق بنصّ أو بحث أو حوار. واسمحوا لي هنا أن أضرب

---

<sup>1</sup> - راجع ما أوردنا لفخر الرازي.



لكم المثل التالي.

أو رد الإمام فخر الرازي في التفسير الكبير الرواية التالية:

"عن سعيد بن جبير أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟

قال: قاسط عادل.

فقال القوم ما أحسن ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج:

يا جهلة إنما سماني ظالماً مشركاً، وتلا قول الله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ سورة الجن: 16

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ سورة الأنعام: 2 " (1)

وهكذا نجد في اللغة العربية أنّه قد يكون للمفردات نفسها معانٍ ودلالات مختلفة ومعاكسة تمام للمأثور والمألوف.

وفيدنا في هذا المقام ذكر مثال آخر يبين أنّ اللفظة في اللغة العربية قد يكون لها معنى معيناً حين ترد كمفردة بغير سياقٍ أو مقارنةٍ مع مفردة أو مفردات أخرى، ويكون لها معنى آخر مختلفاً حين ترد مقارنةً بمفردة أو مفردات

---

<sup>1</sup> - راجع التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي المجلد 15 تفسير سورة الجن

أخرى وإليكم المثال:

لو أنك قرأت في كتاب التعريف التالي:

"إنّ كلمة (النبات) إنما تعني حصرا النباتات الصغيرة دون  
الأشجار".

فهل كنت ستوافق على هذا التعريف وتعتبره صحيحا؟

طبعاً لا، حيث أنه لا يختلف اثنان في أن كلمة (النبات) إنما تعني: كل ما  
تُنبته الأرض من أشجار وغيرها، وهذا ما تقول به جميع قواميس اللغة العربية  
أيضاً.

إنك، إذن، سترد على هذا التعريف بكل ثقة وتقول إنه تعريف خاطئ،  
لأنّ كلمة النبات، إنما تعني الأشجار أيضاً.

ولو قال لك قائل: ولكن كلمة النبات قد تعني: النباتات الصغيرة فقط  
دون الأشجار في بعض الأحيان، فماذا عساك تقول؟ هل.. ستعتبر هذا  
الرأي أو الفهم خاطئاً أيضاً؟

الحق إن كلمة (النبات) إذا جاءت مطلقة إنما تعني كل ما ينبت على  
الأرض من النبات والأشجار. ولكن كلمة (النبات) ذاتها إذا ما جاءت مقيدة  
بقريئة معينة فإنها ستعني حصراً النباتات الصغيرة فقط، كما في التعبير التالي:

"إنّ ماء هذا النهر يروي جميع (أشجار) و (نبات) هذا السهل".

تجد هنا أنك تفهم، مباشرة ودون عناء، أنّ كلمة (نبات) في هذا السياق وبالمقارنة إنما تعني حصراً النباتات الصغيرة التي هي دون الأشجار، وكذلك لمقارنتها بالأشجار، وإن كان كلاهما ينتميان إلى صنف واحد وهو (النبات).  
إنّ كلمة (النبات) تدلّ على جنسٍ من المخلوقات، بينما تدل كلمة (الأشجار) على صنف من الجنس ذاته الذي هو النبات أيضاً، ومن خلال المقارنة بين أصناف الجنس الواحد يتعين المقصود.

### \* مزيد من البيان

وللتأكد من صحّة هذا البيان يفيدنا أن ندرس معاً بيان القرآن الكريم في هذا السياق.

نعلم من معاجم اللغة العربية أنّ كلمة الدّابة أو الدّواب تُطلق على البشر كما تُطلق على الحيوانات أيضاً. جاء في لسان العرب ما يلي:

"الدّابة اسم لما دبّ من الحيوان مُمَيَّزٌ وغير مُمَيَّز. وفي التنزيل

العزیز: ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ، فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى

بَطْنِهِ﴾؛ ولما كان لما يَعْقِل ولما لا يعقل، قيل: ﴿فَمِنْهُمْ﴾؛ ولو

كان لما لا يَعْقِل / فقط<sup>1</sup> / لقليل: فمنها... والمعنى كلّ نفس دابة.."

وكذلك نقرأ قول ربّنا عزّ وجلّ:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

---

<sup>1</sup> - الكلمة بين الخطين المائلين من المؤلّف.

نجد من هذا البيان اللغوي أنّ لفظة "الدّابة" تُطلق على الإنسان كما تُطلق على الحيوان—وهذا يعرفه الجميع ولا يختلف عليه اثنان. وبناءً على هذا نستطيع الإفادة الآن من الآيات التالية، حيث يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

نلاحظ من هذه الآية الكريمة ورود لفظة ﴿الدَّوَابُّ﴾ إلى جانب لفظة ﴿الناس﴾، حيث يقول تعالى: ﴿والدوابّ وكثير من الناس﴾ فإذا كان الناس هم دواب أيضاً فماذا نفهم من هذه المشاركة؟

لا شكّ أننا نستطيع القول بسهولة أنّ لفظة الدواب هنا قد انفصلت لتعني حصراً الحيوانات وبقية الأنفس عدا البشر. وهكذا نجد أنّ لفظاً ما في اللغة العربية يأتي بمعنى معيّناً إذا جاء مطلقاً مثل لفظة الدواب مثلاً حيث تعني الناس والحيوانات معاً، ويأتي بمعنى آخر حين يأتي مقروناً مثل لفظة الدواب ذاتها حيث تصير بمعنى الحيوانات فقط دون الناس، مثلما وجدنا في الآية الكريمة الأنفة الذكر، وهكذا نستطيع الآن فهم معنى لفظة ﴿الجنة﴾ في سورة الناس.

## \* جنس الناس وفئة الجنّ في سورة الناس

قال ربنا عز وجل في القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ \* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ  
\* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ سورة الناس

من المعلوم أنّ هذه السورة هي آخر سورة في القرآن الكريم، وهي بهذا تعتبر خاتمة القرآن الكريم التي لا بد من التفكير والتدبّر في معانيها ومدلولاتها باهتمام خاص وبذلك تفتح لنا أبواب كنوزها ونستنير بمعانيها وندرك الفائدة الحقّة من التعوّذ الذي أمرنا الله به فيها.

نجد في هذه السورة الكريمة أنّ الله عز وجل يشير إلى ذاته بصفات ثلاث وهي أنه:

﴿رَبِّ النَّاسِ﴾

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

إنّ تكرار لفظة ﴿الناس﴾ هنا يؤكد أنّ الاستعاذة بأسماء الله الحسنى المتعلقة بالإيمان أنه، عز وجل، رب الناس وملك الناس وإله الناس يدفع شر الناس وأذاهم. ويجول في الخاطر هنا سؤال وهو: بما أنّ الله تعالى هو رب العالمين، فهو رب الجنّ أيضاً، وكان يمكن تأكيد هذه الحقيقة بورود وصفه تعالى أنه

رب الجنّ أيضاً كما هو رب الناس، وخاصة أنّ التعوذ هنا مطلوب من شرّ الجنّ أيضاً، فلمْ لم تَرِدْ الاستعاذة بربّ الجنّ، واكتفى البيان الإلهي بذكر: ﴿رب الناس﴾، ﴿ملك الناس﴾، و ﴿إله الناس﴾ فقط، مشدداً بذلك على ذكر الناس وحدهم دون صنف آخر غيرهم؟

إنّ الإحكام القرآني العظيم، فالناس وحدهم هم المقصودون بهذه السورة وليس صنف آخر غيرهم، فكما أنّ في الإنس شياطين<sup>1</sup> فكذلك فيهم الجنّ أيضاً كما مر معنا من مراجع اللغة العربية<sup>2</sup> الموثقة والمعمول بها، وهذا يعني أنّ لفظ (الجنّة) الوارد هنا يعني فئة من جنس الناس وليس صنف آخر غيرهم، إلا أنّ هذه الفئة تتصف بأنّها ليست من الناس العاديين بل هي من أشدّائهم وأثريائهم وأصحاب النفوذ والأثر فيهم، فهم ليسوا البسطاء والعامة من الناس. وكما مرّ معنا في المثال اللغوي أنّ كلمة (النبات) إنّما تعني النباتات العادية والصغيرة فقط حين نقارنها بالأشجار—التي هي من النبات أيضاً— فكذلك كلمة (الناس) يصير معناها الناس البسطاء والعاديين، حين مقارنتها بكلمة (الجنّ) الذين هم فئة من الناس أيضاً، كما جاء في قواميس اللغة العربية وغيرها من المراجع الموثقة. ولقد تبينّ لنا صحة هذا الفهم من خلال التحقيق القرآني في المقارنة بين كلمة "الدواب" مطلقاً، أو بالمقارنة—كما بينا آنفاً.

**\* والآن كيف يمكننا أن نفهم سورة الناس**

<sup>1</sup> - قال تعالى: ﴿شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾ 112

<sup>2</sup> - راجع التحقيق اللغوي في الفصل الثالث من هذا الكتاب

إنَّ لصفات الله الثلاث الواردة في مطلع هذه السورة، والتي هي "رب الناس"، "ملك الناس" و"إله الناس" علاقة وثيقة بالحالات: الجسمية المادية، والأخلاقية، والروحانية للإنسان. وذلك لأن التقدم والتطور المادي والروحي للإنسان إنما يتم من خلال صفة الله "الرب"، بينما يعاقب الإنسان على أفكاره وكلامه وأفعاله من خلال صفة الله "الملك"، أما صفة "الإله" فإنها تشير إلى أن الله إنما هو غاية حب الإنسان وعبادته، وأنَّ الله تعالى هو هدفه وقصده.

وإنَّ ذكر هذه الصفات الإلهية الثلاث في هذه السورة يشير إلى أنَّ جميع خطايا الإنسان إنما تنشأ عن أسبابٍ ثلاثة:

أولاً: عندما ينظر الإنسان إلى إنسان آخر على أنه (رَبِّه). ولذلك فقد أمر الله الإنسان أن يعوذ برَبِّ الناس وألَّا يَتَّخِذَ له رَبًّا سِوَاهُ.

ثانياً: عندما ينظر الإنسان إلى إنسان آخر على أنه (مَلِكُهُ). في حين أنَّ (الملك) الحق هو الله وحده، والعياذ به وحده.

ثالثاً: وكذلك يخطئ الإنسان حيث ينظر إلى إنسان آخر على أنه (إلهه) فيتعبده ويذهب نفسه حباً له وتعلقاً به. ونفهم من هذا البيان الإلهي أنَّ الإنسان يَضِلُّ ويَحْسِر حين يخطئ فينظر إلى إنسان آخر على أنه السند والدعامة الأساس في حياته، أو أنه يستسلم بذلَّ وعبودية إلى سلطته الظالمة، أو أن يجعل منه هدف حبه وعبادته.

إنّ هذه الآيات الكريمة الموجزة تبين أنّ الله عز وجل يفرض على الإنسان أن يؤمن ويوقن بالله تعالى على أنه هو وحده العون الحقيقي له في حياته. وأن يعطي له وحده حق الخضوع والطاعة والإسلام دون شرط. وأن يجعله وحده عز وجل هدفَ حبّه وعبادته، وبهذا ينقذ الإنسان نفسه من شرّ العبودية والاستغلال من قبل كبار الناس (جنّ الناس) سواء أكانوا من الرأسماليين المستغلين من التجار والصناعيين والأثرياء، أو الحكام الطغاة الظالمين، أو الدّول القوية المستكبرة، أو الطبقة الكهنوتية والمشيخية المخادعة التي تستغل البسطاء الغافلين من الناس بلا رحمة ولا شفقة ولا خوف من الله عز وجل.

هذا وإن الوسوسة من قبل شرار الناس إنما تكون في صدور الجنّ (كبار الناس) مثلما تكون أيضا في صدور العاديين من الناس حيث يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ويستغلون سداجتهم أو ضعفهم أو حاجتهم، فيستعبدونهم ويدلوّهم بها ويستغلّوهم أبشع استغلال.

ولكن حين يعوذ الإنسان بالله الواحد الذي هو رب الناس، وهو وحده ملك الناس وهو وحده إله الناس، فإنه ينجو من الشرور جميعا ومن خطر الوسواس كلها وينعم برضا الله تعالى ولا يذل ولا يشقى<sup>1</sup>.

وهكذا ترى معي أنّ هذه السورة لا تتحدث عن أشباح ولا أرواح، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بالخرافة والخيال الذي نسجه الناسجون حولها

---

<sup>1</sup> - The Holy Qura'n with English translation and commentary , published under the auspices of Hadrat Nasir Ahmad 1981.



واستغله واستفاد منه المشعوذون والدجالون الذي يحرصون على نشر الاعتقاد بالوجود الشبحي لـ (إخوانهم) من الأشباح والأرواح التي تدعمهم بقدراتها الخارقة المزعومة، وبذلك يستغلون الكثير من بسطاء الناس ومن لم يكلفوا أنفسهم عناء تشغيل عقولهم بالتفكير والتدبر في هذه المعتقدات المأثورة عمن أقحمها على الدين سواء عن قصد أو غير قصد.

### \* الجنّ في سورة الأحقاف

يستشهد القائلون بشبهية الجنّ بسورة الأحقاف التي ورد فيها قول ربنا عز وجل:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ \* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ \* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الأحقاف 30-33

ولا بد لشرح هذه الآيات الكريمة من دراسة المعنى اللغوي لكلمة (نَفَرٌ)، جاء في المعجم الوسيط:

"نفر نفرًا ونفورا: هجر وطنه وضرب في الأرض. وفي التنزيل العزيز:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾

وفي التنزيل العزيز :

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾

النفر: من ثلاثة إلى عشرة من الرجال. والنفر المجمع من الناس"1.

وقال صاحب قاموس محيط المحيط:

"النفر: الناس كلهم، ومن ثلاثة إلى عشرة وقيل إلى سبعة"2

نجد هنا أنّ "النفر" كلمة تعني عدداً من الرجال هجروا وطنهم مجاهدين دفاعاً عنه أو لطلب العلم والتفقه في الدين، وهم، كما جاء في المعاجم، الناس الغرباء عن وطنهم لخروجهم منه للسبب الذي تقدم ذكره.

وإذا ما أخذنا هذا البيان اللغوي بعين الاعتبار نجد أنّ هذه الآيات الكريمة لا تؤيد بشكل من الأشكال ولا تدعم الزعم القائل بوجود أشباح خفية اسمها الجنّ، وأنها هي المقصود هنا. وإنّ الذي يدرس هذه الآيات على ضوء التفاسير ومراجع اللغة العربية يتبيّن له أنّ الحديث هنا عن نفر من الناس وُصِفوا بأنهم جنّ لخروجهم من وطنهم ضارين في الأرض طلباً للعلم وبحثاً عن نبي الزمان، محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاؤوا إليه خفية، يجنّهم الليل بستره حتى لا ينكشف أمرهم لقريش التي كانت تسعى للبطش عادية على محمد وأصحابه ومن يؤمن به صلى الله عليه وسلم. ولذلك فقد كانوا بحق نفراً

---

<sup>1</sup> راجع المعجم الوسيط مادة (نفر).

<sup>2</sup> معجم محيط المحيط للبستاني ، مادة (نفر).

من الجنّ كما قال ربنا عز وجل، وإليكم البيان التالي:

أورد الإمامُ فخر الرازي صاحب التفسير الكبير أنّ هؤلاء الجنّ هم نفرٌ من اليهود من أشرف جنّ نصيبين، وكذلك نُقل عن القاضي عياض أنّ هؤلاء الجنّ كانوا يهوداً، وكذلك قال الحسن أنّ هؤلاء الجنّ كانوا على اليهودية<sup>1</sup>.

وأورد أصحاب البيان أنّ هؤلاء النفر كانوا يهوداً من منطقة نصيبين أو الموصل أو نينوى في العراق<sup>2</sup>. ولقد كان هؤلاء التّفر عارفين بمعارضة قريش ومناهضتها لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك جاؤوا إليه خُفية في الليل يَجْنَهُم الظلام بسواده، وكذلك استمعوا إلى القرآن الكريم وإلى دعوى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يُظهروا أنفسهم لقريش، وقبلوا الإسلام وحملوا الرسالة الجديدة إلى قومهم الذين قبلوا الإسلام ودخلوا فيه<sup>3</sup>.

وأورد الإمامُ الرازي رأياً تفسيرياً قال فيه إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يقصد قراءة القرآن على هؤلاء النفر، بل إنّ الله تعالى قد ألقى في قلوبهم ميلاً وداعية إلى الاستماع فلهذا السبب قال:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾<sup>4</sup>

إنّ مجيء هؤلاء التّفر مهاجرين من بلادهم وضاربين في الأرض تحت جنح

---

<sup>1</sup> راجع التفسير الكبير للإمام فخر الرازي في تفسير سورة الأحقاف.

<sup>2</sup> تفسير البيان

<sup>3</sup> - راجع تفسير روح البيان

<sup>4</sup> - التفسير الكبير

الليل من جهة، وكوّنهم غرباء قدِموا من بلاد بعيدة من جهة ثانية يبرر تماماً—من الناحية اللغوية—وصفهم بأنهم نفر من الجنّ، رغم كونهم من الناس إلا أنهم كانوا من جنّ الناس وغربائهم.

وكذلك يبرّر وصفهم بـ (الجنّ) حقيقة أنهم استمعوا إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم دون عِلْمٍ منه كما جاء في تفسير الرازي حيث قال إنهم قد استمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يدري باستماعهم له حتى أنبأه الله عز وجل بذلك<sup>1</sup>. وقد عَلِمنا من مراجع اللغة العربية أنّ ما سُتِرَ عنك فقد جُحِّ عنك أي أنه صار جنّياً بالنسبة إليك لحفائه عنك<sup>2</sup>. ويؤيد حقيقة أنّ هؤلاء النفر كانوا من اليهود قول الله عز وجل في هذه الآيات عنهم إنهم كانوا مؤمنين بكتاب موسى عليه السلام ويعرفونه تمام المعرفة، حيث قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

فها أنت ترى هنا أنّ هؤلاء النفر من الجنّ يعرفون كتاب موسى جيداً ولذلك فقد وُصِفوا القرآن الكريم بأنه:

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

أي أنهم كانوا يعلمون، من خلال إيمانهم بكتاب موسى، الأمور التي وجدوا القرآن الكريم مصدقاً بها لما بين يديه من كتاب موسى.

---

<sup>1</sup>- راجع ما أورده الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير

<sup>2</sup>- راجع لسان العرب

إذن كان هؤلاء نفرًا من اليهود الذين قَدِمُوا غرباء من بلاد بعيدة، وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت جَنَحِ الليل متخفّين عن أعين قريش ليستمعوا إلى كتاب الله ودعوة رسوله التي كانوا يترقبونها فأمنوا بالله ورسوله، وحملوا الرسالة الجديدة إلى قومهم دُعاةً ومبشرين.

ما كانوا أشباحاً ولا أرواحاً، وإنما كانوا من الناس البشر أبناء آدم، وقد أطلق الله تعالى عليهم وصَفَ الجنِّ لكونهم غرباء، ولجيتهم خفية يجتنبهم الليل بسواده، ولاستماعهم سرّاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن الكريم فأنصتوا وآمنوا.

وهنالكَ حقيقة قرآنية أخرى ترفض أن يكون هؤلاء —الجنُّ اليهود— من غير جنس الناس، وإلا لما كانت تعنيهم رسالة موسى عليه السلام وما كان ليعنيهم الإيمان بكتابه، وذلك لأنَّ الله تعالى قد بيّن في القرآن الكريم أنَّ كتاب موسى إنما أنزله الله تعالى هدايةً لجنس الناس حصراً، وليس لمخلوقات من غير جنسهم، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ الأنعام 92

ولو كانوا مخلوقات من غير جنس الناس، إذن ما كان ليعنيهم أيضاً الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب الذي أنزل معه؛ وذلك لأنَّ الرسول الكريم —كما تعلم— قد أرسله الله تعالى إلى الناس حصراً، وقال له:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ الأعراف 158

ولم يقل له عز وجل قل يا أيها الناس والجنّ إني رسول الله إليكم جميعاً،  
وأكد ربنا تبارك وتعالى أنّ القرآن الكريم قد أنزل على محمد بالحق للناس  
حصراً فقال:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ الزمر 42

ولما كان هؤلاء التفر من الجنّ الذين قد آمنوا بموسى عليه السلام والكتاب  
الذي أنزل معه، فهذا يعني حتماً أنّهم من الناس من قومه الذين دعاهم وآمنوا  
به وبالكتاب الذي أنزل معه هدى لهم، ثم بشرهم موسى عليه السلام برسالة  
محمد صلى الله عليه وسلم وزمنه وأوصافه. ولما كانوا يعلمون زمن ظهور النبي  
الجديد وأوصافه فقد أرسلوا نفرًا منهم ليستقصوا خبر الرسول الجديد وليعلموا  
عن رسالته وليؤمنوا به تصديقاً لما جاء في كتابهم التوراة، حيث نقرأ في سفر  
التثنية الإصحاح 18 العدد 18-20 بشارة الله عز وجل لموسى بظهور محمد  
صلى الله عليه وسلم:

﴿أَقِمْ لَهُمْ مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ وَاجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ،  
فِيكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ  
لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ. وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يَطْغَى  
فِيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أَوْصِهِ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهَةٍ أُخْرَى  
فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ﴾ تثنية 18: 18-20

نجد هنا أنّ التوراة تأمر اليهود بالإيمان بالنبي الذي يأتي متكلمًا: باسم  
الله. ونعلم أنّ القرآن الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من ربنا عز

وجل يبدأ كل سورة بـ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وكانت هذه علامة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى من أهل الكتاب لو أرادوا الإيمان، لأنّ الآية، بحسب كتابهم، أنّ النبي الذي يتكلم باسم الله كاذباً، فعلامته أن يُقتل ذلك النبي ولا يموت ميتة طبيعية<sup>1</sup>.

وهذا معنى: ﴿فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ﴾ تنبيه 18: 18-20

وإلا فلا معنى لهذه العلامة إذا كان سيموت موتاً طبيعياً لأنّ الموت هو قَدَرُ الناس جميعاً دون استثناء وهو، لذلك، لا يمكن أن يكون علامة مخصصة لبيان صدق نبيٍّ أو كذبه. ولقد وردت كلمة يُقتل في بعض نسخ الكتاب المقدس ويمكن للباحثين الاطلاع عليها<sup>2</sup>.

وأما عن مكان ظهور هذا النبي الجديد، فقد جاء صراحة وبكل وضوح أنه سيظهر في برية (فاران) في الجزيرة العربية. إذن جاء هؤلاء نفر من اليهود متتبعين البشارات التوراتية بظهور النبي الجديد في جزيرة العرب فآمنوا به وصدقوا بالكتاب الذي أنزل معه لأنهم وجدوه: ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من كتابهم التوراة.

<sup>1</sup> - راجع سفر التثنية 2-33

<sup>2</sup> - يؤكد هذا المعنى قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة)

كانوا بشراً من الناس الذين آمنوا بموسى عليه السلام والكتاب الذي أنزل معه هدى للناس.

ولم يكونوا أشباحاً..

ولا أرواحاً..

وبما أنّ الزاعمين بالوجود الشبحي للجنّ يستشهدون بسورة الجنّ دعماً لاعتقادهم، كان لابدّ من الوقوف عندها للشرح والبيان وتدارسها معاً لنرى فيما إذا كانت حقاً تؤيد هذا الزعم السائد إن لم يكن في جميع الناس بل في أغلبهم.

### \* من سورة الجنّ

تاريخ نزول السورة سياقها وموضوعها:

تُعَدّ هذه السورة عموماً بأنّها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عودته من الطائف، حيث ذهب إليها بعد أن كاد يبأس من قريش الذين لم يتلق منهم رداً على دعوته لهم إلا الاستهزاء والتّسخيف والمعارضة والاضطهاد.

ولقد جاءت زيارته صلى الله عليه وسلم إلى الطائف قبل سنتين من الهجرة حينما اتّخذت المعارضة لدعوته شكلاً ممعناً في الأذى والاضطهاد البشع، مما جعل حالة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غاية المشقة والعناء.



وثأتى هذه السورة في السياق بعد سورة نوح التي بيّنت أنّ دعوة نوح الطويلة العمر لقومه لم تلق منهم إلا النفور والتسخيف والصد والاضطهاد، ولم يقبل منه إلا القليل من قومه عدا عن بعض أقربائه، وحتى ابنته وزوجته لم يكونا من المؤمنين به، بل شاركا في معارضته.

إذن ثمة تشابه في الموقف الكافر للرافضين لدعوة الرسل والأنبياء، بدءاً من زمن نوح عليه السلام وحتى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وتذكّر السورة هنا أنه بالرغم من الحصار الاضطهادي الذي فرضه كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى دين الله الإسلام، فإنّ الله عز وجل قد صرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً ممن لا يعرفهم، ومن غير قومه، فاستمعوا إلى القرآن الكريم وآمنوا به.

وتبين السورة تفصيلاً واضحاً لمعتقدات هؤلاء النفر من اليهود كما وتصور سلوكهم ومفاهيمهم ونظرتهم إلى الحياة. وتؤكد السورة أيضاً على أنه من المستحيل أن ينجح أحد في تشويه وإعاقة كلمة الله، وذلك لأنها محروسة بالعناية الإلهية، كما تحرس الكنوز الثمينة الغالية.

ونجد في نهاية السورة أنه كلما جاء معلم من عند الله يدعو الناس إلى ربهم، فإنّ قوى الشر تسعى إلى كتم وإخماد صوته، ولكن هذا المعلم يتابع جاداً مُخلصاً في دعوته، غير عابئ بالمساعي الشريرة لقتل دعوته وإطفاء نورها.

وتختتم السورة ببيان معيارٍ لا يخيب في امتحان المصدر السماوي لرسالة

رسولٍ ما، بأنّ رسالة الرسول الذي يأتي من الله تحتوي على نبوءات عظمى تتعلق بالعالم، ولا يمكن للمعرفة البشرية التنبؤ بها، وأنّ الرسول لا بد في النهاية أن ينجح في إكمال إيصال رسالته وتبشيرها للناس تحقيقاً لمهمته التي اختارها الله لأجلها<sup>1</sup>.

### \* ونبدأ بالآيات الأولى من سورة الجنّ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا \* وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ الجن 2-4

مرّ معنا في البيان اللغوي أنّ لفظة الجنّ تُطلق في اللغة العربية على الآتي من بلاد أخرى<sup>2</sup>، وعلمنا أنّ نفر الجنّ المشار إليهم هنا بناءً على التفاسير الماثورة هم النفر الذين جاؤوا من نصيبين للاستماع إلى رسالة الإسلام التي بَشَرَتْ بها التوراة كتابُ موسى عليه السلام والتي أنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ويبدو من هذا النص، رغم تشابهه، أنه يختلف بعض الشيء عن النص الوارد في سورة الأحقاف، حيث أنّ نفر الجنّ في تلك السورة أشاروا إلى كتاب ﴿أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ وذلك باعتبارهم يهوداً من أتباع موسى عليه السلام، بينما نجد أنّ نفر الجنّ يشيرون إلى بيانٍ آخر يتعلق بالشرك بالله والزعم أنه

<sup>1</sup> - التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد.

<sup>2</sup> - موسوعة لين في اللغة العربية.

اتخذ ولدًا، وهذا يشير إلى أنّ هؤلاء الجن كانوا من المسيحيين الموحدين الذين رفضوا الشرك بالله، وظلوا على دين التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، كما تشهد بذلك الأناجيل حتى يومنا هذا، حيث نقرأ في إنجيل متى: الإصحاح 4 العدد 10 قول عيسى عليه السلام:

﴿مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد﴾

وكذلك يؤكد الكتاب المقدس على أمر الله بالتوحيد وعدم الشرك بالسجود لتمثال أو صورة أو أي شيء كان، فيقول بوضوح شامل مَفْصَل:

﴿لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا،

ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من

أسفل، ولا مما في المياه من تحت الأرض تعبدهم لأني أنا الرب

إلهك غيور﴾ سفر الخروج 20:3

هذا ويؤكد حقيقة أنّ نفر الجن هؤلاء كانوا من المسيحيين الموحدين من أتباع عيسى المسيح عليه السلام، ما ورد على لسانهم في القرآن الكريم:

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

نجد أنّ نفر الجن هنا على علم بمن أشرك من المسيحيين زاعماً أن الله سبحانه وتعالى قد اتخذ ولدًا، وهذا يؤكد أيضاً أنّ هؤلاء نفر كانوا من المسيحيين إلا أنهم كانوا على دعوة المسيح عيسى بن مريم التوحيدية الصحيحة التي لم يدخلها الشرك، ولذلك فقد قالوا: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ

## صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدًا<sup>1</sup>

ولقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره الكبير أنّ هؤلاء النفر من الجن كانوا من النصارى<sup>2</sup>. ونلفت النظر هنا إلى أننا في بحثنا هذا سنتناول فقط الآيات التي حدث في فهمها خطأ أو إشكال، لأن هدفنا ليس التفسير الشامل، وإنما مجرد بيان حقيقة أنّ الجن المذكورين في آيات القرآن الكريم إنما هم بشر من أبناء آدم عليه السلام.

ونتابع:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن 7

أورد الإمام فخر الرازي في تفسيره الكبير رأياً تفسيرياً قال فيه إنّ المفسرين ذكروا أنّ الرجل في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي، أو بعزير هذا المكان من شر سفهاء قومه، فبييت في جوارٍ منهم حتى يصبح. وكذلك نقل الإمام الرازي رأياً آخر للمفسرين قال فيه:

"المراد أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس أيضاً لكن من شر الجنّ، ... وأصحاب هذا التأويل إنما ذهبوا إليه لأن الرجل اسم الإنس لا اسم الجنّ"<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> الجذ - العظمة - راجع التفسير الكبير.

<sup>2</sup> الجزء 30 من التفسير الكبير صفحة 154

<sup>3</sup> التفسير الكبير لسورة الجنّ، وبين الرازي أن هذا رأي بعض المفسرين وليس رأيه هو.

ويعتقد كثير من الناس أنّ هذه الآية إنما تتحدث عن (الشيخوخ) الذين يمارسون ما يسمى بـ (استحضار الجنّ) ويقولون إنّ كثيراً من هؤلاء يصابون في النهاية بالأذى بالمرض أو الفالج أو الموت الذي يسببه لهم الجنّ أنفسهم. وعندنا أنّ هذه التفاسير تُغيّر المعنى الحقيقي لهذه الآية الكريمة، والبيان كما يلي:

جاء في المعجم الوسيط، وهو المعجم الذي اعتمده المجمع اللغوي وسطاً بين جميع مراجع اللغة العربية:

"الرجل: الذكر البالغ من بني آدم"

وجاء في قاموس لسان العرب:

"الرجل: الذكر من نوع الإنسان"

وقد مر معنا أنّ الإمام الرازي قد أشار إلى هذا المعنى في تفسيره على أساس أنّ (الرجل) اسم يطلق على الإنسان الذي هو بشر من أبناء آدم. ولا شك في أنّ هذا المعنى المؤلف هو الحق، ونذكر ذلك يقيناً إذا ما تحققنا من أصل كلمة (الرجل) واشتقاقها، حيث نجد أنها مأخوذة من المعنى الشائع والمألوف للمشي على الرجلين. جاء في قاموس محيط المحيط لبطرس البساتين:

"رَجَلَ الرَّجُلُ: مشى على رجله"

وكذلك جاء في المعجم الوسيط:

"مشى على رجله" وجاء: رَجَلَ الشيء: جعله تحت رجله".

فعلى الأخذ بالزعم أنّ الجنّ مخلوقات هوائية غازية تطير<sup>1</sup> في أجواء السماء وتخترق الجدران والأجساد كما يتخلل الهواء والغاز بالأجسام، أو تستقر روحاً شريرة في قعر السلة<sup>2</sup>. فهي إذن ليست ذات أرجل ولا تمشي على رجلين كالرجال ولا يصح تسمية الواحد منها رجلاً يمشي على رجلين، وإلاّ لكان معنى رجال الجنّ هم فقط الذي لهم أرجل يمشون بها—هذا لو صحّ زعمهم. والآن إذا عاودنا تذكّر ما ورد معنا من قواميس ومراجع اللغة العربية عن لفظة الجنّ وأنها تعني الناس المتميّزين بالقدرات غير العادية ذات الأثر والنفوذ كالقوة والثراء وغيرها يتبيّن لدينا معنى قوله تعالى: ﴿رجال من الجنّ﴾، أي أصحاب القدرة والنفوذ والثراء والسلطان من الرجال.

وأما الإنس في اللغة العربية هي كلمة مشتقة من الفعل أنس.

### جاء في معجم الوسيط:

"أنس به وإليه أنساً: سكن إليه وذهبت وحشته. آنسه: لطفه وأزال وحشته. وآنسه: أبصره. جاء في القرآن الكريم قول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي أبصرت ناراً. واستأنس الشيء: أبصره. واستأنس له: سمّع له. والإنس: الصديق الصفي. والإنس: خلاف الجنّ<sup>3</sup>".

<sup>1</sup>- راجع كتاب الإنسان بين السحر والعين والجان - زهير الحموي.

<sup>2</sup>- راجع كتاب (كبرى اليقينيات الكونية) الدكتور الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي، بحث الجان.

<sup>3</sup>- المعجم الوسيط - قال تعالى في بيان صلاة الخوف ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركبناً﴾ وكلمة

نجد من هذه المعاني أنّ كلمة الإنس تدل على الناس المستأنسين بعضهم ببعض، المتلازمين في تواجدهم وتعاملهم وتلاطفهم، والذين يبصرون بعضهم بعضاً ويستمعون بعضهم لبعض، وهذه هي صفة عامة الناس العاديين الذين يراهم المرء ويألف وجوههم في كل مكان في الشوارع والأسواق والأماكن العامة التي يرتادها عامة الناس، وهم خلاف رجال الجنّ من الناس الذين يتميّزون بإمكانات متميّزة من السلطة والقوة والثراء مما يستلزم وجودهم في بيئات خاصة بهم ومنعزلة نسبياً عن بيئة العاديين والبسطاء من الناس الذين لا يمتلكون الإمكانيات والقدرات التي يمتلكها هؤلاء الأقوياء والأثرياء، ولذلك فهم لا يستطيعون التواجد في المستويات والأجواء التي يعيشها هؤلاء الجنّ من الناس الذين لهم أجواؤهم ومستوياتهم الخاصة بهم والتي تعزلهم عن أن يكونوا مألوفين من خلال معايشرة البسطاء والعاديين من الناس وذلك لاختلاف المستويات والملكات، إلا ما ندر، ولذلك صح لغويّاً تسميتهم، ولأكثر من جانب، بـ (الجنّ) رغم كونهم بشراً من أبناء آدم.

وهكذا نستطيع أن نفهم الآن المعنى أن يعوذ رجال من الإنس البسطاء العاديين برجال من الجنّ الذين هم أصحاب النفوذ والثروة والسلطان.

إنّ ظاهرة أن يعوذ، أي: (يلجأ ويلوذ ويعتصم)<sup>1</sup> بعض البسطاء والعاديين

---

رجالاً هنا تعني المشاة من الرجال والنساء.

<sup>1</sup> - جاء في قاموس محيط المحيط: (رهق الرجل يرهق: سفه وركب الشر والظلم وغشى المحارم.. وأرهق فلاناً: حمّله ما لا يطيق. والرهق: حمل الإنسان ما لا يطيق)

من الناس ببعض الكبار من الرجال أصحاب النفوذ والثراء ليست ظاهرة غريبة، بل هي ظاهرة معروفة بين هؤلاء الناس حيث يسعى هؤلاء البسطاء من رجال الإنس إلى التقوي بمؤلاء الرجال من الجن، فتكون النتيجة أن يزيد كل منهم الآخر رَهَقاً، حيث يرهق أصحاب النفوذ والثراء المستعيزين بهم بما يطلبون منهم من خدمات فيحْمِلُونَهُمْ ما لا يطيقون، وكذلك يرهق هؤلاء البسطاء من الرجال أصحاب النفوذ والسلطان والثراء بأن يحْمِلُوهم المزيد من الإثم، ويزيدوا في غطرستهم وتكبرهم وطغيانهم، وهذا أيضاً من معاني: ﴿المأخذ الذي أخذ به أو أنه، على الأقل، لا يتناقض معه.

والآن كيف يمكن أن نفهم كلمة السماء الواردة في الآية المذكورة.

جاء في معاجم اللغة العربية أنّ كلمة السماء اشتُتت من الفعل: "سما يسمو سموّاً: علا وارتفع وتناول"<sup>1</sup> وهي لذلك تطلق على كل شيء سامٍ وعال أو مرتفع، سواء أكان مادياً يتعلق بالمادة والناس والأشياء، أو معنوياً متعلقاً بالمعاني والأفهام والقوانين والشرائع والأديان.

وللمزيد من البيان نقتطف نبذة مما جاء في بعض معاجم اللغة العربية:

"سما سموّاً: علا وارتفع وطلب العزّ والشرف، ويقال سما في الحسب والتّسب، وسما به: رفعه وأعلاه. والسماء من كل شيء: أعلاه.

وكل ما علاك فأظلك: فهو سماك"<sup>2</sup>. معجم محيط المحيط

<sup>1</sup> - راجع المعجم الوسيط

<sup>2</sup> - محيط المحيط



وقال صحاب قاموس محيط المحيط أيضاً:

"سماء كل شيء شخصه، والسماء ظهر الفارس، والسماء  
العشب وكل ما علاك فأظلك، والسماء المطر، وسماء الرؤية  
فلك البروج".

نتبين من اللغة العربية أنّ الذي يأخذ من كلمة (السماء) المفهوم المادي  
البحث دونما قرينة أو دليل يخطئ في كثير من الفهم، وذلك لأن كلمة السماء  
إنما تعني أصلاً السموّ والرفعة والعلاء، ولا تعني فقط ذلك السطح الأزرق  
الممتد والذي نقول عنه السماء لأنه فوقنا.

ويمكننا فهم المقصود بكلمة السماء التي وردت في بعض الآيات الكريمة أو  
الأحاديث الشريفة إذا درسنا المعنى المقصود في السياق والسباق لهذه الآيات  
والأحاديث، حيث يجد الدارس للقرآن الكريم أنه يورد مقارنات بين الكونين  
المادي الذي هو عالمنا المادي بأرضه ومائه وبحاره وأشجاره وسمائه ونجومه،  
والعالم الروحي العالي السامي والذي له هو أيضاً شمس وقمر ونجومه وسمائه  
وأشجاره وجباله، وتوضيحاً لبياننا نبدأ بالحديث الذي جاء في مسند أحمد  
عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(مَثَلُ الْعِلْمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ  
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ، أَوْ شَكَّ أَنْ تَضِلَّ الْهَدَاةُ). مسند الإمام

أحمد

نجد في هذا الحديث الشريف أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يصف

علماء الإسلام بأنهم النجوم في السماء التي تعني هنا الإسلام الذي نجومه الساطعة هم علماءه الكرام، ولو أخذنا من هذا الحديث المقطع: ﴿فإذا انطمست النجوم﴾ واقتطعناه عن سياقه في الحديث، فإنه عندئذ يفهم بالمعنى المادي، يعني حين تنطفئ النجوم الملتهبة بالغازات في كبد السماء، ولكن حين نتابع قول رسول الله في الحديث: (عندئذ أو شك أن تضل الهداة) فإننا نجد أنّ المعنى السابق يضيع ترابطه ويغدو غير معقول أو مقبول. إذ ما علاقة انطفاء نجم مادي في السماء بضلال الهداة من الناس في الأرض؟ ولكن حين نأخذ بسياق الحديث ومعناه نجد أنّ انطماس النجم الذي هو العالم في سماء الدين التي هي الإسلام، لا شك يؤدي إلى ضلال الناس بسبب ذهاب العلماء والافتقار إلى علمهم الديني الهادي بإذن الله تعالى. ولذلك فالعلماء هم النجوم في سماء الدين.

ونزداد إن شاء الله تعالى فهماً لهذه الحقيقة حين ندرس معاً الحديث التالي:

جاء في الطبراني عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

(للعالم على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء.... وموت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تُسد، وهو نجم طمس: وموت قبيلة أيسر من موت عالم). الطبراني

ونجد هنا أيضاً أنّ كلمة القمر لا تعني ذلك الكوكب التابع للأرض والذي يضيء ليلها بانعكاس نور الشمس من على سطحه، وإنما القمر هنا هو العالم الذي يسطع في سماء الدين بنور القرآن الكريم الذي دعاه الله ﴿نوراً﴾ فقال

في (سورة النساء الآية: 175): ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾.

وكذلك نجد أنّ (كواكب السماء) في هذا الحديث لا تعني الكواكب المادية التي تدور في مداراتها الخاصة بها، وإنما تعني العابدين الأتقياء. فالعابد كوكب في سماء الدين، بينما العالم قمر بدر منير في سماء الدين.

ثم إذا كانت لفظة السماء تطلق على أعلى الشيء أو أعلى الكون المادي—كما مر معنا من المراجع اللغوية—ألا يصح إذن أن تُطلق كلمة السماء على دين الله باعتبار أنه أعلى وأسمى ما في الكونين المادي والروحي؟ وجاء في الدليمي بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه).

فها العالم هنا مصباح في سماء الدين إذا عمل بعلمه، ويحرق نفسه إذا لم يعمل. ولكن إذا ما استفاد الناس من علمه، فعلمهم وأنار قلوبهم وعقولهم، فإنه يكون بذلك نوراً يُهتدى به إلى الحق وناراً تحرق ضلال الشياطين المضللين لأنفسهم وغيرهم من الناس.

وهكذا نجد في الاصطلاح الديني للحديث الشريف أنّ الدين سماء.. العلماء هم نجومها الساطعة وأقمارها المنيرة ومصابيحها المضيئة، والعاقدون هم كواكبها المتألقة.

### \* السماء في مصطلح القرآن الكريم

ونجد أيضاً أنّ ربنا تبارك وتعالى قد أكد هذه المعاني الجميلة السامية في

القرآن الكريم، حيث ورد في سورة الفرقان قول الله تعالى في وصف السماء وبروجها:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان

ها هي السماء هنا قد جعل الله فيها نجومًا بروجًا وجعل فيها شمسًا سراجًا وقمرًا منيرًا.

ونجد في موضع آخر من القرآن الكريم ذكراً لسماءٍ أخرى لها أيضاً شمسها وسراجها المنير، قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ووصفاً إياه بأنه: ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الأحزاب: 47

فها نحن هنا أمام شمس ساطعة وسراج منير في سماء ليست هي القبة الزرقاء، وإنما هي السَّمَاءُ الدِّين... السماء الإسلام والسماء القرآن، إنها السماء التي شمسها وسراجها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ويؤكد القرآن الكريم في سورة يوسف هذا المعنى في فهم الدين على أنه سماءُ الأنبياء فيها شمس، والعابدون نجوم، والعلماء مصاييح، حيث نقرأ عن رؤيا يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف 5

ونجد في نهاية سورة يوسف أنّ المرموز إليه بالشمس كان النبي يعقوب أبا يوسف الذي كان شمساً لأنه كان نبياً، والرموز إليه بالقمر كانت زوجته أم يوسف لعكسها أنوار النبي زوجها؛ والكواكب كانوا إخوة يوسف الأحد عشر

الذين كانوا يدورون في فلك أبيهم النبي يعقوب عليه السلام وأخيهم النبي يوسف، وكان الجميع نجوماً ساطعة في سماء الدين والتوحيد والدعوة إلى الله عز وجل.

وهكذا يروي القرآن الكريم تأويل سورة يوسف:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ يوسف: 101

حقاً العلماء نجومٌ في سماء الدين التي تستمد نورها من نبي الله المرسل لهداية البشر، وهذا ما أكدته سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه الشريف:

(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).<sup>1</sup>

كما ونرى من الحديث الشريف أيضاً أنّ العلماء في سماء الدين ليسوا نجوماً تستطع بالدين فقط، بل هم أيضاً مصابيح تنير وتحرق، فقد جاء في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

(العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه<sup>2</sup>).

وهكذا فإنّ العالم ليس نجماً فحسب بل هو مصباح أيضاً، ومن المعلوم أنّ المصباح يملك خاصية الإنارة كما يملك خاصية الإحراق، وكذلك فإنّ

---

<sup>1</sup> - الجامع الصغير

<sup>2</sup> - رواه الديلبي بسند صحيح.

العالم يهدي الناس بنور الله تعالى كما يرمي بنور القرآن ظلمات الشياطين وضلالاتهم ويرجمهم فيحرقهم ويهلكهم بنور القرآن وبيانه. وهذا ما أكدته القرآن الكريم في قول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ الملك 6

أي أنّ الله تعالى قد رفع علماء الدين الذين آتاهم العلم وجعلهم نجوماً ومصابيح في الدين الذي هو أعلى وأسمى ما في الدنيا ولذلك فهو سماؤهما وهم العلماء—مصابيح التي تزئنه بما تبديه من نور الدين وهم كذلك يتصدون بعلوم دين الله وبيانه للمضللين الذين يسعون إلى إفساد الناس ودينهم، ولذلك فهم الشياطين الذين يرجمهم علماء الدين بما لديهم من بيان ونور يسطع في الدين فيبديد ظلمات الضلال والمضلين، فيعودون مهزومين ومرجومين محترقين بنور دين الله الذي يسطع به الأنبياء والعلماء المصلحون.

وهكذا فقد جعل الله علماء الدين مصابيح ترجم شياطين الإنس والجنّ بما يكتشفون من زيفهم وضلالاتهم وبدعهم وكفرهم، فينبهون للناس سبيل الحق، فيتبعون الهدى ويدحرون الشياطين فيفشلون ويهلكون بنور الدين الذي يسطع به الأنبياء ويعمل به العلماء.

ونجد المعنى ذاته في سورة الصافات في قوله تعالى:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ \* وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ الصافات:

8-7

إنّ كلمة ﴿حِفْظًا﴾ هنا تعني حفظاً للناس من الشياطين وضلالاتهم.

وماذا عساها تكون السماء التي تحفظ الناس بكواكبها ونجومها من الشياطين والمردة؟ وهل تحفظنا القبة الزرقاء وأجسامها الغازية الملتهبة من الشياطين، وكيف؟

إنّ الدّين الذي هو أسمى ما في الدنيا فهو لذلك سماؤها... وكذلك القرآن بعلومه ونوره وبيانه يحفظ الناس من شياطين الإنس والجنّ، فيمنعهم من إضلالهم بما يلبسون على الناس وبما يزيّفون، وبذلك يتم حفظ المؤمنين العاملين بالنور الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصار سماءً للناس يحفظهم من الضلال والهلاك.

وجدنا من الآية السابقة أنّ السماء هي التي تحفّظ من الشياطين. ونجد في موضع آخر من القرآن الكريم أنّ الله تبارك وتعالى قد حفظ هو عز وجل هذه السماء بحيث لا يمكن لأية قوة شيطانية أن تنال من حفظها ومناعتها، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ الأنبياء: 33

نجد هنا أنّ السماء هي محفوظة، كما ونلاحظ أنّ لهذه السماء آيات يصدّ الكافرون عنها ويقاومونها ويناقضون بياتها.

وذلك لأنّ معنى كلمة (يُعْرِضُونَ) مشتقّ من جذرين في اللغة العربية، أحدهما (أَعْرَضَ) أي أضرب وصدّ، والثاني (عَارَضَ) أي ناقض وقاوم<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - قاموس المحيط والمعجم والوسيط.

فكيف يمكن للناس أن يعارضوا ويقاوموا آيات السماء التي حفظها الله وكيف يمكن أن يناقضوها؟

إذا ما قارنا هذه الآية الكريمة مع قول الله عز وجل التالي نزداد فهماً ويزول الإشكال، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 10

فالذِّكْر، أي القرآن، هو لا ريب—كما معنا من البيان اللغوي—سماء الدنيا، ونعلم أنّ في هذه السماء—القرآن—آيات يعرض الكافرون عنها مصداقاً لبيان ربنا عز وجل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الأنعام: 5

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ القمر: 3

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ الكهف: 58

إذن يؤكد القرآن الكريم أنّ الكافرين قد أعرضوا ويعرضون عن آيات الله تعالى التي هي في القرآن المحفوظ الذي جعله الله سقفاً محفوظاً وهم عن آياته معرضون.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّه لما كان القرآن الكريم (حمّال أوجه) وبفيد في آية واحدة أكثر من بيان، ما لم يكن المعنى فيها مقيداً بقرينة تمنع تعدد المعاني، إذن يمكننا القول بأنّ المعنى الذي ذهبنّا إليه آنفاً لا يتنافى مع الفهم المادي في أنّ الله عز وجل قد أحكم أيضاً بناء الكون في أرضه وسماؤه وزيّنه وبالبروج



والنجوم والشموس والأقمار التي حفظها وجعلها بهجة وجمالاً لعين الإنسان وسخرها له ووازن كونه وحفظه بها.

والآن—وقد تبين لنا من البيان اللغوي والقرآني أنه كما أنّ للكون المادي سماء، فكذلك للكون الروحي سماء هي دين الله تعالى وكتابه المحفوظ—يمكننا أن نعود إلى شرح بيان ما جاء في سورة الجنّ في قولهم:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا\* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ الجن: 9-10

أو رد الإمام فخر الدين الرازي في (التفسير الكبير) معنى قوله تعالى: (لمسنا السماء)، قال:

"اللمس: المسّ، فاستُعير للطلب لأنّ الماسّ طالب متعرّف، يقال:

لمسه والتمسه، ومثله الجسّ، يقال جسّوه بأعينهم وتمسّسوه،

والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها"<sup>1</sup>.

نجد هنا أنّ معنى ﴿لمسنا السماء﴾ ليس المقصود به: طرنا إلى أجواء السماء حتى وصلناها ولمسناها بأيدينا بل المقصود من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾.

أي طلبنا معرفة الدين والكتاب وقد كان هذا هو هدف وفد الجنّ من اليهود والنصارى كما مر معنا، حيث جاؤوا غرباء من بلادهم البعيدة

<sup>1</sup> - نجد هنا أن التعبير (لمسنا السماء) لا يعني: طرنا في السماء حتى لمسناها.

ملتَمسين ظهور النبي الجديد والكتاب الذي أنزل معه مصدقاً للبشارات التي في كتابهم المقدس.

وأما قوله تعالى:

﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حِرْساً شَدِيداً وَشَهْباً﴾

أي وجدنا ديناً محفوظاً ببيان الله القوي الشديد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي لا يمكن نَقْضُهُ أو اختراقه لأن الله قد حفظه بالبيان الحق والبراهين القوية الدامغة وبنور الكتاب الساطع المبين الذي يكشف كل زيف وضلال وباطل كما تكشف الشمس والنجوم والشهب ظلمات الليل فتبددها وتحلي سوادها.

وكذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَفَظَةُ القرآن الكريم وعلماء الدين هم الحرس الشديد الذي يحرس الدين من هجمات شياطين الكفر، حيث وصفهم الله تعالى بأنهم:

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ الفتح 30

وذلك في قوله عز وجل في سورة الفتح:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: 30

وهكذا فالحرس الشديد الذي يحمي دين الله تعالى من شياطين الكفر وأباطيلهم هم أيضاً علماء الدين الذين هم مصايحه ونجومه وشهبه، وقد مر معنا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفه لعلماء الدين بأنهم

كذلك<sup>1</sup>، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وشهباً﴾

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾

إذا لاحظنا في هذه الآية الكريمة لفظي (كنا) و (الآن) يتبين لنا أن هؤلاء الجن كانوا يتلمسون السمع للدين قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم ما كانوا يجدون لهم شهباً رصداً. أما (الآن) من يستمع يجد له شهاباً رصداً، وهذا يعني أن الأمر بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم قد صار مختلفاً عنه قبل بعثته.

نستفيد من هذه الملاحظة الهامة في بيانين متكاملين لمعنى هذه الآية الكريمة:

### البيان الأول:

علمنا من تفسير الإمام الرازي أن معنى: ﴿لمسنا السماء﴾ أي طلبنا بلوغها، أي طلبنا معرفة الدين. وهذا يتوافق مع قول وفد الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾، أي كنا نتسمع ونتقرب ظهور الدين الجديد والكتاب الجديد الذي سيأتي به النبي المبشّر به في التوراة والإنجيل.<sup>2</sup>

إنّ استعمال البيان الإلهي لكلمة ﴿السمع﴾ هنا له دلالة مفيدة جداً لمن يبحث عنها في القرآن الكريم، حيث يبين الله تعالى أن الهداية من الله تعالى

---

<sup>1</sup> راجع الأحاديث المؤتقة التي أوردناها في هذا الفصل.

<sup>2</sup> ورد ذكر البشارة فيما سبق.

تأتي نتيجة ﴿السمع﴾ في حين أنّ الكفر والإلحاد يأتيان نتيجة عدم السمع،  
وإليكُم البرهان:

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ سورة ق: 38

وقال عز وجل:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سورة الأنعام: 37

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يونس: 67

وأما في كون الكفر نتيجة لعدم السمع قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ الأعراف: 199

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾ الأحقاف: 27

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ الكهف: 101

إذن نجد من كتاب الله عز وجل أنّ إلقاء السمع يكون سبباً في الهداية  
والإيمان بالله ورسوله والنور الذي ينزل معه.

وهذا هو عين ما صار مع وفد الجنّ الذين كانوا يسمعون ويترقبون حتى  
وجدوا النور الذي كانوا يبحثون عنه فصار هذا النور لهم<sup>1</sup> شهاباً رصداً يحميهم

---

<sup>1</sup> لاحظ أن الآية الكريمة تقول عن الذي يستمع يجد (له) شهاباً رصداً أي يكون لصالحه  
وليس عليه أو ضده.

من ضلال الشياطين وأباطيلهم.

ويتأكد لنا هذا المفهوم إذا ما تدبرنا الآية الكريمة التالية التي وردت في خاتمة سورة الجنّ، حيث يبين لنا القرآن الكريم أنّ الله عز وجل يحمي رسوله من شياطين الإنس والجنّ بِرَصَدٍ يسلكه بين يديه ومن خلفه، قال تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجن: 27-28

قال الإمام فخر الدين الرازي في (التفسير الكبير):

"أما قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ فالمعنى أنه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة، ومن خلفه رصداً، أي حَفَظَةً من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجنّ وتخاليطهم، حتى يُبَلِّغ ما أوحي به إليه، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه ولا يضرونه<sup>1</sup>."

وهكذا يتبين لنا معنى قول الله تعالى شهباً رصداً.

وأما عن البيان الثاني لهذه الآية فهو كما يلي:

قد دأب شياطين الإنس والجنّ<sup>2</sup> منذ قديم الزمان على السعي لسرقة تعاليم السماء وتحريفها وتشويهها وعرضها بشكل مشوه منقّر كي ينفر الناس

---

<sup>1</sup> - راجع التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي.

<sup>2</sup> - أي شياطين عامة الناس وخاصتهم من المتميزين بالقدرات.

منها وينفصّوا عنها، تماماً كما يتصرف بعض المتعصبين من اليهود والمخرفون منهم حينما يخطّطون لمحاربة المسيحية والإسلام والمسلمين<sup>1</sup>، حيث أنهم يسترقون السمع مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ الحجر: 19

ومعنى كلمة استرق: أي سرق الشيء، وأما استرق السمع فتعني: استمع مستخفياً<sup>2</sup>. فإذا ما أخذنا من الآية السابقة القعود من السماء مقاعد للسمع بمعنى (استراق السمع) فيصير المعنى بأنّ محاولة سرقة تعاليم السماء وتشويهها وتحريف الكتب المقدسة التي كانت ممكنة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لم تعد—الآن<sup>3</sup>—ممكنة لأن الله عزّ وجل قد رصّد دينه ورسوله وكتابه بشُهَبِ البيان والنور الجديد الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم، حيث جعل الله لكل محاولة استراق بياناً شهاباً يثقب الباطل المفترى بنور بيانه فيزهقه ويرجم شيطانه.

وهذا معنى قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾

إنّ كلمة (مبين) هنا مشتقة من البيان الذي يبيد به نور هذا الشهاب

<sup>1</sup>- راجع كتاب: (المفهوم الإسلامي الصحيح للجنّ والشياطين) للأستاذ نذير مرادني.

<sup>2</sup>- محيط المحيط

<sup>3</sup>- لأن الله تعالى قد تعهد بحفظ دينه وكتابه فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وذلك لأن الإسلام خاتم الرسالات.

الديني المبين ظلمات الشيطان المسترق للسمع.

وهكذا نجد أنفسنا الآن، بعون الله تعالى، أقدرَ على فهم الآيات التالية التي تُبَيِّن الحقائق التي شرحناها آنفاً:

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ الصافات 7

﴿وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ الملك 6

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ الحجر 17

وكذلك نستطيع الآن أن نفهم ما ترمي إليه جميع الآيات التي تتناول الموضوع ذاته مع بيان الفارق.

أما أن تعتقد بأنّ ثمة مخلوقات شبحيه هوائية أو غازية اسمها الجنّ، وهي تصعد إلى السماء لتلمسها فتلحّق بها كواكب المريخ أو الزهرة أو عطارد لتحرقها وتحفظ السماء منها، وتمنعها عن استراق السمع ومعرفة الغيب — كي لا تعتمد بما علمت من الغيب إلى إخوانها من المنجمين من شيوخ الإنس لينجموا ويكذّبوا على الناس، وليستغلّوهم بهذا العلم القليل — فهذا اختراع يستحيل قبوله عقلاً ومنطقاً وبالتالي يستحيل قبوله على أنه من ديننا الحنيف (الإسلام) البريء من الخرافة والضلال.

## \* وقفة تأملية

وللمصريين على الاعتقاد بأنّ نجوم السماء تنطلق كالسهام لاحقة بالجنّ والشياطين الذين يصلون إليها لاستراق السمع نقول: تعالوا نقف معاً هذه الوقفة التأملية:

أولاً: إنّ الذين تحدثوا عن أشباح الجنّ والشياطين قالوا إنّها مخلوقات تعيش بين الناس على كوكب الأرض رغم أنّهم زعموا طيرانها في أجواء السماء، وهذا يعني أنه مهما كبر حجم الجنّي المزعوم فلن يعدو عن كونه محدوداً بالنسبة إلى الأرض التي يجب أن يكون على ظهرها الآلاف بل والملايين من الجنّ، ومن المعلوم أنّ أصغر نجم في السماء يزيد على حجم الأرض آلاف إن لم يكن ملايين المرات، فكيف يقبل العقل إذن أن تنطلق النجوم وراء ما يسمى بأشباح الجنّ لحفظ السماء منها ولتمنعها من استراق السمع؟

ثانياً: إنّ للنجوم في السماء مسارات ومدارات ومواقع موزونة لا يمكن أن تغادرها لأيّ سبب كان، لأن ذلك يؤدي إلى حدوث انهيارات فضائية كونية في المجرات والمدن النجمية مما يفسد معه نظام الكواكب كلها ومنها الأرض بكل ما فيها.

ولقد أكد القرآن الكريم على حقيقة أن للنجوم مواقع محددة، فقال:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الواقعة 76

كما بيّن أنّ السماء ممتلئة بالمسارات النجمية والكوكبية التي هي مداراتها



وطرقها المحددة لها فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ الذاريات 8

أي ذات المسارات والطرق.

**ثالثاً:** كما بيّن القرآن الكريم أنّ مواقع النجوم قد جعلها الله علامات يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر فقال:

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل 17

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الأنعام 98

فكيف يُعقل إذن أن ينطلق النجم من موقعه مُطارداً للجنّ والعفاريت فيغيّر مكانه المحدد شمالاً وجنوباً، فيضلّ بذلك الناس في ظلمات البر والبحر؟

رابعاً: إنّ التاريخ الفلكي لم يسجل يوماً أنّ نجماً كان الناس يهتدون به شمالاً أو جنوباً أو شرقاً أو غرباً قد غيّر موقعه لمطارده جنّياً مارقاً.

خامساً: ثم لو صحّ أن تترك النجوم مواقعها لتطارد الجنّ والشياطين فتحرّقهم حمايةً للسماء وحفظاً لها، لكان ذلك من شأنه أن يؤدي إلى وجود تناقضٍ متزايد في أعداد النجوم في مواقعها ومساراتها وهذا ما لا يصح وما لم يقبل به عقل ولا نقل.<sup>1</sup>

ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أنّ القرآن الكريم—وفي كثير من آياته—قد عبّر بالأماكن كناية عن ساكنيها وشاغليها والمنسوين إليها، فقال إنّ القرى

<sup>1</sup> أو رد هذا الإشكال الإمام فخر الرازي في تفسيره.

تؤمن أو تكفر أو تظلم وكذلك الأرض تفسد، وقال إنّ الأرض والسماء  
تبكيان، والمقصود بذلك كله الناس أهل هذه الأماكن والمحال، قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ سورة يونس: 99

من الواضح أن المقصود من كلمة (قرية) هنا هو أهل القرية وسكانها من  
الناس. وكذلك نجد في سورة الأنبياء قول ربنا عز وجل:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ الأنبياء 12

أي كان أهلها ظالمين، فعبر عن الناس بذكر المكان الذي يشغلونه  
وينتسبون إليه. كما عبر القرآن عن إحياء الناس بإحياء القرية بعد موتها، جاء  
في سورة البقرة:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ  
بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ سورة البقرة: 260

فالقرية هنا تموت وتحيا، والمقصود بذلك، طبعاً، الناس الذين فيها.

وكذلك عبر القرآن الكريم بذكر القرية كناية عن ساكنيها وبذكر العير كناية  
عن راعيها، جاء في سورة يوسف:

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يوسف: 83

نجد هنا أنّ السؤال للقرية هو كناية عن السؤال لساكنيها والسؤال للعير  
كناية عن السؤال لراعيها من الناس.

وكذلك استعمل البيان الإلهي في القرآن الكريم لفظة الجبال كناية عن ساكنيها، حيث جاء في سورة الأنبياء:

﴿سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ سورة الأنبياء: 80

أي أنّ الله عز وجل قد جعل سكان الجبال من المؤمنين يسبحون مع داوود عليه السلام، وكان هذا فضلاً من الله عليه. وأما إذا أخذنا المعنى اللغوي لكلمة (الجبل) والتي تعني سيد القوم، كما تعني الأمة العظيمة<sup>1</sup>، فيصير المعنى أنّ سادة القوم ومن وراءهم من الناس كانوا يسبحون مع داوود مؤمنين بالله الذي جعله نبياً.

وكذلك كَتَبَ القرآن الكريم بالأرض عن أهل الأرض في قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ سورة البقرة: 252

أي لفسد أهل الأرض جميعاً.

وكذلك جاء في موضع آخر من القرآن الكريم ذكر السماء كناية عن أهل السماء، ودُكِّرَ الأرض كناية عن أهلها، قال تعالى:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ سورة الدخان: 30

وطبعاً ليس المقصود هنا أن للأرض دموعاً تفيض من مآقيها أو أن للسماء عيوناً تبكي بها، بل معنى قوله تعالى ما بكت عليهم السماء: أي ما حزن عليهم أهل السماء وما بكوا عليهم، وما بكت عليهم الأرض أي ما

---

<sup>1</sup> - المعجم الوسيط ومحيط المحيط.

بكى عليهم أهل الأرض وما حزنوا عليهم لأنهم كانوا ظالمين.

من هذا يمكننا أن نفهم إمكانية أن يُعبّر بالسماء كناية عن أهل السماء أي أهل الإيمان والدين، فيكون معنى تزيين السماء بالنجوم والمصابيح التي ترجم الشياطين هو تزيين أهل المجتمع الديني المؤمن بنجوم هذا المجتمع الذين هم العلماء والمصلحون الذين ينيرون بعلومهم سُبل الخير للناس ويكتشفون بهذا النور ضلالات شياطين الكفر والإلحاد من الجن الذين هم كبراء الناس وساداتهم الذين قد يضلون عن سواء السبيل. وهكذا فإن علماء الدين ونجوم المجتمع الديني المؤمن يحمون هذا المجتمع من ضلالات المضللين حين يكونون أصحاب علم صحيح سليم، وإذا ما كانوا عاملين بهذا العلم.

وهمسة أخيرة: ألا تقولون أنتم عن بعض الناس إنهم نجوم مجتمعتكم، فتقولون فلان النجم الصاعد، ولا تقصدون أنه كوكب يشق أجواء الفضاء، بل تقصدون أنه يتألق بقدرات فنية أو علمية متميزة جعلت منه علماً بارزاً في مجتمعه الذي صار فيه نجماً من مشاهير الناس؟

أفتقولون عن الفنان أو العالم أو الأديب في مجتمعتكم نجماً من نجوم المجتمع، وتستغربون أن يعتبر القرآن الكريم علماء الدين والإسلام نجوماً أو شهباً تتصدى بعلمها للضالين والمضللين من شياطين الإنس والجن؟

أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها؟

مالكم كيف تحكمون؟

## \* قصة النبي سليمان والجنّ الذين سخرهم الله له

نسج النّساجون الكثير من الخرافات والافتراءات حول شخصية وقدرات النبي سليمان عليه السلام، حيث زعموا أنه كان يمتلك ناصية أشباح المردة والعفاريت من الجنّ والشياطين الخفية<sup>1</sup> التي ما كانت تجرّو على مخالفته، ولا حتى على النظر إليه، إذ أن الناظر إليه من الجنّ سرعان ما كان يحترق وتلتهمه النار حال نظره إلى النبي سليمان عليه السلام.

وزعموا أنه كان يحادث الطيور وتحادثه بلغتها الخاصة بها، كما كان يكلم النمل وتكلمه. وقالوا إنه عليه السلام كان له ألف زوجة يطوف عليهن جميعاً في ليلة واحدة، وأنه كان له بساط يحمله مئات الألوّف من الجنّ يطيطون به إلى حيث شاء هو ومن معه من مئات الألوّف من الجنود. وزعموا ولّفّقوا الكثير من الخرافات التي لا ترقى إلى العقل والمعقول في شيء<sup>2</sup>.

الحقيقة غير ذلك، فما سليمان إلّا نبيّ من أنبياء الله تعالى الذين آتاهم الله الملك والسلطان في الأرض وجعله نبياً، فعمل بما آتاه ربّه من قدرات سخرها جميعاً لنشر الإيمان والتوحيد في الأرض والناس.

صحيح أنّ القرآن يذكر أنّ الله تعالى قد أعطى سليمان عليه السلام قدرات عظيمة ميزه بها عن كثير من النبيين، إذ جعله ملكاً وسلطاناً قوياً

---

<sup>1</sup> - إن ما ذكره القرآن الكريم حول تسخير الجنّ لسليمان عليه السلام ليس له علاقة بالأشباح، وسيأتي البيان في هذا الفصل بعون الله.

<sup>2</sup> راجع كتب التفسير وقصص الأنبياء.

وقائد جيش كبير، وجعله واسع الثراء كما جعله واسع العلم والمعرفة لأنه كان بفضل عه وع وجل نبياً، ولكن أخطأ الكثير من الناس في فهم حقيقة العطاءات التي أنعم الله بها عليه فبالغوا مبالغه كبيرة إلى حدّ الخرافة والخيال زاعمين أنها كانت معجزات خارقة من الله القادر على كل شيء لسليمان النبي عليه السلام. يقولون هذا في حين أنك لا تجد في القرآن الكريم أيّ إشارة إلى أنّ هذه العطاءات كانت آيات ومعجزات من الله تعالى لسليمان النبي، بل تجد أنها كانت فضلاً من الله وإنعاماً عليه وعلى والده داوود من قبله. ونجد الدليل على ذلك كله في قصة سليمان في القرآن الكريم، حيث نقرأ أنّ علم سليمان بمنطق الطير وإنعام الله عليه بكل شيء إنما كان فضلاً مبيّناً من الله عليه، ولم يكن ذلك معجزة له. جاء في سورة النمل بيان فضل ربنا عز وجل على سليمان، قال:

﴿وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل 17

نلاحظ هنا قول ربنا عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، وهذا يدل على أنّ تعليم سليمان لمنطق الطير وما آتاه الله من شيء إنما كان فضلاً من الله تعالى، ولم يكن آية معجزة له. ولو كان فيما أتى الله سليمان معجزة له لقال إنّ هذه آية مبيّنة، وليس فضلاً مبيّناً، إذ أنّ الدارس للقرآن الكريم يجد بيان الله تعالى في ذكر المعجزات على أنها آيات من الله تعالى لنبي من الأنبياء. فالمعجزة في المصطلح القرآني هي: (الآية)، جاء في سورة البقرة قول ربنا عز

وجل:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ البقرة: 118

أي: أو تأتينا معجزة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها فتبرهن صدق النبي المقصود. وقد عبّر البيان الإلهي هنا عن المعجزة بكلمة (الآية) كما هو واضح بَيِّن.

وكي نتمكن من الفهم الصحيح لحقيقة ما آتى الله نبيّه سليمان من فضلٍ ونعمة، ولنرى فيما إذا كان ذلك معجزة له، لا بد لنا من دراسة حقيقة مفهوم (المعجزة) والفرق بينها وبين الفضل والنعمة اللتين يؤتيهما الله لأتبيائه.

### جاء في قاموس محيط المحيط لبطرس البستاني:

"المعجزة: اسم فاعل من الإعجاز، وهي في الشرع أمر خارق العادة من ترك أو فعلٍ مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة. والهاء للمبالغة. وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وحده. وقال في التعريفات: المعجزة أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة، فُصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله<sup>1</sup>."

نجد من هذا التعريف اللغوي لكلمة "المعجزة" أنها يجب أن تتصف بصفات خاصة مميزة وهي:

---

<sup>1</sup> معجم محيط المحيط.

أن تكون أمراً خارقاً.

أن يكون هذا الأمر الخارق مقروناً بالتحدي.

أن لا يتمكن أحد من معارضة هذا الأمر الخارق بشكل من الأشكال.

أن يكون هذا الأمر مقروناً بدعوى النبوة.

أن يكون المقصود منه إظهار صدق أنه رسول من عند الله.

تلك هي صفات المعجزة في الشرع. وهذا يؤكد أنها لا تأتي صدفة وبغير مناسبة، بل لا بد أن تكون مقرونة بالتحدي لإظهار صدق الرسول، وأن يعجز المعارضون عن معارضتها، وبذلك يثبت أن المعجزة قد تمت بقدرة الله وحده وأنه عز وجل قد أظهرها تصديقاً وتأيداً لرسوله.

إننا إذا درسنا قصة النبي سليمان، عليه السلام، في القرآن الكريم لا نجد مناسبةً تحدٍّ ومعارضةٍ، بل نجده في معرض ذكر فضل وإنعام من الله عليه، ولذلك فهو لم يكن مضطراً، في تلك المواضع، لأن يُظهر الله في شأنه آيات معجزات تؤيده—وهذه ملاحظة هامة جداً جديدة بالتوقف والتأمل.

وتأكيداً على أن المعجزة هي الآية في المصطلح القرآني نذكر بعض الأمثلة من كتاب الله المجيد:

نجد في القرآن الكريم أن ربنا عز وجل قد عبّر عن المعجزات التي آتاها الله



لعيسى وموسى عليهما السلام بكلمة آية<sup>1</sup> وآيات حيث نقرأ دعاء عيسى عليه السلام لربنا عز وجل أن ينزل عليه آية يشهد لها قومه، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ المائدة:

115

وكذلك يبين الله تعالى الأمر الخارق للمألوف في ولادة مريم لعيسى عليه السلام من غير أب، فيقول إن ذلك آية (معجزة) من الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ المؤمنون: 51

وكذلك ذكر الله عز وجل المعجزات التي آتاها لرسوله موسى عليه السلام، على أنها آيات أرسله بها إلى فرعون وقومه قال:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الإسراء: 102

وقال تعالى في شأن فرعون وقومه:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ

فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: 134

وقال أيضاً:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ المؤمنون: 50

وثمة الكثير الكثير من البيان الإلهي الذي يؤكد أن القرآن الكريم قد ذكر

<sup>1</sup> ثمة معان أخرى لكلمة الآية غير معنى المعجزة، إلا أن تلك المعاني تأتي في سياقات مختلفة تحدد معناها.

المعجزات، التي أيد الله تعالى بها رسله تصديقاً لهم، على أنها آيات منه عز وجل، إلا أنّ ما جئنا به من بيان قرآني يكفي بعون الله تعالى لمن يريد الحق والحقيقة.

**ونعود** لقصة الملك سليمان عليه السلام، ونبدأ بتفقدّه للهدد، جاء في سورة النمل قول ربنا تبارك وتعالى عن سليمان:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ النمل: 21

قبل البدء بشرح معنى هذه الآية، دعونا نسأل أنفسنا السؤال التالي: "ماذا يتفقّد قادة الجند عادة؟" لا شكّ في أنّهم يتفقّدون فرق الجند والفرسان، وفرق الرمي والاستطلاع وغيرها، كما أنّهم يتفقّدون قادة الفرق والوحدات. إذن ما علاقة سليمان الملك القائد الذي كان على وشك غزو مملكة سبأ بالطيور إذا كانت من العصافير والطواويس والصقور والنسور والهداهد وغيرها، وهو مُزْمَعُ الانطلاق في حملته العسكرية إلى سبأ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف نفهم قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾؟

لو راجعتم كلمة (الطيور) في قواميس اللغة العربية لوجدتم أنّها بالإضافة إلى كونها تعني الطيور ذوات الأجنحة فإنّها تعني أيضاً: الحيوانات السريعة الجري كالخيل وغيرها. ونجد كذلك أنّ كلمة الطيار هي صيغة مبالغة لكلمة طير والتي تعني الحصان السريع الذي يجري بسرعة هائلة حتى ليبدو وكأنه يطير<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - راجع لسان العرب وموسوعة (لين).

وجاء في قاموس محيط المحيط أنه يمكن إطلاق لفظ الطيران على الإنسان إذا أسرع بأمر، فقال:

"وطار فلان بكذا: سبق به. وطار فلان إلى كذا: أسرع إليه".

وعلى هذا يمكن اعتبار الطير أنهم الفرسان السريعون على ظهور الخيل السريعة العدو.

وكذلك جاء في مراجع اللغة العربية:

الطير: الدماغ.<sup>1</sup>

وعلى هذا يمكن اعتبار أنّ كلمة الطير يمكن أن تشير أيضاً إلى العلماء الذين يسبقون بأدبهم إلى كل علم ومعرفة. ولقد أخطأ الكثير بالاعتقاد أنّ كلمة "الهدهد" في الآية المذكورة تعني طائر الهدهد الصغير الضعيف الطيران والذي يقع بسهولة بالغة فريسة ضعيفة في محالب الطيور القانصة كالصقور أو النسور وغيرها.

والصحيح أنّ كلمة الهدهد هنا إنما تشير إلى إنسان عاقل كان اسمه أو لقبه (الهدهد<sup>2</sup>) وكان من قواد جيش سليمان التابعين لفرقة الطير أو الخيالة السريعي العدو وربما كان من كبار ضباط الاستطلاع أيضاً.

وأما الدليل على أنه كان بشراً عاقلاً ولم يكن طائراً فنجد في الآية ذاتها،

---

<sup>1</sup> - راجع محيط المحيط لبطرس البستاني.

<sup>2</sup> - ورد اسم هدهد في سفر الملوك أكثر من مرة على أنه اسم واحد من الناس.

ولكن قبل البيان، تعالوا نتفكر معاً في المثال التالي:

هب أنك كنت تُري صديقاً لك بعض طيورك الجميلة التي تحتفظ بها في قفص حيث تستمتع بجمال ألوانها وعدوبة صدحها وإنشادها. وافترض أن صديقك هذا أراد أن يمتدح جمال طيورك فقال لك:

"إن هذه الطيور جميلين!"

ثم سألك:

"هل هذه جميع طيورك، أم أن ثمة واحداً من الغائبين؟"

أفكُنتَ عند ذلك تعتبر وصفه لطيورك بأنها "جميلين" وأن أحدها كان من "الغائبين" وصفاً صحيحاً بحسب قواعد اللغة العربية؟ أم ستعتبر أنه قد أخطأ القول، إذ كان يجب عليه—وبحسب قواعد اللغة العربية—أن يقول: "إن هذه الطيور جميلة" وليس "جميلين"، وأن يسألك إن كان ثمة "طيور غائبة"، وليس "غائبين"؟

لا شك في أن وصف الطير يأتي مؤثراً بحسب قواعد اللغة العربية، وهذا ما يؤكد القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ النحل: 80

نجد هنا وصف ربنا تبارك وتعالى للطيور التي تطير بجناحين<sup>1</sup> بأنها

---

<sup>1</sup> ورد في القرآن الكريم بيان يؤكد أن كلمة الطير يمكن أن تطلق على الطيور العادية وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرُ يَطِيرُ إِلَّا جُنَاحِهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأنعام: 38). إن الطائر

﴿مَسْخَرَاتٍ﴾ ولم يقل 'مسخرين'، وذلك لأن الياء والنون في اللغة العربية إنما هي علامة الجمع للعاقل فقط، وبما أنّ القرآن قد قال —على لسان سليمان— عن الهدهد: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ واستعمل له جمع المذكر السالم للعاقل، فهذا يعني أن الهدهد كان رجلاً من رجال سليمان ولم يكن طيراً. وليس غريباً تسمية الناس بأسماء الطيور كالصقر والنسر والعقاب وهذا أمر شائع ومعروف. أما أن نقول إنّ ثمة خطأ لغوياً في هذه الآية —معاذ الله— فهذا أمر لا يوافق عليه أحد من المؤمنين.

إذن كان سليمان عليه السلام هنا يسأل عن الهدهد الذي كان أحد ضباط استطلاعهم وكان سليمان قد بعثه بمهمة استطلاعية، فتأخر في الرجوع إليه وتقديم تقريره، وهذا ما تشير إليه كلمة ﴿تَفَقَّدَ﴾ في الآية كما هو واضح. ويزيدنا القرآن الكريم في هذه الحقيقة بياناً إذا ما تابعنا قراءة الآيات حيث نقرأ قول سليمان عليه السلام عن الهدهد:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ النمل: 21

تصور أن يقول لك شخص ما: إن الملك العظيم فلان صاحب القوة والسلطان قد غضب على بغاء عنده فعذّبه عذاباً شديداً وتنفّ ريشه ريشةً ريشة، ثم ذبحه! أفكنت تستطيع قبول هذه الصورة غير المعقولة عن تصرف الملك؟ فكيف إذن قبلها في حق سليمان الملك النبي عليه السلام؟

---

دائماً يطير بجناحين فلماذا التفصيل هنا؟ هذا يؤكد على أن كلمة الطير يمكن أن تطلق أيضاً على ما لا يطير بجناحين من غير الطيور وهي الخيل السريعة وغيرها كما معنا.

## \* أعجوبة أخرى

ثم تصور أن يقول لك شخص ما:

"لقد اكتشفت حقيقة مرّة في بيتي، وهي أنّ البغاء الذي عندي هو من الطيور الكاذبين"

لا شك أنك عندئذ تستخف عقله بسبب وصفه طيراً أنه: "من الكاذبين" لأن الطيور والحيوانات لا يصح وصفها بالكذب، وذلك لأنها تتصرف دائماً بطبيعتها التي فطرها الله عليها ولا تقصد الكذب وإخفاء الحقائق. ثم إنك حتماً لن تنسى أن تصحح له خطأه في استعماله (الياء والنون) في كلمة "الكاذبين" في شأن البغاء، لأن هذا الجمع يخص العقلاء فقط.

والآن نستطيع أن نفهم كيف أنّ الملك سليمان قد قال للهدهد—بعد أن جاءه بتقريره<sup>1</sup>:

﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النمل: 28

وإليك البيان من أوله لنرى ماذا كان تقرير الهدهد، وبماذا أجابه قائده النبي الملك سليمان عليه السلام:

---

<sup>1</sup> - من المعلوم أنّ للطيور وسائلها الخاصة للتفاهم والتواصل فهي تسافر مهاجرة في جماعات منتظمة يقودها القائد وهي لها عاداتها وأساليبها في العيش والاعتیاد وهذا يمكن اعتباره منطقها الخاص بها.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا \*  
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ \* وَجَدْتُهَا  
وَقَوْمَهَا يُسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ  
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النمل: 23-28

تفكروا معي في هذا البيان العظيم للهدهد المؤمن بالله الواحد والذي  
يستنكر أن تسجد الملوك والعقلاء من الناس للشمس من دون الله الأحد، ثم  
اسألوا أنفسكم أيُعقل أن يكون هذا بياض طائر أعجم؟! ثم أين المعجزة؟ هل  
هي في النبي سليمان الذي يفهم لغة الهدهد، أم في الهدهد ذاته الذي يفهم  
لغة سليمان ولغة غيره من الناس (قوم سبأ)؟! ثم هل أخطأ القرآن—حاشا  
الله—ثانية عندما قال، على لسان سليمان، عن الهدهد:

﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النمل 28

أم كان الحديث هنا عن ضابط أرسل في مهمة فتأخر أو قصر، أو خان  
التزامه وقائده<sup>1</sup> فصار يستحق العقاب أو الإعدام كما يحكم القادة عادة على  
الخائنين من قوادهم وجندهم، ولكن ليس قبل التحقيق والتأكد من حقيقة  
موقفهم، وهذا معنى قوله: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ أي ستحقق من صدقك في أنك التزمت

<sup>1</sup> - ورد اسم ههدد في سفر الملوك الثالث الفصل 11 الإصحاح 14 في قصة سليمان عليه السلام، وهو (هدهد الأدومي). والاستشهاد هنا لمجرد ورود الاسم.

بمهمتك وجئتنا كما تدعي بـ ﴿بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ ونحن أيضا لا بد أن ننظر ونتفكر في حقيقة كل ما نعتقد لنعلم إذا ما كان اعتقادنا وعلمنا علم اليقين.

### \* الملك النبي سليمان والتَّمْلَة التي ﴿قالت﴾

ونسعى الآن بعون الله تعالى إلى بيان قول ربنا عز وجل:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: 18

لا شك في أنّ (النمل) (كالتحل) كلاهما ينتمي إلى جنس الحشرات في مخلوقات الله تعالى. ومن المعروف في قواعد اللغة العربية أنّ جمّع الحشرات إنما هو جمّع مؤنث سالم. والدليل على ذلك في القرآن الكريم، هو قوله تعالى في سورة النحل:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾  
النحل: 68-6

نجد الأمر الإلهي هنا إلى النحل جاء بصيغة التأنيث طبقا لقواعد البيان العربي ولا شك في أن هذا هو الصواب. إذن كيف يمكننا فهم أنّ خطاب التَّمْلَة إلى النمل قد جاء في صيغة المخاطب العاقل وذلك في الكلمات:

﴿يَا أَيُّهَا﴾ بدلا من يا أيتها. ﴿وادخلوا﴾ بدلا من ادخلي ﴿ومساكنكم﴾ بدلا من جحورك، حيث أن المساكن إنما تكون للبشر فقط مصداقاً لقول ربنا عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ النحل: 81



وقوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ طه: 129

وكذلك قوله عز وجل:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسَاكِينِهِمْ﴾ العنكبوت: 39

وهكذا نجد في هذه الآية الكريمة أنَّ جميع مؤشراتنا تشير إلى أنَّ خطاب (النملة) لم يكن إلى حشرات وإنما كان خطاباً إلى عقلاء بدليل الكلمات:

﴿يَا أَيُّهَا﴾ و﴿ادخلوا﴾ و﴿مساكنكم﴾ و﴿يُحْطَمَنَّكُمْ﴾.

فمن هي هذه النملة؟

ومن هم هؤلاء النمل الذين تخاطبهم هذه النملة خطاب العقلاء، بدلالة جمع العقلاء (الواو والألف) في: ﴿ادخلوا﴾ وضمير المخاطب العاقل (الكاف الميم) في: ﴿مساكنكم﴾ و﴿يُحْطَمَنَّكُمْ﴾؟

جاء في تفسير ابن كثير الجزء الثالث الصفحة 359 طبعة دار المعرفة ما

يلي:

"أورد ابن عساكر عن طريق اسحق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن: أنَّ اسم هذه النملة كان (خَرَسٌ)، وأنها كانت من قبيلة يقال لهم (بنو الشيصان)، وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب<sup>1</sup>".

<sup>1</sup> - راجع تفسير ابن كثير. ومن الجدير بالملاحظة أنَّ للنملة ست أرجل فكيف يمكن أن تكون

وماذا عساها تكون هذه النملة العرجاء الهائلة الحجم والتي تنتمي إلى قبيلة  
معينة ؟

إن التعبير «وادي النمل» يشير إلى موقع جغرافي يسكن فيه أهل هذه  
القبيلة من (بني النمل) ولا شك في أنّ مثل هذه التسميات مشهورة بين  
العرب والقبائل العربية، حيث أنّ هنالك (قبيلة بني أسد) وقبيلة (بني كلب)  
وأيضاً (قبيلة مازن) التي تعني ببيض النمل<sup>1</sup>. وكذلك جاء في القاموس:  
"الأبرقة من مياه النملة"<sup>2</sup>.

وقوله "مياه النملة" يدل على اسم مكان تسكنه قبيلة معينة، إذ لا معنى لـ  
"مياه النملة" إذا كان المقصود هو مياه حشرة النمل.

وهكذا فإنّ كلمة (نملة) تشير إلى واحد من قبيلة بني النمل التي كانت  
تسكن هذا الوادي. ولقد جاء في (تقويم البلدان) أنّ «وادي النمل» هذا  
يوجد في منطقة بين (جبرين) و(عسقلان) التي هي مدينة صغيرة على شاطئ  
البحر بعد اثني عشر ميلاً إلى الشمال من (غزة)، قرب صحراء سيناء<sup>3</sup>.

إنّ هذا الوصف يدلّ -بحسب الخرائط القديمة لسورية وفلسطين- على أنّ  
«وادي النمل» هذا يقع قريباً من البحر في منطقة مقابلة لـ (القدس) على

---

عرجاء إذا أصيبت إحدى أرجلها ؟!

<sup>1</sup> - ديوان الحماسة

<sup>2</sup> - (القاموس) للشيخ نصر أبو الوفا.

<sup>3</sup> - راجع تقويم البلدان.

الطريق من دمشق إلى الحجاز، وعلى مسافة مئة ميل منها. وقد كانت هذه المنطقة مأهولة حتى أيام سليمان عليه السلام من قبل العرب والمدينين<sup>1</sup>. وثمة مصادر أخرى تقول إنّ هذا الوادي يقع في اليمن<sup>2</sup>. ونجد على ضوء هذه الحقائق الجغرافية، أنّ الأساطير المنسوجة حول (وادي النمل) إنما هي خرافة وخيال لا يرقى إلى الحقيقة في شيء.

إنّ كل ما تشير إليه هذه الآية الكريمة هو أنّ سليمان عليه السلام قد قابل أثناء مسيرته العسكرية إلى سبأ أناساً من قبيلة كانت تعيش في (وادي النمل) ويُقال لهم بنو النمل وقد خاطبتهم ملكتهم أو ربما زعيمهم مشيراً عليهم بالابتعاد عن طريق جنود سليمان العظيمة القوية حتى لا يظن هؤلاء الجنود أنّ وقوف سكان (وادي النمل) في طريقهم يعني رغبتهم في مقاومتهم فيحطموهم وهم لا يعلمون أنّ هؤلاء الناس لا يريدون قتالاً، ولذلك فقد أشار عليهم قائدهم بالدخول إلى بيوتهم مبتعدين عن ميسرة جند سليمان، لأنّ ابتعادهم يعني في عُرف قوانين الحرب في ذلك العصر أنّهم لا يريدون حرباً<sup>3</sup>. وأما كلمة ﴿لا يشعرون﴾ فتشير إلى اشتهاار التقوى والخير في جنود الملك سليمان، حيث أنّهم لا يعتدون على من لا يُبادر أولاً بالظلم والاعتداء، وهذا

---

<sup>1</sup> - راجع في ذلك الخرائط القديمة لسورية وفلسطين.

<sup>2</sup> - راجع الخرائط القديمة لليمن وكذلك قال ابن بطوطة: (إن بظاهر عسقلان وادي النمل ويقولون إنه المذكور في الكتاب العزيز).

<sup>3</sup> - تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعلن أثناء فتح مكة أنه: (من دخل بيته كان آمناً).

ما جعل سليمان عليه السلام يبتسم راضياً فرحاً بفضل ربه عليه بما اشتهر به هو وجنّده، حيث جاء في القرآن الكريم:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ النمل: 20

إنّ دعاء سليمان هنا عليه السلام يشير إلى أنّ كلام (النملة) عنه وعن جنّوده إنّما كان (نعمة) ولم يكن آية (معجزة) كما أننا نلاحظ هنا أنّه ليس ثمة تحدّي، أو داعٍ لإظهار آية معجزة لتصديق نبوة سليمان عليه السلام، كما يحضر هنا في الخاطر سؤال وهو: ما وجه الإعجاز في أن يرى الناس سليمان الملك عليه السلام يتوقّف ويوقّف جيشه، ثم يميل برأسه ليصغي لنملة ثم يرفع رأسه ضاحكاً ويقول: 'كنتُ أنصتُ إلى هذه النملة وكانت تقول كذا وكذا'؟<sup>1</sup> ولقد مر معنا في تعريف الآية المعجزة أنّ من شروطها ألاّ يقدر أحدٌ على معارضتها أو يحتج عليها، بل لا بد من أن تُعجز الناس عن الردّ فتقيم الحجة عليهم وتُسكت ألسنتهم.

### \* جنّ الملك سليمان

لا شك في أنّ الله تعالى قد سحّر لسليمان الجنّ يعملون له، وقد جاء ذِكر ذلك في القرآن الكريم. إلا أنّ القرآن الكريم لم يقل أنّ هؤلاء كانوا أشباحاً

---

<sup>1</sup> - من المعلوم أنّ للنمل وسائله الخاصة للتواصل والتفاهم ومنها اللغة الكيميائية القائمة على تتبع رائحة معينة يتركها جيش النمل أثناء مسيره راسماً بها خطاً طريقاً لأفراد قبيلته، وليس له حبال صوتية يتكلّم بها—راجع المصادر العلمية الخاصة بالنمل.

أو أرواحاً. ولقد مرّ معنا أنّ كلمة الجنّ تُطلق فيما تطلق على كبار الناس وأثريائهم والقادة وأصحاب النفوذ والأثر، وكذلك على المتميزين منهم بأعمال وقدرات خاصة. وهذا ما جاء بيانه في القرآن الكريم، حيث قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ النمل: 18

وهذا يعني أنّ جيش سليمان كان يتألف من ثلاث فئات هم<sup>1</sup>: القادة، والخبراء، والعلماء، وهم فئة الجنّ من جيشه. وكذلك الجنود العاديين وهم فئة الإنس، ثم فئة الطير، وهي فئة الفرسان الذين يمتطون ظهور الخيل السريعة العدو والتي تسمى في اللغة العربية: (الطير).

ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أنّ كلمة (الطير) يمكن أن تشير في هذا السياق أيضاً إلى طيور الحمام الزاجل الذي كان يُستعمل بكثرة في عهد الملك سليمان عليه السلام وذلك لنقل الرسائل إلى بقاع إمبراطوريته الواسعة والمتراصة الأطراف. وقد أكّد القرآن الكريم على استخدام داود قبل سليمان للطير التي كانت تذهب وتقوب وترجع إليه كما هي الحال في استخدام الحمام لنقل الرسائل، قال ربنا في ذكر داود، والد سليمان، عليهما السلام:

﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ \* وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ص: 18-20

---

<sup>1</sup> - لاحظ كلمة الجنّدي التي جمعها جنود إنما تدل على الناس ولا يمكنك القول عن الحصان أو الطير أنه جنّدي.

ولقد مرّ معنا أنّ تسبيح الجبال مع داوود إنما هو كناية عن تسبيح سكان الجبال حيث يمكن في اللغة العربية ذكر المنطقة كناية عن أهلها وسكانها. إن هذه الكناية لا تزال مستعملة حتى اليوم إذ يمكننا مثلاً القول: "إن العالم بأجمعه يستنكر الممارسات العدوانية والوحشية لإسرائيل على الشعب العربي في فلسطين". إنّ كلمة "العالم" هنا لا تعني الأرض بسهولة ووديانها وجبالها، وإنما تعني سكان العالم من البشر.

ونعود إلى سليمان عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيِّنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾  
سبأ: 13-14

وفي سورة الأنبياء، نقراً قوله تعالى عن سليمان:

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ خَافِظِينَ﴾  
الأنبياء: 83

وكذلك جاء في ذكر سليمان عليه السلام قوله تعالى:

﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينُ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾  
ص: 37-40

تؤكد هذه الآيات تسخير الجنّ لسليمان عليه السلام..

فَمَن هم هؤلاء الجنّ ؟

نقرأ في التوراة أنّ سليمان عليه السلام قد أخضع لحكمه قبائل الجبال المتوحشين، وقد سخرهم في أعمال البناء والتعمير الشاقة مثل قَطْع الحجارة من الجبال وغير ذلك من الأعمال، ولقد أكّد القرآن الكريم تسخير سكان الجبال لـ داوود عليه السلام، وبما أنّ سليمان عليه السلام قد ورث الحكم والمملكة عن أبيه فهذا يعني أنه قد أخضع سكان الجبال له أيضاً. وتبين التوراة أنّ العبيد من غير بني إسرائيل كانوا يُسَخَّنون بالسفن إلى الملك سليمان وكان من بينهم خبراء في الملاحة وغوص البحار.

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني:

﴿وأمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكه. وأحصى سليمان سبعين ألف رجال حاملين، وثمانين ألف رجل يقطعون في الجبل، وثلاثة آلاف وستمئة رجل يناظرون عليهم﴾ الفصل الثاني: 1، 2

مرّ معنا في معاجم اللغة العربية أنّ لفظة (الجنّ) تطلق فيما تطلق على الغرباء الذين يأتون من خارج البلاد. ونقرأ في التوراة أنّ الملك سليمان قد سخر هؤلاء (الجنّ) الغرباء من الشعوب التي خضعت لسلطانه، جاء في سفر الملوك الثالث:

﴿فسخر الشعب الذين بقوا من الأموريين، والحثيين، والفرزيين،

والحويين، واليوسفيين الذين لم يكونوا من بني إسرائيل﴾ الفصل

التاسع: 20

كما ونقرأ عن العبيد الخبراء العارفين في البحر والذين سخرهم سليمان

عليه السلام في أعمال البحار، جاء في سفر الملوك الثالث:

﴿فأرسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان قوماً ملاحين

عارفين بالبحر﴾ الفصل التاسع: 27

رافعةً أشرعتها للريح، كانت سفن سليمان تمخر عباب البحر وتجلب خيرات الأرض بفضل الله تعالى إلى مملكته من الهند ودول منطقة الخليج وبلاد فارس. وهكذا كانت سفن أسطول الملك سليمان<sup>1</sup> تجلب له الكنوز والخيرات من ممالك الأرض التي كانت تبهر إليها. كما ويذكر (سفر الملوك) أنَّ سليمان عليه السلام قد أحرز بقوّته البحرية انتصارات كثيرة، كان منها انتصاره على عماليق وسعير وقد حرّر من (التهابين) اللصوص البلاد الممتدة من حدود يهوذا إلى بلاد أدوم إلى بلاد آيلة وعصيون وجابر<sup>2</sup>.

﴿وجمع سليمان مراكب وفرسانا فكان له ألف وأربعمائة مركبة

واثنا عشر ألف فارس، فأقامهم في مدن المراكب وعند الملك في

أو رشلیم﴾ الفصل العاشر: سفر الملوك الثالث: 27

وأما في البحر، فيقول (سفر الملوك):

﴿لأنّ الملك كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام،

فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين حاملة ذهباً

---

<sup>1</sup> - كان اسم هذا الأسطول (ترشيش) راجع سفر الملوك وقصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار.

<sup>2</sup> - المصدر السابق.



## وفضة وعاجاً وقردة وطواويس ﴿الفصل العاشر: 2﴾

وتولّى الفينيقيون تدريب العبرانين في الملاحة.. ولذلك كان لدى الملك سليمان رجال تعوّدوا التمرس بالبحر للصيد وكانوا يقومون بتنفيذ المهام البحرية التي يأمرهم بها.<sup>1</sup>

وهكذا نجد بكل واقعية ووضوح أنّ قوة البناء في مملكة النبي سليمان عليه السلام، لم تكن بسبب الأشباح والأرواح، ولم تكن بسبب فيوض المعجزات في صناعة وبناء وزراعة أو ملاحة بحرية، أو مراكز برية. بل كان البناء لديه بواسطة القدرات والمهارات والخبرات الفنية والصناعية والحرفية للشعوب التي خضعت لسلطانه أو للعبيد الذين كانوا يُهدّون إليه من ممالك أخرى. وبما أنّ هؤلاء جميعاً كانوا من الغرباء القادمين من بلاد بعيدة، وكانوا خبراء حرفيين من أعلى المستويات فقد صحّت، إذن، تسميتهم بـ (الجنّ)، أو حتى بالعفاريت، وذلك بحسب البيان العربي الدقيق.

وأما عن الشياطين منهم، فلا بد أنّهم كانوا من السجناء المحكومين بجرائم مختلفة فهم لذلك كانوا من الشياطين، وقد كان سليمان يُسخر منهم من كانت لديه مهارات وخبرات في حقول البناء المختلفة من الزخرفة والبناء. ومن البراهين القينية على أنّ هؤلاء الشياطين لم يكونوا أشباحاً ولا أرواحاً هو ما جاء في القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى:

---

<sup>1</sup> - راجع هذه المعلومات في سفر الملوك وقصص الأنبياء للنجار.

﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَعَوَاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ص: 37-38

فقول ربنا عز وجل هنا: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ يُبَيِّنُ بكل وضوح أنَّ هؤلاء الشياطين كانوا بشراً من السجناء المجرمين والمقيدين بالقيود والأصفاد.. فعلى الأخذ بالزعم بالقدرات الخارقة لأشباح الجنّ والشياطين كيف يمكن تصفيدهم بالقيود وحجزهم بها إن كانوا أشباحاً كما يزعمون؟

وهكذا فإنّ الجنّ والشياطين الذين سخرهم الله تعالى لخدمة النبي سليمان عليه السلام، لم يكونوا أشباحاً ولا أرواحاً وإنما كانوا بشراً من العمال والعبيد والأسرى المسجونين الذين كان يستخدمهم في بناء مملكته.

### \* سليمان وعرش ملكة سبأ

حين يَحُلَّ مَلِكٌ أو رئيسُ دولة ضيفاً على بلد من البلاد فإنّ الرئيس المضيف يذهب مع رجال دولته إلى المطار أو إلى حدود دولته لاستقبال الرئيس أو الملك الضيف. وغالباً ما تتم، قبل وصول الرئيس الضيف، الاستعدادات اللازمة لتهيئة ما يسمى بمنصة الشرف لاستقبال الضيف الكبير، وبعد وقوف الضيف على منصة الشرف واستعراض حرس الشرف، يتوجه إلى قاعة الشرف المخصصة لاستقباله كي ينال قسطاً من الراحة قبل بدء زيارته للدولة المضييفة والرئيس المضيف.

هذا ما لا يزال يحدث بشكل أو بآخر حين استقبال ملك أو رئيس في بلد من بلدان العالم. ومن المعروف أنّ هذه الإجراءات تعتبر شكلاً من

أشكال الإكرام للضيف الزائر، والتي لا بد من القيام بها.

وهكذا كان الأمر أيضاً في الأزمنة السابقة حال زيارة ملك من الملوك لملك آخر، وقد حدثنا القرآن الكريم عن الاستعدادات التي قام بها الملك النبي سليمان عليه السلام لاستقبال الملكة بلقيس ملكة سبأ الشهيرة. وإليك القصة من القرآن الكريم حيث يروي أنّ سليمان عليه السلام بعد أن خرج باتجاه مملكة سبأ بلقيس أراد أن يهيئ منصّة أو (عرشاً) لاستقبالها، فجمع مستشاريه وكبار مملكته وكان بينهم الخبراء والفنيين، واستشارهم في مسألة إعداد عرش الملكة بلقيس (أي عرش استقبالها)<sup>1</sup>.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل: 39

إنّ كلمة (المَلَأ) تعني الزعماء وكبار القوم. وها سليمان هنا يستشير كبار قومه في شأن إعداد عرش الملكة بلقيس.

نلاحظ هنا أنّ سليمان لم يحدد المنطقة، ولم يقل: من منكم يأتيني بعرشها "من سبأ". كما أنّ كلمة (يأتيني) إنما تعني هنا (يعمل ويؤم لي) وذلك لأنّ معنى أتى الأمر: أي فعله وأتمه.<sup>2</sup>

وهكذا فإنّ معنى الآية الكريمة هنا "من يستطيع منكم، أيها الخبراء

---

<sup>1</sup> - من الطبيعي أن يسعى العرش المخصص لاستقبال الملكة بلقيس بـ ﴿عرشها﴾ لأنه كان مخصصاً لجلوسها عليه حين استقبالها.

<sup>2</sup> - راجع محيط المحيط ولسان العرب.

المستشارين من كبار القوم،<sup>1</sup> أن يُني ويتّم وينصب لي العرش الذي ستجلس عليه ملكة سبأ حين استقبلنا لها، ولكن بشرط أن يتم هذا قبل مجئها هي وقومها مسلمين؟

﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾  
النمل: 40

نجد في القرآن الكريم أنّ سليمان قد تلقى عرضين رداً على استشارته، وكان هذا هو العرض الأول الذي عرضه عليه العفريت من الجنّ.

إنّ المقطع ﴿عفريت من الجنّ﴾ قد جعل الكثيرين يتوهون في الخرافة والخيال، وذلك لأنهم قد أخذوا بالخرافة والخيال قبل الفكر، بل قبل كلّ شيء، ودون الرجوع إلى المصادر العلمية والمعرفية للأخذ منها، حيث كان لابدّ من دراسة معاني المفردات الواردة في هذه الآية الكريمة بكل إخلاص وعمق ودقّة. فلو رجع هؤلاء إلى معاجم اللغة العربية ليعرفوا معنى كلمة عفريت لوجدوا ما يلي:

"العفريت: النافذ في الأمر المبالغ فيه بدهاء. ويقال رجل عفريت:

أي شديد"<sup>2</sup>

إذن، كان هذا العفريت من الرجال الأشداء النافذين في الأمور؛ ولما كان من ﴿الملاّ﴾، أي كان من الزعماء وكبار القوم فقد كان أيضاً—وبحسب

<sup>1</sup> - باعتبار أنه كان يستشير المعنيين بالخبرة والقدرة المطلوبة من كبار قومه.

<sup>2</sup> - راجع محيط المحيط وغيره من معاجم اللغة العربية.

معاني اللغة العربية — من الجنّ وهو لذلك ﴿عفريت من الجن﴾، وهذا ما أراد القرآن التعبير عنه كما هو واضح بكل جلاء.

وأما قوله: ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾، فلا يعني قبل أن تقف على رجليك — كما يزعمون —، بل إنّ كلمة مقامك هنا تعني المكان الذي كان سليمان قد ضرب فيه خيامه مع حاشيته وجنده، وهو في طريقه لملافاة ملكة سبأ واستقبالها. وحيث أنّ هذا العفريت (الرجل الشديد) كان يمتلك الخبرة والقوة على صناعة هذا العرش في وقت يسير، بدليل قوله: ﴿وإني عليه لقوي﴾، فقد قدّم لسليمان عرضاً أن ينهي صناعة هذا العرش في وقت لا يتعدّى الوقت المزمع لتحرك الملك سليمان من الموقع الذي أقام فيه، ولا بدّ أنّ هذا الوقت كان معلوماً لهذا الرجل العفريت الشديد النافذ في الأمور.

و أما العرض الثاني الذي تلقاه الملك سليمان عليه السلام، فقد كان ﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾، قال تعالى:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ النمل: 41

يقول الزاعمون إنّ آصف بن برخيا، الذي عنده علمٌ بكتاب تسخير الجنّ، هو الذي قدّم هذا العرض، بحيث أنّ الجنيّ المسحّر قد مضى بأقلّ من لمح البصر إلى سبأ وأخذ عرش الملكة بلقيس من قصرها ثم عاد به في نفق من تحت الأرض وأحضره إلى سليمان قبل أن تطرف عينه.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

لو أنّ سليمان النبي قد سمح بهذا العمل لكان قد سمح بسرقة ما يملك الغير، أو على الأقل بأخذ ما يملكون دون إذْنهم ودون علم منهم؛ وحاشا الله أن تسمح أخلاق الأنبياء بذلك. ثم أين الدليل على هذه الخرافة، وهذا الانتهاك؟

إنّ الآية الكريمة تتحدث عن (علمٍ)، وعن (كتابٍ)، وعن رجل (عنده علم من الكتاب)، فأَيّ علم، وأي كتاب يلزم لبناء عرشٍ لاستقبال ملكة عظيمة، الملكة بلقيس؟

إذا وافقنا على أنه العلم بتسخير الجنّ، فهل كان في مملكة سليمان من هو أعلم منه هو بتسخيرهم؟ ألم يكن بإمكانه أن يأمر أسرع جنّه بإحضار العرش إليه مباشرة؟

إذن لا بد أن يكون في الكتاب علمٌ آخر، علم يدخل في حسابه إمكانية صناعة العرش ونصبه وإقامته في حدود الوقت المطلوب، وهو قبل أن يأتوا مسلمين كما تقول الآية الكريمة.

وللاستئناس بآراء بعض الصحابة والعلماء في نَقْي أن يكون صاحب العلم هذا من الجنّ، نجد في التفسير الكبير للرازي آراءً هامّة، حيث يقول بأنّ المفسرين قد أوردوا آراءً مختلفة منها:

.. "قول قتادة: (هو) رجل من الإنس كان يعلم اسم الله الأعظم ..  
وقول ابن زيد: كان رجلاً صالحاً في جزيرة في البحر .. بل هو  
سليمان نفسه.."

ويشرح الرازي سبب كون الرجل الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه وليس غيره بقوله:

"نقول بأنّ سليمان عليه السلام كان أعرف بالكتاب منه (من آصف بن برخيا) لأنه هو النبي .. فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان (عليه السلام)، وإنه غير جائز"<sup>1</sup>

ولكي نتمكن من فهم هذه الآية الكريمة لا بد لنا من فهم معنى كلمة (طَرَفُكَ)

جاء في مراجع اللغة العربية:

"الطَّرَف: الرجل الكريم، ومنتهى كل شيء. والمال الحديث"<sup>2</sup>.

نعلم أنّ سليمان قد قال للهدد (ضابط استطلاعه) إنه سيحقق في المعلومات التي جلبها إليه، وذلك في قوله:

﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

ولا شك في أنّ هذا القول يعني أنّ سليمان كان قد قرر أن يرسل من طَرَفه من يتحقق له من صحة تقرير (الهدد). ولما كان يصح في اللغة القول عن المراقبين والمخبرين عيوناً لقائدهم الذي يرسلهم في مهام محدودة، فيقال قد

---

1 - التفسير الكبير للإمام الرازي المجلّد الثاني عشر ص 197-198 دار إحياء التراث العربي

2- راجع محيط المحيط والمعجم الوسيط.

بثّ المملِكُ عيونه في البلاد، أي أنّه قد أرسل مراقبين ومخبرين ليعرفوا له حقائق الأمور، ولا يعني أنه قد أخرج عينيه من رأسه وقذف بها بين الناس. وهذا معلوم بالبداهة.

إذن فقد كان (طُرف) سليمان هو مبعوثه الذي بعثه لاستطلاع الأمر والتحقق من صحة المعلومات التي جاء بها (الهدهد) عن سبأ وملكتها والقوم الذين فيها.

وهكذا يمكننا الآن فهم المعنى التالي: ﴿قَبِلْ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، بمعنى 'قبل أن يعود إليك مبعوثك الذي بعثته إلى سبأ'، والذي كان لا بد أن يرجع قبل أن تأتي الملكة والوفد الذي معها.

ولكن يبقى السؤال: ما هو العلم الذي لدى هذا الرجل وما هو الكتاب الذي لديه علم منه؟

إنّ انجاز أي مشروع في دولةٍ أو مملكةٍ يتطلب أوّل ما يتطلب معرفة الإمكانات المادية المتوافرة لإنجاز هذا المشروع، وإلا فإنه لا يمكن إنجازه. وبما أنّ كلمة (الطرف) تعني أيضاً المال الجديد المستحدث، كما مرّ معنا، فهذا يشير إلى أنّ الذي عنده علم من الكتاب ربما كان وزير المالية أو مسؤول خزانة الملك سليمان، الذي كان جوابه لسليمان أنه بعد اطلاعه على سجل الخزانة فقد وجد أنّ ما فيها من مخصصات لمثل هذه المشاريع يكفي قبل إيداع مال جديد (الطرف) من عائدات المملكة فيها، ولذلك فقد كان



هذا—الذي عنده علم بإمكانيات خزينة المملكة—جاهزاً ومستعداً للعمل المطلوب تنفيذه مباشرة ودون أدنى إبطاء.

إذن تلقى سليمان عليه السلام عرضين: كان أولهما من جهة التنفيذ، والثاني من جهة التمويل، وهذا هو ما كان بحاجة إلى بحثه ومعرفته.

أما أن يكون العرض هو سرقة عرش ملكة سبأ وإحضاره من اليمن إلى الشام بأقل من لمح البصر، فهذا لا ما يقول به القرآن الكريم ولا يقبل به عقل ومنطق. وينفي الرازي إمكان حصوله عقلاً لأنه يستلزم وجود العرش في مكانين (اليمن والشام) في وقت واحد، وهو لا يجوز<sup>1</sup>.

ومن الدلائل على أنّ الإتيان بعرش بلقيس، ليس فيه آية ولا إعجاز وإنما كان فضلاً من الله عز وجل على سليمان، هو أنّ سليمان بدل أن يقول—بعد أن تم له الأمر: (هذه آية من ربي)، نجدد يقول ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾، وهي الحقيقة التي بينها ربنا تبارك وتعالى في قوله:

﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ النمل: 41

### \* الغاية من استحضر الملكة بلقيس إلى مملكة سليمان عليه السلام

وأما عن الغاية التي قصد النبي سليمان عليه السلام استقدام ملكة سبأ من أجلها، فيمكن تلخيصها بما يلي:

عَلِمَ سليمان عليه السلام أنّ ملكة سبأ وقومها كانوا يعبدون الشمس

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير للإمام الرازي المجلد الثاني عشر، ص 198 دار إحياء التراث العربي

والنجوم من دون الله رغم اشتهاار الملكة بحكمتها ورجاحة عقلها، ورغم اشتهاار شعبها بالرقى والقوة والثراء. فأراد، عليه السلام، أن يلفت نظرها إلى حقيقة التوحيد وأنَّ لله وحده حق العبادة لأنَّ كل عطاء وقوة إنما يكون من عنده عز وجل. وبما أنه قد كان ملكة سبأ عرش تتباهى به، فقد أراد سليمان، عليه السلام، أن يبين لها أن الله قد أعطاه أبهى وأعظم مما أعطاه فيلفتُ بذلك نظرها إلى عظمة عطاء الله عز وجل. ثم أراد أن يلفتَ نظرها إلى أنَّ عليها أن لا تنخدع بالمظاهر الكونية الرائعة كالشمس والنجوم وغيرها، فتعبد لها دون الله معتقدة أنَّ الجمال والبهاء والعظمة منها. لذلك بني لها صرحاً ممدداً من زجاج وأجرى من تحته الماء حتى ليُخيَّل إلى لرائي أنَّ ما يراه هو لجة ماء منساب، ويخفى عنه رؤية الزجاج الذي يجري من تحته الماء. وبهذا يتم البرهان على أنَّ الإنسان قد يخونه نظره وتخونه رؤيته للأمور والحقائق فلا يرى إلا الظاهر للحواس فيتوه عن معرفة الخالق الذي يتجلَّى من وراء كل عظمةٍ وروعةٍ وجلال.

كان هذا ما أراد سليمان عليه السلام بيانه لملكة سبأ وتقدير البرهان عليه، فكان أول أمرٍ أمرَ عمَّاله وفنانيه أن يعملوه هو أن يجعلوا عرش استقبالها عظيماً جداً بحيث يبدو عرشها الذي كانت تتباهى به نكرةً أمام العرش الذي هيَّاه هو لها، وبذلك تدرك عظمة ما أعطاه الله من ثراء وقدرات، ولذلك قال لعمَّاله وفنانيه (العفاريث):

﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ النمل 42

إِنَّ كَلِمَةَ ﴿عَرْشِهَا﴾ تشير إلى عرشها الذي اعتادت أن تجلس عليه في ملكتها، والمعنى: 'اجعلوا عرشها نكرة أمام العرش الذي ستصنعونه لاستقبالها للجلوس عليه، وبذلك تُدرك عظمة عطاء الله لنا'.

وأما قوله:

﴿نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النمل: 42

أي لنرى إن كانت ستدرك عظمة عطاء الله لنا فتتهدي إلى الإله الحق الذي نعبده موحدين. جاء في القرآن الكريم:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النمل: 41

ثم:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل: 45

جاء في بعض التفاسير عن قصد سليمان النبي عليه السلام من هذا العمل ما يلي:

"وقيل: عمله (أي سليمان) ليختبر قول الجن فيها إن أمها من الجن، ورجلها رجل حمار؛ قاله وهب بن منبه. فلما رأت اللجة فرغت وظنت أنه قصد بها الغرق: وتعجبت من كون كرسيه على الماء، ورأت ما هالها، ولم يكن لها بد من امتثال الأمر. ﴿وكشفت عن ساقها﴾ فإذا هي أحسن الناس ساقا؛ سليمة مما قالت الجن،

غير أنها كانت كثيرة الشعر، فلما بلغت هذا الحد، قال لها سليمان بعد أن صرف بصره عنها: ﴿إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ ... وعند ذلك استسلمت بلقيس وأذعنت وأسلمت وأقرت على نفسها بالظلم؛ على ما يأتي. ولما رأى سليمان عليه السلام قدميها قال لناصره من الشياطين: كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة بالجسد؟ فدلّه على عمل التّورة (أي مزيل الشعر)<sup>1</sup>. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي

وجاء في بعض الكتب أنّ الجنّ قد أخبروا سليمان عليه السلام أنّ الملكة بلقيس، بالرغم من جمالها، فإن ساقها كانتا تشبه ساقى الماعز، فأراد أن يتأكد من ذلك بنفسه فعمد إلى حيلة الصرح الممدد فأمر ببنائه وحين طلب إليها دخوله وهو جالس على عرشه يرقب ويلاحظ تصرفاتها، نظرت هي فاعتقدت خطأً أنه لجة، فكشفت عن ساقها لتخوضه فنظر سليمان عليه السلام إلى ساقها فوجد أنهما عاديتان ولكنهما مكسوتتان بالشعر، فأمر الجنّ فصنعوا له مزيل الشعر، فأعطوه لها ثم أسلمت وتزوجها<sup>2</sup>.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

لا ريب في أنّ الحق والحقيقة غير ذلك، وهي أنّ سليمان عليه السلام أراد

<sup>1</sup> - تصوّروا أن يُشغَل سليمانُ النبيّ الرجالَ، ويصرف الأموال فقط من أجل أن يكتشف فيما إذا كان في ساقى الملكة بلقيس شعر أم لا!

<sup>2</sup> - راجع (المفهوم الإسلامي للجنّ والشياطين) للأستاذ نذير مرادني في نقده لخطأ المفسرين كما ورد في تفسير ابن كثير.

أن يبرهن للملكة بلقيس على خطأ الأخذ بظاهر العلم وظاهر الرؤية والمشاهد، بل لابدّ من التفكير بأنّ جميع ما يحيط بنا من ظاهر ومخلوقات إنما يستمد وجوده وقوته وأثره من الله عز وجل. فإلله، في حقيقة الأمر، هو الذي نَوَّرَ الشمس، ورَضَعَ السماء بالنجوم، ومد الأرض، ورفع السماء. وهو الذي أنزل الماء، وبسط البحار، وأحيى الأرض، وخلق الإنسان. وهو الأول والآخر والظاهر والباطن.. وهو بكل شيء عليم، وهو بكل شيء محيط. ولذلك فإنّ الملكة بلقيس اضطربت واحتارت وأبدت عجزها من الناحية الدنيوية المادية حيال عظمة العرش الذي استقبلها لتجلس عليه، ومن الناحية الدينية الروحية حين اكتشفت حقيقة عجزها عن رؤية الصرح الممرّد، وعن إدراك الحقيقة الكامنة وراء مظاهر الرؤية والحجب.

وهذا هو معنى كشفت عن ساقها. حيث يقال في مصطلح اللغة العربية. (كشف عن ساقه) لمن أبدى حيرته واضطرابه وعجزه أمام أمر ما<sup>1</sup>.

ويؤكد القرآن الكريم إبداء الملكة بلقيس لعجزها أمام البرهان الذي قدّمه لها سليمان عليه السلام حيث قال لها:

﴿إِنَّهُ صَرَخَ مُرَدًّا مِنْ قَوَارِيرَ﴾ فجاء ردها المباشر في قولها:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل: 45

مما يؤكد أن سليمان عليه السلام كان قد عمل، في ما عمل، دعوة عظيمة

---

<sup>1</sup> راجع لسان العرب وموسوعة لين.

للإيمان والتوحيد فنجح سعيه ودخلت ملكة وشعبها في دين الله الواحد، وصاروا مسلمين.

### \* قصة هاروت وماروت

حين عزمْتُ بفضل الله تعالى على عمل هذا الكتاب، لم أكن أقصد أن أجعله شاملاً أو مطوّلاً، بل كان هديني مجرد بيان مفاتيح الفهم لحقيقة ما يسمى بالجنّ والشياطين. ولكن أثناء العمل والمتابعة، تبّين لي أنّ ثمة الكثير من الأمور المتعلقة بهذا البحث والتي تُشغل معظم أذهان الناس، فوجدتني مضطراً لتبيين ما أمكن من هذه الأمور بغية تقديم البيان الحق في مواجهه كل خرافة أو جهالة شائعة في الناس لسبب أو لآخر. ولذلك فقد وجدتني مضطراً للبحث في بيان الحقيقة المتعلقة بقصة هاروت وماروت التي وردت في سورة البقرة في القرآن الكريم، والتي نسج كثير من الناس حولها الكثير من الخرافات. تعلمون أنّ القرآن الكريم قد ذكر الكثير من قصص الأولين لحكمة البيان والتعليم وأخذ العبرة من أحداث ونتائج من سبق من الأمم، قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: 112

ومن هذا نفهم لم أنّ القرآن الكريم كان، ولا يزال، يلفت نظر الناس إلى التاريخ في أكثر من موضع. وقد جاء في القرآن الكريم بقصة هاروت وماروت من باب تذكير الناس، وخاصة اليهود، بتاريخ معين كما سنجد حين شرحها

وبيان الحقائق التي جاءت فيها. ولكن قبل البدء في البيان لا بد من أن نذكر باختصار شديد بعض ما جاء من خرافات وتلفيقات نسجها الناسجون حول هذه الآية الكريمة.

قالوا إنّ هاروت وماروت كانا ملكين احتجّا على الله عز وجل في أنّ البشر ليسوا جديرين بحلم الله تعالى وصبره عليهم وذلك لكثرة ما يرتكبون من آثام وأخطاء ، فكان جواب الله لهم: بأنه لو كان في طبيعة الملائكة ما في طبيعة البشر من الغرائز والرغبات والشهوات لارتكبوا الآثام والأخطاء نفسها.

فاعترض الملكان هاروت وماروت، وقالوا إنّهما على استعداد أن يبرهنّا على قدرتهما على الالتزام بأوامر الله تعالى وعدم ارتكاب الأخطاء والآثام. فخلق الله فيهما ما خلق في البشر من غرائز وشهوات وأنزلهما إلى الأرض ليحكمّا بين الناس، ويعلّما السحر لمن يريد ولكن بعد تحذيره من أنه لا ينبغي تعلم السحر لأنه فتنه يفتن الناس ويدفعهم إلى فعل الشر.

ويتابع هؤلاء تأليفاتهم فيقولون:

وبدأ الملكان هاروت وماروت يحكمان بين الناس بالحق ويعبدان الله تعالى بكل تقوى وإخلاص إلى أن جاء يوم ودخلت فيه عليهما امرأة حسناء تحلب اللب جاءتهما ليقضيا في قضية لها، فسحرتهما بحسنها فراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يقتلا شخصاً من الناس أولاً أو يشربا الخمر، فقالا إنّ القتل جريمة كبرى، ولكنهما انصاعا لها فشربا الخمر، وبعد أن سكرّا وغاب رشدهما ارتكبا أيضاً جريمة القتل كما طلبت الحسناء منهما، ثم ارتكبا بعد ذلك

الفاحشة معها، وبهذا فقد ارتكب هذان الملكان الموبقات كلها حال نزولهما إلى الأرض وفيهما غرائز وشهوات البشر. ولذلك فقد حكم الله عليهما أن يُعلَّقَا بين السماء والأرض في تعذيب مستمر حتى تقوم الساعة<sup>1</sup>.

لا شك في أنَّ مثل هذه الرواية، أُنِيَ كان مصدرها، هي خرافة محضة لا يمكن أن ترقى إلى بيان القرآن الكريم في حال من الأحوال.

ونعود إلى الآية الكرّمة حيث قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَاوَتْ وَمَا أُوتِ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 103

عندما تبيّن لليهود أنَّ قوة الإسلام كانت تتنامى باستمرار وأنّ المعارضة له في الجزيرة العربية قد كُسرَت تماماً، أدركوا أنهم لم يقدرُوا على إيقاف الإسلام أو إعاقة تقدمه. عند ذلك جدُّوا في السعي لتحريض القوى الخارجة ضده، ولأنهم كانوا مضطَّهدين من قبل الحكام المسيحيين في البلاد التي كانوا يعيشون

---

<sup>1</sup> - وجار في رواية أنهما عبدا الصنم أيضاً، راجع في ذلك التفسير الكبير ج 3 ص 219 للإمام الرازي.



فيها، فقد لجؤوا إلى فارس ونقلوا مركز نشاطهم الديني إلى بابل<sup>1</sup>. ثم بدؤوا وبالتدريج يمارسون أثراً عظيماً في بلاط ملوك الفرس، وبدؤوا يخططون ويمكرون للقضاء على الإسلام.

وعندما استلم كسرى الثاني رسالة من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوه فيها إلى قبول الإسلام، نجح اليهود في تحريضه على إصدار أوامره إلى (بآذان) حاكم اليمن، التي كانت عندئذ ولاية تابعة للفرس، بأن يلقي القبض على محمد ويرسله إليه.

وتشير هذه الآية الكريمة إلى تاريخ اليهود القديم في المكر والتآمر، وتلفت نظرهم إلى الممارسات الأولى لأجدادهم في تأسيس المنظمات السرية، حيث اتَّهم بعضُ أجدادهم سليمانَ عليه السلام بالكفر<sup>2</sup> متتبعين بذلك وسوسات شياطينهم، ولذلك فقد عمدوا إلى تأسيس هذه المنظمات السرية لتقويض مملكة سليمان. وذكرت التوراة أنهم كانوا يعلمون الأعضاء الجدد في منظماتهم اتخاذ علامات وشارات ورموز ذات دلالات مختلفة يتعارفون فيما بينهم<sup>3</sup>، حتى يتمكنوا من الاستمرار بدأهم الشرير لتقويض إمبراطورية سليمان وتمزيقها، وقد كانوا بهذه الأعمال هم الشياطين الذين تلوا على ملك سليمان أي: افترؤا عليه<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> - تاريخ الأمم ص 550 ل(هيتشنسون)

<sup>2</sup> - راجع سفر الملوك وقصة سليمان في الكتاب المقدس.

<sup>3</sup> - ربما كانت تلك المنظمات السرية تشكل بذرة الماسونية الأولى.

<sup>4</sup> - راجع التفسير الكبير للرازي ومراجع اللغة العربية.

كما ويذكر التاريخ مناسبةً ثانية لجأ فيها اليهود إلى تأسيس منظمات سرية كانت خلال أسْرهم في بابل زمن الملك نبوخذ نصّر. وتذكر التوراة أنّ قديسين هما: (حجاي) النبي و(زكريا بن عدو<sup>1</sup>) قد عملا بتعليم من الله على تأسيس منظمة الغاية منها تمزيق وكسر مجد قوة أعداء بني إسرائيل، وكان هذان الرجلان الصالحان قد حصرا العضوية بالذكور فقط، وكانا يخبران الأعضاء الجدد أنهما كانا نوعاً من الابتلاء لإيمان الناس وأنّ على بني إسرائيل أن لا يرفضوا سعي هذين القديسين لخلاص بني إسرائيل وألاّ يكفروا بهما، ولذلك فقد كانا يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، كانا يعلمان الناس التمييز بين الصالحات والسيئات كي لا ينخدع الناس بالممارسات المضللة.

وعندما تسلّم (قورش) ملك (ميديا) وفارس السلطة، دخل الإسرائيليون معه في معاهدة سرية ممّا سهّل إلى حدّ بعيد تغلّبه على بابل. ومكافأةً لهم على هذه الخدمة فإنّه لم يسمح لهم بالعودة إلى مدينة القدس فحسب، بل ساعدهم أيضاً في بناء معبد سليمان<sup>2</sup>.

إذن تشير الآية الكريمة إلى مناسبتين سابقتين قام فيهما اليهود قديماً بتأسيس منظمات سرية. كانت الغاية في المرة الأولى هي تمزيق وكسر مملكة سليمان، وقد فشلوا في ذلك وأما في المرة الثانية، فقد كانت الغاية تمزيق وكسر أقوى خصوم بني إسرائيل حين أبرموا معاهدة مع الملك قورش الفارسي وقد

---

<sup>1</sup>- راجع سفر عزرا: 5:1.

<sup>2</sup>- تاريخ مؤرخي العالم ج 2 ص 126.

نبحوا فيها.

إن كلمة (هاروت) مشتقة من الفعل (هَرَّت) ويعني: مَزَّقَ، وأما كلمة (ماروت) فهي مشتقة من الفعل (مَرَّت) والذي يعني أيضاً وهو مرث ومرسُ الشيء وغيره في الماء حتى يفترق ويتفتت<sup>1</sup>. وهكذا فإن هاروت وماروت هما اسمان وصفيان ينمّان عن الغاية من تأسيس المنظمات السرية التي أسسها اليهود قديماً، كما وتشير إلى أنّ اليهود في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يزالون يسعون إلى إتباع أساليب أجدادهم القدماء نفسها في التآمر والمكر والتفريق بين الناس، وذلك باستخدام سياسة فرق تسد الشهيرة.

وتقول الآية الكريمة هنا: إنّ اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يتبعون الأسلوب نفسه الذي اتّبعه أجدادهم للقضاء على مملكة سليمان حيث اتّهم الكفرة منهم سليمان بالكفر، قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾.

إنّ التعبير "يتلو على فلان" في اللغة العربية يعني: يفترى عليه كذباً<sup>2</sup>.  
وقال فخر الرازي: "تلا عليه إذا كذب".

إذن المعنى هنا هو أنّ اليهود قد اتّبعوا ما افترت الشياطين على ملك

---

<sup>1</sup> راجع لسان العرب وأقرب الموارد وموسوعة لين في اللغة العربية في مادّة هرت و مرت و مرث

<sup>2</sup> راجع التفسير الكبير للإمام فخر الرازي ، وتاجي العروس.

سليمان بأنه كفر<sup>1</sup> ويقول تعالى:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾

وبما أنّ اليهود قد كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا يعني أنهم قد افتروا عليه بالكذب، وبالتالي اتهموه بالكفر لزعمهم أنه يفتري على الله كذباً بادعائه النبوة. ولذلك فإنّ الآية الكرّمة تبين هنا أنّ أسلوبهم هذا ليس جديداً وإنما هو قديم ومكشوف.

جاء في التفسير الكبير:

"إن ملك سليمان هو النبوة"

وهذا يعني أنّ شياطين الكفر من اليهود قد افتروا كذباً على نبوة سليمان، وأنّ أحفادهم من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتّبّعوا الأسلوب نفسه بالكفر في تكفيرهم وتكذيبهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾

قال الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير<sup>2</sup>:

"اعلم أنّ لفظ السِّحْر في عُرف الشرع مختص بكل أمر يخفى

سببه ويتّخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخذاع"

وجاء في موسوعة لين أنّ السحر هو : إخراج ما هو زائف بشكل حقيقة.

---

<sup>1</sup> راجع سفر الملوك قصة سليمان.

<sup>2</sup> الصفحة 502 ج 3 المجلد الثاني.

كما وثبتُّ مراجع اللغة العربية أنّ كل زيف وخداع وأيّ عمل خادع مكر يقصد إخفاء الهدف الحقيقي عن نظر الناس يمكن إدخاله في مفهوم السحر.

من هذا نستطيع أن نفهم أنّ تعليم شياطين الكفر السحر للناس إنما كان القصد منه التمويه والخداع والتضليل وإخفاء الحقائق عن الناس وإظهار الأباطيل على أنها حقائق.

وهذا هو المقصود بتعليمهم الناس السحر، أي تعليمهم كيفية إظهار الباطل حقاً بالمكر والتزييف والخداع.

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَأُوتَ﴾

إنّ كلمة الملّكين تشير إلى رجلين صالحين<sup>1</sup> جاء في سورة يوسف:

﴿وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: 31

أي أنه يمكن وصف الإنسان بالملك لاعتبارات معينة.

ومما يدل أيضاً على أنّ هذين الملّكين كانا بشراً هو ذِكْرُ الآية الكريمة لحقيقة مخالطتهما وتعليمهما للناس في حين أنّ القرآن الكريم قد بيّن أنّ الملائكة إذا نزلوا الأرض لا يكونون هكذا كالناس المألوفين بشكل عادي، قال تعالى:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ الحجر: 9

---

<sup>1</sup> - جاء في التفسير الكبير: (قرأ الحسن (ملّكين) بكسر اللام وهو مروي أيضاً عن الضحاك وابن عباس. وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك) ج 3 ص 218.

تبين هذه الآية الكريمة أنّ الملائكة لا ينزلون إلّا بالحق، ولا يكونون كالناس الذين يعاشرون بعضهم بعضاً<sup>1</sup>.

إذن نستطيع أن نقول إنّ هاروت وماروت كانا رجلين صالحين كلّهما الله عز وجل بتعليم معين، ودليل هذا التكليف هو قوله عز وجل في هذه الآية: ﴿وما أنزل﴾ على الملكين هذا يعني أنّ الله قد أنزل على هذين الرجلين تعليمًا<sup>2</sup> معيّناً، وأما الملائكة فلا يُنزل الله عليهم تعليمًا بل يأمرهم أمراً بدليل قوله عز وجل:

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ التحريم: 7

وهكذا نفهم أنّ الآية الكريمة تبين أنّ اليهود قد اتّبعا ما افترى كفرّ الشياطين على نبوة سليمان وما افتروه أيضاً على ما أنزل على هاروت وماروت من تعليم، قال الإمام فخر الرازي:

"أي اتّبعا ما تتلوا الشياطين افتراءً على ملك سليمان وما أنزل

على الملكين" الجزء الثالث: ص 217

وقد أثبت الإمام الرازي أنّ ما أنزل على الملكين إنما هو الشرع والدين فقال:

---

<sup>1</sup> - نقل الرازي رأياً قال: "كيف يجوز إنزال الملكين مع قوله تعالى: {ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون}" ج 3 ص 219

<sup>2</sup> - يؤكد الإمام الرازي بطلان الزعم أن يكون هاروت وماروت ملكين عصّيا الله، فيقول إنّ ذلك غير مقبول بدليل: (عصمة الملائكة عن كل المعاصي) ج 3 ص 220.

"..وذلك لأن المنزل عليهما كان هو الشرع والدين والدعاء إلى

الخير وإنما كانا يعلمان الناس ذلك" ج 3 ص 218 المجلد 2

وأورد العلامة الإمام الرازي وجهاً ثانياً لتفسير هذه الآية، فقال:

"الوجه الثاني: أن تكون (ما) بمعنى الجحد ويكون معطوفاً على قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾ كأنه قال: لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملوك سحر، لأنّ السحرة كانت تضيف السحر إلى سليمان وتزعم أنه مما أنزل على الملوك ببابل هاروت وماروت، فردّ الله عليهم في القولين، وقوله: ﴿وما يعلمان من أحد﴾ جحد أيضاً أي: لا يعلمان أحداً بل ينهيان أشد النهي<sup>1</sup>"

ويتابع الرازي فيقول:

"أما قوله تعالى: ﴿حتى يقولوا إنما نحن فتن﴾ أي ابتلاء وامتحان فلا تكفر، وهو كقولك: ما أمرت فلاناً بكذا حتى قلت له: إن فعلت كذا نالك كذا، أي ما أمرت به، بل حدّثته عنه<sup>2</sup>"

ثم يبين الإمام الرازي أنّ التعليم والتعريف بصفة شيء ما يكون لإحدى غايتين: إما الترغيب على العمل به أو لاجتنابه، يقول:

"تعريف بصفة الشيء، قد يكون لأجل الترغيب لإدخاله في الوجود، وقد يكون لأجل أن يقع الاحتراز عنه كما قال الشاعر: "عرفت

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير، ج 3 المجلد الثاني ص 218.

<sup>2</sup> - المرجع والصفحة ذاتهما.

الشر لا للشر لكن لتوقيه<sup>1</sup>

إذن كان ثمة تعليمان للسحر: تعليم من جهة شياطين الكفر الذي افتروا على مُلك سليمان وصاروا يعلمون الناس أساليب المكر والخداع وتزييف الحقائق وإظهار الباطل على أنه حق، وتعليم آخر للسحر كان من جهة الرجلين الصالحين هاروت وماروت اللذين أنزل الله عليهما تعليماً فصّارا يعلّمان الناس كيفية كشف أساليب السحر في الخداع والمكر وتزييف الحقائق، لا لكي يمارسه الناس بل حتى يقوا أنفسهم من شرور السحرة والمزيفين. كما كان هاروت وماروت يعلّمان الناس كيف يمكنهم التفريق بين الناس، وهي سياسة (فرق تسد) التي اتبعها شياطين الكفر من اليهود لتدمير خصومهم، فكان لابد من تعلّم أساليب هذه السياسة حتى لا يقع المؤمنون في براثن شرورها، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾

إنّ من يستطيع التفريق بين المرء وزوجه يمكنه من باب أولى أن يفرّق بين كلّ اثنين وبين المرء وأصدقائه ومعارفه وقومه.... الخ، وهكذا فإن سياسة (فرق تسد) إنما هي سياسة قديمة يتّبعها اليهود منذ قديم الزمان وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة، وتبين أنّ هاروت وماروت كانا يعلّمان الناس أساليب هذه السياسة لحماية أنفسهم من أشرار شياطين وكفار اليهود الذين كانوا يمارسون هذه السياسة لتدمير الدول والممالك والقضاء على الشعوب.

---

<sup>1</sup> - المرجع والصفحة ذاتهما.



﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾

تؤكد هذه الآية هنا حقيقة أنه: ﴿لا يحق المكر السيئ إلا بأهله﴾ وأنّ مكر اليهود في المدينة والجزيرة العربية واتباعهم لأساليب أجدادهم بغية تفويض دعائم الإسلام لن ينجح وأنه سيعود عليهم هم أنفسهم بضرر بالغ. وهذا ما حدث لليهود زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انكشف أمرهم وبأؤوا بغضب الله تعالى وبالفشل المبين.

وهكذا فقد ألقت هذه الآية الكريمة بشكل إعجازي الضوء على تاريخ اليهود الحافل بالمكر والخداع والتآمر والخداع وتأسيس المنظمات السرية العاملة بسياسة (فرق تسد) المشهورة عنهم وذلك بغية تفويض أركان الممالك والدول وإبادة الشعوب لصالح كفرهم وأطماعهم وشهوة التسلط على الناس والتحكم بهم وبما يملكون من كنوز وقدرات<sup>1</sup>.

إنّ الدراسة الدقيقة المتأنّية لهذه الآية الكريمة تثبت هذا الفهم ببيان رائع معجز ومبين.

وختاماً لقصة سليمان عليه السلام لا بد من ذكر بيان قصة:

### \* موت الملك سليمان عليه السلام

قال المفسرون في موت سليمان عليه السلام عجائب كثيرة، منها أنه مات

---

<sup>1</sup> - من المفيد مراجعة (بروتوكولات حكماء صهيون) إذ يتبين أنّ القرآن قد كشف أساليب اليهود في التخطيط والتآمر قبل اكتشاف العالم لها.

واقفاً متكئاً على عصاه وهو يشرف على أعمال البناء التي كان ينفذها له الجنّ، وبقي كذلك واقفاً ميتاً مدة سنة كاملة حتى أكلت الأرضة عصاه ونخرت خشبها فسقط على الأرض ميتاً حين لم تعد عصاه قادرة على دعم جسده الواقف!<sup>1</sup>

ويستدل هؤلاء المفسرون على فهمهم هذا بقول الله تعالى عن سليمان عليه السلام:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ: 14

وذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار المدرس في كلية أصول الدين في القاهرة بكتابه (قصص الأنبياء) روايات مختلفة عن المفسرين، وقال إنهم يؤولون هذه الآية تأويلات عجيبة، وأن كل ما جاء في هذا الباب أحاديث منكّرة. ثم يتابع فيقول: إن ابن كثير يظن أنّ هذه الروايات مما يقوله أهل الكتاب.

وأما عن الزعم بأنّ سليمان عليه السلام قد ظلّ واقفاً متكئاً على عصاه مدة سنة كاملة، يورد الأستاذ النجار تحليلاً للرواية الواردة في ابن كثير في هذا الشأن فيقول:

"ونحن إذا نظرنا إلى متن الحديث وجدناه مضطرباً ومخالفاً لسنة الأنبياء وخصوصاً في عهد بني إسرائيل، إذ أنّ شريعتهم تقضي على

---

<sup>1</sup> - راجع قصص الأنبياء للنجار والتفسير الكبير وغيره من التفاسير.

كل إسرائيلي أن يأتي في العيد ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية، وسليمان شريعته التي يتبعها هي التوراة التي جاء بها موسى وليس له شريعة سواها.

وغير معقول أن يكون سليمان النبي الكريم هو الذي يخالف الشريعة ويمكث في محرابه دون أن يقوم بالمراسيم التي أو جبتها التوراة على كلّ إسرائيلي، فيغيب عنها في وقت يقوم بها الرؤساء والسوقة. وإذا فعل فيكون قد سنّ لبني إسرائيل سنة سيئة تجرّئ سواه على مخالفة الشريعة التي أمر الله بني إسرائيل بحفظها وعدم الإخلال بها. ومعلوم أنّ اليهود في عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة أيام وأن لا يرى الجميع في تخومهم، فإذا كان سليمان قد مكث ميتاً سنة، أما كان له زوجة تسأل عنه وتبعث له بالفطير الواجب في الفصح فتعلم أنه ميت وعنده ألف امرأة؟! "

ثم يستشهد الأستاذ النجار بسفر التثنية الإصحاح 16/ الفصل 16/

حيث جاء:

﴿ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال، ولا يحضرون أما الرب فارغين﴾

ويتابع بعد ذلك تحليله فيقول:

"فمن الذي يقوم بتلك المراسيم والله لم يسنّ لهم البدل ؟ ثم إنّ سليمان بمقتضى مركز الملك الذي يشغله عليه مسؤولية

إقامة العدل بين الناس — كما كان يفعل داوود —... هو أيضاً  
بمقتضى منصبه الملكي تأتية الوفود من الملوك ويطالعه العرفاء  
والرؤساء بمشكلات نواحيهم. فليس من المعقول أن يكون قد مات  
وبقي سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ويُهمل إهمالاً لا يهمله أحد من  
السوقة !"

إنّ هذا التحليل المتفكر يبيّن كيف أنه يستحيل قبول خرافة أنّ سليمان  
عليه السلام قد مات واقفاً متكئاً على عصاه مدة سنة كاملة.

إذن ما هو التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة ؟

كي نستطيع فهم هذه الآية الكريمة لا بد من تبين معاني المفردات التي  
وردت فيها بشكل دقيق.

إنّ كلمة (دابة) يمكن أن تطلق على كل مخلوق يدبُّ على الأرض كما  
هو معلوم كالناس والحيوانات والحشرات أيضاً، قال تعالى:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ هود 7

وإذا كان معنى (الدابة) هو ما يدب على الأرض، فما الغرض من وصف  
الدابة بـ ﴿الأرض﴾ فتكون ﴿دابة الأرض﴾ كما جاء في قوله عز وجل:

﴿وَمَا لَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ سبأ 15

إنّ كلمة ﴿الأرض﴾ هنا ترمز إلى إتباع الهوى على حسب ما يبيّن لنا القرآن  
الكريم، قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ  
مِنَ الْغَالِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

الأعراف: 176-177

إذن يمكننا، وبحسب القرآن الكريم، أن نطلق على الذين يتبعون أهواءهم  
مُخْلِدين إلى الأرض وصفَ ﴿دابة الأرض﴾.

وأما عن كلمة (منسأة) التي وردت في الآية الكريمة فهي في اللغة العربية  
تعني (العصا) وإن كلمة العصا في مراجع اللغة العربية تعني جماعة الناس  
والطاعة والمملك، ولذلك يقولون شق عصا الملك أي خالف الملك، وشق  
العصا أي خالف الجماعة.<sup>1</sup>

وجاء في محيط المحيط أنّ (العصا) تعني جماعة الإسلام، أي إذا كان ثمة  
مُلك فـ (العصا) تعني: جماعة الملك: أي حاشية الملك.

وهكذا إذا قلنا إنّ عصا الملك في مملكة كذا كانت فاسدة أو هشة،  
فالمعنى عندئذ يدل على أنّ حاشية الملك ورجالات ملكه كانوا ضعفاء  
فاسدين.

لقد كان سليمان مَلِكاً قوياً مهيب الجانب مؤيداً بقوة من الله عز وجل،  
ولكن بعد موته خَلَفَهُ ابنه (رحب عام) الذي كان ضعيفاً متبعاً لهواه كما يبين  
الكتاب المقدس<sup>2</sup> مما أدى إلى انهيار مملكة أبيه سليمان وتمزّقها.

<sup>1</sup> - راجع المعجم الوسيط ، ومحيط المحيط ، ولسان العرب.

<sup>2</sup> - راجع سفر الملوك الثالث الفصول 21 ، 13 ، 14 وكذلك الموسوعة اليهودية تحت

إلى هذه الحقيقة تشير الآية الكريمة، وتوضّح بأنّ موت سليمان الحقيقي لم يكن يوم موته، وإنما كان حين تبَيَّن لمن كان في سلطانه وتحت حكمه انهيار قوة مملكته بسبب إتبّاع ابنه (خليفته) لهواه مما أدى إلى أن تأكل الحاشية (دابة الأرض) في الملك، وعند ذلك فقط تبين لرجالات المملكة ولمن كان في مُلك سليمان من الغرباء (العمال والأسرى والحرفيون) أنّ سليمان قد خرّ<sup>1</sup> ومات، وأنه كان بإمكانهم ترك الأعمال المكلفين بها ومغادرة المملكة عائدين إلى بلادهم. وهذا ما حصل، إذ تم طلاق سراح هؤلاء الجنّ الغرباء والشياطين من الأسرى فتفرّقوا كلٌّ إلى بلده وقومه وهم غير مصدقين بما آل إليه مُلك سليمان العظيم<sup>2</sup>.

وهكذا نجد في بيان القرآن الكريم أنّ الحديث عن الجنّ والشياطين لم يكن حديثاً عن أشباح ولا أرواح وإنما كان بياناً ربانياً دقيقاً مفصلاً يتحدث عن واقع الحياة والناس ويلفت النظر إلى حقائق شديدة الصلة والأثر على الإنسان الفرد والناس عموماً.

واستكمالاً منا لهذا البحث وتأكيداً على أنه لا مجال للخرافة والخيال في كتاب الله المجيد، سنعمد بعون الله تعالى إلى رصد ما يلزم من الآيات التي جاء فيها ذِكر الجنّ والشياطين لبيان مفادها والمعنى المقصود فيها على ضوء

---

(رهبوبيم).

<sup>1</sup> - خرّ الرجل: أي مات - راجع لسان العرب.

<sup>2</sup> - راجع (المفهوم الصحيح للجنّ والشياطين حسب بيان القرآن المجيد) للأستاذ نذير المرادني.

الحقائق التي توصلنا، بفضل الله تعالى، إليها في هذا الفصل.

وبعون الله نتابع....

## الفصل التاسع

# تفصيل الآيات في الجنّ والشياطين



بعد البيان الذي قدّمنا في هذا الكتاب، يمكننا الآن أن نفهم بسهولة أكثر حقيقة المعاني الواردة في آيات القرآن الكريم والتي جاء فيها ذكر للجن أو الشياطين.

### \* الآيات التي جاء فيها ذكر الجن

حين نذكر آيات القرآن الكريم، عموماً، الجنّ في مقابلة الإنس، فإنّها تعني كبارّ الناس من القادة والزعماء والأثرياء وأصحاب القدرات والنفوذ والسلطان. ولا شك في أنّ جميع هذه المعاني قد وردت في كتب اللغة العربية ومعاجمها، وهي جميعها صحيحة سليمة، ولا يمكن لأحد الطعن فيها. وقد أثبتنا ذلك في الفصول السابقة من المراجع المعنيّة الموثّقة.

ونبدأ بقول الله عزّ وجلّ :

﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات : 57

تُبين هذه الآية الكريمة أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق الناس، سواء أكانوا عظماءهم من ذوي السلطان والنفوذ والثراء، أو بسطاءهم من الناس العاديين، إلّا لغاية واحدة، وهي أن يعبدوه.

ولكن ما معني أن يعبدوه عزّ وجلّ؟

إنّ الأهمية الأولى لكلمة (عبادة) هي أن يُخضع الإنسان نفسه إلى تدريب وتهذيب روحي صارم شديد، عاملاً بكل ما أوتي من طاقات وقدرات، وعلى أوسع مدى ممكن، وبالتوفيق والانسجام مع الطاعة الخاصة

لأوامر الله عزّ وجلّ وذلك بغية أن يتلقى الأثر الإلهي فيتمكن من أن يجلي في ذاته صفات الله تعالى، وأن يستفيد مما وهبه الله تعالى من صفات غرسها في طبيعته البشرية للبحث عن الله عزّ وجلّ ومعرفته حق المعرفة، فيدرك بهذه المعرفة حقيقة أنّ عليه أن يسلم نفسه إليه كاملاً موحداً. بذلك تتحقق فيه الغاية من خلقه في أن يكون خليفة الله تبارك وتعالى في الأرض<sup>1</sup> وبذلك يكون خيراً عميماً على البشرية وخلق الله جميعاً.

وجاء في سورة الأنعام 113 قول ربنا عزّ وجلّ:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام 113

تُبين هذه الآية الكريمة أنه كلما أرسل الله تعالى نبياً يدعو الناس إلى الله عزّ وجلّ، فإن شياطين الكفر من جماهير الناس وعامتهم، وكذلك من كبارهم وزعمائهم سرعان ما يشنون حملة عداء ضدّ النبي؛ كما يضلّل بعضهم بعضاً بما يوحى بعضهم إلى بعض بالكلام المزخرف المنمّق الذي يملأ صدورهم وعقولهم بالتعالي والغرور.

وكذلك في سورة الأنعام 100 نقرأ قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ﴾ الأنعام 101

تبين هذه الآية الكريمة كيف أنّ الناس يتخذون عظماءهم وسادّتهم

---

<sup>1</sup> - راجع التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد

وكبراءهم شركاء لله سبحانه وتعالى. وهذه حقيقة يشهد عليها التاريخ و المجتمعات البشرية في كل مكان، إلا من آمن بالله ورسله. كما تُبَيِّن ضلالَ من يتخذ كبراء الناس شركاء لله سبحانه وتعالى. وقول الله عزَّ وجلَّ هنا: ﴿وَحَلَقَهُمْ﴾، أي كيف يكون هؤلاء شركاء لله وهو خَلَقَهُمْ، فأين العقل وأين التفكير؟!

ومعنى اتَّخَذَهُمْ شركاء لله هنا، هو أَنَّهُمْ يضعون سادتهم وكبراءهم—في اعتبارهم—في مكانة الذي ينفع ويضرّ، فيطيعونهم في كلِّ حقٍّ وباطل خوفَ أن يضرّوهم، أو رجاء أن ينفعوهم، وبذلك يجعلونهم شركاء الله.

ولقد بيَّن القرآن الكريم كيف أنّ كبراء الناس، أي الجنّ منهم، وكذلك العاديين منهم، أي الإنس، يكونون مشتركين في الجزاء، تأكيداً لحقيقة أنه لا ينجو من حساب الله عزَّ وجلَّ أحد من الناس مهما كان شأنه صغيراً أم كبيراً، عظيماً أم حقيراً، حيث يكون المسيء من كليهما في الجحيم سواءً بسواء، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّاهُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف 180

فهاهم كبار الناس وبسطاؤهم؛ الأسياد وأتباعهم في جهنم بعضهم مع بعض في صعيد واحد. وكان جرمهم أَنَّهُمْ قد كفروا بالله تعالى ورسله، ولم يستفيدوا من أَنَّ الله قد جعل لهم عقولاً ليفقهوا بها بيانَ رسل الله وأنبيائه،

فَكْفَرُوا؛ وجعل لهم أعيناً ليبصروا آيات الله في خلقه وليؤمنوا بقدرته العظيمة، فَعَمُوا؛ وجعل لهم سمعاً لئبصتوا لرسول الله تعالى ويعوا الحق الذي فيها من عند الله، فصَمُّوا. ولم يستفيدوا لا من عقولهم، ولا من أعينهم، ولا من آذانهم، فكانوا غافلين كالأنعام، بل أضلّ منها بكثير!

وجاء في سورة الأعراف قول ربنا عز وجل:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الأعراف: 39

وفي سورة فصلت 26:

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾

وفي سورة الرحمن 40:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾

وذلك لأن وجوههم وسيماهم تَسْوَدُّ وتُنبئ عن كفرهم وجرائمهم وتنطق شاهدة هليهم، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصلت 21

ويتحدّى الله عز وجل كبار الناس، وكذلك صغارهم وأتباعهم—بكل ما يملكون من قوى وقدرات وثراء وسلطان ونفوذ—أن يأتوا بمثل القرآن، ويبين أنهم لا محالة عاجزون عن ذلك حتى لو ساند بعضهم بعضاً بكل إمكاناتهم،

قال تعالى:

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء: 89

ويشهد التاريخ، بكل ثقة ووضوح، على انتصار هذا التحدي منذ أعلنه القرآن الكريم وحتى يومنا هذا مؤكداً حقيقة أنّ القرآن إنما هو كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً.

وجاء في القرآن الكريم:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ الأنعام: 129

من المعلوم أنّ الذين يستكثرون من ولاية الناس والجماهير لهم، هم كبار الناس وأقويائهم وأثريائهم وقادتهم وعلمائهم، حيث يتخذون العمال والحرس والمريدين الذين غالباً ما يكونون من بسطاء الناس البشر وليسوا من جنسٍ جيّ شبيحيّ أو خفيّ. ولا يذكر التاريخ مطلقاً أنّ أشباحاً جنيّة خفية قد استكثرت من اتّخاذ الإنس أولياء لها.

وهكذا مهما درسنا في القرآن الكريم من آية تذكر الجنّ فإننا نجد لها تشير إلى الطبقة البورجوازية من كبار الناس وسادتهم وأثريائهم وعظمائهم وأصحاب السلطان والنفوذ فيهم، بالمقارنة مع العاديين والبسطاء منهم

وجماهيرهم ودهائهم والطبقات الكادحة منهم، ولا يمكن البرهان من كتاب الله بأيّ حال من الأحوال أنه يقصد بالجن أشباحاً أو أرواحاً من غير جنس البشر؛ وقد برهنّا بعون الله تعالى على ذلك في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

ومن كان لا يزال يصرّ على القول بأنّ الجنّ الذين ذكرهم القرآن هم أشباح خفية وأرواح شريرة خبيثة تعبت بالناس وتلهو بهم<sup>1</sup>، أو أشباح غازية طيبة تؤمن بكتاب الله تعالى ودينه الحنيف فتصلي وتصوم وتزكي وتحج وتعمل بكلّ هدي جاء في القرآن الكريم<sup>2</sup>، فعليه أن يثبت صحة هذا الاعتقاد من بيان الله تعالى في القرآن الكريم، أو بيان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف.

### \*بيان الآيات التي جاء فيها ذكر الشيطان

قد مرّ معنا في الدراسة اللغوية للفظـة "الشيطان" أنّها تُشير إلى كلمة أصيلة في اللغة العربية مشتقة من كلّ جذر يتفرّع منه لفظ الشيطان، إذ أنّ فيها مادّة: "شَطَّ"، و"شاط"، و"شوط"، و"شطن". وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلهّب والهلاك والاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تُفهم من كلمة الشيطان جميعها.

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب (كبرى اليقينيات الكونية) بحث الجنّ للدكتور البوطي.

<sup>2</sup> - راجع كتاب (مبادئ العقيدة الإسلامية) للدكتور مصطفى الخن.

**فالشَّطَط:** من الغلَو الذي يدخل في أخصّ عناصر الشيطنة.

**والشَّط:** بمعنى الجانب المقابل، وقد تُلاحظ في مقابل الخير بالشر من جانب الشيطان.

**وشاط:** بمعنى احترق وتلف، وأشاطه بمعنى أهلكه وأتلفه، وشاط تعني أيضاً: انطلق شوطاً، أي ابتعد واندفع في مجراه.

**وشَطَنَ:** أي ابتعد فهو شيطان على صيغة فيعال.

وقد كان العرب يُسمّون الثعبان الكبير بالشيطان، وقيل في بعض التفاسير، إنّ هذا هو المعنى المقصود من قوله تعالى: ﴿طُلُعَها كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الصافات: 66، أي رؤوس الثعابين الكبيرة.

وذكرت مراجع اللغة العربية أيضاً، أنّ الحمى تسمّى<sup>1</sup> شيطاناً باعتبار أنّها مرض يلتهب فيه الجسد بالحرارة الشديدة، وذكرت أنّ العرب يسمّون العطش الشديد بـ "شيطان الفلاة"<sup>2</sup> والرجل الشاطن: الرجل الخبيث).

وجاء في محيط المحيط أنّ الشيطان سُمّي شيطاناً لتمرّده وبعده عن الحق.

هذا ما جاء في اللسان العربي عن لفظة الشيطان، وقد رأينا أنّها تشير إلى كثير من الصفات المشتقة من الجذور المتعددة لهذه الكلمة.

---

<sup>1</sup> - راجع بحث (إبليس) للكاتب الكبير عباس محمود العقاد. وكذلك قاموس لسان العرب في المواد المذكورة.

<sup>2</sup> - محيط المحيط.

وأما في القرآن الكريم، فنجد أنّ ربّنا تبارك وتعالى قد أورد لفظة الشيطان في المواضع المختلفة من آيات كتابه المجيد في بيان معجز دقيق محكم بحيث تشير لفظة الشيطان في كل آية ذُكرت فيها إلى بيان محدّد بإحكام متميّز يؤدّي مفهوماً معيناً يناسب سياق الآية وسباقها والمعنى المقصود فيها. ولذلك فقد أخطأ الكثير من الناس حين أصرّوا على الأخذ بمعنى واحد للفظ الشيطان في كل موضع ذُكرت فيه في القرآن الكريم، معتبرين أنّها تعني دائماً الشيطان الشبح الخفي—على حد زعمهم—والذي يتلاعب بالإنسان كما يشاء ويهوى، في الوقت الذي يتّرجّح هذا المسكين عاجزاً بين يديه وقرونه وأنيابه، فاقد الحيلة والرجاء لأنه لا يرى له شكلاً ولا يُحسّ له وجوداً أو أثراً أكثر من أنّه يتلذّذ بغوايته وإيقاعه في الإثم والضلال.

هذا الفهم الخيالي ليس صحيحاً. وهو فهم سقيم لا يؤيده القرآن الكريم في أيّ شكل كان، بل الحقيقة هي أنّ القرآن الكريم في حديثه عن الشيطان الرجيم إنّما يتحدّث عن واقع حقيقي مشاهد وملموس لا خفاء فيه ولا خرافة ولا خيال. ويمكننا الاطمئنان إلى هذا الفهم، حين نلاحظ أنّ لفظة الشيطان لا تحتوي في أيّ جذر من جذورها المشتقة منها على أيّ غيب أو خفاء.

إذاً ما هي المعاني الحقيقية للفظ الشيطان التي وردت في آيات عديدة في القرآن الكريم؟ لدى تلاوتكم لهذه الآيات تلاحظون أنّها تنسب إلى الشيطان مجموعة من الأفعال التي تدخل جميعها في المعاني الواردة في أصول



هذه الكلمة. فالشيطان بحسب وصف هذه الآيات لأعماله:

يتدرج بالإنسان خطوةً خطوةً يبعده فيها عن الحق والصراط السوي، وهو يستنزل الإنسان ويجعله يزلّ، وهو أيضاً يعد بالفقر ويخوّف أوليائه، كما أنّه يوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وهو يزيّن الأعمال، ويوسوس، ويسوّّل، ويفتن، ويغوي، ويُمَيِّ، ويكيد، ويَنزِع، ويُفسد، ويكفر، ويعد الإنسان غروراً، ويُخلف الوعد، ويعصي الرحمن، ويدعو لارتكاب الخطأ، ويدعو إلى النار، ويصدّ عن السبيل، وكذلك يتبع، ويطوف، ويُنسي، ويُوالي، ويقارن، ويستحوز، ويُحزّب، ويستهو، ويؤزّ، ويهمز<sup>1</sup> وغير ذلك مما ورد من الأعمال التي تتفق جميعاً في أنّها تبعد الإنسان عن الإيمان الصحيح أو إتّباع الحق، أو الالتزام به، أو المضي واثقاً على صراط الله المستقيم، مما يجعله في حالة أذى كبير لنفسه وغيره من الخلق، الأمر الذي لا بد أنّ يؤدي به في النهاية إلى الهلاك المحتّم فيؤول شاطئاً هاوياً في نار جهنم فيُشيط محترقاً بنار شَطْنِهِ وبعده عن الحق شوطاً بعيداً بسبب أعماله وأفكاره الشيطانية المهلكة، ويصير من أصحاب السعير بعد أن جعل نفسه من حزب الشيطان مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر: 7

وتسهيلاً للفهم السليم لمعاني لفظة الشيطان التي وردت في آيات القرآن الكريم، سنعمد إلى دراسة هذه المعاني من خلال تصنيفٍ معيّن يساعدنا

<sup>1</sup> - راجع الآيات التي نسبت هذه الأعمال للشيطان.

على هذا الفهم المقصود.

## \* خطوات الشيطان

يبين القرآن الكريم أنّ الابتعاد عن الحقّ والوقوع في براثن الخطأ لا يتم دفعة واحدة، بل غالباً ما يتم نَقْلَةً نَقْلَةً يبتعد فيها الإنسان عن صراط الله المستقيم، وبالتالي يَشْطُنْ بعيداً عن توفيقه ورضاه، وقد أطلق القرآن الكريم على هذه النقلات المتدرجة التي تَشْطُنْ بالناس بعيداً عن سبيل الله وصف: ﴿خطوات الشيطان﴾، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ النور: 22

وقال عزّ وجلّ:

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ الأنعام: 143

أي أنّ عليكم في سعيكم لطلب الرزق أن تأكلوا حلالاً طيباً، واحذروا أن تتدرجوا شاطنين في الحرام خطوة خطوة فتسعدوا إلى تحصيل رزقكم بطريق غير مشروعة، مبتدئين بالميل القليل في أول الأمر ثم تذهبوا شوطاً بعيداً في الحرام فيصير تحصيلكم للرزق كلّ حراماً من حيث لا تشعرون<sup>1</sup>. إنّ الانتقال المتدرّج من الطلب الحلال للرزق إلى تحصيله بالطرق غير المشروعة، هو ما وصفته هذه الآية بـ ﴿خطوات الشيطان﴾ لأنها تَشْطُنْ بصاحبها شيئاً فشيئاً بعيداً عن الطلب الحلال للرزق إلى طلبه بالحرام. وإنّ المتفكر في هذه الحقيقة

<sup>1</sup> - ليست غایتنا هنا التفسير الكامل للآيات، بل مجرد بيان المقصود بلفظة الشيطان فيها.

يجد أنّ هذه هي السمة السائدة في مثل هذه الحالات.

وجاء في سورة البقرة قول ربّنا عزّ وجلّ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾

البقرة: 209

وهنا أيضاً يُحدِّدنا ربنا تبارك وتعالى من التدرّج خطوةً خطوةً في الشّطن بعيداً عن حالة السّلم مع الناس، ومن استعدادهم أو التعدي عليهم، فنقع معهم في خصومة وحرب وعداء مُهلك بعد أن كان بإمكاننا مسالمتهم والعيش معهم في سلام هانئ رغيد يرضى به الله عتاً، لأنه تعالى يكره أن يؤذي خُلُقَه بعضهم بعضاً، إلّا من ظلم فيدفع عن نفسه بما شرع الله في كتابه، فيكون عند ذلك سعيّاً بالحق وأخذاً به.

ونقرأ في سورة النور قول ربنا عزّ وجلّ:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور: 22

بيّن لنا ربّنا عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة، أنّ وقوع الإنسان في الفحشاء والمنكر يأتي أيضاً بالتدرّج خطوة خطوة، ولا يكون نقلة واحدة.

\* وسوسة الشيطان

بيّن القرآن الكريم أنّ الشيطان يوسوس للإنسان من أجل أن يوقعه في الخطأ ومعصية الله عزّ وجلّ، قال تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ الأعراف: 21

وقال تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا

يُبْلَى﴾ طه: 121

سنأتي على ذكر وتفصيل بيان قصة آدم ووسوسة الشيطان، ورَفُضَ إبليس السجود له في الفصل القادم بعون الله تعالى، ولكنَّ القصد في هذا المقام أن تُبَيَّنَ أنَّ الوسوسة للإنسان هي عمل من الأعمال التي نسبها القرآن الكريم إلى الشيطان الرحيم، وهي في اللغة التحديث بما لا نفع فيه ولا خير، ويقال وسوس الرجل: إذا تكلم بكلام خفي حتى يكرّره (محيط).

كما بيّن القرآن الكريم أنَّ النفس يمكن أن تقوم بعمل الشيطان فتوسوس للإنسان وتكون هي ذاتها شيطانه، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ق: 17

ولقد بيّن القرآن الكريم أيضاً أنَّ العاديين من الناس يمكن أن يوسوسوا بأفكار عديمة النفع والفائدة أو غيرها من الخواطر والإيحاءات المسيئة المؤذية، نقرأ في سورة الناس:

﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

وهكذا نجد أنَّ الوسواس الشيطانية تكون من الناس كما تكون من النفس ذاتها، وفي هذا بيان هام جداً لمن أراد أن يفهم أو يتفكر.

## تَسْوِيل الشَّيْطَان

جاء في قاموس محيط المحيط:

"سَوَّلَ لَهُ نَفْسَهُ كَذَا: زَيَّنَتْهُ لَهُ وَسَهَّلَتْهُ وَهَوَّنَتْهُ"

فالتسويل إذن، هو تزيين الخطأ وتحويل ارتكابه، وبذلك يبعد الإنسان عن الحق ويشطن عنه بتسويل النفس التي تمضي بالخواطر شوطاً بعيداً عن الصواب، وذلك بما تزين وتسهل الخطأ والباطل للإنسان فتكون هي الشيطان الموسوس له لارتكابهما، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ محمد: 26

أي أنّ الشيطان<sup>1</sup> قد زين وزخرف لهؤلاء الارتداد عن الهدى وهونه عليهم فارتدوا بتسويله.

وجاء في سورة يوسف قول يعقوب عليه السلام لأولاده:

﴿يَا بَنِيَّ اسْأَلُوا بَيْنَهُمْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ يوسف: 19

ونرى من الآية 101 من سورة يوسف أنّ تسويل النفس لأخوة يوسف

---

<sup>1</sup> - وهو يمكن أن يعني هنا أية فكرة أو وسوسة أو خاطر أو حتى إنسان يزين ويزخرف فكرة الارتداد ويسهلها سواء بدافع من الأطماع أو الخوف على المصالح الدنيوية أو غير ذلك. يقول الإمام الغزالي: (فسبب الخاطر الداعي إلى الشريسي شيطناً) إحياء علوم الدين ج 3 ص 29

عليه السلام كان هو ذاته نَزَعَ الشيطان لهم، حيث يقول يوسف في معرض ذكره لإحسان ربه به:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ يوسف 101

نجد هنا بكل وضوح أَنَّ نَزَعَ الشيطان لأخوة يوسف عليه السلام كان يكمن في تسويل أنفسهم لهم أمراً، وفي هذا بيان ساطع للمتفكرين.

### \* أَمْرُ الشَّيْطَانِ الْإِنْسَانَ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ

جاء في سورة البقرة قولُ ربنا عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ\* إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 169-170

ونقرأ في سورة يوسف قولَ امرأة العزيز:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يوسف: 54

فها نحن نرى من بيان القرآن الكريم أَنَّ الشيطان يأمر بالسوء، وأنَّ النفس أمارة بالسوء، وأن كلمة (أمارة) التي هي على وزن (فعالة) إنما هي صيغة مبالغة من الأمر بالسوء، يعني أَنَّ النفس تأمر وتأمر كثيراً بالسوء فهي شيطانُ الإنسان وقرينه الذي يأمر بالسوء، لأن الذي يذامر بالسوء يكون شيطاناُ على ضوء ما علّمنا القرآن الكريم.

## \* صَدَّ الشَّيْطَانُ عَنِ السَّبِيلِ

إِنَّ الَّذِينَ يَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَكُونُوا شَيَاطِينَ بِمَا يَزَيِّتُونَ  
لِلنَّاسِ وَيَفْتَنُوهُمْ وَيُشْطِنُوا بِهِمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فَيَضِلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا،  
قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء: 168

ولذلك قد حذّر ربنا تبارك وتعالى عباده من كلّ ما ومن يصدّهم عن  
سبيله بما يزخرف ويزيّن لهم، لأنه إنّما يكون شيطاناً وعدواً مبيناً، قال عزّ  
وجلّ:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ النمل: 25

وقال محذّراً: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الزخرف: 63

وبين الله عزّ وجلّ أنّ الذين كفروا ولم يؤمنوا إنّما هم الشياطين الذين  
صدوا عن سبيل الله، قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾  
النساء: 56

إذن فالشياطين هم الذين يصدون عن سبيل الله وتكون عاقبتهم أنّ  
الله يذيقهم السوء بما يصدّون عن سبيله، قال ربنا:

﴿وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ النحل: 95

ونجد في القرآن الكريم أنّ الكافرين يسعون دائماً بالكيد والمكر الخبيث  
في عدائهم لأنبياء الله ورسله ودينه والمؤمنين به، ويبيّن لنا ربّنا أنه يقابل كيد

الكافرين بكيدٍ قاهر من عنده يُفشَل خططهم ويُخيب آمالهم، فيقول في كتابه المجيد: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا\* وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ الطارق: 16-17

كما بيّن لنا الله عزّ وجلّ أنّ كيد الكافرين للمؤمنين يُضِلّ الرجاء ولا يفلح أبداً، يقول:

﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر: 26

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ غافر 38

ويؤكد القرآن الكريم للمؤمنين أنّهم إن صبروا واثقوا فإنّ كيد الكافرين لا يضرهم، يقول تعالى: ﴿وَأِنْ تَصْهَرُوهَا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ آل عمران: 121

و السبب هو: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء: 77

تلكم هي الحقيقة، فالكافر بكيده لا يبعد الناس عن الحق وعن الإيمان بدين الله تعالى، إنما يجعل من نفسه شيطاناً.. والشيطان لا يُبعد فقط الناس عن سبيل الفلاح، بل هو يبعد نفسه أيضاً عن الفلاح في أيّ عمل قبل الجميع، وذلك بما يشطن من كيدٍ شاطن خائب فيفشَل حتى في كيده للناس وللمؤمنين، وهذا هو السر: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

إذ كيف يفلح الشيطان في كيد يشطن به—أي يأخذ به بعيداً—عن العمل الصائب؟ إنّ الأعمال الناجحة لا بد أن تكون سديدة وصالحة حتى تحقق الغاية والهدف المقصود، ولكن هذه الصفة معدومة في أعمال الشيطان



(أي البعيد عن الصواب) ولذلك كان كيده ضعيفاً.

### \* فتنة الشيطان:

يبين لنا القرآن الكريم أنّ الكافرين يسعون دائماً إلى فتنة المؤمنين والمؤمنات عن دينهم ليجعلوهم كفاراً مثلهم. ووضح أنّ مصير هؤلاء لا بدّ أن يمضي بهم إلى حريق جهنم إذا لم يتوبوا، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ البروج: 11

كما بيّن ربنا تبارك وتعالى أنّ الناس يمكن أن يفتنوا أنفسهم باغترارهم وخداع أنفسهم بالأمان، فقال: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الحديد: 14

ولذلك نجد في القرآن الكريم أنّ الله يحذّر بني آدم من فتنة الشيطان، سواء أكان مصدرها النفس أو الناس، فيقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ الأعراف: 28

و الفتنة عمل شيطان لأنها إكراه للناس على ترك دينهم ولذلك فإن الناس الذين يفتنون الآخرين أو الذين يفتنون أنفسهم. إنما هم شياطين الضلال الذين سيقال لهم في نار جهنم:

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الذاريات: 15

## \*إغواء الشيطان

الغواية تكون من الشيطان، وذلك لأنّ الغاوي للناس إنما يقصد إبعادهم عن الحق وصدّهم عن سبيل الله كيفما يمكنه. ويبيّن لنا القرآن الكريم بأنّ الناس يقومون بهذا العمل وأنّهم سيّعترون في نار جهنم على أنفسهم بالغواية فيقولون لبعضهم: ﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ الصافات: 33

كما بين القرآن الكريم حواراً يجري في نار جهنم بين هؤلاء الذين أغووا بعضهم بعضاً يقولون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا هُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ القصص: 64

ويوضّح القرآن الكريم أنّ الإغواء إنّما يكون من الشيطان الرجيم الذي اتخذ على نفسه عهداً بإغواء الناس أجمعين فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: 40

وهكذا فإنّ الغواية من الشيطان؛ والشيطان هو من يغوي نفسه أو الناس بأيّ شكل كان.

## \* شيطان الفلاة

كانت قوات قريش، في معركة بدر، قد تملّكت موقع الماء، عند ذلك تحوّل المسلمون من خطورة افتقارهم إلى الماء في ذلك الموقف العصيب، لأنّ الافتقار إلى الماء في الصحراء إنّما يؤدي إلى الهلاك عطشاً. وقد كان العرب يسمّون العطش: (شيطان الفلاة)<sup>1</sup>، ولقد منّ الله عزّ وجلّ برحمته

---

<sup>1</sup> - راجع محيط المحيط

على المسلمين بأن أنزل عليهم ماءً من السماء ليذهب عنهم شيطان العطش، قال تعالى:

﴿إِذْ يُعَذِّبُكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾  
الأفعال: 12

ونوجه إلى الذين يصرون على القول بأن المقصود بالشيطان هنا إنما هو الشيطان الشبح المزعوم سؤالاً وهو: ما علاقة نزول الماء بذهاب رجز الشيطان وتطهير المسلمين. إذ الماء إنما يفيد في ذهاب العطش الذي هو شيطان الصحراء كما مر معنا، ويفيد الماء أيضاً في طهارة الجسم والتطهر به للوضوء وغير ذلك، وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة مُضيفَةً أنَّ إنزال الماء على المسلمين قد ساعدهم أيضاً على التشجع للصوص في المعركة أمام أعداء الحق والدين، إذ لم يعد ثمة ضرورة للقلق والخوف من التأثير بالعطش في الحر الشديد.

ويذكر القرآن الكريم علاقة الماء بالشيطان في قصة أيوب عليه السلام، حيث قيل إنه قد أصيب بمرض جلدي، فنادى ربه قائلاً: ﴿أَيُّ مَسِّئَةِ الشَّيْطَانِ بُنْصِبٍ وَعَذَابٍ﴾ ص: 42

نجد هنا أنَّ أيوب عليه السلام قد دعا ربنا عزَّ وجلَّ أن يشفيه من مس الشيطان وتعبه وعذابه، وأنَّ رَدَّ الله تعالى على دعائه كانَ بأنَّ أوحى إليه أن يحث السير إلى مكان فيه ماء بارد ليغتسل ويشرب، فقال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ

هَذَا مُعْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ص: 42

من المعلوم أنّ ثمة ينابيع ماء تحتوي على أملاح معدنية تفيد في الشفاء من الأمراض الجلدية. وهكذا فإنّ اغتسال أيوب عليه السلام في ماء النبع كان فيه شفاؤه من المرض الجلدي الذي أصابه، كما أنّ شربه من الماء البارد كان فيه رواؤه من العطش الذي هو (شيطان الصحراء). ولا يخفي أيضاً أنّ في الاغتسال والشراب من الماء البارد راحة من التعب والنصب وعذابهما. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة.

### \* خلاصة القول

إنّ الشيطان، في تعليم القرآن الكريم، هو مصدر الإيحاء بالأفكار الشريرة التي تصدّ الناس عن سبيل الله الحق وصراطه المستقيم. وقد يكون الشيطان فكرة، أو نازعاً، أو خاطراً، أو كلاماً، أو وسوسة، أو غير ذلك مما يُزَيّن للإنسان ويغويه ويفتنه ويستفزه للقيام بالأعمال الشيطانية التي هي في حقيقتها كلّ ما ينافي الهدى الإلهي من قول وعمل.

ولقد فهم المتفكّرون هذه الحقيقة بكلّ جلاء ووضوح، وعبروا عنها ببيان موجز جامع وجميل، حيث نقرأ في كلمات الكاتب الكبير عباس محمود العقاد قوله:

"إنّ كلّ فكرة عن الشرّ تخطر على ذهن البشري قد تمثلت في صورة من صور الشيطان، وهذا سبب من الأسباب الكثيرة التي تدعو المفكّر الذي يحترم عقله إلى أن يفهم الصورة الدينية على

حقيقتها؛ وحقيقتها أنها لغة حية تُصوّر الوجود الحقيقي تصويراً صادقاً على أسلوبها الذي يستحق الفهم والتعمق والنظر إلى ما وراء الظواهر والألفاظ.. وفي هذه الصورة ظهر الشيطان في ديانات الأمم الكبرى، ثم ظهر في الديانات الكتابية بمختلف الأسماء وكلها تدل على التعطيل والتشويه و الإفساد، ولا تدل على الخلق والتكوين.. كلها قوة سالبة ناقصة وليست بقوة موجبة كاملة تبتدئ بمشيئتها عملاً من الأعمال.. هذه القوة الشيطانية تحوّل الخير عن موضعه أو تُملي للنقص في عيوبه، أو تقف في طريق الكمال عقبه تصدّ الساعين إليه، أو تزيف العملة الإلهية فتجعل الزائف منها كالصحيح في رأي المضللّ المخدوع.

لكنها في جميع أحوالها قوة سالبة وليست بالقوة الموجبة الموجدة بأية حال...

وقد يتمرّد الشر على الخير ويعصيه.

وقد يخرج الشيطان على أمر الله، وقد يشوّ الخلق وينقصه ويستتر محاسنه ويبيدي عوراته ويجول دون رضوان الله تعالى على مخلوقاته، ولكنه يعمل تابعاً ولا يعمل مستقلاً في كون من الأكوان غير الكون الذي خلقه الله.

وفي هذه المراحل جميعاً يدلّ اسم الشيطان على موقفه من القوة الكونية الكبرى، فهو المتمرّد أو هو (الضدّ) أو هو الواشي النمام، أو هو الساعي بالفتنة والمغري بالفساد والموغر للصذور.

وما من اسم للشيطان بين هذه الأسماء إلّا وهو يحمل في دلالاته معنى الإفساد والمنع والتشويه، فليست له القدرة على الخلق والإنشاء إلى جانب قدرة الله...

ولما تقرّرت المقاييس الإلهية في الأخلاق والأعمال، تقرّرت المقاييس الشيطانية بتعاليمها والنسبة إليها، فكان الجديد فيها أنّها معالم شخصية ذات ملامح معلومة لا تُرسم اعتباراً في الواقع أو في الخيال<sup>1</sup>.

".. إنّ فكرة الشيطان أعمق جداً مما يخطر للمتعلّل الذي يحسب أنّه يحلّ كلّ مشكلة بكلمة الوهم أو التلفيق، أو يحلّ كلّ مشكلة بإحالتها إلى جهل الأقدمين وضلالهم في الحس والتفكير.

فهناك صورة للشيطنة بمقدار ما في الذهن البشري من فكرة عن سبيل في هذا الكون: هل الشر قوة أصيلة؟ هل هو قوة إيجابية عاملة؟ هل هو عقبة في طريق الخير؟ هل هو عقبة تريد، وتعمل ما تريد؟ هل هو عقبة لا إرادة لها ولكنها تضاعف جهود الخير وتستدعيه إلى مزيد من الحركة و الثبات؟

إنّ تاريخ الإنسان في أخلاقه الحيّة لا ينفصل من تاريخ الشيطان. وأوله التمييز بين الخير والشر. ولكنه الأول في طريق لم يبلغ نهاية مطافه.

فبعد التمييز بين الخير والشر، خطوة أخرى ألزم من تلك الخطوة

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب (إبليس) للأستاذ عباس محمود العقاد.

الأولى في تاريخ الأخلاق الحية.

وتلك هي معرفة الخير في الصميم.

فقد كان على الإنسان أن يعرف حقيقة الخير ليعمله على علم وبصيرة.

فليس الخير خلواً من الشر وكفى.

وليس الخير ابتعاداً عن الشر وكفى.

وليس الخير عجزاً عن الشر وكفى.

وليس الخير مخالفة عن الشر وكفى.

كلا. بل الخير شيء قائم بذاته، وليس قُصاراه أنَّه امتناع من شيء سواه.

الخير هو القدرة على الحسن مع القدرة على القبيح، وهو الاختيار المطلوب بعد التمييز بين القدرتين.

ولهذا عرفنا من تاريخ الشيطان أنَّه سقط لأنَّه أنفَ من تفضيل آدم عليه السلام.

ومن تلك الآونة عُرِفَت وظيفة الشيطان في هذا العالم وعُرِفَت معها فضيلة الإنسان.

فإنَّما وظيفة الشيطان أن يُثبت عجز الإنسان أمام الغواية والفتنة، وأن يمتحن مشيئته وهو يتردّد بين الخير والشر والمباح والحرام.

إنَّ فضيلة الإنسان أن يصنع خيراً وللشر عنده غواية، وله في نفسه

فتنة، ولولا ذلك لما كان له فضل على الملائكة.. لا جرم كان تاريخ  
الشیطان تاريخاً للأخلاق الحيّة في وجدان آدم وبنیه<sup>1</sup>.  
ولأنّ تاريخ الشیطان كان تاريخاً للأخلاق الحيّة في وجدان آدم علیه  
السلام وأبنائه، فإنّنا  
نجد أنّ الأستاذ العقّاد يبدأ كتابه (إبليس) بقوله:  
"يوم عَرَفَ الإنسانُ الشیطانَ كانت فاتحة خير".  
لأنّ معرفة الشیطان كانت فاتحة التمييز بين الخير والشر، كما كانت  
معرفة الظلام إدراكاً وتمييزاً للنور.  
وكما أنّ الظلام هو الوجود السلبي الذي يظهر حال اختفاء النور، في  
أي حيّز كان.  
فكذلك الشیطان هو وجود سلبي يظهر حال انعدام الخير في أي خاطر  
أو قول أو عمل.  
ومعاذ الله سبحانه وتعالى أن یمكن لأیّة قوة للشر مهما قويت وتعاضمت  
أن تقف مُريدة مختارة في مواجهة قدرته عزّ وجلّ، بل:  
لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم الذي له القوة جميعاً، الذي قال  
في كتابه المجید:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

صدق الله العظيم

---

<sup>1</sup> - (إبليس) للأستاذ عباس محمود العقّاد.





## الفصل العاشر

إبليس

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ الدهر: 2

نعم.. قد أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً.. فالله قد خلق السماء وما كانت سماءً، وخلق الأرض وما كانت أرضاً.

لم يخلق الله السماء دفعةً واحدةً رغم قدرته على ذلك، كما أنه لم يخلق الأرض دفعةً واحدةً مع أنه على كل شيءٍ قدير، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يونس: 4

وقال عز وجل:

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْغُرُورٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيُنْذِرَ﴾ فصلت: 10-11

نعلم أنَّ الله تعالى إنما يخلق بكلمة (كن)، فلماذا تكون المدة؟ ولماذا ستة أيام؟ قال تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ النحل: 41

إذن قد كان خلقُ السماوات والأرض في ستة أيام، والسؤال الذي يخطر في البال هو: هل كانت الأيام مثل أيامنا، أم كان اليوم يوماً من أيام الله التي لا يعلمها إلا هو؟ لو كانت الأيام مثل أيامنا لقال ربُّنا: في ستة أيام مما

تعدّون، وذلك قياساً على قوله في سورة السجدة:

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ السجدة: 6

وثمة من أيام الله ما يعادل خمسين ألف سنة، قال ربنا عزّ وجلّ:

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المعارج: 5

وكم تكون هذه السنة المذكورة هنا، أهي ممّا نعدّ أم أنّ اليوم الواحد فيها كألف سنة؟ لم يحدّد القرآن هذا اليوم، وهذا يعني أنّ اليوم المقصود هنا ربّما كان يساوي آلافاً أو ملايين من السنين. الله وحده أعلم، وما يهمّنا هنا هو أنّ خلق السماوات والأرض كان يتطوّر في ستّ مراحل طويلة الله يعلم مداها. والسؤال هنا ترى ماذا كان يحدث للسماوات والأرض خلال هذه المراحل أو الأطوار الزمنية الستة؟

تُبيّن علوم العلماء وبحوثهم واكتشافاتهم مصداقية الحقيقة القرآنية في تطوّر خلق الأرض وانتقالها من مرحلة إلى أخرى حتى صارت إلى ما هي عليه اليوم في الفترة التي ظهر فيها الإنسان.

كما وتؤكد بحوث العلماء واكتشافاتهم الجادة الدائبة مصداقية الحقيقة التي جادل فيها نوحٌ قومه فقال:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح: 15

"قال الليث: الطّورة، الثّارة يعني حالاً بعد حال.. وقال ابن

الأنباري: الطور الحال، والمعنى خلقكم أصنافاً مختلفين لا يشبه بعضكم بعضاً<sup>1</sup>

وجاء في اللغة العربية أنّ:

"الطور: هو الحال والهيئة والتارة.. والطور: الطبع والنفس والقلب والروح.."<sup>2</sup>

وجاء أيضاً أنّ الطور:

وجمعه أطوار ويعني: الوقت والحال والشرط والخاصية والطبع والهيئة والشكل. وبهذا تعني الآية أنّ الله عزّ وجلّ قد خلق الناس في أشكالٍ مختلفةٍ وأفهامٍ وطباعٍ مختلفة، كما وتعني أنّه تعالى خلقهم في مراحلٍ مختلفة<sup>3</sup>

وهكذا يؤكد القرآن الكريم أنّ الله عزّ وجلّ قد خلق الإنسان من عناصر الأرض وفي أطوارٍ مختلفة حتى جعله في أحسن تقويم، بعد أن قطع شوطاً طويلاً يتطوّر فيه، بعد المرحلة الأولى من خلقه التي بدأها من "الطين"، قال تعالى:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: 8

---

<sup>1</sup> - راجع فخر الرازي ص 139 مج 15

<sup>2</sup> - راجع (محيط المحيط).

<sup>3</sup> - راجع (موسوعة لين) في اللغة العربية، و(التفسير الصغير) للإمام بشير الدين محمود أحمد —النسخة المطبوعة بالإنكليزية.

ولبيان حقيقة ما نقول، لا بد من وقفةٍ مع آيات كتاب الله المجيد التي تحدّث فيها ربّنا عزّ وجلّ عن خلق الإنسان، ونبدأ بـ:

### \* بيان العناصر التي خلّق الله الإنسان منها

نعلم من القرآن الكريم أنّ الله تعالى قد خلق الإنسان من الأرض، يقول تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طه: 56

ونقرأ في القرآن الكريم أنّ التراب هو عنصرٌ من عناصر خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ الروم: 21 وكذلك الماء عنصرٌ من العناصر التي خلق الله منها الإنسان، قال ربّنا:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان: 55

ومن تمازج التراب والماء يتشكل الطين الذي بدأ الله به خلق الإنسان فقال عزّ وجلّ:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: 9

ويتماسك الطين مع بعضه فيصير طيناً لازباً، قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ الصافات: 12

وحين تشتد حرارة الطين يصير صلصالاً، قال ربّنا:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر: 27

قال الإمام فخر الرازي:

"في الصلصال قولان: قيل الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طُبِّخَ فهو فَخَّار، قالوا: إذا توهمت في صوته مدّاً فهو صليل، وإذا توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة"<sup>1</sup>

ويفسر الإمام الرازي مراحل خلق الإنسان فيقول:

"... والأقرب أنه تعالى خلقه أولاً من تراب ثم من طين ثم من حمّاً مسنون ثم من صلصال كالفخار"<sup>2</sup>.

وفي معرض تفسيره لكلمة: "مسنون" يقول العلامة الرازي:

"المسنون: المحكوك وهو مأخوذ من سَنَنْتُ الحجر إذا حككته. وقال الزجاج: هذا اللفظ مأخوذ من أنه موضوعٌ على سنن الطريق.. وقال أبو عبيدة: المسنون المصبوب.. وقال سيبويه: المسنون المصوّر على صورة ومثال<sup>3</sup> من سنة الوجه وهي صورته"<sup>4</sup>.

ومن المعلوم في اللغة العربية أنّ كلمة: "ثم" تفيد في التعاقب مع التراخي إلى حدٍّ أنّها يمكن أن تشير إلى فترةٍ طويلةٍ تالية لفترةٍ سابقة، جاء في سورة الروم قول ربّنا عزّ وجلّ:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ الروم: 40

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير ج 19 مج 10 ص 179.

<sup>2</sup> - المرجع والصفحة ذاتهما.

<sup>3</sup> - قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ التغابن: 3

<sup>4</sup> - (التفسير الكبير) ج 19 ص 180.

إذا لاحظنا قوله تعالى: ﴿يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ نتبين أنّ كلمة ﴿ثُمَّ﴾ هنا تشير إلى فترة تمتدّ من الموت وحتى يوم القيامة، وهي فترة زمنية طويلة لا يعلم طولها إلا الله وحده.

على ضوء هذا البيان الموجز يمكننا أن نفهم الآن حقيقة أنّ خلق الإنسان قد جاء في مراحل متعاقبة وطويلة انتقل فيها من طورٍ إلى آخر متدرّجاً في سنة الله في الخلق. قال ربّنا عزّ وجلّ:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ الأنعام: 3

ترى ما الذي حدث في الأجل الذي قضاه الله بعد خلقنا؟

نجد الجواب في سورة الأعراف حيث يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ الأعراف: 12

أي أنّ الخلق جاء أولاً، ثم جاءت بعده عملية التصوير التي حسّن الله ربّنا من خلالها صُورنا كما أخبرنا في سورة المؤمن فقال:

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ غافر: 65

ونقرأ في سورة السجدة البيان القرآني المتعلق ببداية خلق الإنسان وتناسله وتسويته ونفخ روح الله فيه، قال تعالى:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ

جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾

السجدة: 8-10

نلاحظ هنا أنّ ثمّة مراحل أو أطواراً متعاقبة مرّ فيها الإنسان قبل أن



يصل إلى مرحلة نَفْخ روح الله فيه، وهذه المراحل هي:

(1) ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾

(2) ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾

وهذا يعني أنّ الإنسان في هذه المرحلة صار يتناسل وينجب نسلًا حيًّا يتابع تناسله. ولكنّ السؤال الهام هنا هو: هل حدث هذا التناسل قبل مرحلة التسوية؟<sup>1</sup>

يؤكد القرآن الكريم على أنّ هذه هي الحقيقة، ذلك لأنّ تسوية الإنسان جاءت مرحلة لاحقةً لتناسله، حيث يقول ربّنا:

(3) ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ السجدة: 10

إن هذا البيان القرآني الواضح يؤكد حقيقة أنّ الإنسان قد خلقه الله أطواراً انتقل فيها من مرحلة إلى أخرى حتى تمت تسويته وصار أهلاً لِنَفْخ روح الله فيه.

وجاء في موضع آخر من كتاب الله المجيد خطابٌ للإنسان يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ

فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ الانفطار: 7-9

---

<sup>1</sup> - يؤكد الرازي هذه الحقيقة فيقول: "لأنّ كلمة 'ثم' للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة". ج 25 ص 174.

وفي تفسير قول الله تعالى: "فعدلك" أورد الإمام الرازي ما يلي:

"قال عطاء عن ابن عباس: جعلك قائماً معتدلاً حَسَنَ الصورة لا كالبهيمة المنحنية، وقال أبو علي الفارسي: عدَل خلقك فأخرجك في أحسن تقويم، وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعداً لقبول العقل والقدرة والفكر، وصيّرَكَ بسبب ذلك مستولياً على جميع الحيوان والنبات، وواصلأً بالكمال إلى ما لم يصل إليه شيء من أجسام هذا العالم" <sup>1</sup>.

وجاء في مراجع اللغة العربية عن "الفاء" أنّها:

تفيد التعقيب بمعنى ثم. (أي التوالي) <sup>2</sup>.

وهكذا يمكن أن نفهم قولَ ربّنا هنا بمعنى التعاقب في مراحل خلق الإنسان: أي أنّه تعالى خلقه ثم سوّاه ثمّ عدله، وهذا أيضاً يشير بكلّ وضوح إلى تطوّر الإنسان في طورٍ بعد طور حتى أوصله الله إلى أحسن التقويم بعد أن سوّاه الله ثم عدله وصوّره فأحسن صورته.

وأما عن معنى نَفَخ الروح في الإنسان، فليس صحيحاً الظنّ أنّ الروح هنا تعني النفس التي تجعل الجسد حيّاً وأنّها التي يتوفاها الله حين الموت. بل الروح هنا هي روح الله عزّ وجلّ، وذلك بدليل قوله تعالى:

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير ج 31 مج 16 ص 80

<sup>2</sup> - جاء في مغني اللبيب أنّها تفيد الترتيب والمهلة ص 158.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾<sup>1</sup> الحجر: 30

ولقد مرّ معنا في الفصل الأول من هذا الكتاب أنّ روح الله تعالى إنما هي باختصار وحيه ونوره الذي يُلقيه في قلب الإنسان فينور به عقله وفكره ويهديه إلى سبيل ربه بعد أن أعطاه خلقه، مصداقاً لقوله عزّ وجلّ على لسان موسى عليه السلام:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: 51

وهذه الآية الكريمة أيضاً تشير إلى سنّة التطوّر في خلق الله عزّ وجلّ، تلك السنّة الحكيمة التي بيّنها القرآن واكتشفها العلماء.

### \* اكتشافات العلماء تؤكد الحقيقة القرآنية عن تطوّر الإنسان

قال ربّنا تبارك وتعالى في كتابه المجيد:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت: 21

وكذلك لَقَتَ ربّنا نظرنا إلى حقيقة نشأتنا فقال: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾

هود: 62

ولقد ثبت على مسار تاريخ الإنسان أنّ من أهمّ الأمور التي تواجهه هو السؤال المتعلق بأصله ومصيره، فهو تَوَاقُّ أبداً إلى أن يعرف كيف ومتى ومن أين أتى البشر وإلى أين المصير. ومن هنا جاءت المحاولات من قِبل فلاسفة

---

<sup>1</sup> - راجع دراسة الفرق بين الروح والنفس من القرآن الكريم في الفصل الأول من هذا الكتاب.

اليونان منذ القرنين السادس والخامس قبل الميلاد مثل (انكسمندر) ثم (سقراط) و(أفلاطون) و(أرسطو) الذين خرجوا عن التصوّر (الميثولوجي) الديني واعتبروا الإنسان جزءاً من الطبيعة المحيطة، يتأثر بها وتنطبق عليه قوانينها المادية. وقد أسهم فلاسفة العرب المسلمون في العصور الوسطى، مثل ابن سينا وابن رشد و(ابن مسكويه) وإخوان الصفا في تفسير سرّ الحياة، وحاولوا فهم ذلك ضمن إطاره الطبيعي وبمعزل عن التعليل الفلسفي والروحي الذي كان سائداً في ذلك الحين. وما إن جاء عصر النهضة في أوروبا منذ القرن التاسع عشر حتى أعطي هذا الموضوع دفعةً جديدةً فظهر تيارٌ علميٌّ يعتمد على البحث الدقيق الهادف إلى تحديد مكانة البشر في عالم الحياة والطبيعة.

عند ذلك بدأت الدراسات المختصة التي تقول بتطور الإنسان وارتقائه عبر ملايين السنين. واشتهر باحثون كبار تبّنوا هذه النظرية، من أهمهم الفيلسوف وعالم الطبيعة الفرنسي (لامارك) (1744م - 1829م) وكان أول من طرح نظريةً متكاملةً تناولت كلّ أنواع الكائنات بما فيها الإنسان، مؤكّداً على أنّ التطور هو نظام الطبيعة الأساسي<sup>1</sup>، وأنّ الأنواع تتكيف مع محيطها وتكتسب صفاتٍ تنقلها بدورها إلى أحفادها. وكان المأخذ الرئيسي على (لامارك) هو اعتباره أنّ الصفات المكتسبة متوارثة، لأنّ أعمال (وايزمن) في القرن العشرين أظهرت أنّ هذه الصفات المكتسبة هي غير متوارثة لا كما

---

<sup>1</sup> - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ سورة نوح 15

قال لامارك. وتحت تأثيرات هذا المفكر الكبير ظهر باحث كبير آخر هو العالم المسيحي الورع (تشارلز دارون) الذي عاش بين 1808م - 1882م وأيد نظرية التطور أيضاً وأعطاه أبعاداً جديدةً ثوريةً مؤكدةً على أنّ الحياة غير ثابتة وإنما متحوّلة ويحكمها قانون الاصطفاء الطبيعي الذي أودعه الخالق فيها. وإنّ الإنسان ما هو إلا الفرع الأخير والأرقى في نظام التطور الطويل للفقاريات<sup>1</sup>.

ولقد أخذ هذا الموقف أبعاداً أخرى في القرن العشرين وظهر ما يسمّى بالدارونية الجديدة التي تعتمد على بحوث نظامية ومخبرية صحّحت العديد من منطلقات النظرية الدارونية، وخاصّةً أنّها أثبتت أنّ الصفات المكتسبة ليست متوارثة. ويقف العالمان (وايزمن) و(ليزلي وايت) على رأس أنصار (الدارونية الجديدة). وقد حقّقت البحوث المتعلّقة بعلم الحياة نجاحات متصاعدة على يد علماء عديدين منهم (دوبزانسكي) (وفاندل) وكثيرون غيرهم، تمحورت دراساتهم حول تفاصيل دقيقة تتعلّق بنظام الجينات أو المورثات و(الكروموسومات)، أو الصبغيات كاشفين العديد من خفاياها المعقّدة<sup>2</sup>.

وليس صحيحاً الاعتقاد السائد أنّ الإنسان ينحدر من القردة، بل إنّ الإنسان والقرود ينحدرا من رتبة في الكائنات الفقارية تسمّى (الرئيسيات)

---

<sup>1</sup> - راجع (عصور ما قبل التاريخ) للدكتور سلطان محسن ص 41-42.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ص 43.

وعلى هذا فإنّ العلماء يصنّفون الإنسان من حيث الانتماء إلى:

شعبة الفقاريات، صنف الثدييات، رتبة الرئيسيات، فصيلة الإنسانيات، جنس الإنسان، نوع الإنسان العاقل<sup>1</sup>.

ولم يكن من الصعب على العلماء الباحثين التمييز بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى الشبيهة بالإنسان، وذلك لأنّ من الشروط الحضارية للإنسان القيام بالعمليات الذهنية المعقّدة، أي الذكاء، الذي مكّن الإنسان الأوّل من التحكّم بمحيطه وإخضاعه لحاجاته. وقد ظهر هذا الذكاء بشكل تفكيرٍ هادفٍ ومنظّم قاده إلى صنع الأدوات والأسلحة الحجرية التي تعتبر الدليل الإنساني الأهم، لأنّ القدرة على صنع الأدوات هي التي ميّزت الإنسان عن الكائنات الأخرى التي تستعمل أحياناً الأدوات الطبيعية كالعصي وحتى الأحجار ولكنّها لا تصنعها أبداً، ولذلك فإنّ الأدوات المصنوعة التي وجدت في الحفريات مع الهياكل العظمية للإنسان القديم هي التي ساعدت على اكتشاف حقيقة وجود الإنسان القديم الذي يرجع تاريخه إلى ملايين السنين. فلقد اكتشف العلماء أنّ الإنسان القديم قد توصّل إلى صنع الأدوات منذ حوالي (2.5) مليون سنة. وبدءاً من هذا التاريخ فقط يتحدّث الباحثون عن الإنسان بالمعنى الكامل<sup>2</sup>.

ولقد وجد العلماء آثاراً للإنسان الأوّل، والذي أطلقوا عليه اسم

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 44.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ص 46.

(الأوستروالوبيثك) عام 1924م وقد اكتشفه الطبيب الإنكليزي (دارت) في موقع (تاونغ) ثم دلت الأبحاث اللاحقة أنه منذ حوالي (6) مليون سنة ظهر نوعٌ جديد من الكائنات كانت تسير منتصبّة القامة ولها حجم دماغ كبير، ثم تطوّرت وازداد عددها وأصبحت لها صفات فيزيولوجية قريبة من الإنسان لكنّها لم تستطع صنع الأدوات الحجرية وبقيت بذلك خارج الشروط الإنسانية الكاملة<sup>1</sup>.

ومنذ حوالي (1.5) مليون سنة ظهر نوعٌ جديد من البشر أكثر تطوراً من الإنسان الصانع أطلق عليه العلماء الباحثون اسم الـ (هومو اركتوس) أي الإنسان المنتصب القامة. وقد عُثِرَ على عظامه لأوّل مرة في حوض نهر سولو في جزيرة جاوة منذ عام 1891م على يد الطبيب الهولندي أوجين دوبوا. ويحمل الـ (هومو اركتوس) صفات فيزيولوجية وحضارية أكثر تطوراً من سلفه، فهو كائنٌ منتصب القامة يتراوح طوله بين (150-160) سم وحجم دماغه بين (800-1000) سم<sup>3</sup>. جمجمته أكثر تدوّراً وجبهته أقلّ ميلاناً إلى الخلف. وعظام حواجه بارزة ومتصلة، وذقنه لا زالت غير واضحة.

وقد كان هذا النوع أكثر قدرةً من السابق في السيطرة على بيئته الجغرافية، لأنّه دخل مناطق باردةً جديدةً في أوروبا وآسيا واستفاد بشكل أكبر من الملاجئ والمغاور الطبيعية كما اهتمدى لأوّل مرة إلى بناء الأكواخ

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 51.

البسيطة التي دلت عليها الاكتشافات من تنزانيا وسورية وفرنسا، وبفضل هذه الأكواخ استطاع الإقامة في مختلف المناطق بغض النظر عن طبيعة الطقس، بعد أن ارتدى أوراق الأشجار والنباتات وجلود الحيوانات، كما أنّه عرف، مبكراً، النار التي حققت له فوائد كبيرة من التدفئة والإنارة والطبخ وفي الدفاع عن النفس.

وقد عُثِرَ على دلائل لهذه النار من كينيا في موقع (شيسوانجا) تعود إلى ما يزيد على مليون سنة.

طوّر هذا الإنسان قدراته على الصيد فقلّ اعتماده على النباتات منتقلاً بذلك إلى ما يسمّى بالوجبة اللحمية، بينما كانت الوجبة النباتية هي المصدر الأهم في غذاء سلفه.. كما صنع هذا الإنسان أسلحةً وأدوات حجرية أكثر فاعلية على رأسها الفؤوس اليدوية التي تُنسب إلى الثقافة الآشورية، واسعة الانتشار، والتي استخدمها في قتل الحيوانات وحفر التربة وقطع الأشجار والدفاع عن النفس وغير ذلك. وصنّع الأدوات العظمية والخشبية.. ويعتقد العلماء أنّه أقام حياةً اجتماعيةً منظمة وشكل الأسرة الأولى التي يقف على رأسها أب تتبعه زوجة أو عدّة زوجات وأولاد، وعرف تقسيم العمل حسب الجنس والسن، فاشتغل الرجال في المجالات الشاقة كالصيد بينما عملت النساء في أمور أخرى أهمها تدبير البيت ورعاية الصغار.

ويعتقد الباحثون بأنّه كان لدى (الهومو اركتوس) لغة واضحة المفردات



والمعاني شكّلت الرباط النفسي القويّ بين مختلف أفرادهِ وجماعته التي تناقلت تجاربها ومعارفها عبر هذه اللغة، وعلى مرّ الأجيال.

لقد تخطّطت تلك الكائنات مرحلة العزلة الفردية وتطوّرت ضمن المجموعة الإنسانية الواحدة التي تعاونت في السراء والضراء فكانت تعيش متكافلة متضامنة، تدافع عن نفسها كجماعة، كما تجوع أو تشبع معاً، وكذلك استهلكت من موارد الطبيعة الحرّة ما يكفي لسدّ حاجاتها فقط. ولم تشعر بالضرورة إلى التملّك الخاص بل كانت خيراتها مشاعيةً فبقيت بعيدةً عن متاهات تجميع الثروة وصراعات الغنى والفقير<sup>1</sup>.

### \* إنسان النياندرتال

في حوالي مئة ألف سنة قبل الميلاد ظهر نوعٌ آخر من البشر أكثر تطوراً سواءً في شكله أو في إنجازاته. وقد عُيّر على هياكل هذا النوع لأول مرة في وادي (نياندر) قرب (دوسلدورف) في ألمانيا.. وقد أحدث هذا الاكتشاف في حينه ضجةً كبيرةً ترافقت مع نشر كتاب دارون عن أصل الأنواع، ثم ما لبثت هذه الضجة أن خمدت بعد أن تتابعت عشرات الاكتشافات من مختلف القارات لتؤكد وجود نوعٍ بشريّ جديدٍ سُمّيَ بـ (إنسان نياندرتال). ولهذا الإنسان حجم دماغٍ كبير (1000 - 1200) سم<sup>3</sup>، وجهه مسطح وأقلّ بروزاً إلى الأمام، وحواجه أقلّ غلظةً من سلفه، وجمجمته أكثر تدوراً،

---

<sup>1</sup> - راجع (عصور ما قبل التاريخ) للدكتور سلطان ص 53-56.

وجبهته أقلّ تراجعاً نحو الخلف وله ذقنٌ شبه واضحة. وصار عند العلماء معلومات أوسع عن حياته الاجتماعية والاقتصادية. فقد كان الناندرتاليون أكثر عدداً من سابقيهم، وانتشروا في مناطق جديدة وباردة في نصف الكرة الشمالي لم تُسكن من قبل، فوصلوا حتى سيبيريا بعد أن أتقنوا صناعة الجلود الدافئة وارتدائها كما استغلّوا، على أكمل، وجهِ المغاورِ والملاجئ الطبيعية التي قاموا بتكييفها وإعادة تنظيمها وتقسيمها وإقامة المصاطب والجدران فيها أو توسيع مداخلها أو تضيقها حسب الحاجة. وكذلك طوّروا الاستفادة من النار التي عرفوا كيف ومتى يوقدونها وبطرقٍ مختلفة كالقُدْح والحكّ متحررين من الاعتماد على النار الطبيعية. ولقد عثر العلماء على العديد من الموامد المنتظمة في المواقع التي أقام فيها هؤلاء الناس.

لقد كان إنسان النياندرتال صيّاداً ماهراً قتل حيوانات قوية وخطيرة كالماموث ووحيد القرن مستفيداً من لحمها وجلدها وعظمها. كما ابتكر أسلحةً حجريةً وطُرقَ تصنيع جديدة، فاستخدم لأوّل مرة النّوى المحضّرة بشكلٍ جيد ليصنع منها مختلف أنواع المقاحف والسكاكين والمخارز التي تُنسب إلى ما يسمّى بالثقافة (الفلوازية- المستيرية). وصنع الأدوات المركّبة ذات القبضات الخشبية والعظمية والنصلة الحجرية الحادّة، والأدوات الخشبية والعظمية الخالصة.

وكان إنسان النياندرتال أوّل من مارس المعتقدات الروحية والشعائر الدينية التي كرّست إنسانيته، فهو لم يترك موتاه تنهشهم الوحوش والطيور

الجارحة، بل اهتم بهم ودفنهم بعناية واضحة. وقد عُثر على القبور النياندرتالية ضمن المغاور والملاجئ أو في المواقع المكشوفة في العديد من المناطق كفلسطين والعراق وفرنسا ومناطق الاتحاد السوفيتي السابق، وكانت معظمها قبوراً فردية منتظمة، وأحياناً جماعية وُضعت فيها الجثث مثنى أو جانبية أو مقلوبة وطليت بالألوان وزوّدت بالأسلحة والأدوات والأطعمة وغير ذلك، مما يدلّ على أنّ إنسان النياندرتال كان عميق المشاعر وأنّه قد تأثّر بالموت واتخذ منه موقفاً محدداً واعتقد أنّ الموت لا يُنهي الحياة ولذلك فقد زوّد إخوانه وأفراد أسرته وأحبابه من الموتى بكلّ ما يحتاجونه.

ولقد خصّ هذا الإنسان جماعه موتاه، أي رؤوسهم بعناية متميزة فدَفَنَهَا بشكلٍ مستقل<sup>1</sup>.

### \* الإنسان العاقل

ظهر بين حوالي (40-35) ألف سنة قبل الميلاد نوعٌ جديد وآخر من البشر مُحدّثاً انعطافاً كبيراً في مسيرة التطور البيولوجي والحضاري للإنسان، يسميه الباحثون: (الإنسان العاقل) (الهوموسابين). وقد عُثر على هياكل هذا النوع لأول مرة منذ عام 1868م في موقع (كرومانيون) في فرنسا مقاطعة (الدردون) الشهيرة، ومن هنا أُطلق عليه اسم إنسان كرومانيون. وبعد ذلك تابعت مئات الاكتشافات من مختلف المناطق وهي تدلّ على

---

<sup>1</sup> - (عصور ما قبل التاريخ) للدكتور سلطان محيسن ص 56-59.

أنّ إنسان كرومانيون هو الجدّ المباشر لإنساننا الحالي، وهو الذي امتلك الصفات الفيزيولوجية والاجتماعية الأقرب لنا، لأنّه لا يختلف عنّا إلّا بقدر ما تختلف العروق البشرية الحالية بعضها عن بعض. ومن أجل تمييز الأنواع القديمة منه عن الحديثة، يسميه الباحثون: الإنسان العاقل الحفري، بينما يُطلق على نوعنا اسم: الإنسان العاقل الحديث.

وهذا الإنسان العاقل طويل القامة بين (160-170) سم حجمته مكتملة التدوّر، جبهته عريضة ومستقيمة، وجهه مسطحّ وذقنه بارزة وحجم دماغه يصل إلى مستوى دماغ الإنسان الحالي: (1400-1500) سم<sup>3</sup>، وفكّاه وأسنانه مثل فكّي وأسنان الإنسان الحالي أيضاً.

ولقد دفع ظهور الإنسان العاقل الحضارة بشكل لم يسبق له مثيل، إذ بلغ المستوى الاجتماعي والاقتصادي في عهده درجة عالية من التقدم والتنوّع. وقد تجسّد ذلك مع العديد من الابتكارات الجديدة: كالأسلحة والأدوات الحجرية والعظمية مروراً بالبناء والفن والمعتقدات، وانتهاء بالاستقرار والزراعة والتدجين. وقد انتشر هذا الإنسان في كل أرجاء المعمورة ووصل إلى مناطق لم يدخلها أي نوع قبله، وكان أوّل من سكن القارة الأمريكية والاسترالية وأصبح النوع الإنساني الوحيد السائد في جميع القارات<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 61-63

وهكذا فقد عرف العلماء المختصون والمتهمون الكثير عن الإنسان القديم منذ ملايين السنين وحتى عصرنا الحالي. وبرز مع اكتشافاتهم المتتابة والمتطورة علم مختص ومتميز أطلق عليه اسم: (علم ما قبل التاريخ)، وقد ابتكر علماء هذا العلم الكثير من الأسس والأساليب العلمية المتطورة بغية الوصول إلى حقائق مؤكدة وموثقة تزيدهم معرفة بالإنسان القديم وبيئته ومجتمعه وحضارته.

ولقد كان من أهم المؤشرات العلمية الصحيحة التي تدلّ على وجود الإنسان القديم في منطقة ما هي الأدوات المصنوعة والتي صنعها الإنسان القديم بنفسه بدكاء ومهارة فائقة تشير إلى القدرات البشرية المتميزة التي كان يتمتع بها ويستخدمها لتسهيل شؤونه في حياته اليومية على قدر احتياجاته المختلفة. ولقد أثبت الكاتب والباحث الفرنسي بوشير دوبرت أنّ الأدوات التي وُجِدَتْ في المناطق التي عُثِرَ فيها على هياكل الإنسان القديم إنما كانت أدوات وأسلحة صنعها ذلك الإنسان واستخدمها في قتل الحيوانات الكبيرة كالذب والفيّل ووحيد القرن حيث وُجِدَتْ تلك الأسلحة مقرونة بعظام تلك الحيوانات في موقع (أبيفيل) في حوض (نهر السوم) في فرنسا. وفي الفترة ما بين 1847-1860 قام العالم (دوبرت) بنشر ثلاثة مجلّدات عن آثار الإنسان في العصور الجليدية أثارت نقاشاً حاداً شدّ إلى جانب المؤلف عدداً من المفكرين. وقد تدعمت استنتاجات دوبرت باكتشافات ثانية قام بها فرنسي آخر هو (غودي) في الزمن نفسه والمنطقة نفسها، ولكن في موقع

آخر هو (سان آشيل) حيث عثر على أدوات حجرية معظمها فؤوس متطورة الصنع وأكثر دقة من التي اكتشفت في (آيفيل).

وهكذا فإنّ عشرات الألوف من الأدوات والأسلحة التي صنعها الإنسان القديم على مسار تاريخه كانت من أهم المؤشرات على وجود القبائل البشرية القديمة، ولذلك فإنّ العلماء والباحثين قد اهتموا بهذه الأدوات المصنّعة اهتماماً بالغاً ورقّموها وصنّفوها ووضعوها في المتاحف الخاصّة بالعلوم الطبيعية لتكون علماً ومعرفة وبياناً للعالمين.

كما وإنّ اهتمام الإنسان القديم بدفن موتاه بعناية واضحة وفي مقابر فردية وجماعية خاصة، قد ساعد العلماء كثيراً في دراسة ومعرفة الكثير من الحقائق عن هذا الإنسان، وقد عدّ العلماء دُفَنَ الإنسان القديم لموتاه من ضمن ممارساته الحضارية الكثيرة التي ميّزت إنسانيته<sup>1</sup>.

ومن الغريب—مع كثرة المكتشفات والحقائق المتعلقة بالإنسان القديم وبيئته وحضارته—أنّ ثمة من لا يزال ينكر حقيقة وجود هذا الإنسان، ويخطئ العلماء باعتبارهم إيّاه إنساناً، ويعتبرون أنّه مجرد حيوان من الحيوانات الشبيهة بالإنسان والتي وجدت قبل الإنسان الأول بزعمهم. ولعلّه يفيدنا في هذا المقام السؤال التالي:

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب: (حضارات العصر الحجري القديم) لمؤلفه فرنسيس أور فصل الممارسات الحضارية ص 119.

إذا لم تكن هذه الأدوات القديمة التي عثر عليها العلماء مع هياكل الإنسان القديم والتي تبين أنها كانت مصنوعة لأغراض وأهداف صناعية محدّدة مثل أدوات القطع والكشط والثقب والطرق وغيرها مثل الفؤوس والرماح التي وجدت مقرونة بالهياكل العظمية للحيوانات، أقول: إذا لم يكن الذي صنع هذه الأسلحة والأدوات هو الإنسان القديم، فمن الذي صنعها إذن؟ القرد أم الدببة؟! ولم لم تعد تصنع مثلها حتى اليوم؟

وهذه القبور القديمة التي اكتشفها العلماء ووجدوا فيها هياكل موتى الإنسان القديم الذي دفنها بعناية فائقة واهتمام كبير إلى حد أن تحاليل العلماء قد أثبتت وجود آثار لأكاليل ورود وغبار الطلع في مقابر هؤلاء الموتى، الأمر الذي يشير إلى مرحلة الرقي الحسّي والفكري للإنسان القديم من خلال عنايته بموته<sup>1</sup>.

والآن إذا لم يكن الإنسان القديم هو الذي قد دفن هؤلاء الموتى في مقابر خاصّة بهم، فمن الذي دفنهم؟ رجال الفضاء؟ ثم من يكون هؤلاء الموتى البشر؟ ومن أي عالم أتوا إلى الأرض ليموتوا ويُدفنوا فيها؟

ثم من عساه يكون قد رَسَم الرسوم القديمة الرائعة والموغلة في القدم<sup>2</sup> وهي رسوم الإنسان القديم التي عثر عليها العلماء في المغاور والكهوف

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب حضارات العصر الحجري للعالم فرنسيس أور ص 120 تعريب الدكتور

سلطان محيسن مطابع ألف باء الأديب دمشق-1889.

<sup>2</sup> - راجع الشكل في آخر الكتاب.

تُصوّر حياة الإنسان القديم في أكثر من جانب ونشاط وأهمها الصيد، وتصوّر الحيوانات التي كان يقنصها الإنسان القديم ويتغذى على لحومها كالغزلان والبقر وغيرها؟ فمن هم الفنانون الذين رسموا هذه الرسوم القديمة في الكهوف والمغارات التي وُجدت فيها هياكل الإنسان القديم؟ هل كانوا (مايكل أنجلو) و (ليوناردو دافنشي)، أم (بيكاسو)؟ أنا شخصياً لا أؤمن بالرسم ولم أعش يوماً في كهفٍ أو مغارة والحمد لله.

ثم من عساه يكون الذي سكن تلك البيوت المعقّدة التنظيم والمؤلّفة من مجموعات من الوحدات السكنية المتصلة بعضها ببعض والمقسّمة إلى غرف للنوم ومخازن ومواقد، بعضها بيوت مستقلّة سكنت فيها أسرة كاملة، وهي متقاربة بعضها مع بعض وتنتمي إلى القبيلة نفسها؟<sup>1</sup>

إنّ الإنسان القديم بلا ريب. هو الذي صنع ورسم وهنّسَ وبني وحفر قبوراً دفن فيها موتاه. وهو قديمٌ جداً أقدم من آدم الذي هو أبونا نحن عليه السلام. إنّ آدم الذي تتحدث عنه المصادر الدينية سواء في التوراة أو في القرآن الكريم لا يعود تاريخه إلى أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وهذا زمنٌ لا يقارب أكثر من سبعة آلاف سنةٍ على أكبر تقدير، بينما يؤرّخ العلماء ظهور الإنسان الذي تحدثنا عنه وعن آثاره إلى عشرات الآلاف من السنين، في حين يعود ظهور الإنسان الأقدم إلى ملايين السنين.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - (عصور ما قبل التاريخ) د. سلطان محيسن.

<sup>2</sup> - انظر المراجع السابقة حول هذا الموضوع، وراجع المصادر المختصة في ذلك والتي تشير



وهكذا بناءً على ما اكتشف العلماء المختصون من آثار ومواصفات وتشابهات فقد توجّهت أنظارهم إلى حقلٍ آخر من الدراسات تناولت تطوّر العالم النباتي والحيواني في إطار قوانين الاصطفاء الطبيعي وبقاء الأفضل. وقد سَبَرَ غَوْرَ هذا العلم العام عددٌ غير قليلٍ من العلماء كان أشهرهم (تشارلز دارون).

### \* دارون ونظرية النشوء والارتقاء

في الصفحة 397 من كتابه (أصل الأنواع) يتحدث العالم (تشارلز دارون) عن الأسباب الغائية الغيبية وراء عالمنا المنظور فيقول:

" لا بد أن توجد هناك، وراء العالم المنظور، علّةٌ مؤثّرةٌ يرجع إليها السبب في نشوء كلّ تحوّل"<sup>1</sup>.

وفي السطور الأخيرة من كتابه المذكور يتحدث دارون عن جمال وروعة الإبداع الذي بثّه الخالق عزّ وجلّ في حياة المخلوقات وقواها التي وهبها الله تعالى لها من وراء العالم المنظور فيقول:

".. إنّ هناك جمالاً وجلالاً في هذه النظرة عن الحياة بقواها العديدة التي نفخها الخالق لأوّل مرة.."<sup>2</sup>.

تُرى كيف توصّل دارون إلى الإيمان بجمال وجلال ما أبدع الخالق العظيم

---

إلى تاريخ ظهور آدم بحسب مصادر الكتب المقدسة.

<sup>1</sup> - منشورات مكتبة النهضة بيروت، إسماعيل مظهر.

<sup>2</sup> - أصل الأنواع لـ (تشارلز دارون) ص 777.

في الحياة؟ إليكم البيان باختصار:

في كتاب (هؤلاء درسوا الإنسان) لمؤلفيه (آ. كاردينر) و (آ. بربل)، يتحدث المؤلفان عن العالم تشارلز دارون فيقولان إنه وُلِدَ في عائلةٍ تميّزُ بالعلم والعبقريّة بالإضافة إلى الاهتمامات الأدبية. فقد كان جدُّ دارون<sup>1</sup> لأبيه ذا عبقرية متعددة النواحي إذ كان طبيباً ناجحاً كما كان شاعراً وأديباً ومفكراً فلسفياً جريئاً في العلوم والفلسفة. أمّا تأملاته المدوّنة شعراً حول منشأ الأنواع فقد أثبتت أنّه تطوري استبق آراء (لامارك).

وكذلك كان المستر (ويرجود) جدّ دارون لأمه خزافاً شهيراً واسع الخيال جريئاً ومستقلّ الرأي. ولم يكن أبو دارون أقلّ تميّزاً من جدّيه في شخصيته واهتمامه بالعلوم. وقد اقتفى خطا والده في مهنة الطب وغدا طبيباً موسراً في مدينة (شروزبري)، وكان متميّزاً في شخصيته إلى حدّ أنّ بعض أقربائه كانوا يلقبونه بـ "المدّ".

ذاك كان روبرت دارون والد العالم (تشارلز دارون). أمّا والدته فقد توفيت عندما كان في الثامنة من عمره. ورغم أنّ دارون في إحدى مراحل حياته الدراسية قد التحق بكلية المسيح في جامعة كامبردج لدراسة اللاهوت إلاّ أنّه كان فيها مجرد تلميذ عادي، إذ أنّ اهتمامه الوحيد في تلك السنين كان منصباً على الصيد وجمع الحشرات ودراستها. وقد أدّت به شخصيته الجذّابة إلى مجالسة ومصادقة عددٍ كبيرٍ من مدرّسيه في جامعة كامبردج، كان منهم

---

<sup>1</sup> - آرازموس دارون.

الأستاذ (جون هوسلو) الذي كان لمحاضراته في علم النبات فضل إثارة الاهتمام لدى دارون لدراسة التاريخ الطبيعي. ولقد كان هوسلو هو السبب في اختيار دارون ليكون العالم الطبيعي في الرحلة الشهيرة حول العالم التي قامت بها السفينة (بيجل).

في عام 1836م وبعد خمس سنوات من السير في الأرض والبحر والبحث والدراسة والاستكشاف عادت السفينة (بيجل) من رحلتها العلمية التي كان لها الدور الهام في اكتشاف ومعرفة أهم الحقائق الحياتية المتعلقة بالخلق (أطواراً) مصداقاً لقول ربنا عز وجل: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح: 15

في عام 1859م نشر دارون طبعةً مختصرةً للكتاب الذي كان يعدّه عن أصل الأنواع، وكان عنوان الكتاب عندما نُشر: (حول أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، أو الحفاظ على الأنواع المحظوظة في تنازع البقاء).

ومع أنّ دارون كان يعدّ كتابه هذا هيكلًا وحسب إلا أنّ صفحاته حفلت بمائة حقيقة لدعم كل نقطة أساسية في إقامة الحجة على نظريته. وقد لعب عزوف دارون المتطرّف عن التصريح بآرائه—إلى حين يتمكّن من تهيئة البرهان الكاسح عليها—دورًا كبيراً في سرعة القبول بها وفي أثرها الكبير. وثمة عاملٌ آخر أدّى إلى نجاحه في عمله وبيانه العلمي وهو تواضعه الذي اشتهر به في حين كان يمتدح عبقرية غيره من العلماء.

وبعد خمسة وثلاثين عاماً من الدراسة وتدوين الملاحظات، وثلاثة أعوام في الكتابة نشر دارون كتابه (تحدّر الإنسان) عام 1871م.

وبدأ دارون كتابه (تحدّر الإنسان) بذكر وجوه الشبه في تركيب الجسم عند جميع الحيوانات العليا بالإضافة إلى الإنسان، وبّين في كتابه (أصل الأنواع) أنّ تشابهاً كهذا لا يمكن فهمه إلّا إذا علّنته نظريةٌ تقول بالتعديل الحاصل عن طريق التحدّر من سلف مشترك: (الرئيسيات). وقال إنّّه لا يمكن لأيّة نظريةٍ أخرى أن تفسّر سبب وجود الأجزاء المتشابهة مثلاً في يد الإنسان أو القرد، وحافر الحصان، وزعانف عجل البحر، وجنّاح الخفاش. ويضاف إلى هذه المجموعة الكبرى من الحقائق مجموعة أخرى تتوافر في علم الأجنّة المقارن، التي تبين التطور المماثل في مرحلةٍ معينة في أجنّة الإنسان والكلب وعجل البحر والخفاش والزواحف إلى آخر ذلك.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ هناك الأعضاء الضامرة التي لا يمكن وجودها لو لم تأت من أسلافٍ كانت لديهم هذه الأعضاء بحالةٍ كاملة تامّة.

وبين دارون أنّ الإنسان قد تطوّر مع الفقاريات في خطّ سلاليّ طويل وصل فيه إلى الإنسان القديم ثم إلى إنساننا الحالي.

وفي ختام الفصل المتعلّق بتطوّر الإنسان الجسماني، ردّ دارون على الانتقاد الزاعم بأنّ ضعف الإنسان الجسماني، بالمقارنة مع بقية الحيوانات، يجعل من المستحيل عليه أن يبقى بعد صراعٍ كالذي تفرضه فكرة النشوء والارتقاء عن طريق الانتخاب الطبيعي. ويقلب دارون الحجّة على أصحابها فيقول: إنّ ضعف الإنسان البيولوجي قد كان في الأغلب سلاحه الأقوى، لأنّه تطلّب منه إيجاد علاقة تعاونية بين الأفراد فأدّى إلى قيام المجتمع

البشري، الذي يشكّل المصدر الرئيسي لنجاح الإنسان في تكيف نفسه. ولقد كان دارون يعتقد أنّه حالما يصل الإنسان إلى المستوى الفكري والاجتماعي الذي يوفّر له وسائل تحسين وضعه في البيئة—وذلك عن طريق استخدام الأدوات والأسلحة والملابس والملجأ والنار إلخ.. فإنّ الانتخاب الطبيعي يتوقف عن أداء مهمته في تعديل التركيب الجسماني، ويقول:

"إنّ الإنسان قد مُنح القدرة عن طريق الملكات العقلية أن يبقى وهو في جسدٍ غير متغيّر في حالة انسجام مع الكون المتغيّر".

إلاّ أنّ الانتخاب الطبيعي يؤثّر في تصرّف الإنسان الفكري والأخلاقي والاجتماعي. فالقيمة في صراع البقاء لم تعد لامتياز البنیان الجسماني، بل لامتياز الفكر والتعاون الاجتماعي، وأنّ الدلائل التي توصّل إليها العلماء عن القبائل البشرية المنقرضة أو المنسية التي لا يزال ثمة آثارٌ متوافرةٌ عنها في أكثر بقاع العالم وعبر التاريخ، إنّما تشير إلى أنّ إخفاقها قد كان بسبب عدم كفاءتها الفكرية والاجتماعية. ولقد كان دارون يعتقد أنّ دور الانتخاب الطبيعي في تطوّر المجتمعات المتحضّرة هو عمليةٌ كثيرة التعقيد كما أنّها عمليةٌ لا يمكن سبر غورها إلى المدى البعيد. وقد أكّد أنّ التقدم في المجتمع البشري لا يشكل قاعدةً ثابتةً، إذ أن بعض المجتمعات تنشأ وتحقق درجةً رفيعةً من الحضارة وتمتد رقعتها فوق مساحةٍ متزايدةٍ من الأرض، بينما يبقى البعض منها ثابتاً على مستوى بدائي من التطوّر، في الوقت الذي يمرّ غيرها من

المجتمعات في طور الانحلال، بعد أن كانت قد بلغت مرحلة متقدّمة بعض التقدم، ثم تبديد في أكثر الأحيان<sup>1</sup>.

يقول العلماء والمفكرون:

"لقد أقنع دارون العالم بأنّه: من الموت.. والمجاعة.. وحرب الطبيعة الخفية.. قد تأتّى الخير الأكبر وبصورة مباشرة"<sup>2</sup> على جميع مخلوقات الله تعالى.

وهكذا فقد كان دارون عالماً أراد أن يعرف كيف بدأ الله الخلق فسار في الأرض ونظرَ وبحث ودرس مخلوقات الله عزّ وجل، فكان في ذلك عاملاً بقول الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ﴾ العنكبوت 21

انطلق في السفينة (بيجل) خمس سنين يجمع التّماذج والعينات من مخلوقات الله تعالى في كافة أنحاء الأرض، ثم عاد بها وتعمّق في دراساته من خلال التشريح والمقارنة، وتابع في ذلك ما يزيد عن ثلاثين سنة. وبعد أن تمّت له البيانات والحقائق العلمية طلع إلى العلم والعلماء بنتيجة بحثه الشاق الطويل وسيره في الأرض لينظر كيف بدأ الله الخلق.

ومن الغريب أنّ ثمة في أوساط بعض (المثقفين) وأتباع بعض رجال الدين من يقول ويعلن أنّ دارون كان يهودياً وكان ملحداً. في حين أنّه كان

---

<sup>1</sup> - راجع في هذه الدراسة كتاب: (هؤلاء درسوا الإنسان) بحث (تشارلز دارون) لمؤلفيه أ.

كاردينرو وآ. بريل. ترجمة الدكتور أمين الشريف. منشورات دار اليقظة.

<sup>2</sup> - المرجع السابق.

مسيحياً "ورعاً" —على قول العلماء الذين عرفوه ووصفوه والمؤلفين الذين كتبوا سيرة حياته—<sup>1</sup>، كما أنّ دارون قد تلقى تعليمه الديني في كلية المسيح لتعليم اللاهوت في جامعة (كمبريدج)، وقد دُفن بعد موته في كنيسة (وستمنستر) عام 1882م قرب العالم اسحق نيوتن فكيف يكون يهودياً إذن؟ هذا مع اعتقادي الشخصي أنّ كون المرء يهودياً أو غير ذلك من حيث المعتقد لا ينتقص من قدره العلمي أو الأدبي أو العقائدي، لأنّ المعتقد الديني هو شأن الإنسان ذاته، وهو موقف حرّ بين العبد وربّه، ولهذا يخطئ الذين يجعلون المعتقد الديني محلّ انتقاص أيّ إنسان كان، ولا يصحّ أن يكون الثَّيل من المعتقد هو الأسلوب العلمي الشريف في النقد والجدل والحوار. وما كان هذا سبيل الإسلام وهدية في يوم من الأيام.

وأما الدليل على أنّ دارون كان مؤمناً بالله الخالق العظيم فيجده كل من يطالع كتابه الشهير (أصل الأنواع)، حيث يقرأ المطّلع عليه الفقرات التالية وأمثالها، وأنا لا أنقلها إلى القارئ العزيز دفاعاً عن دارون، بل بياناً للحق الذي يجب أن يكون أساساً ومنطلقاً في كل بحث علمي نزيه.

يتحدث (ابرام كاردينر) و(إدوارد بريل) مؤلفا (كتاب هؤلاء درسوا الإنسان) عن أزمة دارون ومشكلته الجادة بعد اكتشافه لحقيقة التطوّر، فيقولان:

"وأما دارون، وهو المسيحي الورع، فقد كان إدراكه لهذه الحقيقة

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب هؤلاء درسوا الإنسان، وقد سبق ذكره.

بمثابة اعتراف بجريمة قتل".

وذلك لأنّ معتقد الناس السائد بحسب الكتاب المقدس حول الخليقة كان يتناقض مع ما توصّل إليه دارون. ومع ذلك فهو لم يجن عن إعلان الحقيقة العلمية التي توصّل إليها. إلا أنّه من الجدير بالذكر أنّ دارون كان يعتبر أنّ التطور إنّما يسير بناء على سنن وضعها الله عزّ وجلّ في طبيعة الأنواع مع كل تحولاتها واختلافاتها. فهو يعتبر أنّ المصيرين على القول بالخلق المستقل وبشكل مباشر بعيد عن التطور، إنّما هو تشويه لصبغة الله وخلقه في الطبيعة فيقول في الصفحة 325 من كتابه (أصل الأنواع):

"وما هذا الزعم، إلاّ تبديل غير ثابت بثابت، أو على الأقل غير معروف بـمعروف، فهم يشوهون صبغة الله وخلقه"<sup>1</sup>.

وفي معرض وصفه لاستفادة العلماء من تركيب العين في صناعة المنظار، يتحدث دارون عن عظمة الله تعالى في تدبير الكائنات فيقول:

"وهل لنا أن يخطر في عقولنا أنّ الخالق العظيم يدبّر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الإنسان؟"<sup>2</sup>.

ومن خلال إيمانه بالخالق الذي يدبّر الكون والمخلوقات من وراء العالم المنظور، يلفت دارون النظر إلى أنّه من الخطأ الاعتقاد بأنّ التحوّلات في المخلوقات إنّما ترجع في منشئها إلى تحوّل طبيعي لا علّة وراءه ولا سبب،

---

<sup>1</sup> - (أصل الأنواع) ترجمة اسماعيل مظهر منشورات مكتبة النهضة بيروت.

<sup>2</sup> - أصل الأنواع ص 354.



فيقول:

"على ألاّ نجعل اعتقادنا في هذه التحوّلات الذاتية التي مثلنا لها في الأسطر السابقة يرجع في منشئه إلى تحوّل في طبيعة الحالات العاقّة. إنّ هنالك وراء العالم المنظور لا بد أن توجد علّة مؤثّرة يرجع إليها السبب في نشوء كل تحوّل من تلك التحوّلات"<sup>1</sup>.

نقرأ في القرآن الكريم عن سنّة الله عزّ وجلّ في النفع لخلقه حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا بَالُكُم مِّنْهُ﴾ الرعد: 18

ويتضح من كلام دارون في كتابه (أصل الأنواع) أنّه يؤمن بهذه الحقيقة العلمية التي تبين أنّ التطور أو الانتخاب الطبيعي إنّما هو سنّة أبدعها الله في مخلوقاته لفائدة هذه المخلوقات ونفعها، فيقول:

".. تلك السنّة التي تؤيد أنّ كل ما يُستحدث من التراكيب في صور العضويات لم يحدث إلّا لفائدة الكائن الذي تطرأ عليه مطلقاً لوجه الفائدة"<sup>2</sup>.

ويتحدث دارون عن القدرة غير المحدودة التي تعمل في المخلوقات خلال الأزمنة الطويلة فيقول:

"أيّة حدود يمكن أن تقف في وجه هذه القوة التي تعمل خلال الأزمنة الطويلة، فاحصة تكوين كل مخلوق وتركيبه وعاداته.. منتقية

---

<sup>1</sup> - أصل الأنواع ص 397.

<sup>2</sup> - أصل الأنواع ص 387.

الجيد وتاركة الرديء؟<sup>1</sup> إني لا أرى حدوداً لهذه القوة في تكييفها البطيء لكل كائن بالنسبة لأعقد علاقات الحياة المحيطة به<sup>2</sup>.

هذا وإنّ الدارس لكتاب دارون (أصل الأنواع) يجد أنّ كلمات الخالق والمخلوقات ليست نادرة في الكتاب، وإنّما تأتي دائماً في مواضعها المناسبة.

ويعتبر دارون أنّ سقيم الوجدان وحده هو الذي لا تتملكه عاطفة الإعجاب الشديد حيال فحص خلية من النحل ملاحظاً الإبداع الذي فيها. ثم يؤكد بصريح العبارة أنّ الانتخاب الطبيعي وحده أعجز من أن يصل بهذه المخلوقات إلى مثل هذا الكمال، مما يشير إلى إيمانه بالخالق كلّّي القدرة وراء كل ظاهرة وسنّة تأخذ بالمخلوق إلى حد الكمال، فيقول:

"إذا فَحَصَ شَخْصٌ خَلِيَةً من خلايا النحل، ولم تتملكه عاطفة الإعجاب الشديد بنظامها، فلا شك نقول: إنّه سقيم الوجدان فإنّك تسمع من كبار الرياضيين أنّ النحلة قد وصلت بطريقة عملية إلى حلّ معضلة من معضلات المسائل الرياضية الكبرى، فاستطاعت أن تبني خلاياها على شكل خاص، بحيث تسع أكبر كمية من العسل مع استهلاك أقل كمية ممكنة من الشمع. ولاحظ بعض الباحثين أنّ أبرع فنّان، مهما أوتي من حُسن الآلات ودقّة المقاييس، ليشْغُرُ بأكثر مشقة في بناء خلايا من الشمع تبلغ من كمال

---

<sup>1</sup> - قال تعالى: (فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).- الرعد 17-

<sup>2</sup> - أصل الأنواع ص 755.

الوضع وحُسن النَسَق مبلّغ ما تبني عشائر النحل في داخل بيوتها  
المعتمة"<sup>1</sup>.

ويتابع دارون فيقول:

"وأما الانتخاب الطبيعي فلا محالة عاجز عن التدرّج بغريزة البناء  
الهندسي إلى حدّ من الكمال أبعد من هذا، لأنّ القرص الذي يبنيه  
نحل البيوت على ما رأينا حتى الساعة كامل كل الكمال من حيث  
الاقتصاد في الجهد والشمع اللازم لبنائه"<sup>2</sup>.

ويؤكّد دارون إيمانه بأنّ الله عزّ وجلّ هو الخالق الذي نفّخ الحياة في  
المخلوقات أوّل مرة، فيقول:

"ولذلك فلا بدّ لي أن أستنتج من المقارنة والتحليل بالمثل أنّه من  
المحتمل أن تكون كل الكائنات العضوية التي عاشت فوق هذه  
الأرض قد انحدرت على شكل واحد أصلي بدائي نفّخ الله فيه  
الحياة أوّل مرة"<sup>3</sup>.

ويتحدث دارون عن القوانين التي طبعها الخالق العظيم على المادة فيقول:

"وبالنسبة لتفكيري فإنّ مذهب نشوء وانقراض الأحياء القديمة  
والحالية في هذا العالم.. ليتفق مع أكثر ما نعرف من قوانين طبعها

---

<sup>1</sup> - دارون (أصل الأنواع) ص 479.

<sup>2</sup> - أصل الأنواع ص 489.

<sup>3</sup> - دارون، أصل الأنواع ص 771 .

الخالق على المادة"<sup>1</sup>.

ويطرح العالم دارون على مُنكري نظريته سؤالاً لا يزال ينتظر الجواب فيقول:

"ولكن هل يعتقدون حقاً أنّه في عدد كبير من الفترات في تاريخ الأرض قد أُوحى إلى بعض ذرات العناصر أن تتحول فجأة إلى أنسجة حية؟ هل يعتقدون أنّه عند كل عملية مزعومة من عمليات الخلق نشأ فرد أو عدد من الأفراد؟ أُخِلِّقَت الأعداد اللانهائية من أصناف الحيوانات والنباتات في هيئة بيض أو بذور أم في أفراد بالغين؟"<sup>2</sup>.

ثم يتابع فيقول:

"ولكن لماذا يكون هذا قانوناً من قوانين الطبيعة لو أنّ كل نوع قد خُلِقَ مستقلاً؟ ليس في مقدور أحد أن يفسر ذلك"<sup>3</sup>.

ويتحدث دارون عن مستقبل المخلوقات المأمون من خلال قانون الانتخاب الطبيعي، فيقول:

".. ومن ثم يمكننا أن نتطّلع بشيء من الثقة إلى مستقبل مأمون لا يقل طوله عن طول ما سبقه من الزمان، وحيث أنّ الانتخاب

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 776.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ص 770.

<sup>3</sup> - المرجع السابق ص 757 .

الطبيعي يعمل فقط لصالح الكائن<sup>1</sup> ويدافع عنه، فإنّ جميع المواهب الجسدية والعقلية ستميل إلى التقدم نحو الكمال<sup>2</sup>.

ثم وفي وقفة علمية متأملة تشبه الصلاة، يتحدث دارون عن الروعة والجمال والجلال في الخلق فيقول:

"إنّه لمن الممتع..

أن نرقب ضفة يكسوها العديد من النباتات..

من كل الأنواع..

تصدق فيها الطيور،

وتزحف الديدان مختربة التربة الرطبة،

ثم نتأمل كيف أنّ تلك الصّور الحيّة

المبنية أحسن بنیان..

نشأت كلّها بقوانين تعمل حولنا

وهكذا فإنّ أسمى هدف في هذا العالم،

هو نشوء الحيوانات الراقية..

ليتحقق مباشرة،

من حرب الطبيعة،

---

<sup>1</sup> - قال تعالى ﴿وأما ما ينفع الناس يمكن في الأرض﴾ الرعد 18

<sup>2</sup> - ص 777.

ومن الموت.

إنّ هناك جمالاً

وجلالاً،

في هذه النظرة عن الحياة.

بقواها العديدة،

التي نفخها الخالق لأوّل مرة،

في عدد قليل من الصور،

أو في صورة واحدة.

وإنّهُ بينما ظلّ هذا الكوكب،

يدور طبقاً لقوانين الجاذبية الثابتة،

كانت ومازالت تتطور،

من مثل تلك البدايات البسيطة،

صوّر لا نهائية من الحياة،

غاية في الجمال،

وغاية في العجب.<sup>1</sup>

وهكذا فقد كان تشارلز دارون عالماً مؤمناً رغم اتّهام المتّهمين له بأنّه

---

<sup>1</sup> - الصفحة الأخيرة 777 من كتاب دارون (أصل الأنواع).

كان ملحداً ويؤيد الإلحاد بسبب قوله بالتطور والانتخاب الطبيعي.

ولكن ثمة الكثير من العلماء الذين فهموا وأيدوا التطور والانتخاب الطبيعي، ولم يجدوا في هاتين الحقيقتين العلميتين أي تعارض مع الإيمان بالله العظيم الخالق لكل شيء. ونجد مصداقاً لهذه الحقيقة في قول الدكتور (أدوارد لوتر كيسيل) المختص في علم الحيوان وأستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة (سان فرانسيسكو) في أمريكا، حيث يقول:

"والانتخاب الطبيعي هو أحد العوامل الميكانيكية للتطور، كما أن التطور هو أحد عوامل عملية الخلق. فالتطور إذن ليس إلا إحدى السنن الكونية أو القوانين الطبيعية، وهو كسائر القوانين العلمية الأخرى يقوم بدور ثانوي، لأنه هو ذاته يحتاج إلى من يبدعه. ولا شك في أنه من خلق الله وصنعه.

وإن الكائنات التي تنشأ بطريقة عملية الانتخاب الطبيعي قد خلقها الله أيضاً كما خلق القوانين التي تخضع لها. فالانتخاب الطبيعي ذاته لا يستطيع أن يخلق شيئاً، وكل ما يفعله أنه إحدى الطرق التي تسلكها بعض الكائنات في سبيل البقاء أو الزوال عن طريق الحياة والتكاثر بين الأنواع المختلفة.. وهذه القوانين لا تسير على غير هدى ولا تخضع للمصادفة العمياء".

ولهذا السبب فإن دارون يؤكد أنه لا مبرر لأن يتأذى الشعور الديني للناس بسبب نظريته، فيقول:

"ولا أرى أية أسباب وجيهة تجعل من الأفكار المتضمنة في هذا الكتاب ما يصدّم الشعور الديني لأي إنسان"<sup>1</sup>.

إنّ دارون لم يكن مجرد عالم مؤمن فحسب بل قد كان من خلال إيمانه بالغ الرقة والتأثّر، ولقد وصفه مؤلف كتاب (سير علماء الغرب)، فقال:

"ولقد تألم دارون في مذكراته أشدّ الألم لما يقاسيه السود من ظلم البيض واضطهادهم، ورثى لحالهم أبلغ الرثاء، وقد حمل في مذكراته حملة شعواء على هؤلاء المتاجرين بالأجساد البشرية، وصرّح عن كرهه للاستعباد قبل الحرب الأهلية الأمريكية بعشرين سنة بكلمات لم تلفظ في مثل نعومتها وعدوبتها شفتا أشدّ القائلين بإلغاء العبودية حماسةً في أمريكا، فقال:

’إنّ هؤلاء الذين ينظرون بعطف على مالك العبيد، وبرودة قلب على هؤلاء العبيد المماليك، لم يحاولوا على ما يبدو لي، أن يضعوا أنفسهم محل هؤلاء العبيد، فيا لله لهؤلاء المساكين المروّعين، ويا لمنظرهم الذي يفتت الأكباد.

تصوّر أنّ سيف العبودية مسلّط فوق رأس امرأتك وأولادك الصغار، تصوّر ما ينتابك لو اغتُصبت امرأتك وأولادك منك اغتصاباً وفُصلوا عنك إلى الأبد، ويبيعوا أمام ناظريك بيع السلع لأول مُزايد. فإذا رفعت عقيرتك بالاحتجاج، اتّهم عليك الضرب بسياط من نار.

---

<sup>1</sup> - دارون (أصل الأنواع) ص 767.



وهاتيك العقود عقود البيع، أعدّها رجال مسيحيون،  
ووجدوا لإعدادها عذراً. رجال يدّعون الإيمان بالله، ويجأرون  
بقول الكتاب المقدس: (أحبّ جارك كنفسك) ويصلّون  
بانتظام قائلين: (لتكن مشيئة الله على الأرض).

وهكذا فتح دارون قلبه لآلام البشر كما فتح عينيه إلى سرّ  
تحدّهم<sup>1</sup>.

كان هذا هو العالم الإنسان دارون الذي درس اللاهوت في كلية المسيح  
في كيمبرج ودرس الإنسان وتحدّره. وقدم للعالم بيانات ووثائق عملية فذة  
خلّدته في تاريخ العلم والعلماء، وبذلك كان لنظريته في التطور دوراً بارزاً  
جداً في بناء أسس العلم الحديث.

والآن.. تُرى ما هي الأدلة التي جعلت علماء العصر يتشبثون بصحة  
نظرية التطور العضوي؟

نلخص فيما يلي أهم الأسس التي تركز عليها هذه الأدلة:

أولاً: إنّ دراسة الحيوانات تؤكد أنّها تضم أنواعاً أعلى وأخرى أدنى، ابتداء  
من حيوانات تتألف من خلية واحدة إلى حيوانات تتألف من ملايين  
الخلايا. كما أنّ هنالك اختلافاً كبيراً بين هذه الحيوانات من حيث  
صلاحيتها ودرجة رقيها.

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب: (من سير علماء الغرب).

ثانياً: لو قارنتَ المعلومات التي جمعها العلماء عن المخلوقات مع الحقائق التي أخرجوها من جوف الأرض، فسترى أنّ ثمة ترتيباً ارتقائياً بحسب الزمن. إذ أنّ الحيوانات التي ظهرت على سطح الأرض قبل ملايين السنين لا تزال الأرض تحتفظ بعظامها المتحجرة وتقول لنا:

إنّ أجسام حيوانات العصر القديم كانت بسيطة التركيب، ثم ظهرت أنواع أرقى وأكثر تعقيداً على مرّ الزمن، وهذا يعني أنّه لم تظهر كل الأنواع إلى الوجود في وقت واحد، وإنّما ظهرت الأنواع البسيطة أولاً ثم ظهرت بعد ذلك الأنواع الأكثر رقياً وتعقيداً.

ثالثاً: ثم نكتشف حقيقة أخرى، وهي أنّ النظام الجسماني لكل الحيوانات متشابه جداً بالرغم من كل الاختلافات النوعية. فالطير يشبه السمك، وهيكل الحصان يشبه جسم الإنسان<sup>1</sup>.

وليس صحيحاً أنّ جميع مفكري الدين وعلمائه قد أنكروا التطور وتجمّعوا عليه، بل إنّ الكثير منهم قد أيّده ودافع عنه وأعاد شرحه وبيانه وتأكيدَه أنّ التطور لا يتناقض مع المفاهيم الصحيحة للدين، كما أنّ الدين لا يتناقض مع الحقائق الصحيحة والسليمة للتطور. ولقد أصاب دارون في بعض تفسيراته وبيانه المتعلق بالتطور، إلاّ أنه أخطأ في جوانب أخرى.

أصاب دارون وأبدع حين وضع المقدمة القيّمة في التشابه التشرّحي بين

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب: (الدين في مواجهة العلم) للمفكر وحيد الدين خان.

الحيوانات، وأصاب حينما قال بالتطوّر، لكنه:

\* أخطأ حينما حاول أن يفسّر عملية الارتقاء.

\* كما أخطأ حينما حاول أن يتصور مراحل هذا الارتقاء وتفاصيله.

وثمة حقيقة علمية هامة لا بد من الأخذ بها حين القول بالتطوّر وهي:

\* ما تم اكتشافه الآن باسم (الخرائط الكروموسومية)، إذ أننا نعلم الآن أنّ لكل نوع حيواني خريطة كروموسومية خاصّة به، ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة الكروموسومية<sup>1</sup>.

ورغم اشتهاار نظرية دارون في التطوّر إلّا أنّه لم يبتدع هو نظرية النشوئ والارتقاء، فلقد تحدّث حكماء الصين قبل التاريخ المسيحي بآلاف السنين عن فكرة تدرّج الإنسان من بدايات أقل رقيّاً من الإنسان الحديث، وقد توسّع في هذه الفكرة فيما بعد الفيلسوف اليوناني (أبيقور) (342-270) ق.م ثم الشاعر الروماني (لوقيطس) /96-55/ ق.م ثم حلّت قصة الخليقة في الكتاب المقدس، محل نظرية النشوئ والارتقاء وظلّت سائدة، حتى صحّح دارون الفهم الخاطئ لقصة الخليقة في العقيدة المسيحية من خلال نظرية النشوئ والارتقاء التي أقامها على أساس علمي رصين<sup>2</sup>.

وكذلك ثمة الكثير من الشواهد في كتب العرب والمسلمين التي تدل على

---

<sup>1</sup> - راجع (حوار مع صديقي الملحد) للدكتور مصطفى محمود.

<sup>2</sup> - راجع كتاب: (من سير علماء الغرب).

أهمّ قد جمعوا كثيراً من الحقائق التي تؤيد فكرة النشوء والارتقاء.

نجد في كتابين للعلامة: (أبي أحمد بن محمد بن مسكويه الخازن) المتوفى عام 421هـ، أحدهما: (الفوز الأصغر) والثاني: (تهذيب الأخلاق) نجد شروحاً بيّنةً جليّةً تنمّ عن آراء أهل ذلك العصر في النشوء وتحوّل بعض الأحياء من بعض، ونقرأ في كتابه: (الفوز الأصغر) ما يلي:

"إنّ أوّل أثر ظهر من عالمنا هذا من نحو المركز، بعد امتزاج العناصر الأولى، أثر حركة النفس في النبات، وذلك أنّه تميز عن الجماد بالحركة والاعتناء.

وللنبات في قبول الأثر مراتب مختلفة لا تخصّص، إلّا أنّا نقسمه إلى ثلاث مراتب: الأولى والوسطى والأخيرة—لكون الكلام عليه أظهر، وأنّ لكل مرتبة من هذه المراتب غرضاً كبيراً، وبين المرتبة الأولى والوسطى مراتب كثيرة، وبهذا الترتيب يمكننا أن نشرح ما قصدنا إليه من إظهار هذا المعنى اللطيف".

وهكذا نجد أنّ (ابن مسكويه) يبيّن أنّ النبات كان أسبق في الوجود من الحيوان، لأنّ حركة أثر النفس—أي الحياة في النبات—كانت أوّل ما ظهر في الأرض بعد امتزاج عناصرها الأولى، على ما يقول.

ثم يتابع متحدثاً عن مرتبة أرقى في النبات فيقول:

"ولا يزال هذا الأثر يقوى في نبات آخر يليه في الشرف والمرتبة إلى أن يصير له من القوة في الحركة بحيث يتفرع وينبسط ويتشعب

ويحفظ نوعه بالبذور، ويظهر فيه من أثر الحكمة أكثر مما يظهر في الأول، ولا يزال هذا المعنى يزداد في شيء بعد شيء ظهوراً إلى أن يصير إلى الشجر الذي له ساق وورق وثمر يحفظ نوعه".

ثم يتدرج (ابن مسكويه) من ذلك البيان إلى القول بأنه:

"إذا انتهى إلى ذلك—أي النبات—صار في الأفق الأعلى من النبات، و صار بحيث إن زاد قبوله لهذا الأثر لم يبق له صورة النبات، وقَبِلَ حينئذ صورة الحيوان ...

"وإن هذه المرتبة الأخيرة من النبات، إن كانت في شرفه فإنها أول أفق الحيوان، وهي أدون مرتبة وأَحَسَّـها، وأول ما يرقى النبات في منزلته الأخيرة ويتميز به عن مرتبته الأولى، هو أن ينقلع من الأرض ولا يحتاج إلى إثبات عروقه فيها بما يحصل له من التصرف بالحركة الاختيارية، وهذه المرتبة الأولى من الحيوان ضعيفة لضعف أثر الحس فيها، وإنما يظهر فيها بجهة واحدة أعني حساً واحداً هو الحس العام الذي يقال له حس اللمس، كما في الصَّدَف وأنواع الحلزون الذي يوجد في شواطئ الأنهار وسواحل البحار".

تلك هي المراتب الانتقالية التي ذكرها (ابن مسكويه) في نشوء بعض الأحياء من بعض.

ثم يقول في المراتب التي تدرج الإنسان فيها بإمعان حتى حصل على صورته الحاضرة، إنها:

"مراتب القروء وأشباهاها من الحيوان الذي قارب الإنسان في خلقته الإنسانية وليس بينها إلاّ اليسير الذي إذا تجاوزه صار إنساناً".

ويقول في كتابه (تَهذِيبُ الْأَخْلَاقِ) فِي (الْأَجْسَامِ الطَّبِيعِيَّةِ) بعد أن ذكر انتقال الحيوانات التي لم تُعْطَ من قوّة الفهم إلاّ النزر اليسير إلى مرتبة أرقى، ما يلي:

"ثمّ يصير من هذه المرتبة إلى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الإنسان من تلقاء نفسه ويشبهه من غير تعليم كالقروء وما أشبهاها، وتبلغ من ذكائها أن تستكفي من التأديب بأن ترى الإنسان يعمل عملاً فتعمل مثله من غير أن تحوج الإنسان إلى تعب بها ورياض لها. وهذه غاية أفق الحيوان التي إن تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن أفقه وصار في أفق الإنسان الذي يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التي يستعملها والصور التي تلائمها، فإذا بلغ هذه المرتبة تحرّك إلى المعارف واشتاق إلى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عزّ وجلّ يقتدر بها على الترقّي والإمعان في هذه المرتبة، كما كان ذلك في المراتب الأخرى التي ذكرناها وأوّل هذه المراتب من الأفق الإنساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني، مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصي المعمورة من الأمم التي لا تُمَيِّزُ عن القروء إلاّ بمرتبة يسيرة، ثم تتزايد فيهم قوّة التمييز والفهم إلى أن يصيروا إلى أواسط الأقاليم، فيحدث الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل.

وإلى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عزّ وجلّ

بالمحسوسات" <sup>1</sup>.

وهكذا فإنّ القول بترقي الإنسان من صورة أدنى إلى صورة أرقى إنّما هو قولٌ قديمٌ غير مستحدث، وقد قال به أيضاً أوائل العلماء المسلمين كما رأينا.

وينقل الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي — رغم إنكاره للتطور ونظرية النشوء والارتقاء — عن (ابن مسكويه) من كتابه (الفوز الأصغر) ما يلي:

"ويقول (ابن مسكويه): 'فأما اتصال الموجودات التي نقول إنّ الحكمة سارية فيها، حتى إذا أوجدتها وأظهرت التدبير المتقن من قبل الواحد الحق في جميعها، حتى اتصل آخر كلّ نوع بأول نوع آخر، فصار كالسلك الواحد الذي ينظم خرزاً كثيراً على تأليف صحيح، وحتى جاء من الجميع عقدٌ واحد' <sup>2</sup>.

لم يكن (ابن مسكويه) الوحيد من بين علماء العرب المسلمين الذين تحدّثوا عن النشوء والارتقاء. إذ نقرأ لابن خلدون في مقدمته الشهيرة بياناً يتعلق بالتدرّج في التكوين يقول فيه:

"ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان

---

<sup>1</sup> - راجع هذه المقتطفات لـ (ابن مسكويه) في كتابيه المذكورين، وكذلك في مقدمة ترجمة الأستاذ اسماعيل مظهر لكتاب دارون (أصل الأنواع) ص 8 وما بعدها.

<sup>2</sup> - راجع كبرى اليقينيّات الكونية، بحث الإنسان.

على هيئة بديعةٍ من التدرّج: آخر أفق المعادن متصلٌ بأوّل أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصلٌ بأوّل أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلّا قوة اللّمس فقط. ومعنى الاتصال في هذه المكونات أنّ آخر أفقٍ منها مستعدٌّ بالاستعداد الغريب لأن يصير أوّل أفقٍ الذي بعده، وأنّ اتّسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدرّج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية".

وهكذا نجد لهُذين العالمين المسلمين في وصف وتسلسل المخلوقات ونموّها وارتقائها رأياً بديعاً يشيران فيها إلى مذهب النشوء والارتقاء إشارةً صريحةً لم يزد عليها المتأخّرون إلّا في التفاصيل، فهما يقولان: إنّ الموجودات مراتب، وكلها سلسلةٌ متصلة.. وكلّ نوعٍ من الموجودات يبدأ بالبساطة ثم لا يزال يترقى ويتعقد حتى يبلغ أفق النوع الذي يليه. يبدأ النبات في أفق الجماد، ثم يترقى حتى يبلغ أعلى درجة، فإذا زاد عليها قبل صورة الحيوان. وكذلك الحيوان يبدأ بسيطاً ثم يترقى حتى يصل إلى مرتبةٍ قريبة من الإنسان. ثم يخلصان إلى القول بأنّ الإنسان نفسه لا يزال يترقى ويزداد ذكاءً وصحةً في التفكير وجودة في الحكم، حتى يبلغ الأفق الأعلى والأرقى.

ويعترض الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على الأخذ من علوم العلماء المسلمين لدعم القول بالتطور والنشوء والارتقاء ويعتبر ذلك طرفةً من الطوائف، فيقول:

"ومن الطوائف أنّ بعضاً ممن لا تزال تستهويهم بحوث الغربيين



وأفكارهم، يبحثون لكل فكرة يقول بها باحثٌ غربيٌّ عن تأكيد لها في بطون القرآن أو السنة أو فيما دونه عالمٌ من علماء المسلمين.. ولما سمعوا بنظريات التطور، أسرعوا يبحثون عن مؤيد لها في أي مصدر إسلامي، حتى إذا عثروا على هذا الذي يقوله كثيرٌ من علماء المسلمين من أمثال ابن خلدون و(ابن مسكويه)، وضعوا أيديهم من ذلك على ما يشبه كنزاً ثميناً اكتشفوه. وراحوا يؤكدون ببائع الزهو والفرح بأن علماء المسلمين قد سبقوا دارون بمئات السنين.. ونحن نقول: لو أنّ عالماً من علماء المسلمين سبق دارون إلى نظريته التي جاء بها، لما دلّ ذلك إلا على سبق ذلك العالم عليه في السخف والباطل الذين نبرأ إلى الله منهما<sup>1</sup>.

وبيني الدكتور البوطي تسخيفه لهؤلاء العلماء، على بيانات يقدمها في بحثه (الإنسان) في كتابه (كبرى اليقينيّات الكونية). ومن النزاهة والإنصاف إطلاع القارئ الكريم على بيان الدكتور البوطي المتعلق بذلك، وكما يفهمه هو من خلال ما يقدمه من جدل.

يقول في مطلع بحثه (الإنسان):

"الإنسان مخلوقٌ—من حيث الجنس—من عنصر التراب، ومكتاثرٌ من حيث المصدر من الإنسان الأوّل آدم عليه السلام". ويتابع:

---

<sup>1</sup> - الأستاذ البوطي في كتابه: (كبرى اليقينيّات الكونية) الصفحة 272 الطبعة الثامنة/ وهل من الضروري تسخيف علماء المسلمين التبرؤ منهم لمجرد محاولتهم التعمّق في التفكّر والتدبّر؟!

"الإنسان مخلوقٌ منذ النشأة الأولى في أتمّ مظهرٍ وأحسن تقويم، لم يتطوّر خلال شيءٍ من تاريخه تطوراً نوعياً يتدرّج به من فصيلةٍ إلى أخرى" <sup>1</sup>.

ثم يشرح بيانه هذا فيقول:

".. أي أنّه منذ خُلِقَ إنّما كانت صورته هي الصورة ذاتها التي استمرّ عليها وعُرف بها، أي لم يُنشأ متنعلاً من شكل إلى آخر" <sup>2</sup>.

ثم يتابع الدكتور البوطي الشرح والبيان فيقول:

"وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن نعلم بأنّ الإنسان لم ينتقل خلال تاريخه كلّهُ، في أيّ تطوّر نوعي. كأن يقال أنّه ترقّى من فصيلةٍ إلى أخرى، وتدرّج من مظهرٍ نوعيٍّ في الهيئة والشكل إلى مظهرٍ آخر" <sup>3</sup>.

يقول الدكتور البوطي هذا رغم أنف البحوث العلمية الطويلة الشاقة وجهود العلماء واكتشافاتهم، ورغم وجود الأعداد الكثيرة للهيكل العظمية للإنسان القديم التي لا تزال موجودةً ومحفوظةً حتى اليوم، ورغم عثور العلماء على أعداد لا تحصى من الأسلحة والأدوات التي صنعها الإنسان القديم، ويظنّ يقول هذا رغم اكتشاف الآلاف والآلاف من أثريّات الإنسان القديم

---

<sup>1</sup> - الصفحة 245 من الكتاب المذكور.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه الصفحة 251.

<sup>3</sup> - الصفحة 252 من المرجع المذكور.

ورسومه<sup>1</sup> وأدواته التي صنعها بنفسه ودرسها العلماء وتأكدوا من زمنها الذي يعود إلى دهورٍ وأزمانٍ طويلة قبل ظهور آدم عليه السلام والذي هو أبو الحضارة الإنسانية الحديثة!

ويقول هذا رغم قول ربنا عز وجل:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ سورة نوح: 14، 15

ويقول: إنَّ الإنسان لم يتطوّر ولم يتدرج ولم يترقَّ، رغم قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ..﴾ 2 السجدة: 8-10

رغم هذا كلّّه، وبعد هذا كلّّه يقول الدكتور البوطي:

"وكما ترى، فإنّ هذه الحقيقة القطعية<sup>3</sup> التي يجب على المسلم الاعتقاد بها، تتناقض مناقضةً كليةً مع ما يسمّى بنظرية النشوء والارتقاء، التي تتبنّى فرضيةً تاريخيةً أخرى عن الإنسان، وهي أنّه تسلسل ضمن حلقاتٍ مختلفة من التطور النوعي، تدرّج فيها من البسيط إلى المعقّد، ومن البدائية إلى الرقي، في كلّ من الشكل والفكر معاً"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - راجع رسوم الإنسان القديم في آخر الكتاب.

<sup>2</sup> - راجع البرهان القرآن لتطور الإنسان في بداية هذا الفصل.

<sup>3</sup> - من قطعها فصارت قطعية؟

<sup>4</sup> - الصفحة 253 من كتاب الدكتور (كبرى اليقينيّات الكونية).

ويزيد الأستاذ البوطي قراءه بياناً وتعليماً فيقول بأن حقيقة خلق الإنسان من تراب وتكاثره من حيث المصدر من آدم عليه السلام:

"ليست من المسائل المتعلقة بالحسيات حتى تخضع لدليل التجربة والمشاهدة"<sup>1</sup>.

ولذلك فهو يعتقد أنّ من قلة الأدب التفكير والبحث في علم ما لم يُبينه الله ولا رسوله في مجالات معينة، فيقول:

"ومن الأدب مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله أن نكل علم ما لم يبينه الله عز وجل ولا رسوله، إلى علم الله وحده"<sup>2</sup>.

وهنا نقول: إنّ بحث التطور في الخلق ونظرية النشوء والارتقاء هو بحث علمي يعتمد على السير في الأرض والنظر كيف بدأ الله الخلق. وقد أمر الله عز وجل أول ما أمر المسلمين بذلك في كتابه المجيد فقال:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ..﴾ العنكبوت 21

ولذلك فنحن نعتقد أنّ البحث في خلق الإنسان والنظر والتفكير في كيف بدأ الله الخلق، إنّما هو غاية في الأدب مع كتاب الله تعالى وليس العكس!

\* رأي علماء الدين المسيحي في دارون

---

<sup>1</sup> - كبرى اليقينيّات الكونية 249.

<sup>2</sup> - الصفحة 250-251.

والحقيقة أنّ ثمة الكثير من العلماء المسلمين من لم يعدّ القول بالتطوّر والنشوء والارتقاء سخافةً ولا قلةً أدب، ولذلك فقد تحدّثوا عن العالم دارون بتقديرٍ واحترام وإنصاف. كان الشيخ العلامة نديم الجسر صاحب الكتاب الشهير (قصة الإيمان) واحداً من أبرز هؤلاء العلماء المنصفين الذين صانوا الدين بمواقفهم الفكرية من التشويه الذي ألحقه غيرهم به.

يتحدث الشيخ نديم الجسر عن دارون فيقول:

"لقد كانت الحملة على دارون قاسيةً هوجاء إلى الحدّ الذي خرج به أعظم رجال اللاهوت في العالم، وكثيرٌ من رجال العلم والسياسة والصحافة، عن أدب النقاش إلى السبّ والشتم والتهكم والأذى والتكفير، ويكفيك أن تعلم من أخبار هذه الحملة الهوجاء، التي استمرّت في ضراوتها إلى نهاية القرن التاسع عشر، فوجد مثلاً: أن أسقف أكسفورد وهو من أكبر العلماء قد أعلن في خطبةٍ ألقاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطاني، فقال: 'إنّ دارون ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدّد مجد الله في فعل الخلق'. وقال الكاردينال (ماتينغ): 'إنّ مذهب دارون هو فلسفةٌ وحشيةٌ تؤدي إلى إنكار الإله'. وكان الدكتور (بيه ريه) كبير أساقفة ملبورن قد وضع كتاباً حمل فيه على دارون واتهمه بأنّه يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وإنكار الكتب السماوية. وقال المونسنيور (سه غور) في فرنسا عن مذهب دارون: 'إنّه من المذاهب المزدولة التي لا يؤيدها إلاّ أخطّ النزعات وأسفل المشاعر، فأبوها الكفر، وأمّها القذارة'. وأعلن (لوتاردت) أستاذ اللاهوت في (لاييزغ): 'إنّ فكرة النشوء

تناقض الحكمة الإلهية مناقضة تامة، وإنّ فكرة الخلق هي ملكٌ للدين لا للعلم الطبيعي، وإنّ كل الهيكل الأعلى للدين، إنّما يقوم على مذهب الخلق'. ودعا أحد علماء اللاهوت في سويسرا إلى القيام بحربٍ صليبية ضد: 'هذا المبدأ الخاطئ المفسد'. وقالت مجلة جامعة (دبلن): 'إنّ دارون يبحث كيف يخلع الله عن عرشه'. ووصف العلامة الدكتور (قسطنطين جيمس) في كتابه: (الداروينزم أو الإنسان القردى)، الذي نشر في باريس سنة 1877م، مذهب دارون بأنه 'أسطورة' وأضحكة'. وتهكّم الوزير غلادستون نفسه على المذهب في إحدى خطبه. وقال الدكتور (هدج) من جامعة برنستون: 'إنّه يجب منع نشر أمثال هذه المذاهب التي تنافي الكتب المقدسة' وقال الدكتور (فيلد) من الجامعة نفسها: 'إنّ التوفيق بين مذهب النشوء وبين التنزيل غير ممكن، وإنّ من يؤمن به، ولو ثبت علمياً، يكون كافراً بالله'. وقال الدكتور (لي): 'إنّه لا يمكن بأيّ أسلوب من أساليب التفسير أن نؤوّل لغة الكتاب المقدس بتوسّع يحتمل القول بهذا المذهب. ونعت دارون وأتباعه بأنهم مُبَشِّرُوا البباليع القدرة'. وفي الكلية الأمريكية في بيروت طُرِدَ الأساتذة الذين ظهر أنّهم يقولون بمذهب دارون"<sup>1</sup>.

كما طُرِدَ أستاذ أمريكي للسبب نفسه وحُكِمَ بهذه التهمة في أمريكا عام 1952م<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر ص 193-194.

<sup>2</sup> - الموسوعة العربية الميسرة - مادة تطور.

لا شكّ في أنّ الدين لا يمكن أن يكون أبداً محلاً للشتم والسبّ والاستهزاء من العلم والعلماء أو غيرهم من الناس، بل الدين منارٌ هدايةً إلى الله الحقّ لكلّ من يروم الحقّ بشرف وإخلاص.

### \* آدم الخليفة في الأرض

كان لا بدّ من المقدّمة العلمية المطولة بعض الشيء لهذا الفصل وذلك لتسهيل فهم الحقائق المتعلقة بآدم عليه السلام وقومه وجنته، فأرجوا المعذرة، ولنتابع:

لا يزال يعتقد الكثير من الناس من خلال تعليم معلّمهم أنّ آدم المذكور في القرآن الكريم والكتاب المقدّس هو أوّل إنسانٍ خلقه الله على الأرض بعد أن جبّله من ترابٍ وماء فصار طيناً، فشكّله في شكل إنسان كاملٍ كالتمثال ثم تركه يجف، ثم نفخ فيه الروح فصار حياً، ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا ما عدا إبليس—الذي كان من الملائكة على حدّ زعم الزاعمين، أو فهم الفاهمين—رفض السجود لآدم فكان من الملعونين إلى يوم الدين، لأنّه رفض أمر ربه وتكبّر على آدم وقال: (أنا خيرٌ منه).

صحيحٌ أنّ إبليس اللعين قد رفض أمر ربه بالسجود لآدم معتقداً أنه خيرٌ منه، فسقط في جحيم تكبّره وصار شيطاناً من الهالكين، ولكن:

من هو آدم الذي استحقّ سجود الملائكة؟

ومن هو إبليس الذي سوّلت له نفسه فعصى ربه بتكبّره فصار شيطاناً

هالكاً ملعوناً إلى يوم يبعثون؟

ما زالت هذه القصة غامضةً مبهمة، ولا تزال الأسئلة تدور حائرةً في عقول المتفكرين من الناس تروم جواباً يروي غليل العقل والمنطق السليم، إذ:

- كيف تسجد الملائكة لآدم وقد حرّم الله السجود لغيره عزّ وجلّ

فقال: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ النجم: 63

- وكيف يعصي إبليس ربّه إذا كان من الملائكة، وقد قال ربّنا عزّ وجلّ

عن الملائكة إنّهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ التحريم: 7

- وكيف يكون آدم عليه السلام نبياً محدّثاً، أي صاحب شريعة للناس

ينبئهم عن الله، ومع ذلك يكون وحيداً في الأرض ليس من بشرٍ فيها غيره ولا من يسمع منه أو يصدّق به أو يأخذ من تعليمه؟

- ثم كيف يمكن لنبيّ أن يعصي ربه، وماذا كانت معصية آدم النبي عليه

السلام؟

- وما هي الشجرة التي أكل منها آدم، فعصى بذلك ربه فأخرجه من

الجنة؟

- ثم كيف يُخرج من الجنة من أدخله الله فيها، وقد قال ربّنا عزّ وجلّ

عنها: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ الحجر: 49

أي أنّ الله لا يُخرج من الجنة من أدخله فيها.



- إنّ الإنسان العادي إذا كان صائماً فأغواه الشيطان فأكل فأفطر نعدّه ضعيفاً غير جدير بالأسوة والإمامة، فكيف يمكن أن نفهم أنّ الشيطان قد تمكّن من إغواء آدم النبي عليه السلام فأكل من طعام حرّمه الله عليه وهو أبو حضارتنا الإنسانية وأبو الأنبياء وحامل رسالة الله لقومه؟

- ثم إنّ آدم الذي يذكره القرآن الكريم والكتاب المقدّس والذي أرسله الله قبل نوح لا يعود تاريخه إلى أكثر من حوالي ستة آلاف سنة مضت، فكيف يكون هو الإنسان الأوّل وقد ثبت في بحوث العلماء وآثار الإنسان أنّه يعود إلى أزمانٍ ودهورٍ أبعد من ذلك بآلاف، إن لم يكن بملايين السنين؟ وهكذا ثمة الكثير من الأسئلة المنطقية التي تُشغل العقل المتفكر ولا بد من الإجابة عليها، ونبدأ ببحث قضية الإنسان الخليفة في الأرض.

### \* قصة النبي آدم عليه السلام

تبدأ القصة في القرآن الكريم من قول ربّنا عزّ وجلّ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة: 31

قالوا: إنّ الله عزّ وجلّ قد خلق آدم في الجنّة، ثم أنزله بعد ذلك إلى الأرض<sup>1</sup> بينما نجد هنا أنّ الآية الكريمة تحدّد الأرض موضعاً للخليفة الذي

<sup>1</sup> - يقول الدكتور البوطي: (لا شأن لنا بالبحث في كيفية نزول آدم من الجنّة، والتحقيق في

البقعة التي هبط إليها من الأرض) - كبرى اليقينيّات - ص 250

أراد الله أن يجعله فيها فقال: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾

وكذلك يختلف الشيخ محمد متولي الشعراوي مع الدكتور البوطي في أن الله تعالى قد خلق آدم في الجنة فيقول في كتابه (أسئلة محرّجة وأجوبة صريحة) ما يلي:

"افهموا جيداً أنّ الله في أوّل بلاغٍ عن آدم قال:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

فكان آدم مخلوقاً على الأرض.. فلا تظلموه وتقولوا إنّنا خلّقنا للجنة فأخرجتنا معصية آدم إلى الأرض"<sup>1</sup>.

ولقد بيّن ربنا في القرآن الكريم أنّ الجنة التي هي دار الجزاء للمؤمنين إنّما تكون قراراً لمن دخلها لا يخرج منها أبداً، فقال:

﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الحجر: 49

ولذلك فإنّ آدم عليه السلام لا يمكن أن يكون قد خلّق في الجنة السماوية ثم أهبط منها إلى الأرض. ومن المهم أن نلفت النظر هنا إلى أنّنا نتحدّث عن آدم الذي هو أبو الحضارة الإنسانية الحديثة، وليس عن الإنسان الأول القديم، ولا عن أيّ من الأوامد الذين سبقوا آدم الحديث وكانوا مؤسّسين للحضارات التي سبقت حضارتنا الحديثة هذه، وأشار إليها القرآن في مواضع متعدّدة فقال ربّنا عزّ وجلّ:

---

<sup>1</sup> - الصفحة 55 من كتاب (أسئلة محرّجة وأجوبة صريحة) للشيخ محمد متولي الشعراوي.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ فاطر: 40

أي أئماً يخلف بعضهم بعضاً، كما قال تعالى:

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا

أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ الروم: 10

قد كانت حضارات وبادت، وكانت أئمة واستخلف الله بعدها وأنشأ أقواماً من ذرية أقوام آخرين، وإنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون.

وأما عن حقيقة أنه قد سبق آدم، الذي هو أبو حضارتنا، أوادم كثيرون، فنقرأ في التفسير الكبير للعلامة الإمام فخر الدين الرازي في معرض تفسيره لقول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر 27

ما يلي:

"ونُقِلَ عن (الإمام) محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: قد

انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر"<sup>1</sup>.

وكذلك يذكر الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) حديثاً عن رسول الله ﷺ يقول في معناه أن الله عز وجل قد أوجد على الأرض قبل آدم الأخير ليس أقل من مئة ألف آدم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - التفسير الكبير المجلد العاشر الجزء 19 الصفحة 178.

<sup>2</sup> - راجع المصدر المذكور.

وجاء في مسند الإمام أحمد أن أبا ذرّ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آدم فقال:

(قلت: يا نبي الله فأَيُّ الأنبياء كان أول؟ قال: آدم عليه السلام  
قال: قلت: يا نبي الله أَوَ نبي كان آدم؟ قال: نعم نبيّ مكّم  
خلقه الله بيده ثم نفخ فيه روحه ثم قال له يا آدم قُبُلًا، قال:  
قلت: يا رسول الله كم وفي عدة الأنبياء قال: مائة ألف وأربعة  
وعشرون ألفاً، الرّسلُ من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما  
غفيرا).

\*ومن مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي:

(قال: قلت: يا نبي الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: "آدم عليه  
السلام" قال: قلت: يا نبي الله ونبي كان آدم؟ قال: "نعم، نبي  
مكّم خلقه الله بيده ونفخ من روحه ثم قال له: يا آدم قُبُلًا"  
(أي: عياناً ومقابلة) قال: قلت: يا نبي الله كم عدد الأنبياء؟  
قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاث  
مائة وخمسة عشر جماً غفيراً". ص 395 / رواه أحمد والطبراني في  
الكبير وقال: كم عدد الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً."

\* وعن أبي أمامة الباهلي أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي  
كان آدم؟ قال: "نعم" قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: "عشرة  
قرون" قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: "عشرة قرون" قال:  
يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: "ثلاث مائة وخمسة  
عشر." / رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

ويؤكد الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حقيقة أنّ عدداً من المتصوّفة قالوا بوجود أوادم كثيرين قبل آدم الأخير عليه السلام رغم معارضته لهم، فيقول:

"وإيّاك أن تلتفت إلى ما يقوله بعض المتصوّفة<sup>1</sup>، ممن زعم أنّ آدم عليه الصلاة والسلام المذكور قصة خلقه في القرآن، كان مسبوقاً بأوادم كثيرين غيره. ثم يذهبون يجرون ذيل الخيال في تفصيل الحديث عن ذلك"<sup>2</sup>.

إذن نحن في حديثنا هنا عن قصة آدم إنّما نقصد آدم الأخير الذي هو أبونا والذي ذكره الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، وجاء ذكره في تفسير الإمام العلامة فخر الدين الرازي الذي قال عنه العلماء أنّه مجدد القرن السادس.

ونعود لقول ربنا عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقر 31

نلاحظ هنا أنّ الآية الكريمة تتحدث عن: (خليفة) وليس ثمة تعيين لهذا الخليفة حتى نقول إنّّه آدم. وجاء في تفسير الإمام فخر الرازي، قوله:

"الخليفة من يخلف غيره، ويقوم مقامه، قال تعالى:

---

<sup>1</sup> - يعلم المسلمون أنّ الإمام محمد الباقر ليس من المتصوفين بل هو من أئمة آل البيت عليهم السلام.

<sup>2</sup> - الصفحة 250 من كتاب: (كبرى اليقينيّات الكونية) للدكتور البوطي.

## ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يونس 15

فأما المراد بالخليفة من؟ ففيه قولان، أحدهما: أنه آدم عليه السلام..  
والثاني: أنه ولد آدم—أي ذريته—.. وأما الذين قالوا المراد آدم عليه السلام فقد اختلفوا في أنه تعالى لم سمّاه خليفة وذكروا فيه وجهين،  
الأول: بأنه تعالى لما نفى الجنّ من الأرض وأسكن آدم الأرض،  
كان آدم عليه السلام خليفة لأولئك الجنّ الذين تقدموه. يُروى ذلك عن  
ابن عباس<sup>1</sup>.

إنّ لفظ الجنّ ينطبق بشكلٍ صحيحٍ على المجموعات البشرية التي كانت  
تسكن الكهوف تحتمي فيها من هجمات الحيوانات وعوامل الطقس. كما  
كانت هذه القبائل والمجموعات تحتمي أيضاً من هجمات بعضها على  
بعض وذلك بتحصّنها في مواقعها السكنية من الكهوف التي تتجمع فيها  
وتأوي إليها.

ويبدو من كلام ابن عباس في تفسير الرازي أنه في مرحلةٍ ما كادت بعض  
هذه القبائل البشرية من الجنّ أن تُفني بعضها في القتال وسفك الدم، وهذا  
ما سمّاه: نفى الله الجنّ من الأرض. وعلى بقايا هؤلاء البشر الذين بدا وكأهم  
سينتهون ويفنون من الأرض أراد الله أن يجعل خليفة في الأرض فقال: ﴿إِنِّي  
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة 31

في الوقت الذي اعتقدت الملائكة أنّ الجنس البشري سيفنى من على

---

<sup>1</sup> - المجلد الأول الجزء الثاني من التفسير الكبير للرازي.

سطح الأرض وينتهي بسبب أنه يفسد فيها ويسفك الدماء، فبين الله لنا في القرآن الكريم حقيقة خواطرهم وصورها بقوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة: 31

لم يكن هذا احتجاجاً من الملائكة في مواجهة الله سبحانه وتعالى، إذ من ذا الذي يجرؤ على مواجهة الله في إنكارٍ أو تحدٍّ أو احتجاج؟ قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الزمر 68

إذن، ما من مواجهة مع الله لأن الله تعالى لا تحدّه جهة، كما أنّ ملائكة الله عزّ وجلّ:

﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: 28

وإنّما هو تصوير من الله عزّ وجلّ لما جالّ في خواطر الملائكة من تساؤل واستفهام. ومن يعلم ما في النفوس والخواطر إلا الله؟

كان قرار الله تبارك وتعالى أنّ آدم وقومه سيخلفون من سبقهم من البشر في حضارة جديدة يؤسسها آدم عليه السلام، ثم تتوجه صاعداً حتى تنتهي بالخليفة الحقّ سيدنا محمد ﷺ كما سنبين عمّا قليل بعون الله تعالى.

وبين الإمام الرازي الرأي الآخر فيقول:

"والثاني: إنّما سمّاه الله خليفة لأنّه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه، وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي، وهذا

الرأي متأكد بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ 1 ص 27

إنَّ قوله عن آدم: "لأنَّه يخلف الله في الحكم بين المكلفين"، يشير بكلِّ وضوحٍ إلى أنَّ آدم عليه السلام قد كان نبياً ومشرعاً أيضاً، لأنَّ كلمة "التكليف" تقتضي وجود شريعة من الله عزَّ وجل، وهذا يقتضي وجود بشرٍ حالَ بعثة آدم ﷺ ليأخذوا عنه هذه الشريعة وهذا التكليف".

ويتابع الإمام الرازي، فيقول:

"أما الذين قالوا المراد ولد آدم، فقالوا إنّما سَمَّاهم خليفة لأنَّهم يخلف بعضهم بعضاً وهو قول الحسن ويؤكدُه قوله عزَّ وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ الأنعام 166 والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع، كما يصلح للذكر والأنثى، وقُرئ خليفة بالقاف" 2.

وأما عن حقيقة هذا الحوار بين الله تعالى والملائكة، فيقول الإمام الرازي:

"فإن قيل ما لفائدة في أن قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ مع أنَّه منزَّه عن الحاجة إلى المشورة، والجواب: أنَّه تعالى علِّمَهم أنَّهم إذا اطلعوا على ذلك السرِّ أوردوا ذلك السؤال، فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب، فعرفهم هذه

1 - المجلد الأول الجزء الثاني الصفحة 165.

2 - المرجع السابق الصفحة 166.



الواقعة لكي يوردوا ذلك السؤال ويسمعوا ذلك الجواب"<sup>1</sup>.

**\* محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الخليفة الحق لله تعالى**

ولا يمكن أن يكون غيره، لأنّ خليفة الله تعالى يجب أن يتصف بالكمالات التي تليق بخلافته لله، والذي لا بد أن تتجلى فيه أيضاً كمالات صفات الله تعالى.

لو أنّك أردت أن تستخلف في بيتك أو في عملك خليفة يقوم مقامك، أما كنت تحب أن يكون مثيلاً لك في كلّ شيء على أقلّ تقدير؟ إذن، وإن كان يجوز اعتبار كلّ نبي بمثابة خليفة لله في الأرض، إلّا أنّ مقام الخلافة الكاملة لا يمكن أن يتجلى إلّا في شخص سيدنا محمد ﷺ وحده. ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف أنّ الله عزّ وجلّ حين قال:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة 31

إنّما كان يشير إلى تجلّيه الأكمل والأتمّ في شخص سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام العالمين صلى الله عليه وسلم عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته. ويؤكد هذا الفهم حديث لرسول الله ﷺ أورده الإمام الرازي في تفسيره فقال:

"روى عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ أنّه قال: (دُحِيتُ الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهم أوّل من طاف به وهو

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير ص 166.

في الأرض التي قال الله إنِّي جاعلٌ في الأرض خليفة<sup>1</sup>.

يشير هذا الحديث الشريف إلى أنّ خليفة الله إنّما يكون في مكة. ومن كان خليفة الله في مكة غير سيدنا محمد ﷺ ؟

لقد كانت الملائكة تقصد بالخليفة: البشر، ولذلك قالوا:

﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة 31

فإذا كان الملائكة قد فهموا من قول الله تعالى ﴿خليفة﴾ أنّه يقصد خليفة له هو سبحانه وتعالى، فكيف إذن سارعوا إلى اعتبار هذا الخليفة مفسداً في الأرض سقّاكاً للدّماء؟! ألم يكن الأولى بهم أن يحسنوا الظن بالله تعالى فيعتبروا أنّ خليفة الله لا بد أن يكون خليفةً مثالياً على أكمل وجهٍ يمكن أن يتصف به مخلوقٌ جديرٌ بخلافة الله كالنبي العظيم محمد ﷺ ؟

إنّ الملائكة لم يعنوا في تساؤلهم الحديث عن خليفة الله، وإلاّ لما تصوّروا أنّ خليفة الله يفسد في الأرض ويسفك الدماء، وإنّما هم قصدوا الجيل البشري التالي لمن سبق، بعد أن بدا لهم أنّ جنس الإنسان كاد ينقرض بسبب ما أفسد في الأرض وسفك من دماء، فاعتقدوا أنّ دوراً جديداً من الحضارة لن يأتي على هؤلاء البشر، ولن يأتي بعدهم من يخلفهم، فلقد ثبت أنّ هذا الجنس من المخلوقات قد كان—إلى ذلك الحين—مفسداً في الأرض سقّاكاً للدّماء. وهم لذلك ظنّوا أنّه لن تقوم لهذا الجنس قائمة أخرى

---

<sup>1</sup> - المجلد الأول الجزء الثاني الصفحة 164.

بعدما أسلف من أعمال في الأرض. ولو أنّ الملائكة قد عنوا بكلمة (الخليفة) خليفة الله لكان في تساؤلهم سوء ظنٍّ منهم بالله تعالى، وهذا محالٌ عليهم.

ثمَّ إنّ كلمة (جاعلٌ) في الآية الكريمة تعني — كما هو معروف من مصادر اللغة العربية — استمرار العمل في شيءٍ موجودٍ أصلاً، قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

أي إنّ إبراهيم، حال خطاب الله عزَّ وجلَّ له، لم يكن إماماً وقد بشَّره الله عزَّ وجلَّ بأنَّه سيجعله إماماً بدءاً من لحظة البشـرى.

وكذلك قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ دلالةٌ على إدراكهم لوجودٍ معنويٍّ بحدِّ ذاته وأنَّه هو ذاته سيستمر في عمليةٍ معيّنة. وأمّا إذا لم يكون موجوداً أساساً فما أدرهم إذن أنَّه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء؟

وما من شكٍّ في أنَّه ليس ثمة مجالٌ للقول بأنَّ الملائكة كانوا يعلمون الغيب، لأنَّ ربَّنَا قد علَّمنا في القرآن الكريم أنَّه لا يعلم الغيب إلّا الله وحده فقال: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ يونس: 20

والآن..

لا بد لمن أراد أن يفهم حقيقة قصة آدم عليه السلام المروية في القرآن الكريم من أن يدرس بالتدقيق والتمحيص الحقائق القرآنية المتعلقة بالعناصر الثلاث لهذه القضية وهي:

\*خلق الإنسان كما بيّنه القرآن الكريم،

\*وحقيقة مفهوم آدم عليه السلام،

\*وحقيقة إبليس وكيانه وهويته ودوره.

ونبدأ هنا بالحقيقة القرآنية المتعلقة بـ:

### \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ثمة بيانٌ في كتاب الله عزّ وجلّ يشير إلى حقيقة العناصر التي خلق الله منها الإنسان وجعلها في طبيعته لحكمة أرادها، وغاية شاءها. ولقد بيّن لنا أنّ من طبيعة الإنسان التعجّل في فعله أو ردّ فعله حيال الأمور فقال: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الأنبياء: 38

والـ "عجل" هنا ليست مادّة ملموسة صَنَعَ الله منها الإنسان وإمّا هو مفهومٌ معنويٌّ يشير إلى الطبيعة التي تدخل في خلق الإنسان.

وكذلك يبيّن لنا ربّنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم أنّ الضعف أيضاً من طبيعة الإنسان التي أودعها الله في خلقه فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ الروم: 55

وكذلك الـ "ضَعْف" هنا ليس مادّة ملموسة خلق الله الناس منها، ولكن ربّنا عزّ وجلّ قد عبّر في هذه الآية الكريمة عن الضعف في طبيعة الإنسان بـ: "الخلق من الضّعف".

وهكذا يمكننا أن نفهم الطبيعة المغروسة في خلق الإنسان من الماهيّات

التي قال الله عنها إِنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْهَا. وقد تكون هذه الماهيات معنويةً في موضع من البيان، إلاَّ أنَّها قد تكون ماديةً في مواضع أخرى، كما تشير أيضاً إلى الحقيقة المعنوية المشتركة مع الجانب المادي في المعنى.. مثلاً، في قوله تعالى عن الإنسان أَنَّهُ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق 7

نفهم حقيقتين كلتيهما صحيحة. الحقيقة الأولى أن الإنسان مخلوق في أصله من الماء الدافق للرجل الأب والمرأة الأم.

إلا أن ثمة حقيقة أخرى هنا أيضاً يجب أن نفهمها من هذه الآية الكريمة: وهي أنَّ في طبيعة خلق الإنسان التسرّع والاندفاع وقلة التريث، وهو لذلك يقع في أخطاء كثيرة يستلزم تصحيحها.

وليس صحيحاً القول بأنَّ حقائق خُلِقَ الإنسان من الأمور التي لم يبينها الله عز وجل ولم يأمر الإنسان بالتفكير والبحث والنظر فيها، بل إنَّ ربنا عز وجل قد أمرنا أن ننظر في حقيقة الماهيات التي خلق الإنسان منها، فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الطارق 6

ولذلك فإن معرفة الماهيات التي يخلق الله منها الإنسان كالعجل والضَّعف والتسرّع وغيرها هي من الأمور التي يجب على من يريد العمل بتعاليم القرآن الكريم أن يدرسها ويدرك حقائقها.

ونجد في كتاب الله تعالى الكثير من الآيات الكريمة التي تُبين العناصر التي خلق الله منها الإنسان وجعلها في تكوينه المادي كما جعلها في تكوينه

الطبيعي أيضاً. فمثلاً نحن نستعمل في بياننا العامي تعبير "فارط مثل التراب" لنعبّر عن الشخص الذي يصعب لمه وتكييفه في صورة ما.

وكذلك يمكن وصف إنسان آخر أنه: "مثل العجين" أو "مثل الطين" تعبيراً عن قابليته للتكيف والتعليم ليكون في صورة أو حالة معينة. ولا يقف استعمال هذه التعابير عند حدود التعابير العامة الدارجة، بل يتعدّها إلى البيان والوصف التصويري في آدابنا اللغوية بكافة أشكالها كما هو معروف وشائع.

وبما أنّ القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين، فليس من الخطأ محاولة فهمه على ضوء التصوير والبيان وحتى الرمز الذي يأتي في اللغة العربية وتعابيرها.

ومن هنا يمكن أن نفهم أنه بالإضافة إلى حقيقة أنّ الله عز وجل قد خلق الإنسان من العناصر الموجودة في الأرض: كالماء والتراب والطين والصلصال وغيرها، إلا أنه يجب الانتباه جيداً إلى حقيقة أخرى وهي أنّ صفات هذه العناصر الأرضية لا تدخل في التكوين المادي للإنسان فحسب، بل هي تدخل في خلقه الطبيعي أيضاً وتشكل صفاته الطبيعية، وفي هذا مفتاح هام يساعدنا في فهم طبيعة الإنسان والجوانب التي عليه أن يحمي نفسه من جهتها.

يؤكد القرآن الكريم على حقيقة نشوء الإنسان من الأرض، قال تعالى:

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ النجم 33

وهذا يعني بالإضافة إلى الحقيقة المادية، أنّ في الإنسان صفات يمكن مقارنتها بالأرض التي أنشأها الله منها، وثمة الكثير من الآيات في كتاب الله تبين هذه الحقيقة، فكلمة "آدم"، الذي هو أصل الإنسان، تشير إلى أديم الأرض وأنّ اسمه مأخوذ منها، وكذلك شبه الله الرجل العظيم القادر على تلقي وحي الله بالجبل فقال:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ الحشر 22

كما قارن ربنا عز وجل بين الناس والنبات فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ نوح 18

وقال متحدثاً عن المؤمنين: ﴿كَزَرَعٍ أُخْرِجَ شَطَأُهُ﴾ الفتح 40

وكذلك قارن الله عز وجل الصفات الطبيعية في الكون المحيط بالإنسان بالنفس البشرية التي يمكن أن تتصف بمثل هذه الصفات فقال: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ الشمس 2

إنّ مقارنة النفس الإنسانية بهذه المظاهر المادية الكونية تشير إلى أنّ الذي خلق هذا الكون بصفاته الرائعة هو ذاته الذي خلق النفس الإنسانية وسوّاها. ولذلك فإنّ الإنسان الذي يزكي نفسه بالإيمان والعمل الصالح يمكنه أن يكون بفضل الله تعالى شمس نور تضيء الطريق لخلق الله تعالى في أيام عمرهم. كما يمكن للمؤمن أن يكون في ظلمات ليل الناس الخالكة قمراً يؤنس وحشتهم بنوره الساطع بالبيان الجميل... وكما يستر الليل الناس في

هدأته ويريحهم من نصب أيامهم ومكابدة عنائها، كذلك يكون الإنسان المؤمن في ستره للناس وحنوّه عليهم وإمداده لهم بالظل الساتر المريح... وكما تكون السماء بناءً يُظلل جميعَ خَلْقِ الله تعالى دونما تمييز، فكذلك يكون المؤمن سماءً صافية ساطعة بالجمال الأزرق صيفاً، ومحمّلة بخير الماء وروعة اللوحات السحابية الجمال شتاءً، ومرتعاً لدفع الشمس وذهابها نهاراً، وحقولاً نجمية تتلألأ بالجواهر الكوكبية ليلاً.

وكالأرض التي تحمل جميعَ خَلْقِ الله على ظهرها وتمدّ جميع الناس بكل كنوز الخير والجمال فكذلك يجب على المؤمن أن يكون في تعامله مع خلق الله جميعاً ودون ما استثناء، لأن الله الذي خلق كل ما في هذا الكون من عطاء هو ذاته الذي خلق النفس الإنسانية وسوّاها.

ولقد ورد عن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبيه للناس بالأرض في حديثه الشهير الذي يقول فيه إنّ الناس قيعان كالأرض، منها ما يشرب الماء ويفيد الزرع فينبت، ومنها ما يمسك الماء فيبقيه للناس فيشربون، ومنها ما ينسرب منه الماء فلا يمسكه ولا تفيد منه ولا تستفيد، وذلك في معرض شرحه صلى الله عليه وسلم لاستفادة الناس من العلم.

وهكذا فإنّ في طبيعة الإنسان الخلقية صفات المواد التي خلقه الله منها. مثلاً، نعلم أنه حيثما وُجد الماء العذب فثمة إحياء في الطبيعة لحياة خضراء مثمرة يغذيها هذا الماء بقوة الإحياء التي جعلها الله فيه... وكذلك ثمة من الناس من يبعث في الناس حياة مادية أو روحية فيحرك القوة والنشاط في



أعطافهم ويجعلهم أما حيّة زاهرة بكل أنواع العطاء الإنساني، ويجعل من أفرادها أشجاراً باسقة بكل الثمار تماماً كما يحيي الماء النباتات والأزهار والأشجار فيجعل منها رياضاً وبساتين وغيابات وجنّات ألفافاً.

ومن هنا يمكننا أن نفهم معنى قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان 55

ويؤكد القرآن الكريم أنّ صفات الإحياء الحقيقية غالباً ما تكون في الرسل والأنبياء، ولذلك فإن سيدنا محمداً ﷺ كان في رسالته ودعوته يحيي الناس ويعيّنهم من الموت، قال ربنا ﷻ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال 25

لقد كان رسول الله ﷺ يبعث الموتى بالنور الذي أنزله الله تعالى عليه، كما يبعث الماء الحياة في الأرض الميتة، قال تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ الأنعام 123

إذن مع حقيقة أنّ الله ﷻ قد خلق الإنسان من الماء، فإنّ ثمة حقيقة أخرى هي أنّ في الإنسان صفة الإحياء كالماء، ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف دبّت حياة باسقة عجيبة في صحراء الجزيرة العربية بعد ظهور سيدنا خاتم النبيين محمد ﷺ .

## \* وننتقل إلى ومضة أخرى

تراب الأرض مليء بالمعادن، وقد أثر عن رسول الله ﷺ قوله: الناس معادن.. وهذا يعني أن فيهم صفات المعادن، فمنهم الصلب القاسي، ومنهم اللين الطري، ومنهم السائل المائع، ومنهم الهش المنفرط. وجميع هذه المعادن موجودة في تراب الأرض، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ الروم 21

وتعرفون أنّ ثمة من الناس من هو كالتراب تماماً لا تستطيع له قولة ولا تشكيلاً مهما حرصت وسعيت، وذلك لافتقاره إلى ماء الحياة الذي إذا أضيف إليه صار كالطين القابل للتشكيل والتكييف بكل سهولة ويسر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ الأنعام 3

أي جعل فيكم قابلية الإذعان والتشكل حال الدعوة والتعليم على أيدي الرسل والأنبياء ومن يدعوا بدعوتهم وعلومهم أو مثلها. فالإنسان قابل للتكيف مع كل تعليم وتدريب.

ولم يجعل الله الإنسان قابلاً للتكيف والتشكل فحسب، بل أوجد فيه عَجَل القدرة على الرد والإجابة أيضاً، بحيث أنه يعطي ردوداً وأصداءً تنسجم مع شكل التقرب منه والتعامل معه، فهو ليس مجرد طين يتشكل ببلادة وصمت، بل قد جعل الله الإنسان كالصلصال الذي إذا ما طُرق يردّ صوتاً منسجماً مع النقرة التي تنقرها عليه، ولهذا فقد جعل الله الإنسان ناطقاً

متكلماً يتلقى ويرد بالإجابة على ما يَرِدُ عليه من فعل أو أثر أو بيان، قال ربنا: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الرحمن 15

قال الإمام فخر الرازي، الصلصال:

"من الصليل، يقال صل الحديد إذا حدث منه صوت"<sup>1</sup>.

وقال:

"الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل ... وإذا توهمت في صوته مدّاً فهو صليل، وإذا توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة"<sup>2</sup>.

وهكذا كما يُحدث الصلصال صوتاً حين طَرَقَه فكذلك قد زَوَّدَ الله ﷻ الإنسان بالقدرة على النطق والكلام بصوت مسموع يعبر عن الرّد وشكل الاستجابة، وهذه هي إحدى الصفات التي ميّز الله تعالى بها الإنسان عن غيره من المخلوقات.

وأما في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

الحجر 27

فيقول الإمام الرازي:

"المسنون، المحكوك وهو مأخوذ من سننتُ الحجر إذا حككته عليه.. وسُمِّي المسنّ مسناً لأن الحديد يسنّ عليه. وقال الزجاج: هذا

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير المجلد 15 الصفحة 97 الجزء 29.

<sup>2</sup> - المرجع السابق المجلد العاشر الجزء 19 الصفحة 179.

اللفظ مأخوذ من أنه موضوع على سنن الطريق... وقال أبو عبيدة:  
المسنون المصبوب، والسَّن الصب... وقال سيويه: المسنون المصوّر  
على صورة ومثال، من سنة الوجه وهي صورته.. وروي عن ابن  
عباس أنه قال: المسنون الطين الرطب، وهذا يعود إلى قول أبي  
عبيدة، لأنه إذا كان رطباً يسيل وينبسط على الأرض، فيكون  
مسنوناً بمعنى مصبوب<sup>1</sup>.

إذن نفهم من هذا البيان القرآني المتعلق بخلق الإنسان، أنّ الله ﷻ قد  
جعل للإنسان القدرة على النطق والبيان كما جعل فيه قابلية التكيّف  
ليكون في الصور المسنونة المختلفة على حسب جهده وعمله واستعداداته  
لالتّباع سنن الله تبارك وتعالى.. فيا له من بيان شامل رائع معجز في كلمات  
قليلة وافية، حيث نجد أنّ القرآن الكريم قد استخدم كلمات ثلاث للتعبير  
عن مراحل مختلفة لخلق الإنسان وتطوره الروحي:

فلقد عبّر عن المرحلة الأولى بخلق الإنسان من تراب.. وأما المرحلة الثانية  
فكانت خلقه من طين، وهي تعني أنه بعد أن تلقّى ماء الوحي، حصل على  
القدرة على التمييز التي يستطيع من خلالها التمييز بين الخطأ والصواب  
والتشكّل تبعاً لذلك. ثم وفي المرحلة الثالثة، والتي هي مرحلة الحمأ المسنون،  
التي يكون فيها الإنسان قد تم اختباراه وابتلاؤه بعد مروره بنار التجارب  
والابتلاءات وحصوله على النضوج الروحي، عند ذلك يكون قد تشكل

---

<sup>1</sup> - التفسير الكبير المجلد 10 الجزء 19 الصفحة 180.

التشكل النهائي المطلوب لقبوله في عباد الله ﷻ الذين فازوا في جميع المراحل من الابتلاءات البشرية<sup>1</sup>.

لا شك في أنَّ البحث في خلق الإنسان من القرآن الكريم يستلزم قدراً أكبر من الدراسة والبيان، وهو ليس غرضنا الرئيس في هذا البحث إلاَّ بقدر ما يعيننا على فهم قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ \* وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ الرحمن 15، 16

وقد سبق شرحنا لمعنى قوله تعالى: من صلصال، وأما في شرح قوله ﷻ:  
كالفخار فيقول الإمام الرازي:

" والفخار الطين المطبوخ وهو الخزف مستعمل على أصل الاشتقاق، وهو مبالغة الفاخر كالعلام في العالم... فكأنه يفخر على أفراد جنسه"<sup>2</sup>

فبالإضافة إلى أنَّ في الإنسان القدرة على النطق والتجاوب فهو في طبيعته أيضاً ميّال إلى الفخر والتفاخر بما آتاه الله من زينة وقدرات مصداقاً لقوله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ الحديد 21

وكذلك قول ربنا ﷻ عن الإنسان: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ هود 10

---

<sup>1</sup> - راجع التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد- الصفحة 1155.

<sup>2</sup> - التفسير الكبير المجلد 15 الجزء 29 ص 97.

وأما عن قول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ الرحمن 16

فقد جاء في تفسير الرازي: أَنَّ الْجَانَّ هو الصفة للجنّ كما أن المالح هو صفة الملح<sup>1</sup>. ولذلك فَإِنَّ هذه الآية الكريمة تبين الطبيعة المتأصلة في الجانّ من البشر وتلفت نظرنا إلى أَنَّ إدراك حقيقة هذه الطبيعة من خلال دراسة خصائص النار الصافية والمختلطة المتمازجة بعضها في بعض. ومن المعلوم أَنَّ ألسنة النار تتميز بالألوان الجذابة الحيوية المترافضة مع نسائم الهواء، كما أَنها تتسامى في طموح صاعد إلى الأعلى دائماً في أيّ مكان تشتعل فيه، وكذلك تتميز النار بالدفء وأيضاً بالحرارة الكاوية الحارقة وهي بذلك قوة خارقة يمكنها إيقاع الخراب والدمار كما يمكنها إنضاج وإحداث التفاعلات المفيدة المختلطة.

ولقد مرّ معنا في لغة العرب أَنَّ كبار القوم وأثرياءهم وأقوياءهم يُسمّون بـ "جنّ الناس"، ولا شك في أَنَّ هؤلاء المتميزين من الناس (الجنّ) إنما يتشابهون في صفاتهم الطامحة والنشيطة والجذابة مع النار الطامحة صعوداً والجذابة لوناً وشكلاً ودفئاً، القوية أثراً فيما يضر أو ينفع.

تلك هي حقيقة خلق جنّ الناس من مارج من نار.. الحقيقة البيانية التي جعل منها الناس أساطير وخرافات تملّكت حتى أفهام العلماء والمفكرين الذين حاولوا اختراع تفاسير وشروح علمية تنسجم مع خرافة أَنَّ الجنّ مخلوقات نارية. فقد جاء في كتاب (الكتاب والقرآن) للدكتور المهندس محمد

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق الصفحة 98.

شحرور قوله:

"فإبليس كان من الجنّ وهي مخلوقاتٌ عاقلةٌ مكلفةٌ وجدت قبل الإنسان عندما كانت الأرض ما زالت ملتهبةً وقبل أن تبرد لذا قال: ﴿وَحَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ .. والجنان لها بنية ماديةٌ تختلف عن البنية المادية للإنسان، بحيث تأخذ هذه البنية أشكالاً مختلفة، ويمكن أن تكون هذه البنية بنية موجية...<sup>1</sup>"

ولقد مرّ معنا في هذا الكتاب بيان حقيقة الجنّ التي لا علاقة لها بكلّ هذه الشروح الخرافية الواهمة.

**\* ويأتي الآن دور الحديث عن آدم عليه السلام**

معنى كلمة (آدم):

تشير قواميس اللغة العربية إلى معانٍ مختلفة لكلمة آدم، حيث نقرأ ما يلي:

"أَدَمَ بينهم يأدم أدمًا: لَأَم"<sup>2</sup>.

كما جاء في المعجم الوسيط:

"أدم بينهم أدمًا: أصلح وألّف .. وآدم بينهما إيدامًا: أصلح وألّف"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - راجع: (الكتاب والقرآن) قراءة معاصرة ص 313 للدكتور المهندس محمد شحرور.

<sup>2</sup> - محيط المحيط.

<sup>3</sup> - راجع المعجم الوسيط مادة آدم.

كما نقرأ في هذه المعاجم أنّ كلمة آدم تشير إلى الجمع وتعني: جمع آدم<sup>(1)</sup>.

من هذا نلاحظ أنّ كلمة (آدم) ليست مجرد تسمية لشخص أبينا آدم فحسب، بل هي اسم وصفيّ يدلّ على الجمع واللام والتوافق والأسوة والإصلاح، كما أنّها تشير إلى الجنس الآدمي الذي يتصف بجميع هذه الصفات<sup>(2)</sup>. ومن هنا يمكننا أن نفهم أنّ كلّ نبيٍّ إنما هو من حيث مهمته آدم لأنه يجمع ويؤلف ويصلح ويكون أسوة لقومه، ولا شكّ في أنّ خير من تنطبق عليه هذه الصفات بكاملها إنّما هو سيدنا محمد ﷺ الذي قال عنه ربّنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الأحراب 22

كما أنّه عليه الصلاة والسلام هو المصلح الكامل الذي أرسله الله لإصلاح العالمين، وذلك لأنّ دعوة النبيين جميعاً تهدف إلى الإصلاح مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ هود: 89

وهكذا فإنّ اسم آدم ﷺ يشير إلى أنه كان نبياً أسوة ومصلحاً يؤلّف بين أفراد قومه ويأدم بينهم بدعوته وتعليمه الذي علّمه الله له، وإلى هذه الحقيقة أشارت آيات القرآن الكريم التي روت قصته عليه السلام.



## \* حقيقة معنى السجود لآدم عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ طه: 117

نعلم أنّ الله عز وجل قد حرّم السجود لغيره وقال في كتابه المجيد:

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ النجم: 63

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فصلت: 38

وجاء في تفسير الرازي: أي لا تعبدوا غير الله<sup>1</sup>.

إذن كيف يمكن أن نفهم أن يأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لغيره، وهذا بمثابة العبادة التي لا تجوز إلا لله تعالى لقوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، أي فاسجدوا لله وحده واعبدوه وحده؟

لا شكّ في أنّ السجود يعني الانقياد التام.. ونفهم ذلك من آياتٍ مختلفة في القرآن الكريم تبين أنّ السجود لا يعني فقط خفض الرأس ووضع الجبين على الأرض كما في الصلاة، بل إنّ السجود يعني أيضاً الانقياد التام دون أدنى مخالفة أو خروجٍ عن الطاعة المطلوبة. نفهم هذا حين نقرأ الآيات التالية، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن: 7

فها هي ذي نجوم السماء وكواكبها تسجد لله عز وجل، وكذلك تسجد

---

<sup>1</sup> - المجلد 14 الجزء 29 الصفحة 26.

جميع نباتات الأرض وأشجارها لربنا الرحمن، وفي هذا إشارة إلى أنّ كلّ ما في السماوات والأرض يسجد لله بغير إحناء رأسٍ أو وضع جبينٍ على الأرض، قال الله:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ النحل: 49

ويفصّل القرآن الكريم في بيان حقيقة سجود كلّ شيءٍ لله عز وجل فيقول:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ الحج: 19

نفهم هنا بوضوح أنّ السجود يعني أيضاً الخضوع والانقياد التام، ولا يعني دائماً وضع الجبين على الأرض كما في حالة العبادة في الصلّة. إذن..

لم يأمر الله الملائكة بوضع جبينهم على الأرض قبالة آدم، ولم يكن هكذا سجودهم له<sup>1</sup>.

فكيف كان إذن؟

لقد أمر الله الملائكة بالخضوع والانقياد للنبي آدم عليه السلام وذلك من خلال

---

<sup>1</sup> - جاء في قصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى: "ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم فاستجابوا لربه خاضعين وأقبلوا على آدم معظمين وعفّروا جباههم له ساجدين إلا إبليس" ص6.

تقديم كلِّ عونٍ ونصرٍ وتأييدٍ له وللمؤمنين معه وهذا هو الأمر الدائم للملائكة حال بعثة كلِّ نبي، إذ ينصر الله نبيه بتأييد الملائكة له مسؤمين من عنده، مأمورين بدعمه طوال عمر دعوته.

قال تعالى:

﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِمَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ آل عمران: 125

﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: 126

ويمكننا أن نفهم من القرآن الكريم أنَّ سجد الملائكة لا يكون لأدم والأنبياء فحسب، بل يكون كذلك لكل إنسانٍ مؤمنٍ وصل بعون الله تعالى إلى مرحلة التسوية الروحية التي تؤهله للحصول على الدعم الكامل لملائكة الله عز وجل له.. وهذا معنى قوله تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ الحجر 30

بعد أن يثبت الإنسان في تجربته الشخصية ويتطور تطوراً روحياً عالياً فيصِل إلى مرحلة الإنسان السوي تماماً والملتزم بصراط الله السوي، يصل عندئذٍ إلى مرحلة التسوية التي تؤهله لنفخ روح الله فيه وبالتالي لسجد الملائكة له دعماً وتأييداً وانقياداً بأمر الله عز وجل الذي قال في الحديث القدسي:

(عبدِي، أَعْطِيكَ أَجْعَلُكَ رَبَّانِيّاً تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ)<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - الأحاديث القدسية.

كما ورد في حديث عن رسول الله ﷺ قوله:

(لله رجالٌ إذا أرادوا أراد)<sup>1</sup>.

إنَّ تسخير الله عزَّ وجل الملائكة لِعون آدم يعني أيضاً تسخير كلِّ شيءٍ لصالح الإنسان، وذلك لأن الملائكة هم جنود الله عز وجل الذي يدبِّرون الأمور بأمره، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لقمان: 21

قد سَخَّرَ الله كلَّ عونٍ في السماء والأرض لمن يسلك نفسه في سبيل الله ربه ويأْتلف ويتوافق مع دينه وسننه ويؤلِّف ويصلح بين الناس ويأدم بينهم ويكون أسوةً وآدماً لهم، ولا يشطن ولا يُبلس ولا يكون من المفسدين.

لقد أراد الله أن يختار ويصطفي من قوم آدم نبياً، فاختار واصطفى آدم عليه السلام وأخبرنا عن اصطفاؤه لآدم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ آل عمران: 33

ولو كان آدم المذكور في هذه الآية وحده في الأرض باعتباره أول الخلق، فمن بين من اصطفاه الله؟ ولكن الحقيقة هي كما قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم أو أكثر<sup>2</sup>.

إذن قد اصطفى الله آدم من قومٍ، وكان إبليس من هؤلاء القوم.

قد مرَّ العالم بدوراتٍ مختلفة من الخلق والحضارات، ويجب أن نفهم أنَّ

<sup>1</sup> - الأحاديث القدسية.

<sup>2</sup> - راجع التفسير الكبير المجلد العاشر الجزء 19 الصفحة 178.

آدم الذي هو الجد الأعلى للجنس البشري الحالي إنما هو في الحقيقة صلة الوصل الأولى في الدورة الحالية للحضارة البشرية الحديثة، وليس هو أول إنسان خلقه الله، تماماً كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام والحديث الذي رواه الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية<sup>1</sup>.

الأمم البشرية، عاشت ونهضت وترقت ثم انحدرت وبادت.. والحضارات ظهرت وقامت ثم اختفت، ولقد ظهر قبل آدمنا الأخير (أوادم) كثيرون.. كما ظهرت أجناس بشرية أخرى عاشت ثم هلكت في دورات حضارية متعاقبة كان فيها الكثير من السعي البشري للرقى والتقدم بالإضافة إلى الكثير من الفساد وسفك الدماء.

ولا شك في أنّ الجنس البشري الذي عاش قبل آدم عليه السلام لم يكن قد باد بأكمله قبل ولادة آدم.. بل لا بد أنه قد تبقى بقايا متفرقة من الجنس القديم. كان آدم عليه السلام منها ثم اصطفاه الله ليكون نبياً محدثاً مزوداً بوحية عز وجل حيث ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن آدم كان نبياً مكلفاً<sup>2</sup>.. وهذا يعني أنه كان صاحب شريعة وكان له قوم يعلمهم ويطبّق عليهم هذه الشريعة، وذلك لأن صفة النبي

---

<sup>1</sup> - سبق ذكر الحديتين وتخرجهما

<sup>2</sup> - راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل. ولا شك في أن اصطفاء آدم يكون بوحى من الله وتحديثه له ليبعّث رسالته لمن اصطفاه الله منهم.

المكَلَّم إنما تعني النبي المرسل بشريعة من الله تعالى لقوم ذلك النبي، قال ربنا:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ البقرة: 254

ولا شك في أنَّ الله يكَلِّم جميع رسله ولكن كلام الله ههنا إنما يعني تكليف النبي المكَلَّم بشريعة.

اختار الله عزَّ وجلَّ آدم ليكون نبياً مشرَّعاً لقومه وليكون الجدُّ الأعلى للجنس البشري الجديد والخليفة لما سبق من جنسٍ بشريٍّ عاش وباد، وكذلك ليكون السلف البشير والنذير لحضارةٍ بشريةٍ جديدة.

حيَّا بين الموتى، جعل الله آدم مثلاً لفجر عهد جديد في الحياة البشرية الجديدة. إن إطلاق لفظة خليفة في القرآن الكريم على آدم ﷺ تبين بوضوح أنَّ ثمة أناسٍ قد وُجدوا وعاشوا قبل آدم الذي جاء بعدهم وخلفهم في بداية فجرٍ بشريٍّ جديد.

ولقد قيل الكثير عن المكان الذي عاش فيه آدم ونشأ كنيي مصلح. والفكرة الشائعة، خطأً، أنَّ الله قد أدخله الجنة السماوية ثم طُرد منها إلى مكانٍ ما من الأرض. ولكن التعبير القرآني: ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الذي جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يناقض وجهة النظر هذه ويبين بكلِّ تأكيد أنَّ آدم قد عاش على الأرض ونشأ عليها كنيي مصلح. ومن المرجَّح أنه عاش في العراق ثم أُمر أن ينتقل منها إلى أرضٍ مجاورة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - راجع التفسير الكبير للإمام الرازي.

ولقد علمنا أنّ أمر الله عز وجل للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ لا يعني أن يضع الملائكة جباههم على الأرض قبالة آدم، بل تشير إلى أنّ الله عز وجل قد أمر الملائكة أن تؤيد آدم وتنصره في دعوته وتيسر السبل أمامه، لأنّ الله تعالى قد جعل آدم صورةً لصفاته الحسنى ولكونه قد أعطي مرتبة النبوة من الله عز وجل.

وبما أنّ الله عز وجل لا يمكن أن يأمر الملائكة أن تسجد لآدم السجود الذي حرّمه الله إلّا له سبحانه وتعالى، فيمكن هنا أن نفهم أنّ معنى اسجدوا لآدم هو: اسجدوا لي لخلق آدم إظهاراً منكم لتقدير علمي وعظمتي وشكري<sup>1</sup>.

وهذا المعنى يمكن أن يُفهم على ضوء حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حيث قال: (من تواضع لله رفعه)<sup>2</sup>.

حيث أنّ التواضع لله هنا يعني التواضع لعباده<sup>3</sup>، إذ لا يمكن أن نتخيل أحداً يتواضع لله ذاته سبحانه وتعالى فهو أعظم من أن يتعالى عليه عبد. ونحن نعلم أننا بتواضعنا لعباد الله يرفعنا الله. ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ الحجر: 30

---

<sup>1</sup> - راجع التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد، وكذلك ورد في التفسير الكبير للرازي: "أنّ ذلك السجود كان لله تعالى". الجزء الثاني الصفحة 212.

<sup>2</sup> - أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة

<sup>3</sup> - وكذلك السجود لآدم يعني في حقيقته السجود لله لخلقه آدم.

## \* إبليس الذي أبى واستكبر

مثلما تسرّبت الخرافة والمفهوم الشبحي للجنّ والشياطين في أذهان للناس، فكذلك نسجت الأسطورة الطويلة على مدى الزمان الشخصية الخيالية لإبليس الذي جعل منه الجاعلون إمبراطور الشرّ في العالم<sup>1</sup>.

فمن هو إبليس الذي أبى واستكبر وكان من الهالكين؟  
نجد من مراجع اللغة العربية أنّ (إبليس) كلمة مشتقة من أبلس وتعني الذي:

(1) قنط من رحمة الله.

(2) تناقص مع خيره وفضيلته.

(3) كان محتاراً وغير قادرٍ على تبيّن سبيله.

(4) حُرم من تحقيق أمنيته.

(5) صار محطّم الروح.

جاء في لسان العرب:

"بلس الرجل: قُطع به. وأبلس سكت. وأبلس من رحمة الله: يئس  
وندم ومنه سمي إبليس.

وفي التنزيل: ﴿يَوْمَئِذٍ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب (جلالة ملك الجحيم) لمؤلفه ديف بريز.



والمبلس: اليائس، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس.

المبلس: الساكت من الحزن أو الخوف.

الإبلاس: الحيرة، ومنه الحديث: ألم تر الجنّ وإبلاسهـا: أي تحيرها ودهشتها.

وقال أبو بكر: الإبلاس معناه ففي اللغة القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى<sup>1</sup>.

وبالبناء على أصل معنى الكلمة، فإنّ إبليس هو المخلوق الذي يحتوي القليل من الخير والكثير من الشر، وهو ليأسه من رحمة الله، بسبب معصيته، متروك حيران مخزياً ملعوناً وغير قادر على تبين طريقه<sup>2</sup>.

إن شخصية (إبليس) تتوقف على الدلالة التي تستفيدها من مادة الإبلاس أي فقد الرجاء. فإن ضياع الأمل ألزم صفات إبليس على السنة الخاصة والعامة، وليس أشهر من المثل الذي يُضرب بأمل إبليس في الجنة مرادفاً لمعنى الأمل الضائع كل الضياع، وقد فرّق هذا المعنى بين كلمة إبليس وكلمة الشيطان في ملامح الشخصية، فهذا قد ضيّع الحق، وهذا قد ضيّع الرجاء، وكذلك قد فرقت بينهما شروخ الفقهاء وفرقت بينهم الدلالة

---

<sup>1</sup> - راجع لسان العرب مادة بلس.

<sup>2</sup> - راجع التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد.

المللموحة بين الشيطنة والإبلاس<sup>1</sup>.

يُعتبر إبليس ماثلاً للشيطان في بعض الجوانب، إلا أنه في بعض الحالات مختلفٌ عنه. وليس صحيحاً الزعم أنَّ إبليس كان من الملائكة وذلك لأنَّ القرآن يصفه بأنه عصى أمر الله تعالى، أي أنه كان قادراً على الطاعة والمعصية في حين أنَّ القرآن الكريم يصف الملائكة بأنهم:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: 7

إذن لم يكن إبليس من الملائكة كما أنه لم يكن أبا الجنّ كما يزعم البعض، بمعنى أنه كان أول الجنّ ومنه جاءت ذرية الجنّ جميعاً. القرآن يقول غير ذلك، إذ نفهم منه أنه كان ثمة قوم من الجنّ وكان إبليس واحداً منهم، قال تعالى:

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ الكهف: 51

إنّ قوله تعالى عن إبليس: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ يؤكد أنه لم يكن أبا الجنّ ولا أولهم، بل فقط كان منهم. كما أنه يدحض الاعتقاد الشائع بأنه كان من الملائكة.

إنّ معنى كون إبليس من الجنّ يشير إلى حقيقتين هامتين بحسب ما تشير بيانات اللغة العربية. فالجنّ في زمن آدم عليه السلام إنما كانوا من البشر الذين

<sup>1</sup> - الأستاذ عباس محمود العقاد - المجموعات الكاملة المجلد الثاني عشر، كتاب (إبليس)

اعتادوا التخفي والاحتماء في الكهوف والسكن فيها باعتبار أنها كانت تشكّل أفضل الأماكن أمناً لهم من أخطار الحيوانات والعوامل الجوية وغيرها، ولقد كانوا في ذلك الزمان —لخوفهم— دأبهم التّخفي والتّواري في الكهوف وغيرها، ولذلك فقد كانوا جنّاً بكلّ معنى الكلمة، ولم يكونوا قد غادروا بعد كهوفهم إلى الحقول المكشوفة والبساتين للعيش فيها جماعياً بشكلٍ مكشوف.

وأما المعنى الآخر لوصف إبليس: أنه كان من الجنّ، فهو يشير إلى حقيقة أنّه كان من زعماء قومه أيضاً ولم يكن فرداً عادياً منهم.. وهذا المعنى تشير إليه اللغة العربية في لفظة الجنّ أيضاً كما هو معلوم.

إذن كان إبليس زعيماً في قوم يسكنون الكهوف في عهد آدم.

كان إبليس من الجنّ، ولم يكن أولهم، وكذلك كان: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ولم يكن أولهم، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: 35

جاء في تفسير الإمام فخر الدين الرازي ما يلي:

"اختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هل يدلّ على أنّه وُجد قبله جمعٌ من الكافرين حتى يصدق القول بأنه: من الكافرين، قال قوم: إنه يدلّ عليه، لأنّ كلمة (من) للتبعية، فالحكم عليه بأنه بعض الكافرين يقتضي وجود قوم آخرين من الكافرين حتى

يكون هو بعضاً لهم<sup>1</sup>."

كان إبليس من الجنّ.. وكان إبليس من الكافرين، وهذا ما أكدّه القرآن الكريم.. وكان رجلاً من البشر اسمه (الحارث)، وهذا ما أكدّه سيدنا محمد ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في كتاب التفسير<sup>2</sup>.

وإذا كان (الحارث) اسماً في قوم آدم فهذا يشير إلى أنّ آدم كان عربياً لأنّ (الحارث) اسم عربي كما هو معلوم، والله أعلم.

إذن إبليس الذي رفض السجود لآدم، كان هو (الحارث) الذي كان زعيماً في قومه ورفض الإيمان بدعوة آدم ﷺ، ورفض الالتزام بشريعة الله المنزلّة على آدم، واستكبر وكان من الكافرين. قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ استكباراً وعلوّاً، ورفض الإذعان لآدم وعصى وغوى وضلّ سبيله وكان من الكافرين، ثمّ أبلس وصار إبليساً ورمزاً لكلّ مبلّس ضالّ يائس قانطٍ من رحمة الله عز وجل، وبذلك كان إبليس مؤسس (الإبليسية) في العهد البشري الجديد معارضاً للنبوّة مستكبراً على دعوة الله تعالى متعالياً فوق الإيمان عاصياً ضالاً مضلاً لنفسه ولغيره فاقداً الأمل بالجنّة.

أبلس (الحارث) وصار إبليساً بما اتصف به من الصفات الإبليسية، كما أنّه صار شيطاناً بما شطّن عن السبيل وشطّن في هواه وشاط في كفره وضلاله.. وبذلك صار إبليساً وشيطاناً.

<sup>1</sup> - التفسير الكبير للإمام الرازي المجلد الأول الجزء الثاني الصفحة 237.

<sup>2</sup> - راجع المصدر المذكور.

حين أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم—أي بعونه ونصره وتأييده—كان هذا إيعازاً منه عز وجل لكلّ ما دون الملائكة أيضاً بالإذعان لذلك الأمر. ويمكننا أن نفهم ذلك بوضوح أكثر حين نتذكر أنه عندما يُصدر القائد الأعلى—ولله المثل الأعلى—أمرًا لقادة جنوده بتنفيذ عملٍ ما فإن ذلك الأمر لا بد أن ينسحب أيضاً على جميع الجنود الذين هم في مرتبة أدنى، كما أنّ ذلك يعني ضرورة عدم معارضة هذا الأمر من قبل أي فردٍ يكون تحت سلطة هذا القائد سواء أكان عسكرياً أو مدنياً.. أي يكون على جميع رعايا هذا القائد الأعلى العمل على الالتزام بهذا الأمر ودعمه وتأييده بكلّ الطاقات الممكنة لهؤلاء الرعايا. وأما الذي يخالف أو يعارض أو يرفض فيكون من العصيين الذين يستحقون غضب وعقاب هذا القائد.

ولقد غضب الله على إبليس لأنه هو أيضاً أمر بأن يخدم آدم في دعوته، ولكنه عصى وقال: ﴿أنا خيرٌ منه﴾. وحتى وإن لم يكن ثمة أمرٌ منفصلٌ لإبليس بالسجود لآدم فإن الأمر للملائكة، كما قلنا، يجب أن ينسحب على جميع المخلوقات وذلك لأنّ الملائكة هم المعهود إليهم بالحفاظ على العالم وكلّ ما فيه ومن فيه، ولهذا فإنّ الأمر المعطى لهم يجب أن يمتدّ بشكلٍ آليٍّ ليشمل جميع المخلوقات.

ولكن إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وجعل من نفسه الروح الشريرة المعارضة للنبوة والملائكة، من خلال عصيانه ومعارضته لأمر الله

تعالى، فتركه الله ضالاً مختاراً لا يعرف طريقاً، ولا يدرك هدًى، ملعوناً يائساً من رحمة الله.

ويجب الانتباه إلى أنّ هذا الإبلّيس ليس هو الشيطان المذكور في الآية الكريمة:

﴿فَأَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: 37

وهذا واضحٌ من حقيقة أنّ القرآن الكريم يذكر كلا الاسمين (إبلّيس والشيطان) كلما ذكرت قصة آدم، ولكن ثمة تمييزٌ واضحٌ بينهما.. فكلما تحدث القرآن عن المخلوق الذي—على عكس الملائكة—رَفَضَ الإذعان لخدمة آدم فإنه يذكر اسم إبلّيس، وكلما تحدث عن المخلوق الذي أضلّ آدم وكان سبب زلله وخروجه من الجنة فإنه يذكر اسم الشيطان. ولقد بيّن القرآن الكريم هذا التمييز الذي هو غاية في الأهمية بين إبلّيس والشيطان، في ما لا يقلّ عن عشرة مواضع، كما في الآيات التالية: البقرة: 35، 37. الأعراف: 12، 21. الحجر: 32. الإسراء: 26. الكهف: 51. طه: 117، 121. ص: 75.

وذلك باعتبار البسملة هي الآية رقم واحد في كلّ سورة. هذه الآيات الكريمة تبين بوضوح أنّ إبلّيس هو غير الشيطان الذي أضلّ آدم وكان واحداً من قومه.

\* بيان معنى قوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾

نقرأ في سورة البقرة قول ربنا عز وجل

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

البقرة: 36

يقول الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

"واعلم أنّه لا شأن لنا في هذا المقام بالبحث في كيفية نزول آدم من الجنة، والتحقيق في البقعة التي هبط إليها من الأرض"<sup>1</sup>.

ويقول الإمام الرازي في التفسير الكبير:

"اختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية، هل كانت في الأرض أو في السماء؟.. فقال أبو قاسم البلخي وأبو مسلم الأصفهاني: هذه الجنة كانت في الأرض، وحملوا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله تعالى: "اهبطوا مصرًا" واحتجّا بوجوه:

(1) أنّ هذه الجنة لو كانت هي دار الثواب لكانت جنة الخلد ولو كان آدم في جنة الخلد لما لحقه الغرور من إبليس..

(2) أنّ من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى: ﴿وما هم بها بمخرجين﴾

(3) أنّ إبليس لما امتنع عن السجود لعن، فما كان يقدر مع غضب الله أن يصل إلى جنة الخلد.

---

<sup>1</sup> - راجع (كبرى اليقينيات الكونية) الصفحة 350 الطبعة 8.

4) أن الجنة التي هي دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إلى أن قال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ﴾ أي غير مقطوع، فهذه الجنة لو كانت هي التي دخلها آدم عليه السلام لما فنيت.. ولما خرج منها آدم عليه السلام، ولكنه خرج منها وانقطعت تلك الراحة.

5) أنه لا يجوز في حكمته تعالى أن يتدنى الخلق في جنة يخلدهم فيها ولا تكليف، لأنه تعالى لا يعطي جزاء العاملين من ليس بعامل، ولأنه لا يهمل عباده بل لا بد من ترغيبٍ وترهيبٍ ووعدٍ ووعيد.

6) لا نزاع في أنّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام في الأرض ولم يذكر في هذه القصة أنّه نقله إلى السماء، ولو كان تعالى قد نقله إلى السماء لكان ذلك أولى بالذكر، لأنّ نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم فدلّ على أنّه لم يحصل، وذلك يوجب أنّ المراد من الجنة التي قال الله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ جنة أخرى غير جنة الخلد<sup>1</sup>.

إنّ الاعتقاد بأنّ لفظة 'الجنة' في القرآن الكريم إنما يشير دائماً إلى جنة الخلد التي هي دار الجزاء، هو اعتقاد خاطئٌ بدليل أنّ القرآن الكريم ذاته قد استعمل هذه اللفظة في مواقع كثيرة وهو يشير بذلك إلى البستان أو الحديقة، الغناء ذات الأشجار الكثيفة الساترة، ونجد مصداقاً لذلك في الآيات التالية،

---

<sup>1</sup> - فخر الرازي التفسير الكبير المجلد الثاني الجزء الثالث الصفحة 3.



يقول تعالى عن آل فرعون إنهم كانوا يقيمون في جنّاتٍ فأخرجهم بظلمهم منها: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِیُونَ﴾ الشعراء: 134

وعن قوم سبأ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ﴾ سبأ: 16  
ويضرب لنا ربنا عز وجلّ مثلاً برجلٍ عنده قطعتان جميلتان من الأرض فيقول:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ الكهف: 33

كما يضرب لنا ربنا مثلاً بجنةٍ في الأرض فيقول:

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ البقرة 266

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ القلم: 18

وهكذا بحسب بيان القرآن الكريم نجد أنّ لفظة الجنّة لا تشير فقط إلى جنّة الجزاء عند الله تعالى، وإنما تعني في مواضع أخرى البستان أو الروضة أو الحديقة الممتلئة بالأشجار الكثيفة. وإنّ الدّارس لمعنى هذه الكلمة من مراجع اللغة العربية يتأكّد له هذا المعنى أيضاً.

إذن بما أنّ القرار الإلهي قد حكم بجعل آدم خليفة في الأرض فقط كانت الجنّة التي قال الله لأدم: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ إنما هي جنّة في الأرض، بمعنى أنها كانت مكاناً ممتلئاً بالأشجار والزروع والثمار أعطاه الله لأدم وأمره أن يسكن هو وزوجه فيه.

## \* المقصود بكلمة ﴿زوجك﴾

هل المقصود بكلمة "زوجك" التي جاءت في الآية الكريمة تعني حواء كما شائع؟

في لسان العرب نقراً ما يلي:

"الزوج: خلاف الفرد.. والأصل الزوج: الصنف والنوع من كل شيء.. الزوج المرء.. الزوج النمط.. الزوج النظير.. وتقول: عندي من هذا أزواج؛ أي أمثال.. والتزويج التصنيف. قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي وقرناءهم. وقال الزجاج: معناه ونظراءهم وضرباءهم"<sup>1</sup>.

وهكذا نجد أنّ لفظة (الزوج) تعني فيما تعني: الصنف والنوع والمثيل والقرين والنظير والنمط، ومن هذا يمكننا أن نفهم أنّ من يكون من الناس: من صنفك أو نمطك أو قرينك أو مثيلك إنما يكون زوجاً لك أو (زوجك)، وبهذا نستطيع أن نفهم الآن معنى قوله عزّ وجلّ لآدم عليه السلام: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي أنّ الله عزّ وجلّ أمر آدم عليه السلام أن ينتقي من قومه من قد آمن بدعوته فصار من صنفه ونمطه ومثيله في قبول شريعة الله وأمره وكان بذلك زوجاً لكل مؤمن ومثيلاً له كما يكون بذلك زوجاً لآدم عليه السلام في الإيمان والقبول والاستجابة لأمر الله تعالى والطاعة له.

---

<sup>1</sup> - راجع لسان العرب مادة: زوج.

ومن الجدير بالانتباه هنا إلى أنّ أمر الله عزّ وجلّ لآدم في أن يسكن في الجنة بصيغة: ﴿أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾

إنما هو أمرٌ دقيقٌ وهامٌّ جداً يستلزم التفكير والتأمل، وذلك بسبب أن لكلمة (الزوج) دلالاتٌ دقيقةٌ لا بد من إدراك معانيها بشكلٍ تام حتى لا يختلط الأمر على من يريد أن يفهم أو يطبق هذا الأمر.

إن كلمة: ﴿زَوْجُكَ﴾ في الأمر الإلهي لأبينا آدم عليه السلام إنما تشير إلى التخصيص والتحديد في دعوة آدم لمن يسكن معه الجنة، أي أنه لم يكن مسموحاً لآدم أن يدعو أي فردٍ من قومه للخروج من الكهف إلى الحقول المكشوفة لتأسيس مجتمعٍ يقيم في (الجنة) خارج الكهوف، بل كان عليه أن يكون دقيقاً جداً في اختياره ودعوته بحيث لا يدعو إلا من كان (زوجاً) له بمعنى من كان قريباً ملازماً ونظيراً ومثيلاً ومن صنفه الإيمانى، وأما ما وراء ذلك من الناس من قومه، فقد كان محظراً على آدم دعوتهم.

ومن هنا يمكننا أن نفهم حقيقة ما يسمى بـ (خطيئة آدم) عليه السلام، والتي سنعمد إلى دراستها عما قليل بعون الله تعالى.

لما اقتضت مشيئة الله عزّ وجلّ تأسيس حضارةٍ إنسانية جديدة يكون مؤسسها النبي آدم عليه السلام، كان لا بدّ من وضع أسس تشريعية لمجتمع آدم الحضاري الجديد، وكان على آدم عليه السلام أن ينفذ تبليغ وتعليم هذا الشرع الجديد الذي كان من أهمّ تعاليمه الانتقال بفئاتٍ معينة من قوم آدم من سكّنى الكهوف إلى إعمار السهول والبساتين والإفادة في الأكل والتغذية

من ثمار الأشجار الكثيرة التي كانت مشاعاً لا مالك لها إلا الله الذي أعطاهما لآدم ومن كان معه ومثله من قومه، فقال له: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.

وبين الله تعالى لآدم ﷺ أنّ كل الثمار في الأرض الذي أعطاه الله هي حلالٌ له وللمؤمنين معه يأكلون منها رغداً حيث يشاؤون، كما بيّن له أنها كانت ثماراً كثيرة على أشجار كثيفة وارفة الظلال وأنه لن يعاني هو وقومه جوعاً لنقص في الطعام، أو لظي في حرّ الشمس بسبب نقص في الأشجار.. فالثمار كثيرة والأشجار وارفة الظلال، قال ربنا لآدم:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ طه: 120

إذن كان في الأرض التي أسكنَ الله فيها آدمَ وزوجه (قومه) كل مقومات العيش الضرورية من حيث تأمين الغذاء والماء والكساء بالإضافة إلى السكن.

ويبدو أنّ هذه الآية الكريمة تشير إلى تعليم يتعلق بأسباب العيش الحضاري الرغيد والمريح التي لا بد أن تُلائم وتواكب الحياة الإنسانية الحضارية.

ونجد في هذا التعليم القرآني العظيم أنّ الواجب الأول والمسؤولية الأهم على الحكومات الحضارية أن تؤمّن لرعاياها الطعام والكساء والسكن على السواء والتمام، وذلك لأنه لا يمكن لمجتمع أن يُدعى حضارياً إلا عندما يتم تزويد جميع أفراد هذا المجتمع بالضروريات الحياتية الأولى بشكلٍ كافٍ

ومناسب.

وستستمر الإنسانية في معاناة الثورات والتمرد، ولن يتطوّر أو يتحسن السلوك الأخلاقي للمجتمعات البشرية إلا إذا تمت إزالة الظلم من خلال إزالة أسباب عدم المساواة في مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية للناس بشكل حقيقي وجاد، بحيث لا تبقى بعض الفئات في المجتمع منغمسة في الثروة الفائضة بينما يموت الآخرون من الجوع.

في هذه الآيات الكريمة يخبر الله عز وجل أبانا آدم ﷺ بأنه سيعيش مع أهله المؤمنين من قومه في أرضٍ جنة تتوافر فيها أسباب العيش الرغيد المطمئن لكل الساكنين، فقال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة 36

﴿إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى \* وَأَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ طه 220

وهكذا نرى أنّ —مع استخلاف أبينا آدم ﷺ— ابتدأ نظام اجتماعي جديد، كان استهلاكاً ومقدمة لحضارة بشرية جديدة أسسها أبونا النبي آدم ﷺ بأمرٍ من ربنا عز وجل حين قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

إذن كان في أمر الله عز وجل لآدم ﷺ أن يسكن وزوجه الجنة تحديدًا وتخصيصًا له في انتقاء أفرادٍ معيّنين من المؤمنين الذين يتميزون بصفاتٍ محددة حددتها لفظة: ﴿زَوْجُكَ﴾ في أمر الله عز وجل والتي —كما علمنا— تعني قرينك ونظيرك وصنفك.. إلخ. ولهذا فإنّ آدم ﷺ لم يكن مطلق الحرية

في أن يدعو من يشاء من سكان الكهوف من قومه وقبيلته، ومن هنا كانت خطيئته حين نسي الالتزام بأمر الله: ﴿وزوجك﴾.

### \* الشجرة المحرّمة وخطيئة آدم عليه السلام

قال ربنا عز وجل:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: 36

هذه الشجرة شَعَلت الكثير من أفكار المفكرين وسحرت خيالهم.

ما هي هذه الشجرة؟

ولماذا تكون محرمة؟

وما السرّ الكامن في سحر إغوائها فجعل آدم ينسى وحواء معه فذاقاها

ثم ندما واستغفرا ربهما؟

وهل صحيحّ الزعم بأنّ حواء كانت هي المسؤولة عن إغواء آدم كي

يأكل من الشجرة كما هو مشهور لدى كثير من الناس؟

وإلاّ فما دور حواء في قصّة آدم والشجرة المحرمة؟

كثيرٌ وكثير من الأسئلة طرحها السائلون، واخترع لها المخترعون أجوبة

من وحي التخمين والخيال دونما غوصٍ في عمقٍ بحثٍ علمي منطقي

صحيح، أو سرٍّ لأغوار فكرة عميقة وفلسفة بناءة تكمن في أعطاف اللفظة

والكلمة الربانية المعجزة فيما كانت، والتي لا تزال معجزة فيما هي كائنة أو تكون.

"الشجرة" لفظة مشتقة من المصدر: "شَجَرَ"، وكفي نفهم حقيقة الشجرة المحرمة على آدم وزوجه، لا بد أن نتعمق في فهم معنى لفظة "شجر".

جاء في المراجع العربية:

"شجر الأمر بينهم: تنازعوا فيه، ومنه في سورة النساء ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ 66/ أي ما وقع بينهم من خلاف.. تشاجر القوم تخالفوا وتنازعوا واشتبكوا في النزاع اشتباك الأشجار... شجرة النسب يُبتدأ فيها من الجد الأعلى إلى أولاده ثم أولاد أولادهم وهلم جرا. والشجرة في اصطلاح الصوفية: الإنسان الكامل"<sup>1</sup>.

وجاء في معجم الوسيط:

"يقال هو من شجرة طيبة: أي من أصل كريم"

وقال ربنا ﷻ في سورة النساء 66:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

وهكذا فإن معنى الشجرة: الشجار والنزاع والاختلاف، كما أنها تشير إلى الأصل والنسب في العائلات الإنسانية.

وورد في القرآن الكريم ذكر لـ «الشجرة الملعونة»، قال تعالى:

---

<sup>1</sup> - محيط المحيط.

## ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ الإسراء 61

ومن المعلوم أن سورة الإسراء تسمى أيضاً سورة بني إسرائيل. نتحدث  
الآية هنا عن شجرة معينة في القرآن ذاته، وهي: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي  
الْقُرْآنِ﴾ الإسراء 61

إذن يجب، بحسب هذه الآية الكريمة أن نجد ذكراً لشجرة لعنها الله في  
القرآن فصارت ملعونة. ولكن القارئ للقرآن الكريم لا يجد في آية آية لعناً  
يتعلق بشجرة (نبات) ملعونة، بل نقرأ فيه لعناً لشجرة من الناس لعنهم الله  
بكفرهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ  
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ المائدة 79

لا شك في أنّ بني إسرائيل ينتمون إلى شجرة معينة من الناس ويؤكد  
القرآن أنّ الذين كفروا منهم قد لعنوا على لسان أنبيائهم، وقال تعالى:  
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ المائدة 65

﴿أَوْ نُلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ النساء 48

إذن كفّار اليهود هم الشجرة الملعونة في القرآن الكريم، ولن يجد القارئ  
للقرآن أيّ شجرة ملعونة معينة غيرها.  
وهذا يؤكد استعمال الشجرة في المصطلح القرآني للدلالة على الفئة  
والقوم والقبيلة من الناس.

وهذه أيضاً هي حقيقة «الشجرة» المذكورة في قصة آدم.



ابتدأ أمر الله ﷻ لآدم بقوله: ﴿اسْكُنْ﴾

وتشير لفظة: ﴿اسْكُنْ﴾ إلى أمر يتعلق بالنزوع إلى السكن والسكنية وعدم النزوع إلى الشجر الشجار الذي يكون نقيضاً للسكن في هذه الحال.

والكلمة الثانية في أمر الله تعالى لآدم هي: ﴿وَزَوْجُكَ﴾

وهي تشير إلى كيان متآلف مع الذات ويناقض حالة الشجر والشجار أيضاً، فـ 'الزوج' كما علمنا هو الصنف والنمط والقرين والمثيل، وتشير هذه الكلمات جميعاً إلى إمكانية التآلف والسكن بسبب كون المتصفين بها قابلين لهذا السكن والتآلف لكونهم من "صنف" واحد.

إذن كان على آدم أن يعمل على الالتزام بالسكن والسكنية والتآلف والتآدم مع أفراد من صنف طبيعته وإيمانه بحيث يكونوا هادفين إلى السكن والسلام وعدم الميل إلى النزاع والشجار. ولما كان في قوم آدم فئة أو قبيلة تتصف بالميل والنزوع إلى الشجرة والمشجرة لأنها فئة شجرة تحب النزاع والخصام لشراً كامن في سلوكها وأخلاقيتها فقد نهى الله الخبير آدم ﷺ ألا يطمع في دعوة هذه العائلة الشجرة لاتباع دعوته والحجىء للسكن في ﴿الجنة﴾.

إنّ هذه العائلة الشجرة ما كان ينطبق عليها وصف ﴿زوجك﴾ في أمر الله تعالى لآدم، فهي لا تتصف بسلوكه وأخلاقياته وإيمانه وطبيعته، وهي لذلك لم تكن مشمولة في أمر الله تعالى لآدم أن يسكن في الجنة مع من كان زوجاً

له فقط.

لقد كانت خطيئة أبينا آدم كامنة في حماسه للإصلاح والأدب (التأليف) بين أفراد قومه وقبيلته وفي حرصه على تنفيذ أمر الله تعالى على أوسع نطاق، فنسي في شدة حماسه وإخلاصه أن يلتزم بأمر الله تعالى: ﴿وَزُوجَكَ﴾ فتوسّع في نطاق دعوته حتى وصل إلى العائلة والقبيلة الشجرة (النزعة للشجار) يدعوها، وبذلك نسي واقترب وذاق وأكل من الشجرة التي أمره الله تعالى ألا يقربها هو وزوجه.

ولا بد أن إبليس "الحارث" كان على رأس هذه القبيلة الشجرة النزعة إلى الشجار والخصام والاختلاف والتي لم تُرد أن تخضع لدعوة آدم عليه السلام، بل على العكس كانت تريد وتسعى إلى إحباط وإفشال دعوة آدم، ولم تكن تريد الانتقال من السكن في الكهوف إلى سكنى الحقول والبساتين لإعمارها وتأسيس حضارة مدنية جديدة.

كانت تلك هي 'الشجرة' الرافضة لدعوة آدم بما فيها من شرّ وخصام، وكان لإبليس هو الزعيم لهذه القبيلة، وقد كان يمثل مع قومه آنذاك دور الضدّ المناقض لدعوة آدم عليه السلام.

### \* بين إبليس والشیطان

ويمكننا أن نفهم الآن كيف أنّ إبليس ليس هو الشيطان الذي وسوس لأدم وزوجه وزین له الاقتراب من الشجرة المحرّمة بمعنى الاحتكاك بأفراد

العائلة الشريرة النزاعة إلى المشاجرة والخصام والفساد في قوم آدم. لقد كان الشيطان الموسوس فرداً من قوم آدم زين له فكرة دعوة الفئة التي نهاه الله عنها. وما أنّ آدم كان يريد أن يأثم ويصلح بين جميع أفراد قومه فلقد تحمّس لدعوة هذه الفئة من قومه ناسياً أنّ الله قد نهاه عن الاقتراب منها وعن دعوة أفرادها لعلّهم ينجّون بطبيعتهم الشّجرة وما يريدون من إفساد في قوم آدم يناقض الإصلاح والتأسيس الذي يعمل عليه هو وزوجه، وهكذا فقد نسي آدم ولم يعزم على معصية الله تعالى، ولقد بين لنا ربنا هذه الحقيقة في القرآن الكريم فقال:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَيْهِ وَلمَ يَحْذَرُ لَهُ عَزْماً﴾ سورة طه 116

أي أنّ خطأ آدم كان في أنّه نسي أمر الله له في أن يحصر دعوته في أفراد لهم مواصفات معينة تؤهلهم للتألف والتآدم بغية النجاح في تحقيق المجتمع الآدمي الجديد الذي يناقض المجتمع الخلافي الشّجر الذي يفسد في الأرض ويفرق الناس ويجعلهم يتصادمون بعضهم مع بعض في شجار وخلاف مستمر يهلكهم ويهلك حضارتهم الإنسانية الناشئة.

يقول بعض الناس إنّ آدم كان ضعيفاً قليل العزم، بدليل قوله وعَجَلٌ: ﴿لمَ يَحْذَرُ لَهُ عَزْماً﴾ أي لم يكن ذا عزم قوي بزعمهم.

هذا ليس صحيحاً، إذ الحقيقة هنا هي أنّ الله تعالى يُبرئ آدم ﷺ من أن يكون عازماً على الخطأ، إنه لم يخطئ إلاّ ناسياً غير عازم، وكان خطأه نابعاً من حماسه لطاعة الله وعَجَلٌ في تبليغ دعوته، ولم يعزم عليه.

بعد أن دعا آدم ﷺ أفراد قومه منتقياً إياهم لمجتمعه الآدمي الجديد، اقترح عليه واحد من أفراد قبيلته بمكر خبيث أن يدعو أفراد قبيلة معينة بحجة أنهم يمكن يدعموا دعوة آدم في سكنهم الجديد في الجنة وبذلك يضمّنون بقاء أقوى يظل ويخلد بقوة أفراد هذه المؤسسة الحضارية الآدمية الجديدة.. وناسياً هَيَّ الله له عن الاقتراب من هذه الفئة الشجرة من الناس. استجاب آدم ﷺ لهذا الاقتراح واقترب بمجتمعه من هؤلاء الذين كانوا لا يتميزون بالطبيعة والسلوك السلمي المطلوب لتحقيق نجاح آدم في تأسيس حضارته الآدمية في الأرض الجديدة، وبذلك دخل مجتمع آدم في خطر الشجار والنزاع والاختلاف بما بثّه أفراد الفئة المشاجرة الجديدة، ففسد المجتمع الذي أسسه آدم في الجنة، وصار عليه إعادة تأسيسه من جديد.

ونقرأ القصة في القرآن الكريم كما يلي، قال تعالى:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ \* وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَ لَكُمْ لِمَنِ النَّاصِحِينَ \* فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف 20- 24

وفي سورة طه نقرأ قول ربنا ﷻ:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً \* وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى \* فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا  
عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى \* إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ  
فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى \* فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ  
الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى \*  
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿١١٦﴾

سورة طه 116-122

تُبين هذه الآيات الكريمة أنّ آدم وزوجه بعد أن ذاقا الشجرة أو أكلا  
منها بدت لهما سؤاتهما. فماذا عساها تكون هذه السوءات التي بدت لآدم  
وزوجه فقط بعد اقترائهما من الشجرة؟ إنّ هذا يدل على أنها كانت خفية  
عنهما ولم يكونا على علم بها من قبل.

إن سوءة الإنسان التي هي عورته بمعنى أنها المكان الخاص من جسمه لا  
تكون خفيّة عنه بحيث "تبدو له" وعندئذ فقط يعلم عنها.

إذن ما هو المقصود بلفظة "سؤاتهما" هنا؟

السوءة في اللغة العربية هي العورة. والعورة هي الخلل في الشيء، ومكان  
الخطأ والضعف فيه. والعورة هي كل بيت أو موضع فيه خلل يُخشى دخول  
العدو منه. وفي التنزيل:

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ الأحزاب 14<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - راجع المعجم الوسيط ومحيط المحيط.

إذن من معاني السَّوءِ العورة، وهي بدورها تعني الخطأ والضعف، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله إنّ من يتتبع عورات الناس يتتبع الله عوراته، والمقصود واضح تماماً وهو أنّ الله ﷻ يكشف أخطاء وعيوب الذي يتتبع أخطاء وعيوب الناس ليكشفها.

بعد أن استجاب آدم وزوجه لوسوسة من أشار عليهما بدعوة تلك العائلة المعيّنة للسكن معهما في الجنّة التي أمر الله آدم أن يسكن فيها هو وزوجه، تمكّن أفراد تلك العائلة الشجرة من بثّ النزاع والخلاف والشجار بين أهل الجنّة وسكانها الذين سكنوا فيها مع آدم، الأمر الذي بدّد الجهد الذي بذله آدم ﷺ في تأسيس المجتمع الجنائي الحضاري الآدمي الجديد، وذلك بسبب تمكّن أفراد تلك العائلة أو القبيلة من التفريق بين أفراد قوم آدم ﷺ.

عند ذلك تبين لآدم وزوجه خطأهما، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بـ:

﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ سورة طه 122

أي بدا لهما خطأهما في الاقتراب والاحتكاك بأفراد تلك العائلة أو القبيلة ودعوتهم للسكن معهما وقومهما في الجنّة، فقد كانت تلك العائلة هي الشجرة التي نهي الله تعالى آدم وزوجه الاقتراب منها لعلمه ﷻ أنّ أفرادها ينزعون إلى الشجار وسيسعون إلى بثّ الخلاف والنزاع بين أفراد قوم آدم ﷺ في الأرض الجنّة التي أمر الله آدم أن يسكن فيها هو وزوجه فقط أي هو ومن يكون من صنفه ونمطه ومثيله وقربنه، فنسي آدم ﷺ ودعا أفراد

تلك العائلة الذين لم يكن ينطبق عليهم التحديد في أمر الله وَعَجَلًا:  
﴿وَزَوْجُكَ﴾.

### \* وأمر آخر يتعلق بالشجرة المحرّمة لا بد من الإشارة إليه

يدرك الإنسان خطأه حين يقارن ما قام به من عمل مع علم صحيح تذكّره أو توصّل إليه أو نتيجة فعل معين قام به. ويتبيّن خطأ الإنسان بمقارنة أعماله مع ما شرع الله من أعمال أو نهى عن محرمات. وهذا ما حصل مع آدم وزوجه حين بدت لهما سوءاتهما، ولكن كيف؟

مثّل الله شرعه بالشجرة الطيبة حين ضرب مثلاً بالكلمة الطيبة فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ  
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إبراهيم 25 - 26

والشجرة الطيبة هنا هي شجرة الإيمان والإسلام والقرآن الكريم، ونجد في هذه الآية الكريمة أنّ كلمة الله تُمثّل بالشجرة التي تمتلك الخواص الجوهريّة الأربع التالية:

1- أنّها طيبة، وهذا يعني أنّها حرة نقية وبريئة من أي تعليم يستفّرّ العقل والوجدان الإنساني أو يكون مناقضاً للمشاعر والأحاسيس الإنسانية.

2- وكالشجرة الطيبة العميقة الجذور والملاى بالثمار هي شريعة الله.. فهي ذات أساس قوي راسخ وثابت، وتستمد حياة عذبة جديدة

أبدأً وغذاء طيباً مباركاً من أصلها، وكالشجرة القوية فإنها لا تنحني أمام قذائف الاعتراضات والانتقادات المعادية، بل تقف شامخة ثابتة راسخة في مواجهة جميع العواصف، إنّ هذه الشجرة المباركة تستمد الحياة والغذاء من مصدر واحد فقط، وهي لذلك منسجمة متكاملة في مبادئها وتعاليمها وليس ثمة أي تنافر أو اختلاف فيها.

3- فروع هذه الشجرة وأغصانها تصل السماء، وهذا يعني أنه بالعمل على تطبيق مبادئها تستطيع البشرية أن تعتلي أعلى قمم الرقي الروحي.

4- وهذه الشجرة تعطي ثمارها وافرة في كلّ الفصول، وهذا يعني أن بركاتها ومنافعها مشهودة في كل الأوقات والأزمان فهي تغذي وتنتج ثماراً ورجالاً يحصلون—من خلال تطبيقهم لمبادئها وتعاليمها—على التواصل الحق مع الله ﷻ، كما يمكنهم من خلال تقواهم ونقاء سلوكهم أن يقوموا كالأبراج الشامخة فوق معاصريهم.

إن القرآن الكريم الذي هو شجرة شريعة الله تعالى يمتلك جميع هذه الخصائص وعلى أكمل وجه<sup>1</sup>.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾  
إبراهيم 27

<sup>1</sup> - راجع التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد.



وعلى عكس الشجرة الطيبة، فإنّ الكتاب أو التعليم المزيف من لدن كاذب مفتر، إنما يكون كالشجرة الخبيثة، فهو لا يملك ثباتاً ولا بقاءً كما لا يكون له دعم من منطق إنساني ولا قوانين للطبيعة.. وكذلك لا يمكنه مواجهة النقد، كما تكون أفكاره ومبادئه عرضة للتغير باستمرار مع تغير الأحوال والشروط الإنسانية، فهي مجرد تعاليم تخمينية مجمعة من مصادر غير واثقة ومفعمة بالشك والريب. ثم إنّ هذا التعليم يفشل في إثمار رجال يبرهن على أنهم على صلة حقيقية مع الله تعالى، وهو لا يستمد حياة عذبة جديدة من السماء ويكون خاضعاً للتعفن والانحلال<sup>1</sup>.

فالكلمة الطيبة إذن هنا ترمز إلى شجرة الشريعة التي على المؤمنين الالتزام بتعاليمها وحدودها فلا يتعدّوها ولا يقربوا ما حرم الله فيها.

قال الله ﷻ لآدم وزوجه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾  
الأعراف 20

ويمكننا أن نفهم أيضاً بالإضافة إلى ما سبق معنى جديداً، يشير إلى نهي الله ﷻ لآدم وزوجه (وقومه) ألا يقربا حدود ما حرم الله في شجرة شريعته حتى لا يكونا من الظالمين، قال تعالى:

﴿نَلِكْ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ البقرة 188

﴿نَلِكْ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

---

<sup>1</sup> - راجع التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني للإمام المهدي والمسيح الموعود في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

وهكذا فإنّ نهي الله ﷻ لآدم وزوجه (قومه) عن الاقتراب من الشجرة يُشير أيضاً إلى تعليم ضروري وهام جاء مثله في القرآن الكريم وهو ألاّ يقربا حدود شريعة الله وألاّ يعتدوها، لأنّ في هذا الالتزام حفظاً لآدم وقومه ونجاحاً للمهمة الموكولة إليهما.

ولقد كان من شريعة الله المنزلة على آدم ألاّ يقرب شجرة أي قبيلة أو عائلة تنزع إلى الشجار وبث الخلاف بين الناس وفي أفراد قومه، لأنّ في ذلك من شأنه أن يفسد تأسيس آدم لمجتمع الجنّة الذي أمره الله أن يقيمه بناء على أسس تشريعية محددة بيّنها الله لآدم وزوجه.

ويظل هذا الفهم صحيحاً وقابلاً للتطبيق في كل حين. إذ أن المجتمع الذي يقوم على مخالفة ما شرع الله من خير للإنسانية لا بدّ أن يفسد ويضمحل ويفشل، ولهذا كان لا بدّ من التنبيه على ضرورة الالتزام بشرع الله وعدم مخالفته لتحقيق النجاح في تأسيس مجتمع الخير والسلام للبشرية جميعاً.

### \* حقيقة خروج آدم وزوجه من الجنّة

ونقرأ في قصة آدم ﷺ في القرآن الكريم قول ربنا ﷻ :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ \* فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ  
إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى  
فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة 36-39﴾

إنَّ خروج آدم من الجنة لا يعني كما يعتقد البعض بأنَّه إنزال لآدم وزوجه من السماء إلى الأرض<sup>1</sup>، بل يعني خروجه وقومه من الوضع الجنائي الرغيد الذي كان عيشه هو وقومه بعيداً عن النزاع والخلاف والخوف. وقد ثبت لك في ما مرَّ من بيان وبرهان أن جنة آدم كانت في الأرض وليست في السماء، وبهذا فإن خروج آدم من الجنة يعني خروجه من تلك الأرض إلى أرض غيرها بعد أن فسدت الحالة والشروط في الجنة التي كان فيها بسبب احتكاك مجتمعه بأفراد الشجرة المفسدة بالخلاف والنزاع، وبعد أن تبين له هو وزوجه أنهما قد أخطأا بدعوة أفراد تلك القبيلة للسكنى معهم في المكان الذي حدده الله لهما. ولذلك كان عليهما النزوح إلى منطقة أخرى والبدء من جديد بتأسيس مجتمع سليم من الخلاف والنزاع ويقوم على الالتزام بما شرع الله وأراد. ولقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الخروج بقوله ﴿اهبطوا﴾ ليبين بأنَّ خروجهم كان يشير إلى تدنٍّ وانحدارٍ من حال إلى حال أقلَّ منها، ولقد استعمل القرآن هذا التعبير في مقام آخر دون أن يعني بذلك النزول من السماء إلى الأرض، قال تعالى في حديثه عن بني إسرائيل: ﴿اهبطوا مِصْرًا﴾

---

<sup>1</sup> - يقول الدكتور البوطي في كبرى اليقينيات الكونية: "واعلم أنه لا شأن لنا في هذا المقام بالبحث في كيفية نزول آدم من الجنة، والتحقيق في البقعة التي هبط إليها من الأرض" ص 250 الطبعة الثامنة.

فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴿البقرة 62﴾

ويحدثنا القرآن الكريم عن أول عمل قام به آدم وزوجه بعد أن تبينا خطأهما، فيقول: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف 23

وهذا يعني أنهما بدءاً من جديد يدعوان فتية الجنة وشبابها لإعادة بناء المجتمع الجنائي المأمول، فكيف نفهم هذا؟

يعتقد البعض أن معنى قوله ﷻ : ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف 23

أي أنّ آدم وزوجه أخذَ يستتران عوراتهما بأوراق أشجار الجنة. ولكنّ هذا يخالف النص، لأنه لو كان المقصود بورق الجنة هو أوراق الأشجار لكان لا بد من القول: طفقاً يَخْصِفَانِ عليهما من ورق أشجار الجنة وليس الجنة ذاتها. ولكنّ النصّ الكريم جاء بصيغة: ﴿وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ذاتها. فما هو المقصود بورق الجنة؟

نقرأ في مراجع اللغة العربية ما يلي:

"والورق من القوم: أحدثهم أو الضعاف من الفتيان وحسن القوم وجهالهم"<sup>1</sup>.

وجاء في معجم الوسط:

---

<sup>1</sup> - راجع قاموس محيط المحيط مادة ورق.

"ورق القوم: أحداثهم أو الضعاف من فتياهم. وورق الشباب: نصرته وحداثته. والورق: حسن القوم وجمالهم"<sup>1</sup>

وهكذا فإن ﴿ورق الجنة﴾ هم شباب الجنة وأحداثها وأحسنهم خلقاً وجمالاً في السلوك والإيمان، وهؤلاء هم الذين سعى آدم وزوجه إلى دعوتهم من جديد ليشاركوهم في تأسيس المجتمع الآدمي الجديد بعد فشل تجربتهم في دعوة إبليس وقومه الذين أفسدوا في قوم آدم بالنزاع والخلاف الذي بثّوه بينهم.

ولابدّ من التذكير هنا أننا لا نقدّم تفسيراً شاملاً لجميع الآيات القرآنية التي تروي قصة آدم عليه السلام، فإنّ ذلك يستلزم بحثاً مطوّلاً يتناول كلّ لفظة في كلّ آية تروي هذه القصة، ولكننا نقدّم في بحثنا هذا البراهين القرآنية المبيّنة والتي تؤكد أنّ قصة آدم في حقيقتها هي غير ما يُروى من خيالات وأساطير تتعلق بخلق آدم والجنة وقصته مع إبليس والشيطان، ثم الحديث عن خطيئته التي وصل فيها البعض إلى حدّ النيل من عصمة آدم وشخصيته كنبى مرسل صلى الله عليه وسلم.

ولقد تبيّن لنا من الدراسة التحقيقية في قصة آدم في القرآن الكريم أنّ ما يسمى بخطيئة آدم لم تكن أكثر من أنه نسي أمر الله له بعدم التوسع في دعوته لتشمل أناساً معينين يعلم الله عدم جدوى دعوتهم وكذلك خطر دخولهم في مجتمع آدم في الجنة التي أمره الله أن يسكن فيها هو وزوجه.

<sup>1</sup> - راجع المعجم الوسيط مادة ورق.

لقد كانت خطيئة آدم كامنة في حماسه الشديد لإصلاح قومه وتبليغهم دعوة الله تعالى والخروج بهم من سكنى الكهوف إلى سكنى السهول وإعمارها لتأسيس حضارة آدمية راقية تستهل حضارة إنسانية شاملة تعمّر الأرض جميعاً.

ولقد برأ الله آدم من عزمه على الخطأ فقال: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ سورة طه 116

وليس صحيحاً الزعم بأنّ ذلك يعني أن آدم ﷺ لم يكن من الرسل أولى العزم بمعنى أنه كان نبياً ضعيفاً، بل إنّ أنبياء الله جميعاً هم نخبة عظيمة من البشر الذين يصطفاهم الله تعالى على أنهم خير أهل زمانهم وأكثرهم عزمًا على طاعة الله تعالى وتطبيق شرعه العظيم.

وفي إجابة للشيخ متولي الشعراوي عما يسمى بخطيئة آدم يقول إنّ جانباً من شخصية آدم كان قابلاً ليس لأن يرتكب آدم الخطأ والخطيئة فحسب، بل إنه ممكن في هذا الجانب أن يكفر بخالقه، وإليكم كلمات الشيخ الشعراوي في كتابه الشهير: (أسئلة محرّجة وأجوبة صريحة) حيث يقول:

"ومن العجيب أنّ أمر آدم بالنسبة إلى الوحي أخذ خلافاً طويلاً.. وهو كيف يكون موحى إليه وتصدر منه المعصية.. ولم يفتن هؤلاء إلى أنّ آدم ﷺ خلق بمثل نوعين من البشر.. نوع نبوة معصومة.. ونوع غير نبي يقع في الخطأ والخطيئة.. بل ويكفر بخالقه.. وما دام أباً لهذين النوعين.. فيجب أن يتمثل في خلقه وتكوينه النوعان

معاً.. النوع الخطأ الذي يعهد إليه فينمي ويعصي ويوقعه الشيطان  
في الخطأ بالغرور.. ولا يملك أن يسيطر على نفسه أمام نزواته  
وشهواته.. ونوع آخر هو الذي اجتبه الله ليقوم بدور النبوة.. فهو  
معصوم من الخطأ..<sup>1</sup>.

ثم يتابع الشيخ الشعراوي شرحه فيقول:

"فلما أخطأ آدم في دور التجربة نسي.."<sup>2</sup>.

ثم بين الشيخ الشعراوي أنّ خطأ آدم كان بسبب غفلته والعياذ بالله،  
فيقول:

".. كان على آدم ألا يكون غافلاً إلى هذا الحد.. يجب ألا ينسى..  
فعندما يقول له الشيطان إن الله منعكما من أن تأكلا من هذه  
الشجرة.. حتى لا تصيرا ملكين.. وتعتبرا من الخالدين.. كان يجب  
على آدم أن يقول له: إذا كنت أنت الشيطان تعلم أنّ الأكل من  
هذه الشجرة يجعلك ملكاً ويجعلك خالداً.. فلماذا تضاءلت أمام  
ربك.. وقلت له: أنظري إلى يوم تبعثون.. لماذا لم تذهب لتأكل من  
الشجرة وحدك لتصير من الخالدين.. إنّ الله يريد أن يعلمنا  
الفطنة"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب أسئلة محرّجة وأجوبة صريحة لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي  
الصفحة 54.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ص 55.

<sup>3</sup> - المرجع السابق ص 56 "وهل كان آدم تنقصه الفطنة التي يمتلكها فضيلة الشيخ؟".

وكما رأينا فإنَّ القرآن الكريم لا يوافق على هذه الأشكال من الفهم لما يسمى بخطيئة آدم.

بل إن آدم عليه السلام من الرسل الذين اجتباهم ربهم وقرهم إليه، قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ آل عمران 180

وقال عن آدم عليه السلام: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ سورة طه 123

ونلاحظ من جملة تفسير المفسرين أنهم يأخذون بحرفية لفظة الشجرة والتدوق أو الأكل منها، ويعتبرون أنَّ خطيئة آدم عليه السلام إنما كانت بسبب أنه "ذاق" أو "أكل" من "الشجرة" المحرمة. ويحول هذا الإشكال في الفهم حين نعلم أنَّ القرآن قد استعمل الفعل "ذاق" في كثير من الآيات مشيراً بذلك إلى معاناة الإنسان لما اكتسبت يده من خطأ، قال تعالى:

﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت 56

﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الزمر 25

وفي معرض تصوير معاناة الناس بأس بعضهم لبعض، يقول عجل:

﴿وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ الأنعام 66

وهكذا فإنَّ استعمال لفظة ﴿ذاقا﴾: في قوله تعالى عن آدم وزوجه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ إنما تشير إلى معاناتهما من خطأ الاقتراب من أفراد تلك القبيلة الشجرة بغية دعوتهم، فحصل من ذلك إدخال فساد هؤلاء ورفقتهم إلى مجتمع آدم وزوجه، مما أدى إلى معاناة آدم وزوجه من ذلك الشيء



الكثير .

وأما استعمال لفظة الأكل في موضع معاناة الخطأ فإنما يشير إلى شدة المعاناة من ذلك الخطأ، قال تعالى عن آخذي الربا: ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ البقرة 175

ومن المعلوم أنّ النار لا تؤكل، وإنما هو تصوير لحقيقة المعاناة التي سيعانيها المرابون في الدنيا والآخرة بسبب أخذهم الربا.

وأما عن الإشكال الظاهر في قوله تعالى: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾ 124

حيث يعتقد البعض أنّ في هذا تأكيد على أنّ الخطاب قد كان لآدم وزوجه فقط، وأنّ هذا يعني نزولهما من السماء إلى الأرض، فإنّ هذا الإشكال يزول حال إتمامنا لقراءة هذه الآية الكريمة إذ يقول تعالى: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ سورة طه 124

ففي قوله ﴿جَمِيعًا﴾ بعد قوله ﴿اهْبِطَا﴾ دليل على أنّ الخطاب كان لفريقين أو فئتين وليس لمجرد زوجين من البشر.

ويؤكد هذا الفهم ورود آيات أخرى تتحدث عن هذا الموقف في قصة آدم عليه السلام حيث يقول تعالى:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 39

ونقرأ في موضع آخر قول ربنا ﷻ:

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾

الأعراف 25

وأما البرهان على أنّ كلمة اهبطوا لا تدل على النزول من السماء فقد قدّمنا براهين كثيرة ومنها قول الله تعالى على لسان موسى لقومه: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ البقرة 62

### \* وقفة تأملية مع آدم والتعليم الذي أنزله الله عليه

لو تفكرنا متأملين في تعليم الله المنزل على آدم مؤسس الحضارة البشرية الحديثة، لوجدنا أنّ هذا التعليم المعجز يبقى صالحاً للبشرية في كل زمان ومكان، إذا ما كانت ثمة إرادة صادقة لتأسيس أيّ مجتمع حضاري ناهض يروم الاستقرار والبناء المتين والعيش الرغيد في بيئة تكون جنة بشرية يعم فيها الخير للجميع، حيث ينعم الكل في طمأنينة السكن والاستقرار من خلال الإصلاح المبني على الود والتآلف والتآدم.

قد جاء أمر الله وتعليمه لنبيه آدم مؤسس الحضارة البشرية الحديثة يقول:

﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾

ويتضمن نداء الله تعالى لنبيه بلفظة: ﴿يَا آدَمُ﴾ رسالة تعليمية هامة وتوضيحاً للمهمة الرئيسية لهذا المؤسس. وذلك لأن خطاب ربنا ﷻ بهذه الكلمة يعني ندائه له -: يا أيها المصلح الأسوة المؤلف والموحد والآدم بين

الناس<sup>1</sup>. أي أنّ مهمة آدم الرئيسة كانت أن يصلح في قومه وأن يؤلف بينهم ويجمعهم على المودة والألفة وأن يوحد بينهم ويكون أسوة في ذلك لهم حتى يجعل منهم مجتمعاً آدمياً حضارياً يعيش في جنة إنسانية دائمة الخير والنفع.. وفي هذا تعليم سماوي حكيم لكل إمام مصلح يريد أن يجعل من أرضه ووطنه بيئة حضارية جنتية ينعم فيها الجميع بسلام الألفة والود والمحبة الجامعة.

وأما البند الثاني من هذا التعليم الرباني فنستخلصه من أمر الله تعالى لآدم عليه السلام بقوله: ﴿اسْكُنْ﴾. والسكن، في اللغة العربية، يكون لكل ما يُسكن إليه وفيه ويستأنس به، والرحمة والبركة والقوت<sup>2</sup>.

وبهذا فقد كان على آدم أن يسعى إلى نشر الأُنس والاستئناس والسكينة والرحمة والبركة وأن يؤمن القوت والاستقرار والطمأنينة لأهله وقومه.

ولا يمكن للطمأنينة والاستقرار في أيّ بيئة كانت أن تتحققا بشكل تام وسليم ما لم تتناول جميع أفراد هذه البيئة الصالحين الذين بهم ومعهم يمكن أن يتم البناء الحضاري الهادف إلى تحقيق الاستقرار والطمأنينة والسلام والخير والرحمة والبركة للجميع، ولهذا فقد جاء التعليم الرباني لآدم يقول: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾.

ولقد بيّناً مسبقاً أنه قد كان على آدم أن ينتقي، للعمل معه، من أبناء قومه وأهله من يكون مثيلاً له من نوعه وصفه ونمطه، يعني من يكون زوجه،

<sup>1</sup> - راجع محيط المحيط والمعجم الوسيط.

<sup>2</sup> - راجع هذه المعاني في قواميس اللغة العربية.

لأن العمل لصالح تحقيق الحياة الحضارية المستقرة والمطمئنة لا بدّ أن يكون عمالاً جماعياً يتعاون فيه أبناء الوطن والأمم والشعوب بروح مؤمنة واحدة لخير أوطانهم وأبنائهم ولا يمكن للبشرية أن تحقق أو حتى تأمل بتحقيق حضارة إنسانية مستقرة ومطمئنة من غير تعاون واع جاد مخلص مؤمن ودؤوب بين أبنائها الصالحين العاملين لخيرهم وصالحهم المشترك، وهؤلاء هم الأزواج والأشباه في صنف واحد من الناس يسعى لخير الناس جميعاً من أجل تحقيق مجتمع وبيئة حضارية راقية تكون للوطن والبشرية "جنة" إنسانية على الأرض، ومن هنا جاء ذكر الجنة في قول الله ﷻ:

﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.

وبعد أن يتم هذا الإنجاز الحضاري العظيم بفضل العاملين متعاونين على تحقيقه من خلال قيادة أسوة مؤمنة صالحة، لا بدّ عندئذٍ من العمل على حماية هذه الجنة الحضارية التي يبنها أبنائها بإيمانهم وخيرهم وتعاونهم وتماسكهم وتآدمهم... وأوّل ما يجب أن ينتبهوا إليه في هذا الشأن هو عدم السماح للفئات المفسدة سواء أكانت أفراداً أم جماعات أو حتى دُولاً أن تتسلل وتتمكن من العبث بما تمّ إنجازه وتحقيقه من أمن وطمأنينة واستقرار كي لا تُهدّد كيانه وتجعله عرضة للاهتزاز أو الزوال. وإلى هذا أشار تعليم ربنا ﷻ في قوله لآدم وزوجه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. أي بعد أن تسكن وتستقر وتطمئن أنت وقومك في بيتك ووطنك الجنة، احذر أن تقترب من الكيانات المشاجرة القائمة على إثارة النزاع والخلاف والعداء فتسمح لها

بالاحتكاك بمجتمعك وقومك فتجعله ينحلّ ويتفكك وينهار من داخله بسبب الشجار والتنازع والخلاف.

إنّ وطننا العربي وأمتنا العربية في أمسّ الحاجة اليوم إلى الاستفادة من التعليم الربّاني المنزل على آدم عليه السلام والذي بيّنه لنا القرآن الكريم.

إنّ على كل فرد من هذه الأمة المباركة أن يعمل بكل طاقاته وإخلاصه على أن يَادم ويصلح ويؤلف بين أبناء أمتنا ووطننا ما أمكن.. ثم إن عليه أن يعمل مخلصاً لنشر الطمأنينة والاستقرار والرحمة والعدل مبتدئاً بأسرته في بيته ومتابعاً في كل بيئة صغيرة أو كبيرة قد يكون فيها راعياً ومسؤولاً عن أفراد وأبناء وإخوة وأخوات من أبناء وطنه بشكل أو بآخر.

ثم إنّ عليه أن يكون يدّاً ثانية—أو حتى سابقة—مع كل يد مصلحة ببناء خيرة تبني في الصرح الحضاري الشامخ والمأمول لهذا الوطن وهذه الأمة.

كما ويجب أن على كلّ مواطن أن يحترس، بانتباه شديد، من السّماح للكيانات القائمة على مبدأ الإفساد والتشكيك بالقدرات ووآد الآمال، من التسلل والسعي لهدم أسس العمل الصالح والبناء لأيّ بناء شريف يسعى جاهداً ومخلصاً لخدمة هذه الأمة العظيمة وأبنائها الشرفاء المؤمنين.

نستطيع إذا ما تأملنا وتفكرنا في هذا البيان القرآني العظيم أن نجد كلّ هذه التعاليم العظيمة البناءة للحضارة الإنسانية الآدمية في كل مكان من الأرض تُطبّق فيه.. والله أعلم.

## \* ملامح الشخصية الإبلسية وأدوارها

قد تَبَيَّنَ معنا من المراجع اللغوية أنَّ إبليس هو اسم وصفي يتصف به الإنسان حين يُبلس ويكفر مخالفاً الطبيعة السليمة النقية التي فطر الله النفس الإنسانية عليها مختاراً موقفاً مبلساً من الله **وَعَبَّكُ** ودينه ودعوته، فيجعل بذلك من نفسه "إبليساً" أي -وبحسب معاني اللغة العربية- قانطاً ويائساً من رحمة الله تعالى وقد تناقض مع خيرهِ وفضيلته وصار ضالاً مختاراً غير قادر على تَبَيَّنِ سبيله، وهو لذلك فقد حُرِمَ من تحقيق أمانيه وأضحى محطَّم الروح يائساً قانطاً مبلساً ساكتاً لانقطاع الحجة عنده أو البرهان.

وهو لذلك قليل الخير كثير الشر، كما أنَّه، ليأسه وقنوطه من رحمة الله تعالى، يكون متروكاً حيراناً مخزياً ملعوناً فاقد القدرة على تَبَيَّنِ طريقه أو إدراك سبيله.

ومن هذا ندرك أنَّ أَلْزَمَ صفات إبليس هي ضياع الأمل في الوصول إلى غاية أو تحقيق أيِّ نجاح حقيقي.. إذ كيف يكون ثمة أمل لمن لا سبيل له أو لا يَتَبَيَّنُ سبيلاً؟ وإذا ما تتبعنا بالدراسة المتأنية ملامح الشخصية الإبلسية في القرآن الكريم فإننا ندرك حقائق أدواره المبنية أساساً على غروره وتكبُّره وحقهده. ونقرأ في القرآن صورةً لحوار يكشف الأساس الذي تقوم عليه الشخصية الإبلسية:

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الأعراف 13

إذن هو الغرور أساساً وانطلاقاً، ثم التعالي والتكبر والانفعال فيه والاستسلام له حتى يطغى على صاحبه ويستعبده جاعلاً منه وثناً يعبد ذاته في انفعال ناري يتعالى به فوق غيره معتبراً إياهم طيناً لا يرقى في تكوينه إلى قدرته هو وإلى صفاته النارية الصاعدة طموحاً ولهيئاً في ألوان جذابة تخطف الأبصار من بعيد وتحرق من يمسه من قريب.. ولا يدري إبليس أنه بذلك يأكل بعضه بعضاً فيستحيل دخاناً ثم يتبدد هباءً في الوقت الذي يبقى فيه الطين في سلام طينيته.. يتفاعل في تطوّر خلاق يجعل منه — حال توحده مع ماء الحياة وماء الوحي الربّاني — أشكالاً إبداعية كثيرة ومتنوعة لا يرقى إليها حصر ولا خيال.. فأشجار الدنيا كلها بما ينعقد عليها من أزهار وأثمار، إنما تنبت في الطين مستمدة الغذاء والحياة والبقاء منه طالما أنه يبقى محتفظاً بمائه وأصالته الطينية الخصبة ببذور جميع أشكال الحياة.

إنّ كل الجنّات المتباهية بأشجارها السامقة فروعها في أجواء السماء رقيّاً وشموخاً وتيهياً بأشكال الحياة وألوانها إنما تنشأ فوق جذور مغروسة في الطين الحاني بتواضعه العظيم على جذور الجنّات يروي عروقها بالحياة النابضة بكل خفقات الجمال ورقاتها.

ولهذا فإنّ 'الإبليس' منطلقاً من حقيقة عدم إدراكه السبيل الحق، قد ضيّع مقومات البقاء في الجنّة فأخرج نفسه منها ظالماً لها.. مترقّعاً ومتعالياً عن الاستجابة إلى نداء الفطرة النقية والسليمة، فوقف متكبراً يُعلن: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، فوقّ الله له محصّلة عمله جزاء وفاقاً وقال له: ﴿فَاهْبُطْ مِنْهَا فَمَا

يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٤﴾ الأعراف 14

قد صنع إبليس بيديه هذا المصير حين ملّك نفسه لنارية مزاجه مغروراً، متكبراً ومتعالياً على غيره من خلق الله تعالى. وكيف تستطيع النار السكن في الجنة؟ وإلى ماذا تصير الغابة الجنة إذا ما علقت في أشجارها النار؟

وكما أنه يستحيل وجود الظلام مع النور في المكان ذاته، فكذلك لا يمكن للنار أن تسكن الجنة وهي نار.. ولذلك فإن إبليس حين أصرّ على التمسك بطبيعته النارية حكم هو على نفسه بعدم القدرة على البقاء في الجنة والسكن فيها، لأنه قد جعل بذلك نفسه كيئناً مناقضاً للسكن الجنائي الذي يستلزم معاشة الطبيعة الطينية المتألّفة والمتمازجة مع غراس الجنة وجذورها. ولذلك فإن أمر الله له: ﴿فَاهْطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

لم يكن مجرد عقاب له بقدر ما كان إعلاناً لحقيقة قائمة في حدّ ذاتها على أساس أنّ الطبيعة الطينية من مستلزمات الجنة، بينما المزاجية النارية هي من الكيانات المناقضة لها، والتي لا يمكنها معاشة الجنة أو التواجد فيها. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

هي حقيقة فيها قوة القانون الحاسم.. مُحال أن يعيش متكبر في الجنة، فالجنة مُعاشةٌ لكيان متواضع مستقرّ يجب أن يقيم ويبقى لتبقى معه الجنة.. ولكن أيّ كيان يظل ويبقى للنار إذا ما عايشته ولو قليلاً؟

يتعالى إبليس لأنه يريد أن يكبر ويكبر على كيان يراه ويريده أصغر



منه، ظاناً أنه يصنع بتعاليه وتكبره جنة له تليق بغروره وأمله في أن يكبر ويظل يكبر، لكن الله الذي كَوَّن التكاوين وقَتَّن القوانين يُنزل دائماً به قَدْره الذي نسجه هو (الإبليس) بيده، فيقول له عزَّ وجل:

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

يكون 'الإبليس' من الصاغرين لأنها هي حقيقته التي كشف هو عنها بتعاليه وتكبره. إذ من ذا الذي يحتاج إلى الإحساس بالكبر على غيره إلا من كان يرى نفسه صغيراً أو يصغر باستمرار؟ وماذا يكون الذي يصغر ويصغر باستمرار إلا من الصاغرين.

إنَّ هذه الحقيقة القرآنية تشير إلى أن إبليس حين رفض السجود صار صاغراً، وأنه لا يزال يصغر ويصغر منذ لحظة اختياره الانفعال في الموقف الإبليسي والبقاء فيه.

يعتقد إبليس أنه ليس بحاجة لأن يسمع أو يخضع أو يطيع، وهو لذلك لا يسجد، ويصرّ على أن فيه خيراً يُغنيه عن أن يسجد أو أن يسمع أو أن يعبد ربه، فهو يصنع دينه على هواه، ديناً يُنصَّب فيه ذاته وفهمه وثناً يعبد في كل حين وآن.. وهو أيضاً يُصرّ على البقاء في الجنة ويعتقد أنها حقّه لأنه يرى نفسه خيراً من سواه—كما يرى هو ذاته ويقيسها بمقاييسه—وكفى بنفسه حسياً. ولكن الحقيقة التي يواجهها دائماً هي أنه كلما أصرّ على بقائه في جنة المستكبرين وجد نفسه في جحيمهم—جحيم الأبالسة، أو المبلسين.

## \* أخى الإنسان ..

اسمح لي أن أدعوك، بكل تواضع وإخلاص، أن تحذر بشدة، في كل يوم، بل وكل لحظة من عمرك، أو حتى خاطرة من فكرك أن تدخل نفسك متورطاً بالموقف الإبليسى فتتكبر بنفسك وتتعالى عن الحق أيّاً كان مصدره طالما أنه حق يوجب الأخذ بمنطقه وبيانه السليم.. حاذر أن تُضلّك المزاجية النارية كما ضلّ بها إبليس، فإنّك عندئذ ستأكل بعضك بعضاً، وتُفني ذاتك بذاتك تماماً كما تفعل النار بعضها ببعض.. ثم ينتهي بك المطاف أن تؤول دخاناً يتبدّد في قصف ريح هوجاء عاصفة لا تُفكر قراراً، ولا تُسكنك سَكناً، بل دَوَّاراً تلتفت حول ذاتك وتلتف حتى تكاد تُخنق نفسك بنفسك، في ضيق شديد، وغربة شائكة، ووحدة قاتلة؛ ثم، وفي لحظة تفكّر وجداني، تكتشف أنك قد أمضيت عمرك في تعالٍ وتكبرٍ أحرق كان يُخرجك دائماً من كل جنة تحلم بالعيش أو الاستقرار فيها ولو لحظة من عُمر. وتذكر عندئذ أنك لم تُعايش يوماً جنة حقيقية يمتلئ فيها قلبك اطمئناناً على استقرارك من أن يُتخطف، أو مصيرك المجهول من أن يدنو ذات فجأة تُدرك عندها، عندها فقط، أنك قد أهكت نفسك بتعاليك وتكبرك، إذ أنّك لم تُرد أن تسمع، ولا أن تعلم، ولا أن تسجد إلا لذاتك، ولا أن تعبد إلا هواك.

## \* إبليس — الشيطان

إذن الإبليلية واقع يمكن أن يعايشه كلّ مغرور بنفسه، متكبرٍ بذاته،

فاشِلٌ في الرؤية الحَقَّة للحقائق ولكيانات الآخرين، عاجزٌ، بتعجيزه لنفسه، عن أن يسجد إلا لذاته أو أن يعبد ربّه الذي هو ربّ العالمين لأنه لا يريد أن يعبد إلا هواه ظانّاً أنه يقيم بذلك لنفسه شخصية باقية في جنّة خالدة لا يدركه فيها ضعف ولا بؤس ولا شقاء، وهو، كما تعلمون، "أمل إبليس بالجنّة". حين أبلَس إبليس وصار إبليساً دخل أيضاً في الشيطنة وصار شيطاناً، فهو لم يعد يكتفي بإغوائه لنفسه بعد أن حكم الله عليه بأنّه قد غوى، بل عَزَم على أن يغوي خلق الله أجمعين فقال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ -سورة ص 83

وبيّن طريقه وخطته في الإغواء وأنّه سيشنّها على الناس من خلال الزينة والتزيين، فقال:

﴿لَأُتَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر 40

فهو يزيّن الفكرة، ويزيّن الخاطرة، ويزيّن الهدف؛ ويعِدُّ بالغرور، ويتزيّا بالصراط المستقيم فيغوي ويضلّل ويضعف ويقتل ويهلك ويجعل—أول ما يجعل—أتباعه ضحاياهم إلا من يأبى أن لا يعبد إلا الله وحده؛ وهو لذلك، بعد أن تهدّد بإغواء الناس أجمعين، استثنى منهم—بنفسه—عباد الله المخلصين فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الحجر 41

ويعلن الله قدره مهّداً الشيطان وغيره، محذراً الاقتراب من عباده قائلاً  
وَعَلَّكَ:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر 43

فإذا كان أحد لا يجرؤ على إيذاء من كان تبعاً ومقرّباً لملك أو رئيس فمن ذا الذي يجرؤ على إغواء أو إضلال من كان الله وحده سيده وربّه وإلهه؟

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف 17

إنّ معنى قوله بما أغويتني هنا: أي بما أنك قد حكمت عليّ بأني قد غويت. ومثله لو قلت بما كذّبتني: أي بما أنك قد اعتبرني كاذباً، وليس بما أنك جعلتني كاذباً. المهم أن إبليس-الشیطان يعلن هنا عن خطته في الإغواء فيقول إنه سيجعل من نفسه صراطاً مستقيماً مقابل صراط الله المستقيم.. بحيث يحسب المغرورون أنهم، حين يتبعونه، يسرون على الصراط المستقيم. ويبيّن الشيطان خطوط هجومه فيقول:

﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف 18

وبهذا وضع إبليس منهجه وبيّن سبله في الدعوة الضدّ لدعوة الله ﷻ، فهو يعمد إلى أن يقعد للناس صراطاً مستقيماً، ثم يدفعهم من خلال صراطه الزائف في كلّ السبل إلّا سبيل الله ﷻ، وسيأتيهم من كلّ الجهات إلّا جهة واحدة وهي جهة السماء. يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم، وسيصد الناس عن الشكر ويجعلهم كافرين.

إن عدم تمكن إبليس-الشیطان من التزيين للناس وإغوائهم من جهة

السماء يشير إلى حقيقة أنّ الهدى الذي يتنزل من الله ﷻ لا قوة لإبليس أو غيره على رده أو منعه من الظهور والانتصار على كيد الشيطان وأتباعه. كما يشير هذا المعنى إلى أنّ الذين يسمعون لهدى الله وينفعلون معه ويقبلونه ثم يخرجون بذلك أنفسهم من نير كل عبودية بألاً يكونوا عباداً إلاّ الله وحده، ولا يكون لهم سيّد يدينون له بالعبادة والتقديس إلاّ الله وحده، لا يمكن لأي إبليس من الأبالسة أو شيطان من الشياطين ولو اجتمعوا أن يُفلحوا في غوايتهم وإضلالهم، قال ربنا ﷻ مستصغراً شأن إبليس محتقراً له:

﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ الإسراء 65-66

تشير هذه الآية الكريمة إلى الأساليب الثلاثة التي ينتجها أبناء الشرّ وأعداء الحق والنور لإغواء الناس وإبعادهم عن صراط الحق:

1- فهم يسعون إلى تخويف الفقراء والضعفاء والبسطاء بتهديدهم بالعنف.

2- ويتخذون خطوات أكثر عنفاً وتطرفاً ضدّ الذين لا يخشون التهديد الشفهي بالعنف، وذلك بتشكيل أحلاف ضدّهم والقيام بهجوم متلاحم يشنّوه عليهم ويضطهدونهم ضاغطين عليهم في كل سبيل.

3- ويحاولون إغواء وإغراء الأقوى منهم بعرض المناصب القيادية عليهم

مقابل توقّفهم عن دعم الحق والانتصار له<sup>1</sup>.

وأما عن رغبة إبليس الشيطان في البقاء إلى يوم يبعثون فلم تكن تُغنيه شيئاً عن حقيقة أنّه من الصاغرين الذين يصغرون دائماً وأبداً وإلى يوم يبعثون حيث تكون النهاية المحتومة لإبليس-الشيطان الرجيم. ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الحجر 37

أي يوم يقوم الناس والإنسانية جميعاً من رقاد الموت-الكفر إلى بعث الإيمان والحياة الإيمانية السليمة النقيّة.. ذلك هو يوم يبعثون. إنه اليوم الذي يكون فيه إبليس وشيطان الكفر القاتل المهلك رجيماً هالِكاً مقتولاً.

وثمة يوم آخر يُبعث فيه الإنسان أيضاً، وهو اليوم الذي يتحقق فيه الكمال الروحي للمؤمن جزاء التزامه الحق بحق الله عليه مستقيماً بدينه طلباً لنيل رضاه وحده عزّ وجلّ. ذاك يكون أيضاً يوم بعثه، وهو ذاته اليوم الذي ينتهي بالنسبة إليه إنظار إبليس- الشيطان الرجيم (أي الهالك).

### \* فشل إبليس الدّريع

عزّم إبليس، حاسداً وناقماً، على غواية الناس أجمعين، وأقسّم على منعهم أن يكونوا شاكرين.. وجاء الزمان يبرهن على عجزه وفشله الدّريع في تحقيق أمنيته.. فقد ثبت حتى زماننا هذا، أنّ كراهية الإنسانية للشر والكفر قد بقيت السّمة الأولى لها في كلّ فكر وسّعي وعطاء ونضال إنساني.

---

<sup>1</sup> - التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد.

وكلنا يعلم علم اليقين:

أنّ الأختيار يموتون، ولكن الخير لا يموت..

وأنّ الأشرار قد ينتصرون، ولكن الشر لا ينتصر..

وأنّ الأختيار قد ينهزمون، ولكن الخير لا ينهزم..

وأنّ العبرة في النهايات والخواتيم لا بالجولات الزائلة.

ولو درسنا المحصّلات في المجتمع الإنساني، لوجدنا أنّ الأسوياء من الناس هم الغالبية العظمى إلى حد أنّ الأشرار والشواذ منهم لا يقاسون ولا يقارنون بهم لقلّتهم.

المدارس والمعاهد والجامعات التي تعلّم الخير في حياة الناس في جميع البلاد أكثر بما لا يُحصى من السجون التي تعاقب المجرمين.. وأنّ الشرفاء الذين يأنفون من السرقة والخيانة أكثر بكثير من اللصوص الذين يعتدون على ممتلكات الناس. وإننا لو أحصينا كلمات حتى أكذب الناس حديثاً في مجتمعه لوجدنا أنّه يقول الصدق—ولو مضطراً—أكثر بكثير مما يكذب.

والذين يعبدون الله ويحمدونه ويشكرونه كلّ بحسب معتقده هم أغلب الناس في الأرض، يشهد على ذلك انتشار بيوت الله والكنائس والمعابد التي يعبد الناس فيها الله ويقدسونه فيها في كل أركان الأرض.

وبهذا فقد فشّل إبليس فشلاً ذريعاً حين توعّد بأنّه سيغوي الناس

أجمعين، بحيث أنّ الله تعالى لن يجد أغلبهم شاكرين، بل لا يزال إيمان البشرية بالله تعالى هو العقيدة الأسمى عندهم، ولا زالوا يمدونه ويشكرونه على كل فضل ونعمة وعافية وعطاء.

وأنت ماذا عساك تجيبني إن سألتك: "كيف حالك"؟

ألن تجيب قائلاً: "الحمد لله رب العالمين"؟





## الفصل الحادي عشر

القرايين البشرية

على مذابح الخرافة و الخيال

## في قديم الزمان ..

كان كهنة الآلهة ورجال الدين ينتقون أجمل الشبان والفتيات من أبناء قومهم ليقدموهم ضحايا وقرايين بشرية على مذابح آلهتهم .

كانوا يحرقون الضحية قرباناً لإله البركان حتى لا يغضب فيحرقهم ...  
وكانوا يغرقون قربانهم البشري في ماء النهر العظيم قرباناً له حتى لا يغرقهم

...

وكانوا يسفكون دم الإنسان قرباناً في معبد الشيطان حتى لا يغضب عليهم فيؤذيهم ويسفك دماءهم ..

وهكذا كان الكهنة ورجال الدين، يُضَحَّون بالناس أبناء قومهم ويجعلونهم قرايين بشرية تجري دماؤهم على مذابح الوهم والخرافة و الخيال باسم الدين على مدى الزمان الطويل ولكن للحق نقول:

إنَّ ثمة اختلافاً كبيراً بين ذلك الذَّبح الكهني للقرايين البشرية الغابرة، والذَّبح الكهني الراهن باسم الدين لضحايا وقرايين عصرنا هذا.

في الزمن الغابر.. كانت الضحية فرداً يُقدَّم مرّة في العام وعلى مدار

السنة. أو ربما كان الكهنة يقدّمون القرابين البشرية بين مناسبة وأخرى في احتفالات جليلة مهيبة تليق بالموت العظيم للقران البشري.. وبالرغم من ذلك فقد كانت الضحية القران تُجرّ غصباً عنها وهي تصرخ مستغيثة ترجو الخلاص من ذنح رجال الدين الكهنة وأهتهم الظالمة.

وأما في عصرنا الراهن ..

الضحية-القران ليس واحداً على مدار السنة.. بل القران-الضحية هو المجتمع كلّهُ: رجاله، نساؤه وأبنائه، وفي كل يوم.

في كلّ يوم يضع الكثير الكثير من الناس مصائرهم، وأموالهم، وأعراضهم، بل ويضعون عقولهم أيضاً طائعين مختارين، بل راجين يقبلون الأيادي، بين يدي الشيخ-الكاهن، أو الكاهن-الشيخ ليكتب لهم حجاباً يحميهم من تلبس الشياطين، أو ليشفيهم من علة في الجسم أو النفس أو العقل، أو ليطردهم من أجساد أبنائهم وبناتهم الجنّ التي أصابتهم بالمس والحبل. في كل مدينة.. بل وفي كل قرية تجد الكثير من الأسيخ الذين يكتبون مثل هذه الحجب، ويقرؤون التعاويذ الغريبة ويصفون الوصفات العجيبة، حارقين البخور، وقارعين الطبول ضارين في ضباب الجهالة والدخان وأجساد قرابينهم البشرية لطردهم الجنّ منها، وهم يرقصون ويصطرخون ويتنططون جنّاً شياطين وأبالسة تسفك عقول الناس وتسرق أموالهم وتُهين أعراضهم بجهالتهم وجهالة مجتمعهم وعلمائهم وأسيخهم الذين لا ينفكون يرفعون سيف التسخيف والتكفير فوق رأس كلّ من يجرؤ على القول بأن لا أشباح

ولا أروا تشطن في الإنسان إلا روحه هو وشيطانه هو، فهو الجنيّ أو الإنسي، وهو العفريت المارد أو الشيطان<sup>1</sup>.

تلك هي قصة القرابين البشرية و العقل المستغيث من السفك في المجتمع الكهني الجاهل في عصر الكمبيوتر والذرة والفضاء.

إنها قصة واقعية يشهدها المعاشون لها في كل يوم. وهي ليست مبالغةً أو نسجاً من خيال. وإذا ما نسيتم أو تناسيتم، فتعالوا معي أقدم لكم الوثائق والبراهين من محاضر جلسات الشيوخ والكهّان لطرد ما يسمى بالجنّ والشياطين من أجساد القرابين البشرية التي اختارت أن تسفك عقولها وأموالها و أعراضها رخيصة على مذبح تجار الخرافة والخيال الذين يقبضون أغلى ثمن يدفعه الناس، وهم يُمارسون هذا في ظل تجاهل المتجاهلين أو صمت الصامتين.

وإليكم البيان:

في واحد من أكبر معارض الكتب العربية والعلمية وقعت يدي على كتابٍ لشيخ مصري اسمه (محمد سيد محمود) بعنوان: (الفتح الرباني لعلاج المسّ الشيطاني بالقرآن الكريم). كان الكتاب يقع في مئة وتسعين صفحة في أرخص ما يمكن من الورق رغم أن ثمنه كان عالياً بالنسبة لغيره وكان حديثاً، الطبعة الأولى عام 1990، حقوق الطبع والنشر و التوزيع محفوظة للمؤلف

---

<sup>1</sup> - راجع القرآن الكريم والحديث الشريف ومراجع اللغة العربية

في أعلى يمين الغلاف صورة فوتوغرافية ملونة وواضحة تماماً للشيخ مؤلف الكتاب وإلى يسار الصورة تجد رسماً مزخرفاً للقرآن الكريم مكتوبة عليه: (قرآن كريم) ثم سهم أبيض عريض على خلفية سوداء.

رأس السهم ينقضّ نازلاً إلى أسفل الغلاف على رأس رجلٍ سمين تُشير ملامح وجهه إلى أنه قد تلقى لتوه ضربة حادة على رأسه المغطى بيد قبيحة لشيطان ذي قرون في منتهى البشاعة والقبح وهو ينظر إلى الرجل بعينين ثعلبيتين فاغراً فمه عن أنياب تخرج خارج شفثيه اللتين تعلوهما شعيرات قليلة بشعة تنم عن شاربين قبيحين يتكاملان في البشاعة والقبح مع اللحية الأفعوانية المتلوّية تحت الذقن الناحلة المثلثة الشكل.

فنّ سوقي بدائي وراء عنوان إعلاني تجاري في شكل كتاب باسم: (الفتح الرباني لعلاج المس الشيطاني بالقرآن الكريم). وعلى الصفحة الخلفية تقرأ:

"هذا الكتاب يشرح العلاج بالقرآن الكريم من المسّ والسحر فيعرض أهمّ الأسباب التي تجعل الشيطان يمسّ الإنسان، والتي منها الحزن الشديد والخوف والغضب، والبعد عن ذكر الله، وعدم المواظبة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وحب الشهوات، وإيذاء الإنسان للشيطان مثل إلقاء ماء ساخن في دورة المياه، وإطفاء السجائر، أو عدم التعوّد قبل دخول الخلاء، حيث أنّ الجن يُفضّل العيش في الأماكن الخربة والنجسة والمهجورة.

والإنسان البعيد عن ذكر الله يكون قلبه خالياً ومهجوراً وخرباً وغير نظيف، ويكون هذا الإنسان داخليةً مؤهلاً لعيش الجن فيه. والمسّ إما يكون ابتلاء من الله للعبد المؤمن، أو عقوبة للعبد العاصي. وحالات السحر التي عن طريق ساحر يستخدم الجن في إيذاء الإنسان. ويشرح الكتاب الأعراض التي تظهر على الإنسان الممسوس، وهي أعراض في اليقظة مثل الشعور بالإحباط وسرعة الغضب والخطأ والبكاء والوسوسة والشك فيما يقول ويعمل وفي أقرب الناس إليه، بالإضافة إلى الإحساس بالاختناق والضيق والخوف والاكتئاب، والامتناع عن الصلاة، وسماع القرآن والبعد عن ذكر الله. أما الأعراض في المنام فهي الأرق والكوابيس والأحلام المفزعة ورؤية حيوانات مفترسة.

ويشرح الكتاب أهم آراء الأطباء من مؤيد ومعارض، ويذكر الكتاب أهم الشروط الواجب توافرها في المعالج بالقرآن.

ويعرض أيضاً حالات علاج قام بعلاجها بعض العلماء الأفاضل مثل الشيخ الشعراوي والعمرى وابن باز<sup>1</sup>.

ومن أهم الحالات التي عولجت:

الشلل .. العقم .. الصرع .. النزيف .. الفشل الكلوي .. ضمور العضلات .. الصداع .. أمراض القلب .. الدوسنتاريا .. الآلام

---

<sup>1</sup> - هكذا جاء هذان السطران بخط عريض ومسافة كبيرة، كما أن التنقيط جاء هكذا أيضاً: فاصلتان فقط للصفحة كلها.

الروماتيزمية .. الربط .. الاكتئاب النفسي .. الصم والبكم ..  
حساسية الصدر .. علاج السحر .. الأمراض الجلدية .. الرمد  
.. السكر .. إبطال السحر .. كيف تعرف أنك مصاب بالمس .

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمؤلف.

الناشر: محمد سيد محمود

رقم الإيداع: 1991/1741

التقييم الدولي I.S.B.N

477-00-1100-2

وهكذا ينتهي الإعلان التجاري على الصفحة الخلفية للكتاب حول  
العلاج من جميع الأمراض الجسدية والنفسية والمعروفة بطريقة طرد الجن  
والشياطين بقراءة الشيخ الخبير تعاويذه الخارقة—على ما يزعمون. ويلاحظ  
القارئ أنّ المؤلف لم يترك حالة مَرَضِيَّة إلاّ وأحساها بكلّ وضوح، موحياً  
للمصدقين بدجله أنه لا ضرورة إلى الذهاب إلى الأطباء أو المستشفيات  
نُهايًّا، طالما أنّ سبب كل مرض فيهم إنما هو المسّ، وأن الشفاء من هذه  
الأمراض جميعاً إنما يكون بطرد الشياطين من الجسم على يد الشيخ كما  
سنرى من محاضر جلساتهم الموثقة بالشهود والتواريخ، والمصادق عليها كبار  
العلماء كالشعراوي<sup>1</sup> وغيرهم على حد زعم المؤلف.

كما يلاحظ القارئ من معرض سرد الأسباب المؤدية إلى المسّ

---

<sup>1</sup> - محمد متولي الشعراوي واحد من أشهر علماء الدين في مصر



الشييطاني، بزعمهم، أنّه يمكن لجميع الحالات اليومية العادية للناس أن تسبب هذا المسّ كالخزن والقلق والغضب والصداع والخوف وغير ذلك، مما يعني أنّ على جميع الناس الاعتقاد بأنّ فيهم مسّاً شيطانياً بشكل أو بآخر وأنّ الجنّ تسكنهم وتسبب لهم ما فيهم من أمراض وأعراض غير مستحبة. وهكذا يضمن الأشياخ طاردو الجنّ والأرواح أن يكون الناس جميعهم زبائن عندهم دون استثناء.

ورغم زعم المؤلّف بأنّ بعضاً من كبار العلماء يؤيدون أسلوبه في العلاج من كل شيء، إلا أنّ القراءة المتأنية لهذه المعلومات الشاملة الموجزة تبين بكل وضوح الإتيقان في الدجل على الناس والاحتيال عليهم ليكونوا ضحايا لهؤلاء الأفاكين وأمثالهم.

ولما كانت محاضر جلسات تحضير الجن وطردها من الأجساد في الكتاب المذكور بعدد الأمراض المذكورة، فليس بالإمكان حصرها جميعاً في هذا المقام. ورغم هذا فلا بد من ذكر أمثلة قليلة تساعد القارئ الغالي على تبيّن حقائق الإفك والدجل المريع الذي يذهب فيه أهلنا وأبنائنا ضحايا رخيصة على مذابح تجار الدّين والخرافة والخيال.

إنّ تجار الدّين يستغلّون ورود لفظي الجنّ والشيطان في القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم ينشطون، بسبب الخطأ الشائع في فهم المعاني الصحيحة لهذه المسميات، وبسبب صمت العلماء، لتمزيق ضحاياهم بكل سهولة ويسر وذلك باسم الدّين والقرآن الكريم والحديث الشريف، حيث

يوردون بعض النصوص البريئة من أفهامهم السقيمة قائلين:

"هذا هو بعض ما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة الذي يدل على أنّ الجنّ موجود وثابت في الكتاب والسنة"<sup>1</sup>.

ويتحدثون بعد ذلك عن أعراض المس الشيطاني ويصنفونها إلى قسمين: في اليقظة و في المنام. وقد مر معنا ذكر المؤلف الشيخ محمد سيد محمود بعض هذه الأغراض في اليقظة. وتحت عنوان:

"أعراض المس الشيطاني في المنام" يقول نقلاً عن الشيخ (وحيد عبد السلام):

"للمس أعراضاً<sup>2</sup> في المنام"، هي:

الأرق .. القلق .. الكوابيس .. الأحلام المفزعة .. رؤية بعض الحيوانات في المنام .. القرض على الأنبياء في المنام .. الضحك أو البكاء .. التأوه في المنام .. أن يقوم ويمشي وهو نائم دون أن يشعر .. أن يرى في منامه وكأنّه سيسقط من مكان عال .. أن يرى نفسه في مقبرة أو مزبلة أو في طريق موحش .. أن يرى أشباحاً في منامه.

أما الأعراض التي في اليقظة كما ذكرها الشيخ وحيد عبد السلام فهي:

"الصداع الدائم بلا سبب عضوي.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 14

<sup>2</sup> - الخطأ في اللغة من المصدر المذكور

الصدود عن ذكر الله والصلاة والطاعات.

الشروذ الذهني.

الخمول والكسل.

الصرع والتشنج.

ألم في الأعضاء ويعجز الأطباء عن علاجها<sup>1</sup>."

ثم يوضح الشيخ المؤلف أنواع المس فيقول:

"المس الشيطاني أربعة أنواع هي:

مس كلي: وهو يمس الجن الجسد كله كمن تحدث له تشنجات عصبية.

جزئي: كأن يمس الجن عضواً واحداً من الأعضاء كالذراع أو الرجل أو اللسان.

مس دائم: وهو أن يستمر الجن في الجسد لمدة طويلة.

طائف (الجن): وهو لا يستغرق أكثر من دقائق كالكواييس<sup>2</sup>."

وبعد أن يؤكد الشيخ المؤلف على ضرورة عدم الشك بالشفاء بالقرآن

من جميع الأمراض، وينقل كلاماً من (زاد المعاد) فيقول:

"فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله."

---

<sup>1</sup> - ص 15، 16 من (الفتح الرباني لعلاج المس الرباني بالقرآن الكريم) لمؤلفه الشيخ

محمد سيد محمود.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

ويتابع القول:

"ولا بد لتحقيق الجدوى من العلاج بالقرآن والتحصّينات من قبول المريض ذاته وتعلّقه بالله وإخلاصه له واقتناعه التام بأنّ الشفاء إنّما هو بيد الله وحده وإرادته"<sup>1</sup>.

وتحت عنوان: (كيف نعرف الجنّ على جسد المريضين) يقول الشيخ المؤلّف:

"نعرف ذلك بعدة طرق منها:

أن يصرخ الجنّ ويتألّم وينطق لسانه.

أن ينطق الجنّ باسمه.

تغميض العينين أو شخوصهما، أو طَرْفهما طرفاً شديداً أو وضع اليدين على العينين.

حدوث رعشة شديدة في الجسم أو رعشة خفيفة في الأطراف.

ثم يسأل الجنّ عدة أسئلة منها:

ما اسمك؟

ما ديانتك؟

ما سبب دخولك هذا الجسد؟

هل معك غيرك من الجنّ في هذا الجسد؟ وما عددهم وما ديانة كلّ منهم؟

---

<sup>1</sup> المرجع السابق ص 21.

هل تعمل خادماً لساحر؟

أين تسكن في جسد المريض؟<sup>1</sup>

ثم وتحت عنوان:

(إذا كان الجنّ مسلماً كيف يتعامل معه؟) يقول:

"يعامل كالآتي: (حسب دخوله جسد وجسم المريض):

إذا كان سبب دخوله عشق للإنسي أو الإنسية، تُبين له أنّ هذا حرام نخوّفه من عذاب الله وعقابه.

إن كان قد مسّ الإنسي لأنّ الإنسي ظلّمه بالتبول أو صبّ الماء عليه، أو بقتل بعضهم بعضاً، فيعرّف بأنّ الإنسي لم يكن يعرف بوجوده ولم يره، وبالتالي فلم يتعمّد أذاه ولا يستحق العقوبة<sup>2</sup>.

إن كان الجنّ دخل للإنسي ظلماً منه فيعرّف بأنّ الظلم حرام<sup>3</sup>.

ويجب أن نراعي عند خروجه ما يلي:

— لا بد أن يخرج الجنّ من إصبع اليد أو القدم أو الفم أو الأنف ولا يسمح له بالخروج من العين أو البطن أو غير ذلك<sup>4</sup>.

---

1- المرجع السابق ص 26.

2- تأمل استسخاف العقول!

3- يعني يجب عليك أن تسترحم الجنّي بقولك يا جني يا ابن الحلال حرام الظلم عليك يا راجل!

4- هكذا يقول جراحو عمليات استخراج الجن والعفاريات من أجساد المهاييل

- نطلب منه قبل أن يخرج من الجسد أن يقول: السلام عليكم<sup>1</sup>.

وتحت عنوان: (إذا كان الجنّ غير مسلم كيف يتعامل معه؟) يقول الشيخ:

"يعرض عليه الإسلام دون إكراه، فإن أسلم فتأمره بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى والخروج من الجسد لأن وجوده في الجسد ينافي الإسلام، لأنه ظلم منه للإنسان والظلم حرام.

إن أصر على الكفر فلا إكراه في الدين، ولكن يؤمر بالخروج فإن خرج فله الحمد والفضل، وإن رفض الخروج فيمكن استخدام الضرب، ويكون الضرب على الأطراف والأرداف والأكتاف والعنق<sup>2</sup>.

إذا استمر في عناده تقرأ عليه السور التي تؤذي الجنّ، فإن استجاب رُفِعَ عنه العذاب من قرآن وضرب<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup>- المرجع السابق ص 37

<sup>2</sup>المقصود بضرب المريض إخراج الجنّي من جسده وهذا أمر شائع بين تجار الدجل و يؤذون به الناس، بل و يقتلونهم أحياناً باسم الدين - المؤلف-.

<sup>3</sup>- لاحظ اعترافهم بأنهم يعذبون ضحاياهم من المرضى، روى لي بعض الأصدقاء أن شيخاً في قرية كان يضرب فتاة ليخرج منها الجنّ ففترت مذعورة من بين يديه فلحق بها فوقعت من على السطح وماتت. و روى لي آخرون أن شيخاً داس بطن امرأة قروية ليخرج منه الجنّ فماتت تحت وطأة ثقله فادّعى أنّ الجنّي ظلّ متعمشاً بها حتى خنقها فقتلها، و لذلك لم يقاضيه أهلها السّدّج—بل الأغبياء، وه يُعدّون مشاركين في قتل ابنتهم باسم المعالجة من مسّ الجن.

إذا رفض (الجني) الخروج رغم الضرب وقراءة القرآن يمكن قراءة آيات العلاج في إناء به كمية كافية من الماء ويضع المعالج يده اليمين في الماء أثناء القراءة حتى ويطلب من المريض أن يغتسل بهذا الماء لمدة أسبوع كل يوم مرة بلا انقطاع فإنّ هذا الماء يؤذي الجنّ جداً<sup>1</sup>.. ثم بعد مرور الأسبوع تُقرأ الرقية على المريض , فيكون الجنّ قد ضعف ووهن وسيخرج بإذن الله".

ويتحدث الشيخ عن الماء المقروء عليه فيقول:

"وعن كيفية القراءة يتم وضع اليد اليمنى مع القلب أثناء القراءة (أي أنّ الشيخ يغسل يده بالماء الذي سيشره المريض<sup>2</sup>) وتقريب فم القارئ من سطح الماء بحيث يكون نفسه في الماء (عجيب، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نحى عن التنفس في الماء حتى لا تنتقل جراثيم العدوى) وتكون القراءة خارج دورة المياه وفي مكان طاهر"—هكذا يقول الشيخ المعالج من مسّ الجنّ والشياطين في كتابه: (الفتح الرباني لعلاج المسّ الشيطاني بالقرآن الكريم) الصفحة 42، فليتكفّر المتفكّرون!

ويتابع الشيخ الطارّد لأشباح الجنّ والشياطين فيقول:

"ويراعى أن يكون هناك كوب من الماء مقروء عليه آيات الرقية

---

<sup>1</sup> - إذن لماذا الضرب أساساً إذا كان العلاج بالماء المقروء عليه أجدي؟! وماذا يحل بالمريض

أو المريضة التي يشبعها الشيخ ضرباً بسبب عناد الجني.

<sup>2</sup> - التعليق بين الأقواس من المؤلف .

يستخدم هذا الماء في تدليك أي عضو إذا حدث به ألم أو تنميل<sup>1</sup>. كما يمكن أخذ ثلاث رشقات منه حين يثقل اللسان وقد يجد المريض أن طعم الماء به مرارة<sup>2</sup>.

وتحت عنوان: (حالة شلل) يستهلّ الشيخ جلسات طرد الجنّ بشرح كيف أنه أخرج جنّياً من جسد المريضة المصابة بالشلل منذ سنوات، وأرجو أن يلاحظ القارئ الغالي أنني سأورد كلامه حرفياً كما جاء في كتابه مع الألفاظ العامة الغربية وكذلك الأخطاء العديدة التي وردت في النص: والآن إليكم محضر جلسة علاج حالة الشلل كما جاءت في كتاب الشيخ:

### \* علاج من حالة شلل يسببها جني شرير اسمه رأفت

"في عيادة العلاج بالقرآن بكوبري القبة التي تشرف عليها جريدة (النور) والتي أتشرف بالعمل بها جاءتني فتاة في الخامسة عشر من عمرها محمولة على الأكتاف.. دخلتُ وعلامات الخوف ظاهرة جليلة على وجهها. نظرتُ كثيراً في أجناب الغرفة بعيون (ذائغة) وأشارت إلي قائلة..

إنني أخاف من كل أصحاب اللحي.

فسألته... لماذا؟

---

<sup>1</sup>- المرجع السابق ص 43.

<sup>2</sup> وماذا عساه يكون طعم الماء الذي غسل فيه الشيخ يده وهو يقلبها ... عسلاً؟



أجابت: لأنني ذهبت قبل ذلك إلى أكثر من 20 (عشرون<sup>1</sup>) ممن يطلقون على أنفسهم مشايخ فظلوا يضربوني بشدة وقسوة<sup>2</sup> دون أي تقدم في حالتي الصحية.

قلت لها: نحن هنا لا نعالج بالضرب<sup>3</sup> ولكن بقراءة كتاب الله على المريض فاطمأنت الفتاة الصغيرة إليّ وسألتها: ما اسمك؟

أجابت: عبير م. م.

قلت لها: ما الذي تشكين منه؟

أجابت: كما ترائي أمامك، لا أستطيع الحركة أبداً مع وجود ألم وأورام في مؤخرة ظهري.

قلت لها: هل (ذهبت<sup>4</sup>) إلى الأطباء؟

أجابت لقد ذهبت إلى العديد منهم دون فائدة.

هذا هو كل الحوار الذي دار بيني وبين (عبير) المريضة بالشلل وعدم القيام لمدة تزيد عن ثلاث سنوات ولم يعرف الأطباء ماذا ألم بها<sup>5</sup>.

بدأتُ أقرأ آيات من القرآن الكريم وهذه الآيات هي أول سورة البقرة

---

<sup>1</sup> - الخطأ اللغوي من المصدر .

<sup>2</sup> - لاحظ اعترافهم بعضهم على البعض

<sup>3</sup> - لاحظ هنا أنّ زعمه بعدم الضرب يناقض ما جاء في كتابه من تعليم الضرب على

الأجناب و الأرداف و العنق ص 38

<sup>4</sup> - الأخطاء من المصدر.

<sup>5</sup> - لاحظ صرفهم للناس عن الثقة بالعلاج لدى الأطباء ، الأمر الذي لا شك يؤدي إلى أذى .

وآية الكرسي وبعض من سور الزمر والمعوذتين والإخلاص، وأثناء  
قراءتي ارتعد جسم عبير بشدة ثم صاحت بصوت  
مرتفع.. كفى.. كفى قراءة للقرآن.

سألت الفتاة: من أنت بحق الله؟

أجابت: رأفت.

فعرفتُ بأنّ هناك روح شريرة<sup>1</sup> ملبّشة بجسدها واسمه (رأفت).

قلت له: منذ متى وأنت تسكن هذا الجسد؟

رأفت: منذ ثلاث سنوات ونصف.

قلت له: ولماذا تسكن جسد الأنس؟

رأفت: لأنني أحبها.

قلت: وهل معنى أنك تحبها أن تؤذيها في جسدها؟

رأفت: أنا لم أقصد (إيذاؤها) ولكن لكي لا يأخذها أحد غيري.  
فالكل ينظر لها على أنها مريضة.

قلت له: ولكن كيف تسببت لها في حدوث هذه الأورام وشلل  
القدمين.

---

<sup>1</sup> - راجع كتاب: (كبرى اليقينيات الكونية) للدكتور الأستاذ سعيد رمضان البوطي في قوله:  
و كما أن في الناس أشراً دأبهم الكذب و التلاعب بعقول الناس فإن الجنّ أيضاً كذلك ص

رأفت: بالنفخ في الجلد مع شد في مقدمة العضلات<sup>1</sup>.

قلت: هل ذهبت الفتاة إلى أطباء؟

رأفت: نعم..ولكن لم تجد أيّ فائدة<sup>2</sup> لأن المرض الذي بداخلها ليس مرضاً عضوياً ولكنه (مس) والأطباء كانوا يعطونها جلسات وحقن أدوية دون فائدة.

قلت له: ألا تريد أن تخرج من جسدها بحق الله؟

رأفت: بصراحة..لا<sup>3</sup>.

قلت: اخرج بحق الله بعد أن أتلوا عليك آيات القرآن الكريم<sup>4</sup>.

رأفت: - بهدوء تام - نعم سأخرج ولا داعي للقلق فأنا لا أقصد إيذاؤها.

ثم نفخت في وجه المريضة (واستمريت) في تلاوتي للقرآن الكريم وقلت لرأفت قل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإياك أن ترجع إلى الجسد مرة أخرى، وفعلاً أطاعني الجان بفضل الله تعالى ورد السلام على الحاضرين جميعاً وانتفضت المريضة وقالت أعوذ بالله من الشيطان أين كنت ولماذا تجتمعون حولي هكذا.

قلت: الحمد لله لقد خرج الجان من جسّدك. ثم أمرتها بالقيام من

---

<sup>1</sup> - لاحظ هذا التشخيص المشيخي، ولا حظ طاعة الجني في الاستجواب!

<sup>2</sup> - لاحظ الإصرار على عدم فائدة العلاج لدى الأطباء - هذا رأي الجني أيضاً.

<sup>3</sup> - جني صريح !

<sup>4</sup> - وماذا لو خرج الجني قبل أن يقرأ القرآن عليه ، هل يزعل؟

على الكرسي (التي) تجلس عليه لكي تمشي وتسير بمفردها فوقفت ولكنها ضحكت كثيراً ثم بكت ولم تصدق ما يحدث.. وأمرها بالسير مرة أخرى فوقفت ولكنها لم تجرؤ على أن تسير بمفردها وطلبت منها أن تذكر اسم الله تسير. وبالفعل تم ذلك ومشت الفتاة على قدميها بمفردها وبكت بكاء الفرح والدموع (تزرع) من عينيها وسط ضجيج وزغاريد الأهل والأقارب والحاضرين الذين جاؤوا معها وهم يحملونها على أيديهم<sup>1</sup>

وهكذا بنفخة من الشيخ تم الشفاء من الشلل الذي عجز عنه أطباء الدنيا.

وفي الصفحة التالية مباشرة لهذه الجلسة يجد القارئ صورة لصفحة من جريدة (النور) الإسلامية وعليها صورة (عبير) تمشي وقد أمسك الشيخ بيدها ووضع يده على كتفها تحت عنوان عريض:

"بعد ثلاث سنوات ونصف من الشلل خرجت (عبير) على قدميها<sup>2</sup>."

### \* الجني الذي يعشق الإنسية

وتحت عنوان: (حالة عشق الجني للإنسية) يروي الشيخ محضر الجلسة رقم ثمانية فيقول:

"دخلت علينا فتاة في السابعة عشر من عمرها على قدر كبير من

---

<sup>1</sup> - الصفحة 64.

<sup>2</sup> - الصفحة 65.

الجمال<sup>1</sup> وتدعى (أمل عبد السلام) في عيادة العلاج بالقرآن الكريم.

وسألتها: ما هي شكواك؟

أجابت أمل.. تحدث لي حالات تشنج كثيرة وأقع على الأرض ولا أعاني من أي مرض سوى الصداع الشديد والمستمر منذ فترة قريبة سمعت هاتفاً يقول لي: "أنا لن أتركك أبداً".

سألتها: هل تحلمين أحلاماً مزعجة؟

أجابت: نعم.. وكثيراً جداً.

وهنا.. بدأت في قراءة القرآن الكريم في أذن أمل<sup>2</sup> وبعد فترة من الوقت بدأت أمل تبكي بشدة ثم توقفت أنا عن القراءة وسألتها من أنت؟ فلم تجب ثم عاودت السؤال أيضاً فلم تجب.. ثم عاودت قراءتي للقرآن الكريم لمدة تزيد على نصف الساعة ثم توقفت عن القراءة وسألتها.. هل تحبها؟

وكانت الإجابة: نعم.

سألت: وما هي ديانتك؟

... مسلم.

وكان الجان يتحدث من خلال جسد أمل وبصوت أمل أمام جميع

---

<sup>1</sup> - ما شأن الشيخ بوصف الجمال الكبير للفتاة، أهو تشجيع للجميلات كي يأتين إلى عيادته؟!

<sup>2</sup> الهمس الشافي لابد أن يكون قريباً بهذا القدر!

الحاضرين. ثم طلبت منه أن يسمي نفسه بأحد الأسماء ثم اختار اسم محمد وطلبث منه أن ينطق بالشهادة.. فنقذ الجان ذلك وقال أمامي وأمام جميع الحاضرين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله<sup>1</sup>. وهنا دار حوار بيني وبين الجان المتلبس بجسد أمل سألته هل تسببت في أذى عائلة أمل؟

محمد: لم أفعل.

وهنا أفرت والدة أمل بذلك وقالت نعم لم يمسننا أذى أبداً إلا حالة الإعياء الشديد والصداع الدائم يعتلي أمل ابنتي. ثم عاودت سؤالي للجني المسلم محمد لماذا تؤذيها وتسبب لها آلاما طالما أنت مسلم وتحبها؟

الجني: أنا لم أقصد إيذاءها ولكن كل ما في الأمر إنني أعشقها ولا أتمنى لأحد أن ينكحها غيري..

قلت له: وهل معنى أنك تحبها أن تؤذيها وتسبب لها صدام مزمن؟

الجني: قلت لك لم أقصد إيذاء محبوبتي.... أرجو أن تفهموني فأنا أتسبب لها في الإعياء والصداع حتى لا يقبل عليها أحد وأنفرد بها وحدي دون غيري.

ثم طلبت منه أن يخرج لأنه لا يصح للجني أن يعشق إليه مسلمة

---

<sup>1</sup> العجيب أن الجني المزعوم هنا مسلم واسمه محمد و ينطق بالشهادة و مع ذلك يخاف

من تلاوة الشيخ للقرآن الكريم عليه – إفك فاشل

ونصحته بالخروج حالاً من الجسد حتى لا ندخل في مشاجرات بين الجنسين.

وهنا قال الجني: نعم سأخرج بدون أدنى مقاومة ولكن أطلب منك يا شيخ أن تساعدني على الخروج.<sup>1</sup>

ثم قمت بجرح إصبع أمل السبابة بدبوس وأخرجت منه نقطة دم وضربت بيدي فوق جبهتها عدّة ضربات قوية وهي مستسلمة تماماً<sup>2</sup>، وفجأة خبطت بقدمها ثلاث خبطات<sup>3</sup> في الأرض معلنة خروج الجان ثم طلبت كوب ماء ونثرت بعضه فوق جبهتها، وعادت أمل إلى الوعي وخرج الجان بفضل القرآن.

ثم سألتها هل تشعرين بألم في رأسك فكانت إجابة أمل: لا.. لا أشعر بشيء.

..وكان واضحاً أن الفتاة واقعة تحت تأثير الجان لفترة طويلة وهي فترة إخراج الجان من جسدها.. ثم طلبت من الفتاة الحسنة أمل<sup>4</sup> أن تداوم على سماع القرآن الكريم حتى تحصّن نفسها من رجوع الجان

---

<sup>1</sup> - تصور أن الجني قد دخل جسد الفتاة لم يعد يعرف كيف يخرج إلا بمساعدة الشيخ . إنه الاحتراف في الدجل .

<sup>2</sup> - الفتاة الجميلة المستسلمة تماماً لضربات الشيخ المسيطر على الجن!

<sup>3</sup> - موسيقى إيقاعية تصويرية تناسب المشهد الهائل لخروج الجني من إصبعها!

<sup>4</sup> - "الفتاة الحسنة أمل" و "على مقدار كبير من الجمال!" نلاحظ إصرار الشيخ على جمال الفتاة أمل وحسنها، ولم ينس أن يذكر أن عمرها كان 17 عاماً!

إليها مرة أخرى<sup>1</sup>.

ثم يجتم الشيخ محضر هذه الجلسة بملاحظة تقول:

( نُشرت هذه الحالة في جريدة الهدف الكويتية بتاريخ 1990/4/21 )

وفي محضر جلسة أخرى يروي الشيخ ما يلي:

### \* الجنّ عباد النار والقرون المحروقة في جسد الفتاة

"في يوم من أيام العلاج المحدد لنا.. دخلت علينا فتاة في ربيع العمر<sup>2</sup> تعاني من صداع مستمر (مزمن) وجاءت تطلب الشفاء من الله سبحانه وتعالى بفضل قراءة القرآن الكريم.. وبالفعل بدأت أقرأ عليها الكريم فبدأت (عيني) الفتاة تتحول إلى بياض كأن بها (حول) وبدأت في إخراج لسانها... وهنا سألتها.. ما اسمك؟

أجابت الفتاة بصوت به لدغة اسمي: جرجس.

قلت له: ولماذا مسست الفتاة؟

جرجس: عشان الواد مرقص ييحبها<sup>3</sup>.

قلت: ومن مرقص هذا؟

جرجس: مرقص جن من النوع الأزرق ويحب هذه الفتاة وهو ساكن

---

<sup>1</sup>- ص 93 - 94 .

<sup>2</sup>- فتاة في ربيع العمر، والسابقة في السابعة عشرة عاماً—هكذا زبائن أشياخ الجن!

<sup>3</sup>- جني مصري بتاع حوار!



منزلهم وأنا بأساعده علشان مش موافقة هي عليه <sup>1</sup>.

قلت طيب في حد ثاني معاك في جسد الفتاة؟

جرجس: إحنا كتير عليها أنا مرقص والصليب الأحمر <sup>2</sup> والشيخ فاطمة.

قلت: انتوا عملتوها مسرحية. طيب نبتدي بيك أنت يا جرجس.. سوف تخرج وإلا أخنقك وأحرقك بإذن الله.

جرجس: آه.. آه وبعد فقهه طويلة مش خارج ومعاك للصبح <sup>3</sup>.

قلت: طيب الأول أشوف اللي معاك وأخرجهم وبعدها أشوف شغلي معاك يا جبان <sup>4</sup>.

ثم قرأت القرآن الكريم لفترة طويلة ويذهب جرجس وأسأل الفتاة... من أنت بحق الله.. ولكن لم تجب.

قلت: أنت مرقص؟

الجنّ: أبوه أنت عايز إيه.

قلت: كم تبلغ من العمر.

---

<sup>1</sup> - هل هذا يعني أن الجنّي مرقص قد عرض حبه على الفتاة فعرفته أنه جني ورفضته أم أنه الاحتراف الخبيث للدجل؟

<sup>2</sup> - أليس عجيباً اختراع هذا الاسم للجنّي؟

<sup>3</sup> - حبكة قصصية للإثارة و التشويق من خلال تحدي الجنّي و انتصار الشيخ أخيراً.

<sup>4</sup> - لاحظوا شجاعة الشيخ و قبوله التحدي .

مرقص: 20 سنة<sup>1</sup>.

أنت متلبس بهذه الفتاة لماذا؟

مرقص: أحببتها وعلشان بتغنى في الحمام وشعرها جميل<sup>2</sup>.. وبعدين أنت مالك.

هل أنت الذي تسبب لها هذا الصداع المزمن؟

مرقص: في بعض الأحيان عندما ترفضني وترفض الكلام معي في حجرتها أسبب لها صداع وإعياء مستمر.

بعد هذا الحوار القصير سمعت من الفتاة صوت أجش لم أكن أتصوره وأتخيله حتى الآن وسألت الفتاة من أنت بحق الله؟ قالت الفتاة أنا الصليب الأحمر من النار السوداء... وما شأنك أنت بذلك؟

قلت له: ماذا تعبدون؟

قال: القرون المحروقة والنار.

قلت: هل تحبّون القرآن؟

قال: لا نخبه على الإطلاق<sup>3</sup>.

قلت له: نحن لنا تقاليد في الزواج ولكن ما هي طريقتكم أنتم؟

---

<sup>1</sup>- هل هي عشرون سنة جنية، أم عشرون سنة إنسية؟!

<sup>2</sup>- فلتحذر الفتيات صاحبات الشعر الجميل من تلبّس الجن! وهل على الملايين من الفتيان جميلات الشعر الخوف والرعب من تلبّس الجن؟!

<sup>3</sup>- لاحظ الاختراع و الدجل الخبيث .

قال: نذهب لتاج النار السوداني ويزوجنا فقط.

ثم طلبت من الجان الأحمر أن يذهب ويوجد لنا شخصية أخرى<sup>1</sup>  
متلبسة بجسد هذه المريضة وبعد فترة قالت لنا الفتاة بصوت فيه  
خشوع ( السلام عليكم ) ثم قلت لها "بما" تشعرين يا أخت؟

قالت: أنا الشيخة فاطمة وابتسمت من الكسوف وسكتت.

قلت لها: السلام عليكم يا شيخة فاطمة هل أنت مسلمة؟

الشيخة فاطمة: نعم والحمد لله أتبع دين محمد عليه الصلاة والسلام.

قلت لها: كيف وأنت مسلمة تؤذين هذه الفتاة؟

الشيخة: أنا مسستها علشان أحميها من الملاعين جرجس ومرقص  
والصليب الأحمر لأن لوما تحب مرقص فسوف يقتلوها.

قلت لها: متشكرين خالص يا شيخة فاطمة ولكن ممكن تخرجي بدون  
أي أذى وأنا سوف أحاول إخراج هؤلاء الملاعين بالقرآن الكريم.

الشيخة فاطمة: موافقة بس بشرط حضور دروس العلم عندهم<sup>2</sup>، هنا  
وبعدها سوف أطير<sup>3</sup> إلى السعودية وقالت السلام عليكم ورحمة الله

---

<sup>1</sup> - لاحظ كيف يعمل الجنّ الأحمر والأزرق بأمر الشيخ.

<sup>2</sup> - لاحظ أن الشيخة الجنية ترجو حضور دروس العلم عند الشيخ طارد الأرواح الشريرة.  
أولم يكن بإمكانها الحضور بدون إذن؟ فماذا بإمكان الجن أن يفعلوا إذن؟! إنه الإمعان في  
الدجل والافتراء واستسخاف العقول الساذجة باسم الدين.

<sup>3</sup> - طبعا بدون طائرة. فهي باعتبارها جنية يمكنها أن تطير ولكن لا يمكنها حضور درس  
الشيخ بدون استئذان رغم أنها شبح وجنية خفية!

وبركاته، وبذلك تكون قد خرجت الشيخة فاطمة من جسد الفتاة".

ويتابع الشيخ طارد الجنّ محضر جلسته فيقول:

"وهنا بدأتُ أتعامل مع الملاعين كما أَسْمَتُهُم الشيخة فاطمة وأخذت أقرأ القرآن الكريم على جسد المريضة (الفتاة) وبعد فترة بدأت الفتاة تتراقص مع شدة القرآن الكريم وكأنها راقصة بارعة<sup>1</sup>، وحاولتُ خلع سماعة القرآن<sup>2</sup> من أذنيها معلنة رفضها سماع القرآن بعدها سمعتُ صوت الفتاة تقول — ولم ندرُ أيّاً منهم الذي يحدثنا— أنا تعبانه جداً وكان يبدو عليه الإرهاق الشديد ثم تركتها لتستريح بعض الوقت ثم عاودتُ القراءة للقرآن مرة أخرى وحضر الجنان<sup>3</sup> مرة أخرى وحدثني قائلاً:

أنت قلبك حجر يا شيخ لقد احترق الجان (الصليب الأحمر) وأنا دلوقت عليّ الدور.

ثم قلت له: من أنت؟

الجنّ: أنا جرجس".

ويتابع الشيخ وصفه الهزلي المخرج فيقول:

---

<sup>1</sup> - يا له من وصف أدبي متقن لتصوير أثر قراءة القرآن على الفتاة، فهو برأيه يحوّل الفتيات إلى راقصات "بارعات"!

<sup>2</sup> - لقد نسي الشيخ أنه كان هو يقرأ عليها القرآن، ولم تكن تسمعه من سماعة!

<sup>3</sup> - هل الجان يحب قراءة القرآن أم يخاف منها؟ لم لا يستقرّ هؤلاء المشايخ على كذبة واحدة؟

"ثم بدأت بالقرآن الكريم مع التسجيل في الأذن فبدأ جرجس يضرب كل من حوله ويصرخ وهو يردد مش هأخرج (واستمريت) في قراءتي للقرآن الكريم.. والجان جرجس يصرخ ويعلو صوته وهو يصرخ خلاص خلصت أنا الآن مخنوق ومتكتف<sup>1</sup> وخلاص سوف أخرج وأنا خسرت التحدي<sup>2</sup> وهنا ضحك الجميع وأنا معهم.. وقلت له وأنا لن أخرجك بل سوف أخرج وقال جرجس (الله رحيم) ارحمني بئح الله وهنا طلبت منه الخروج وبعد أن أوقفت سماع القرآن للفتاة.. وفعلاً انتفضت الفتاة بشدة وقالت: ما الذي حدث إنني أشعر بتعب شديد جداً وهنا عرفت أنّ جرجس قد غادر جسد الفتاة.

ثم عاودت قراءتي للقرآن مرة أخرى، ثم حضر الجان مرقص على جسد الفتاة وهو يبكي<sup>3</sup> ويقول: كلهم خرجوا. الشيخة خرجت وذهبت إلى السعودية. وجرجس أتكتف. ثم اشتد في بكائه وقال الصليب الأحمر احترق ولم يبق سوى أنا. قلت له تخرج حالاً... وهنا قاطعني الجان مرقص وقال سأخرج سأخرج إلى غير رجعة وفعلاً وبسرعة مذهلة انتفضت الفتاة وهبت واقفة وقالت... ما الذي حدث إنني أشعر بحالة من الإعياء والتعب ولكن حالة الصداع التي كانت تلازمي تكاد تكون قد أزيلت تماماً.

قلت لها: الحمد لله... لقد خرج كل ما التبس بك من جنون... لقد

---

<sup>1</sup> - لا حظوا إخلاص الجني في إخبار الشيخ عن أوضاعه.

<sup>2</sup> - تمام الحبكة القصصية المثيرة.

<sup>3</sup> - مهزوماً.

كان (ملتبس) بك أكثر من واحد ولكن الحمد لله لقد خرجوا جميعاً إلى غير رجعة<sup>1</sup>.

### \* الجني ماكسيموس المتسبب بحالة عقم

ويتابع طارد الجنّ هذا المتاجر بالآلام الناس وسداجتهم واعتقادهم بخرافة الأرواح الشريرة وتلبّسها بالجسد، يتابع دجله من دون خوف أو حياء من الله تعالى، يدعمه في ذلك صمت الصامتين عن دجله وأمثاله ممن يستفيدون من الاعتقاد بالوجود الشبحي للجن والشياطين، فيقول تحت عنوان:(حالة عقم):

"وفي يوم من أيام العلاج جاءني حالة أخرى تطلب الشفاء من الله تعالى بفضل القرآن الكريم. سألتها ما هي شكواك؟ أجابت: لا شيء سوى أنني أعاني من حالة عقم منذ أكثر من خمس سنوات.

قلت لها: هل ذهبت إلى أطباء؟

أجابت: نعم ذهبت إلى العديد منهم ولكن دون جدوى.

قلت لها قولي بسم الله أوله وآخره مع كل شهيق وفعلاً نفذت هذه السيدة التعليمات وبعد أقل من عشرة دقائق صاحت قائلة: أخرجوني من هذا المكان الملتهب فيأني أخاف من الوجود هنا...

---

<sup>1</sup>- ص 97- 101 و يذكر المؤلف أن هذه الحالة المرضية نُشرت في جريد شباب الأحرار نشرها الأستاذ شاذلي عبد العاطي.

أخرجوني فوراً.

وهنا أمسكت بالسيدة وأجلستها على الكرسي المخصص للعلاج

وسألتها من أنت بحق الله؟

أجابت: أنا ماكسيموس.

قلت له: يعني أنت جيّ؟

أجاب: نعم أنا جيّ.

قلت: من أيّ الأنواع أنت؟

أجاب وما شأنك بذلك؟

قلت له: وماذا تسبب لهذه السيدة من أمراض؟

أجاب: لم أسبب لها أي مرض مطلقاً؟

قلت: والعقم... الذي تعاني منه ألا ترى أنك السبب في ذلك؟

أجاب: نعم... ولكن ما قصدت أن أسبب لها العقم ولكن كل ما في

الأمر أنني أسكن في رحمها وأقوم بامتصاص الحيوانات المنوية الموجودة

بدخله لأنك كما تعلم هذا غذاؤنا<sup>1</sup> ولكني لم أسبب لها أي مرض.

قلت له: ألا ترى أن هذه العملية التي تقوم بها تؤذيها؟

قال: لا.. أنا لا أؤذيها ولكي أحب أن أعيش بمفردتي في هذا

---

<sup>1</sup> - تشخيص للعقم لا يخطر على بال طبيب و غذاء للجن غير الروث و العظام و الغازات

كما مر معنا من المصادر المذكورة في مكاتها

## المكان<sup>1</sup>.

قلت له: اخرج طاعة لله.

أجاب: نعم سأخرج ولكن لا أريد أن أسمع القرآن<sup>2</sup>.

قلت له: اخرج بدون مقاومة إلى حال سبيلك وفعلاً بعد برهة قليلة رجعت السيدة إلى ما كانت عليه وقلت لها أن الجان الحمد لله خرج من الرحم بدون مقاومة ولك أن تأتي بعد فترة لكي أطمئن على خروجه وفعلاً جاءت السيدة بعد ثلاثة أشهر<sup>3</sup> وهي تحمل جنينها وتقول الحمد لله لقد شفيت من حالة العقم التي كانت تلازمي لأكثر من خمس سنوات<sup>4</sup>.

## \* الجنّة مرجانة المتسببة بحالة الصداع

وفي زعمه لعلاج حالة صرع لفتاة لم ينفعها الطب، كما يقول، يروي الشيخ طارد الجنّ الحوار التالي مع جنّة اسمها مرجانة، فيقول:

"سألت الفتاة: ما اسمك؟

الفتاة: اسمي مرجانة.

وما هي جنسيتك؟

---

<sup>1</sup> - يا له من مكان يترك الجنّي آفاق الدنيا ليعيش فيه!

<sup>2</sup> - مع أنهم يزعمون أن الجنّ يحضرون عند سماع الشيخ يقرأ القرآن.

<sup>3</sup> - هل هذا يعني أنّ السيدة العقيم قد حملت من لحظة خروجها من عند الشيخ!

<sup>4</sup> - ص 102 - 103 .



أجابت: أنا من بني الجنّ.

قلت: وماذا تفعلين بجسد المريضة؟

أجابت: أسبب لها حالة صرع وتشنجات منذ فترة طويلة.

ولماذا دخلت بهذا الجسد؟

هي التي وقعت عليّ فأنا حملتها ومنذ هذه اللحظة أنا ملتبسة بالجسد.

ولكن ألا تعرفين أن تلبسك بجسد الإنسان يؤذيه؟

أنا لا أؤذيها ولكن أحميها من أن يمسخها جن آخر يحبها ويتربص لها واسمه (لهورشل) فأنا حامية لها من هذا الجنّ.

قلته لها: اخرجي يا مرجانة وأنا قادر على أن أحميها بالقرآن الكريم.

قالت: لا لن أخرج ولن أترك الجسد.

قلت لها: ولكنني سوف أحرقك بالقرآن الكريم.

مرجانة: لا لن أخرج وأنا مصرة على ذلك.

واستمررت في أسئلتني للمريضة أقصد للعجينة مرجانة وهي تجيبني ودهشت من أمرها ففوجئت بما تعرف اسمي دون أن تراني قبل ذلك أو أعرفها وكذلك اسم والدي وجدتي، كذلك استطاعت أن تذكر عملي وأين أعمل وكيف أتيت إلى هنا وماذا أكلت اليوم بل عرفت أنني لم أتناول طعام الغذاء رغم أنّ الساعة تشير إلى العاشرة

مساء<sup>1</sup> والعجيب أن هذه الجنّة استطاعت أن تذكر لي كل ما كنت أفكر فيه خلال فترة تواجدي معها رغم أنني كنت أفكر في أشياء مختلفة بعيدة عن عيادة العلاج إلا أنها عرفت كل ما كنت أفكر فيه<sup>2</sup>.

سألتها: كيف (عرفتني) كل هذا؟

أجابت: أنها تسمع صوت هاتف يقول لها كل شيء عني<sup>3</sup>. ثم عاودت قراءة القرآن الكريم مرة أخرى وبدأت الفتاة تصرخ وانتفضت بشدة ثم فاقت وأخذت تنظر حولها مذعورة<sup>4</sup>.

وهكذا يتابع الشيخ حواراته مع الجنّ في جلسات طرد الأرواح الشريرة التي تلبس الناس وتلهي وتتلذذ بإشغالهم والسخرية منهم، فيذكر حالات إخراج الجنّ وطردهم من الكلاوي وفقرات عظام الظهر، واللسان لفك الخرس، والبطن والعضلات، وتقريباً في كلّ مكان من جسد مريضاته اللاقي يأتيه راجيات العلاج عنده بعد أن عجز الطب عن علاجهن نهائياً على حد زعمه! كما وتجذ في كتابه أنّه يخرع أسماء ملفقة كالتّي مرت آنفاً وكذلك

---

<sup>1</sup>- من المعلوم أن دوام معالجتكم نهراً فكيف بقيتم مع هذه الجنّة حتى العاشرة مساء؟ أم أنكم تقولون ذلك لصالح التليفقة المقصودة و نسيتم ما نسيتم؟

<sup>2</sup>- ما هذا التخط يا شيخ؟ و لم لا تتحدث عن شهرتك بين الجن وعشق الجنّة لك بصراحة ودون خجل؟

<sup>3</sup>- هاو ذا الوحي يتنزل أيضاً على الجنية لأجل الشيخ!

<sup>4</sup>- ص 106-108 و يذكر المؤلف أن هذه الحالة نشرت في كتاب حوار مع الجنّ للأستاذ الصحفي أسامة الكرم .

أسماء مثل (صموئيل) الذي يسبب التأناة لطالبة في كلية الطب. و (فرونش) الجنيّ الذي عمره 1300 سنة والذي يسكن في بطن سيدة لمدة 14 سنة والذي حين سأله الشيخ:

"كيف دخلت جسم المريضة؟

أجاب: أنا لم أستطع دخول جسدها في البداية لمواظبتها على الصلاة وقراءة القرآن وبعد أن أنسيْتُها أذكار دخول الخلاء هجمتُ عليها ولبستُ جسدها".

ثم يتابع الشيخ فيقول أنّه دعا الجنيّ (فرونش) إلى الإسلام وقال:

"ثم قمت بدعوته إلى الإسلام فرفض أول الأمر.

قال: أخبرني عن دينكم.

فقلت: ديننا هو دين الرحمة والعدل (والإضاء) والسماح وليس دين إيذاء كما تفعل بهذه الفتاة.

ثم استمررت في قراءتي للقرآن فصرخ الجنّ وقال سأخرج من جسدها وسأدخل الإسلام ونطق بالشهادة ثلاث مرات<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - أرايتم البطولة؟ لقد هدى الشيخ الجنيّ إلى الإسلام فقبله ذاك بلحظات وبعد سماع

ثلاث كلمات فقط. راجع الصفحة 113 - 114.

## \* الشيخ الشعراوي يطرد الجنّ فينوس

وتحت عنوان (الشيخ الشعراوي عاجل بالقرآن) يقول الشيخ المؤلف<sup>1</sup>:

"لقد استجاب فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي للدعوة التي وجهها إليه أحد الصحافيين بناء على طلب أحد المرضى المتلبس بجن يدعى (فينوس) والذي يسبب له العديد من الأمراض وفعلاً حضر الشاب ويدعى (أحمد) بصحبة الصحفي محمد دسوقي محمد بمجلة المجالس الكويتية إلى فضيلة الداعية الكبير محمد متولي الشعراوي. التفت الشيخ إلى الشاب وسأله:

من أنت؟

أجاب: فينوس - جان مسلم.

تقول أنت مسلم؟

نعم مسلم وأوحد الله عزّ وجلّ.

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فهل تعتقد أنّك من تلبسه مبقٍ له على صلاحيته أم مفسد له حياته؟

أنا لم أفعل معه مثقال ذرة من شر.

ولكن كيف تقبل وأنت مسلم على الشر؟ ألا تقرر أنّك مسلم عاصٍ؟

أنا لم أعص الله.. لا تفتر عليّ بالعصيان أيها الشيخ.

---

<sup>1</sup> - أنا أصدّق هذا المفتري ولكن من المفيد بيان افتراءات هؤلاء لتنبيه الغافلين.

ما وجه إفساد حياة من تلبسه؟

أنا لم أفسد عليه حياته مثقال ذرة؟

تعتقد أنه في الحالة السوية الإنسانية؟

لا ليس في الحالة السوية.

أنت تقر بالمعصية وتصر عليها إذن؟

لا لا يا أخي... لا.

ومرت فترة من الصمت انهار بعدها الجان (فينوس) باكياً قائلاً  
للشيخ الشعراوي:

أرشدني إلى طريق الصلاح.

طريق الصلاح أن تظل في جنسيتك ولا (تتعدّ) حدودها. جنسيتك  
لها حدود وقانون خاص، وجنسية من تلبسه لها قانون خاص فلا  
تخلط (قانون) بقانون وإلا فقد أحلت خلقة الله عزّ وجلّ.

وعاد الصمت من جديد، وقاطعه أحد الحاضرين متسائلاً:

هل تسمع يا فينوس؟

أجاب: أسمع وأتدبّر.

الشيخ: لك أن تتدبّر. ولكن ما هو هدفك من تلبس جسد هذا  
الإنسان؟

هذا العبد كان قارئاً للقرآن بعد أن ينتهي من مذكراته في كل ليلة

قبل الفجر، ثم يصليّ الفجر وينام على بركة الله، وكنت له سامعاً وأعجبت بهذا الصوت إعجاباً كبيراً وظللت أتردد عليه لأسمع القرآن وفي يوم من الأيام بات غضبانياً ولم يقرأ قرآن الفجر فاغناظ قلبي ودخلت إليه حتى لا يفعل ذلك مرة أخرى.

وسأله الشيخ: أتركت له فرصة ليفعل؟

قال: لم أترك له ولكن دخلت عليه وهو لا يعلم بشيء من أمري.

الشيخ الشعراوي: التأديب له ليس هكذا... التأديب له أن تترك له فرصة.... يا بني أقصر في الحديث وإلا... اخرج إن شئت طائعاً، قبل أن تخرج مكرهاً، والذي نفسي بيده لن أبرحك حتى تقوم من هنا حتى تخرج منه. وإن لم تخرج فسوف ينكل الله بك إن الله لا يحب التدليس عليه. أيكون إعجابك به أنّه ورع يقرأ القرآن أن تفسد عليه حياته هكذا؟ أي إعجاب هذا؟ اخرج خيراً لك وإلا فضح الله تلبيسك أمام الناس أجمعين.

ومرت فترة صمت ثلاثة... جاء صوت الشاب الجالس أمامنا قائلاً:

أنا أحمد... سأله أحدهم:

وأين فينوس؟

فقال الشيخ الشعراوي: إن شاء الله خرج إلى غير رجعة.

إما أن يلتزم أدبه ويكون مؤدباً ليتركه ليقرأ ويستمتع له ، أو أن نؤدبه نحن تأديباً. ولا يعتد بكونه جنياً.... الله لم يعطنا قانوناً يضرب الجنّ

على رأسه<sup>1</sup>....."

وفي نهاية هذا الحوار يزعم مؤلف الكتاب أنّ هذا الحوار بين الشيخ الشعراوي والجبّي مأخوذ: (نقلاً عن مجلة المجالس الكويتية العدد 974/ ص 63، 64 تاريخ 1990/4/4<sup>2</sup>)

وكذلك يجد القارئ في الصفحة 156 من الكتاب المذكور صورة لجانب من هذا الحوار منشوراً في المجلة المذكورة أدناه وصورة الشيخ الشعراوي يتحدث فيها إلى الشاب الممسوس.

وإني إن كنت أستبعد أن يتورط عالم مشهور مثل الشيخ الشعراوي في المشاركة في مثل هذه الجلسات، إلا أنني قد أوردت هذه الجلسة حرفياً عن الكتاب المذكور لأهمية بيان أن الأكّاكين والدجالين يحتاجون لتمرير أفكهم ودجلهم على الناس إلى آراء كبار العلماء الموافقة للزعم بالوجود الشبهي للجن، ولولا موافقة أوصمت كبار المشايخ عن ترويح هذا الزعم الباطل، لما تمكن هؤلاء الأكّاكين من اصطیاد أحد من الناس والمتاجرة بمصائبهم وآلامهم.

ونجد مثلاً على موافقة بعض السادة العلماء للزعم القائل بالوجود الشبهي للجن وإمكان تصوّرهم بأشكال الناس والحيوانات أو إيقاع أثر

---

<sup>1</sup> - هذا الحوار مأخوذ حرفياً من كتاب (الفتح الرباني لعلاج المس الشيطاني بالقرآن

الكريم) لمؤلفه الشيخ محمد سيد محمود في الصفحة 152 - 154 .

<sup>2</sup> - راجع حاشية المرجع المذكور ص 155 .

سحري مضلل على الناس وغير ذلك في كتاب بعنوان (أنت تسأل والإسلام يجيب ) للشيخ محمد متولي الشعراوي.

وفي هذا الكتاب، وتحت عنوان: (هل يمكن قتل الجن؟) نقرأ ما يلي:

"سؤال: جاء في الحديث الصحيح أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (طلع لي الجنّ وأردت أن أربطه بسارية المسجد حتى يتفرج عليه صبيان المدينة)

وفي الصحيح أيضاً أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قبض على جنّي كان يسرق من تمر الصدقة. وجاء أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لكل إنسان شيطان) فقالت عائشة رضي الله عنها: حتى أنت يا رسول الله؟ فقال: حتى أنا ولكن الله أعانني عليه فقتلته)

والذي نريد أن نعرفه: كيف يمكن القبض على الجنّي وهو من النار، ويمكنه التشكل والتخلص... وإذا أمكن القبض عليه فكيف يمكن قتله في هذه الحالة؟

جواب الشيخ الشعراوي:

إمكان القبض على الجنّي ثابت في السنّة كما جاء في الحديث الشريف الوارد في السؤال... وذلك لأنه مادام الجنّي قد تشكل أو تصور بغير صورته، فقد حكّمته الصورة الجديدة وقيدته وحينما تحكّمه الصورة الجديدة فقد أصبح حكمه حكم ما تصور به من



إنسان أو حيوان أو غير ذلك من الصور. ولذلك يمكن القبض على الإنسان أو الحيوان وغيرهما.

ومن هنا كذلك يمكن قتله.. فلو تصور بصورة حمار أو كلب أو إنسان، ومعك مسدس أو آلة حادة، فيمكنك قتله بها، فيموت على الفور<sup>1</sup>. وهذا هو الضمان الذي صنعه ربنا للإنس من الجنّ. وإلا كان الجنّ والشياطين أفرعوا الدنيا كلها.. حتى يجعلوا حياتنا كلها نكداً وفرعاً.

والجنّ يعرفون تماماً حين يتصورون بأيّ صورة غير صورتهم فإنّ الصورة الجديدة تحكمهم، وبدلاً من أن يخاف منه الإنسان ويجري يمكنه أن يهاجمه بالسلاح... فحكم الصورة الجديدة على هذه الصورة رحمة من الله تعالى<sup>2</sup>.

ولذلك سماء الله تعالى في القرآن (الخنّاس) أي أنّ من ينتبه له يجعله يهرب والذي يغفل عنه يظهر له ويخيفه<sup>3</sup>.

وفي هذا دليل على سيادة الله وقيوميته العليا على الألوان فالعنصر لا يتحكم بصاحبه، وإنما يتحكم في العنصر خالق العنصر<sup>4</sup>. وتحت عنوان:

---

<sup>1</sup> - تصور أن تقتل إنساناً بمسدس أو سكين على أنه جنّي !

<sup>2</sup> - اعتقادك بإمكان تصور الجنّ في أي صورة يجعلك تضع احتمالاً أن يكون كثير ممن و ما حولك جنّاً أو شياطين .

<sup>3</sup> - ما رأيك بهذا التفسير؟

<sup>4</sup> - راجع الصفحة 32 من الكتاب المذكور .

## \* (تسليط الجنّ على الناس) الشيخ الشعراوي يرّد على السؤال

التالي:

"س: جاء في القرآن الكريم أن هاروت وماروت كانا يعلّمان الناس السحر ، ويعلمانهم ما يفرّقون به بين المرء وزوجه... فهل يمكن الآن تسخير الجنّ لإيجاد حب بين زوجين. أو كراهية بينهما، أو ما يسمى بعقد الرجل عن زوجته فلا يمكن ممارسة الجنس معها؟"

وبدون أدنى تردد نجد الشيخ الشعراوي يسارع في الرد قائلاً:

"نعم... كل هذا جائز... ولا مانع من تسخير الجنّ... والحق سبحانه وتعالى يعطي بعض خلقه خصائصه ، وهذه الخصائص تسخر له الجنّ<sup>1</sup>. فيجيء القادر على التشكل للمرأة الجميلة، ويتشكل بأقنعة صور قبيحة، ويصبح هو قناعاً قبيحاً على وجه المرأة الجميلة. فيكرهها الشخص المقصود، ويقول عنها: إنها كالقرد أمامه وبالعكس<sup>2</sup>، ويتشكل بصورة قناع جميل، ويتلبس بوجه المرأة الدميمة أو العادية فيحبها الشخص، ويرى أنها ملكة جمال.

وهكذا في عقد الزواج على زوجته... يلبسها متشكلاً بصورة تبعث على البرود الجنسي ... بل إنه يستطيع أن يتصور بصورة قطعة لحم تسد عضو التأنيث للمرأة، فيجيء زوجها ويقول: جئت ناحيتها فلم

---

<sup>1</sup> - أهي مثل خصائص الشيخ مؤلف كتاب (الفتح الرباني لعلاج المس الشيطاني)؟

<sup>2</sup> - يا له من تحليل علمي مدروس و متقن و مدعم بالبراهين و الأسانيد الصحيحة الموثقة التي تلزم المرء بالاعتقاد بها!!

أجد لها كذا...

هذا كله ممكن مادام الجنّ يتشكل... والمهمة هي في التمايم والكلمات التي نستعملها في تسخير الجن<sup>1</sup>... وفي أن الله يعطي الأدنى خصائص الأعلى، والله من ورائهم محيط<sup>2</sup>.

وبهذا الشكل نجد كبار علماء العالم الإسلامي المعاصرين والذين لهم الرأي النافذ في الناس وال جماهير ويؤكدون الوجود الشبحي للجن والشياطين وإمكانية تسخيرهم للسحر والأذى بالكلمات والتمايم التي ما أنزل الله بها من سلطان، بل نجد من كلام الشيخ الشعراوي أنه يورد التمايم في المقام الأول كما هو واضح من ترتيب كلامه في المرجع المذكور رغم أنه قد لا يعني ذلك.

ولقد مر معنا في الفصول السابقة من هذا الكتاب رأي عدد من السادة العلماء والمشايخ الذين يؤكدون الوجود الشبحي للجن والشياطين، فمنهم من قال:

"الاعتقاد بوجود الجنّ أمر معلوم من الدين بالضرورة... فمن أنكر وجودهم فقد خرج من ملة الإسلام"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - لا أدري ما الذي يقصده الشيخ بالتمايم هنا إذ أن التمايم هي خزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم. و جاء في الحديث (من علق تميمة فقد أشرك) راجع محيط المحيط مادة (تم) و هل في القرآن أو الحديث تمايم؟

<sup>2</sup> - راجع كتاب (أنت تسأل و الإسلام يجيب) للشيخ الشعراوي.

<sup>3</sup> - راجع كتاب (مبادئ العقيدة الإسلامية) لمؤلفه الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن

ومنهم من قال:

"إنكار الجنّ سخف يتقنع بألفاظ العلم وأنه لا ينبغي أن يقع العاقل في أشد مظاهر الغفلة والجهل من حيث يزعم أنه لا يؤمن إلا بما يتفق مع (العلم) فيمضي يتبجح بأنه لا يعتقد بوجود الملائكة أو الجنّ من أجل أنه لم يرههم ولم يحسّ بهم ... وما من عاقل يحترم نفسه ثم يذهب هذا المذهب من الخلط والتّهوؤس...والسخف العجيب إنما يكمن عند من يزعم أنه مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه، ثم يمضي يجادل، أو يجادل القرآن بتعبير أصح<sup>1</sup> في وجود الجنّ مثلاً. وكما أنّ في الناس أشراراً دأبهم الكذب والتلاعب بقول الناس فإنّ الجنّ أيضاً كذلك. فمن أين لك أنّ الذي يناجيك أو يكتب لك جواب أسئلتك من قاع السلة ليس شيطاناً مريداً، جاء ليلبس عليك دينك ويلهو بمخادعتك ويتلذذ بالكذب عليك"<sup>2</sup>.

ورغم أنه ليس بالإمكان في هذا المقام الإحاطة بكل ما جادت به قرائح بعض العلماء في تأييد ودعم الاعتقاد بالوجود الشبهي للجن والشياطين، مصداقاً لملاحظة الدكتور أحمد أمين في كتابه: (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) حيث يقول:

---

المدّرس في كلية الشريعة .

<sup>1</sup>- أي من يجادل في وجود الجنّ يكون مسلماً بالزعم وليس في الحقيقة وهذا يعني إخراجهم خارج حظيرة الإسلام لمجرد مجادلته في هذا الأمر.

<sup>2</sup>- راجع هذه المقتطفات في كتاب الأستاذ الدكتور سعيد رمضان البوطي (كبرى اليقينات الكونية) بحث الجان.

"يستغرب الزائر لدار الكتب من كثرة الكتب التي تحتويها هذا الموضوع وكثرة استعارة هذا النوع للمطالعة".<sup>1</sup>

إلا أنّ ما أوردنا من بيان حول سَفْكَ الأَفَّاكِين والدَّجَالِين لعقول الناس وكراماتهم وأموالهم يكفي لكشف الكثير من الحقائق المنيرة المبصرة—لمن أراد أن يتفكر في هذه التجارة المريعة والممارسات الضالّة المضلّة—على ضوء نور آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لسيدنا رسول الله صلى عليه وسلم محمد خاتم النبيين، فيدرك الحقيقة الصارخة لهذا السفك للعقول باسم الدين، ويتبيّن ضرورة إنقاذ الناس من براثن غول الخرافة والخيال الذي ابتلع حتى الآن ما لا يُحصى من الضحايا البشرية على مدى الدهور والأزمنة. ولقد آن الأوان لإنقاذ أنفسكم وأولادكم والأجيال القادمة بعدكم من طَحْن هذا الفكّ المفترس، والخلاص من ضريبة هذا الجهل الفاضح والمخزي. وذلك لأنّ المكابرة على الجرح النازف في أيّ مكان من الجسد لا بد أن تزيده مع الزمان نزفاً حتى الموت.. ثمّ الفناء يكون المصير.

---

<sup>1</sup> - سبق ذكر المرجع.

## الفصل الثاني عشر

# نداء مخلص

تعلمون أننا نعيش في عصر يشهد فيه فجر كل يوم جديد تقدماً علمياً وفكرياً وحضارياً جديداً على أيدي العلماء والباحثين والمفكرين وأبناء أمم الأرض في مختلف بلادها وقاراتها. وهكذا نجد في كل يوم عطاءً حضارياً جديداً في الهندسة والطب والزراعة والآداب والفنون والفلك وغيرها من جميع ميادين العلوم والمخترعات المختلفة.

ونعلم أن أصحاب الفكر الإنساني الراقي يُشجعون كلّ عطاء إنساني متميّز من شأنه أن يرفع من مكانة الإنسان في الوطن-الإنسان، وفي الوطن-الأرض بعطاء الخير الناتج عن أعمال الفكر الباحث المتفكر المتدبر في كل جانب من جوانب الكون والإنسان بغية إنقاذه من ظلمات الجهالة وجحيمها المسعّر الذي إذا استحكم قضى على الإنسان، ليس في أرضه ووطنه فحسب، بل في الأرض كلها والعالم أجمعه.

ذللّ إنسان عصرنا قطوف الأرض دانية له فهو ينعم بثمارها ناضجة وافرة في كل بقعة منها: سهولها ووديانها، جبالها وغاباتها، صحاريها ومفازاتها، أنهارها وبحارها، وكذلك ظهرها وبطنها. امتدّت يده إلى كنوزها، واستولد طاقاتها كلها.

ولم تستطع الأرض أن تحدد الإنسان بحدودها فقفز طائراً إلى القمر وكواكب المجموعة الشمسية باحثاً فيها عن كنوزها المعرفية أو المادية الجديدة

ليُغني بذلك وجودَه المتطَّع أبداً إلى المزيد من القدرة والمزيد من العطاء آملاً  
ألا يوقفه شيء عند حد.

وإنساننا؟

ألم يكن له دور في رحلة العطاء الإنساني؟

وهل له الآن دورٌ يُذكر؟

نحن أبناء أمة تؤمن بأنّها تحمل رسالة الخير والسلام نوراً ساطعاً مبیناً،  
وليس لإنساننا العربي والمسلم فحسب، بل إلى أبناء البشرية قاطبة.

يَشهد لنا التاريخ... والكتب المقدسة تَشهد: أنّ أرضنا هي مهد النور  
والحضارة الإنسانية، وأنّ إنساننا هو الذي حَمَلَ للعالمين رسالة الرحمة، وشعلة  
الحرية والتحرير من ظلمات كل جهالة... ومن نير كل عبودية واستبداد  
واستغلال.

ويشهد التاريخ لنا: أنّ أجدادنا قد تركوا لنا خير إرث وحملونا شرف  
مسؤولية نشر رسالة الخير والسلام على أجنحة العلم والعقل والفكر الإنساني  
المتطوّر مدى الدهر إلى الإنسان في جميع أنحاء الأرض وأقاصيها.

آمنّا، ولا نزال نؤمن بهذا السعي المقدس لإنساننا، وسيظل هذا الإيمان  
هو الروح التي نحيا بها ما حيينا. ولكن:

كما تموت جنّاتُ صاحب النهر الذي لا يروي جنّاته بماء نهره،



فكذلك يموت صاحب الإيمان الذي لا يعمل بإيمانه.

نقول آمنا برسالة إنساننا، بل ونشعر بعيون الإنسانية المعذبة في كل مكان ترنو إلينا آملة هاتفة:

يا أبناء رسالة السلام، هلمّوا إلينا! فقد أثقلتنا قيودُ الطاغوت. وعقرت أوزارُ الحضارة الدجالية وجوهنا بالتراب والدم البارود. وقد أجرى تجارُ هذه الحضارة المادية الظلماتية الظالمة الحَدَرَ والضباع أفيوناً في شراييننا، ووهجاً نارياً في أدمغتنا. وأحالوا أطرافنا عجالات دَوّارة تهيم في ضلالٍ وعبثٍ يلفّ بنا يلف ولا يقف. وجعلوا من عقولنا محركات آلية تدور بنبض النفط والذرة والكهرباء. ومدّوا في أعصابنا خرائط ومخططات لا تعرف شبكات الشبهة للسيطرة والتوسع حدوداً.

هلمّوا إلينا يا أبناء رسالة الرحمة والنور والخير والسلام—تَهْتَف بنا قلوبُ البشرية المكلومة في زمن الأنياب الذرية، والمخالب النووية، والقتل الماكر. لكن بماذا نجيب؟

هل نقول لهم اهتفوا ونادوا حتى يقتلكم النداء؟

أم نقول لهم:

( لقد أسمعْتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياة لمن تُنادي )؟

أم نقول لهم: 'لا تَشْكُوا لنا، نَبْكي لكم'؟ إذ في الزمن الذي تبحثون أنتم فيه بمجاهركم الفلكية وأقماركم الصناعية وسفن الفضاء التي تطيروها إلى

الكواكب والنجوم عن أفاق واسعة عالية للإنسان الجديد، فإنَّ إنساننا مازال يبحث في فنجان القهوة و( مندل ) شيخٍ أسيادِ الجنِّ عن مصيره المجهول وضالته المفقودة ؟

أم نقول لهم: في الوقت الذي تصنعون أنتم فيه لأجنادكم قمصاناً تردّ الرصاص، ومركبات مصفحة تصدّ القذائف، وأردية واقية من الأشعة الذرية والأسلحة الكيميائية، فإنَّ إنساننا مازال يُقَبِّل يدَ الشيخ ليكتب له (حجاباً-تعويذة) ليحمله في ثيابه أو ليشكله في ثنايا ثياب أبنائه وبناته لعله يقيهم بذلك شرَّ العين والحسد، وَلَيْسَ الجنِّ والشياطين، أو خطفة المردة والعفاريت، وأذى القرين أو التابعة<sup>1</sup>.

أم نقول لهم: في الوقت الذي تُطَوِّرون فيه أنتم اختراعَ الأدوية والمبيدات الحشرية لإنقاذ زراعتكم ومحاصيلكم وأشجاركم من أذى الآفات والحشرات، فتحصلون بذلك على رزق وافر تأكلون منه، وتفتحون العالمَ به سوقاً لمنتجاتكم، وتسيطر بقمحه وسكّره على سياسات وأقدار الدول الجائعة المتخلفة.. أو في الوقت الذي تصنعون فيه عطوراً ورياحين معبأة في زجاجاتٍ تدخل جميع بيوتنا وتُخْرِج بسهولة فائقة أموالنا من جيوبنا إلى جيوبكم ومصارفكم، أو في الوقت الذي تصنعون فيه قنابل الغازات الخائقة والمسيلة للدموع كي تقمعوا بها إرادة الشعوب وانتفاضاتهم تكريساً لعبوديتهم

---

<sup>1</sup> - يزعم البعض أن لكل مولود تابعة من الجن ترصد له الأذى، إلا إذا حمل حجاباً يكتبه له شيخ.

وتبعيتهم لكم، فإنّ إنساننا مازال يحرق أعشاب العطار بروائحها المخرّشة بخوراً يتبخّدر به أو يبيّخ زوجته وأولاده من شرّ أذى العين والجنّ والشياطين، وإن لم يكن هو يفعل ذلك فإنّ زوجته أو ابنته، أو والدته أو أحداً من أهله يفعله، سواءً بعلمه أو دون دراية منه.

أم نقول لهم .. أنتم تُغرقون العالمَ بطوفان كتبكم وأفكار مفكريكم وإذاعاتكم المسموعة والمرئية، وأفلامكم الكاسحة، تصنعون بها عقول شعوب الأرض وقناعاتهم ومعتقداتهم، وأما إنساننا فما زال يُتهم بالكفر والإلحاد والمروق من الدّين إذا ما أنكر الاعتقاد بأشباح الجنّ والعفاريت، ويُحرّم عليه التفكّر والتفكير، أو حتى مناقشة ما ورث من معتقدات مغلوطة صاغتها عقول أشياخهم البائدة، فيقولون له: إنّ سعيك للتفكّر وإنكار ما يعتقد به الأشياخ إنما هو 'سُخف يتقنع به العقل بألفاظ العلم'، وهو تجديف وتفلّسف إلحادي كافر، وإن لم تتب وترجع إلى دين أبائنا وأجدادنا ومشايخنا فأنت مرتدّ مهذور الدم ويحقّ—لمن يشاء—قتلك بنفسٍ راضية وضمير مرتاح؟<sup>1</sup> أم ماذا نقول ونقول؟

ليس هو اليأس من إنساننا، فقد أسلفنا بيانَ إيماننا بقداسة الدور المقدّر عليه إنجازُه، وبشرف الرسالة المؤمن على أدائها وإيصالها إلى الناس جميعاً. بل هي همسةٌ وجدانيةٌ ونداءٌ من وعي العقل ويقين القلب كي نرتقي جميعاً متماسكين يداً بيد، لإصلاح أمتنا بفكر العقل والمنطق الإنساني

---

<sup>1</sup> - راجع كتابنا (قتل المرتد الجريمة التي حرّمها الإسلام).

السليم، ونَسَمَوْ بِأبنائها إلى أعلى مراتب العمل الجاد القائم على أسس الواقع العلمي المدروس بكل دقة وإخلاص واختبار، ولنترك لأجيالنا حرية التفكير و التفكير والإيمان بملء عقولهم دون أن نفرض عليهم رقابة صارمة جامدة: أبلاها صبدأ الإرث الرّاحف فوق ثرابِ عقولٍ لازالت مقسمة أن تُرجع أمتنا في تيارٍ معكوسٍ أو منتكسٍ دأباً منها بعزيمة جلاذٍ للعقل ولل فكر وللصوت الإنسانيّ، حتى لا يجرؤ إنسانٌ أو جيلٌ أن ينتقد الدّأب الحالم بالنور الشافي من موت العقل، حتى لا يجرؤ فكرٌ أن يقتل ممالك ظلمات الجهل المترّبع سلطاناً فوق خرافات الأجيال المنقرضة.

هذا زمنُ العقلِ الصاعدِ بالإنسانِ رُقياً نحو سماءٍ لا حدّ لها.. سِعةً أو عمقاً.. هذا زمنُ الفكرِ الحاسمِ يقطعُ أيدي كلِّ لصوصِ النور.. وهذا زمنُ العملِ الدائبِ بالعقلِ وبالفكرِ إلى كلِّ بناءٍ إنسانيّ يصنعُ فيه الإنسانُ حضارته الموعودة يُحييها خيراً وسلاماً ويورثها للأجيال القادمة عطاءً لا ينفذ..

هذا زمنُ الخصبِ لِتَزْرَعَ فيه بُذورَ تَرْقِي الإنسانِ الأُمّة، حتى يغدو الوطنُ العالمُ أشجاراً، إعماراً، جنّاتٍ دانية القُطفِ—هذا إن لم نسمخ فيه بِبَذْرِ بذورِ هلاكِ الأجيالِ الهاتفة بنصرِ العقل.. ونصرِ العلم.. ونصرِ الفكرِ.

لا يكفي إعلانُ التغيير.. بل لابدّ من الجهد الدائب.. والعملِ المسؤولِ الواعي.. والعملِ المشتركِ القائمِ بين الفردِ وبينِ الأُمّة، بغية إنقاذِ الإنسانِ

الوطن من كلِّ تَخْلُفٍ.

هذا زمنُ الخِصْبِ الموعودِ فماذا أَعَدَدْتُمْ؟

نَعْلَمُ أَنَّ العَرَسَ الطَّيِّبَ يُعَلِي بَعْدَ السُّقْيَا أَشْجَاراً تَمْتَدُّ ظِلَالُهَا يَتَفَيَّأُ فِيهَا  
النَّاسُ: وتَأْوِي الأَطْيَارُ إِلَيْهَا.. أَشْجَاراً تَحْمِلُ لِلدُّنْيَا أَثْمَاراً تَمْلَأُ أَرْجَاءَ الأَرْضِ  
حَدَائِقَ بِهَجَةٍ.. فَتَرْوِحُ الأَبْصَارُ إِلَيْهَا هَانِئَةً بِالْخَيْرِ الآمَنِ.. الْخَيْرِ الطَّافِحِ  
لِلْكَلِّ.

لَكِنْ لو بُذِرَ الشُّوكُ بِأَرْضٍ كَانَتْ طَيِّبَةً—هَلْ إِلَّا شَوْكاً يَحْصُدُ زُرَّاعُ  
الشُّوكِ؟

فلماذا، ووطننا.. أُمْتَنَا: أَرْضُ اللهِ حَبَاهَا بِالطَّيِّبَةِ كُلِّ الطَّيِّبَةِ.. لَا نَعْرِسُ  
فِيهَا أَشْجَاراً طَيِّبَةً.. تَنْمُو خَيْراً وَسَلَاماً جَنَاتٍ أَلْفَافاً يَحْيَا فِيهَا أَبْنَاءُ الْوَطَنِ  
الْأُمَّةُ؟ لِمَاذَا لَا نَجْعَلُ بِالْعَقْلِ الْوَاعِي مِنْ بَيْتِ الْوَطَنِ سَمَاءً.. طَيْراً عَمَلاقاً..  
يَأْوِي لِجَنَاحِيهِ الْإِنْسَانُ الْهَارِبُ مِنْ بَطْشَةِ ظُلْمِ الْجَهْلِ الزَّاحِفِ نَحْوَ الْإِنْسَانِ  
بِأَسْمَاءٍ فِيهَا كُلُّ الْأَسْمَاءِ.. وَرَايَاتٍ فِيهَا كُلُّ الرَّايَاتِ.. إِلَّا رَايَاتُ الْحَقِّ؟

لِمَاذَا لَا نَنْصُرُ عَقْلَ الْإِنْسَانِ السَّاعِي أَنْ يَعْلَوْ بِالْإِنْسَانِ سُمُوءاً فَوْقَ  
خَيَالَاتِ الْوَهْمِ الشَّبَحِيِّ الْجَاثِمِ صَدّاً وَخِرَافَاتٍ قَاتِلَةً.. تَقْتُلُ فِي أَبْنَاءِ الْعَقْلِ  
الْعَقْلَ الْبَاحِثَ عَنْ نُورِ الْعِلْمِ الْبَانِي لِلْآبَاءِ وَلِلْأَجْيَالِ عِمَارَاتِ الْمَجْدِ الْنَصْرِ  
الْقَادِمِ وَعِداً لَا يَبْدُ—بِعَوْنِ اللهِ—يَكُونُ؟

فلماذا لَا نَبْنِي فِي الْإِنْسَانِ الْإِنْسَانَ.. وَفِي الْوَطَنِ الْوَطْنَ.. وَفِي الْعَقْلِ

العقل وكلّ بطولات الفكر الواعي: أنّ عمار الأرض الوطن.. بيد الإنسان يكون.. وأنّ شياطين الوهم وكلّ خرافات الجهل البائدة أضعف من أن تهدم بيتاً.. وطناً عمّره الإنسان بوعى الأبناء الواصلين.

فلماذا تهدم — بالجهل — عمارات عمّرها الآباء، يُعمرها الأبناء بنور العلم الطالع من أرض الوطن — سماء الأرض؟

لماذا؟

\* سؤال أخير:

تعلمون أنّ العقلاء يهزؤون من النعمة التي تعتمدُ بكلّ سذاجة وغباء إلى دفن رأسها في التراب هرباً من سهام الصيادين وطلقاتهم القاتلة. ويضربُ الحكماء بهذا الهروب النعامي الغبي مثلاً يُبيّنون من خلاله، أنّ الهلاك المحتّم لا بدّ أن يكون مصير الإنسان النعامي... أي الإنسان الذي يحل مشاكله الجادة والخطيرة بإغماض العينين هرباً منها، فيكون مصيره مصير كلّ هدف ثابت لقذيفة محققة الإصابة.

تعالوا نتفكر بالنتيجة الحتمية المترتبة على المجتمع أو الأمة النعامية التي تحلّ مشاكلها بأسلوب نعامي، ونسأل أنفسنا: ماذا عساه يحلّ بالمجتمع الذي يدفن رأسه في التراب هرباً من قذائف صياديه؟

ماذا يحلّ بأهداف الأمة ورسالتها إذا ما سعت هروباً إلى حلّ أزمتها وبلاياها ومصائبها بأسلوب النعامة؟

وماذا عساه يكون مصير أجيالكم إذا تركتموهم لتمزيق أنياب الوهم  
والخرافة والخيال وطحنها المفترس في عصرٍ يطير فيه العلم إلى شمس الكون  
بسرعة تسبق الزمن؟

ماذا عساه يحل بنا..

بكم..

بأولادنا..

أولادكم؟

بالله عليكم،

أجيبوا!

محمد منير إدلي

رحمه الله

## مصادر ومراجع البحث

- 1- القرآن الكريم
- 2- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي
- 3- تفسير ابن كثير
- 4- تفسير روح البيان
- 5- التفسير الصغير للإمام بشير الدين محمود أحمد
- 6- صحيح مسلم
- 7- مسند الإمام أحمد
- 8- الفائق في غريب الحديث
- 9- قيس من نور محمد للدكتور فائز المط
- 11- معجم لسان العرب لابن منظور
- 12- معجم محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني
- 13- المنجد في اللغة العربي
- 14- موسوعة لين في اللغة العربية
- 15- المعجم الوسيط
- 16- الإنسان بين السحر و العين والجان، زهير الحموي
- 17- الجن والشياطين بين العلم والدين، رياض العبد الله
- 18- الإيمان بالملائكة



- 19- قصص الأنبياء، الأستاذ عبد الوهاب النجار
- 20- السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق، د. سيد الجميلي
- 21- دراسات في العقلية العربية الجزء الثاني (الخرافة)، د. إبراهيم بدرخان و د. سلوى الخماش.
- 22- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أحمد أمين
- 23- ضحى الإسلام، أحمد أمين
- 24- الأيام، طه حسين
- 25- العالم ليس عقلاً، عبد الرحمن القصيمي
- 26- بين القصرين، نجيب محفوظ
- 27- قافلة الزمان، عبد الحميد جودت السحار
- 28- كبرى اليقينيّات الكونية، الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
- 29- القرآن كائن حي، الدكتور مصطفى محمود
- 30- فلسفة أصول التعاليم الإسلامية، الإمام ميرزا غلام أحمد القادياني
- 31- مبادئ العقيدة الإسلامية، د. مصطفى سعيد الخن
- 32- المفهوم الإسلامي الصحيح للجن والشياطين، الأستاذ نذير المرادني
- 33- إبليس، الأستاذ عباس محمود العقاد
- 34- رحلة في ربوع آسيا، الرحالة محمد ثابت
- 35- تحضير الأرواح، محمد جعفر
- 36- المسكونون بالشيطان، رياض العبد الله
- 37- الكامل في التاريخ، ابن الأثير
- 38- البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، د. محمد الخالدي
- 39- تاريخ الأمم، هتشنسون

- 40- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي
- 41- عصور ما قبل التاريخ، د. سلطان محسن.
- 42- حضارات العصر الحجري القديم، فرنسيس أور -تعريب د. سلطان محسن.
- 43- أصل الأنواع، تشارلز دارون-ترجمة إسماعيل مظهر.
- 44- هؤلاء دارسوا الإنسان، أ.كاردينو. -بريل.
- 45- الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان.
- 46- حوار مع صديقي الملحد، الدكتور مصطفى محمود.
- 47- قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر.
- 48- الموسوعة العربية الميسرة.
- 49- أسئلة محرجة وأجوبة صريحة، الشيخ محمد متولي الشعراوي.
- 50- الكتاب والقرآن، الدكتور المهندس محمد شحرور.
- 51- قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى.
- 52- جلالة ملك الجحيم، ديف بريز.
- 53- الفتح الرباني لعلاج المس الشيطاني بالقرآن الكريم، الشيخ محمد سيد محمود.
- 54- حوار مع الجن، للأستاذ الصحفي أسامة الكرم.
- 55- أنت تسأل والإسلام يجيب، الشيخ محمد متولي الشعراوي.
- 56- مجلة روز اليوسف العدد 2391 في 1974/4/8.
- 57- جريدة الأهرام، عدد 28 مايو 1938.
- 58- الحكايات الشعبية، الدكتور عبد الحميد يونس.
- 59- (زينب)، د. محمد حسين هيكل.

60- ( دعاء الكروان )، طه حسين.

61- ديوان الحماسة.

62- القاموس، الشيخ نصر أبو الوفا.

63- تقويم البلدان.

64- رحلة ابن بطوطة.

# بحوث الكتاب

## الفصل الأول: ضحايا الخرافة والخيال

- درجات العلم الثلاث
- الدجل في الإيمان الخرافي بالجنّ واقع منتشر بين الناس
- الدجل المتعلّق بأذى الجنّ
- المفهوم الدجلي للجن: أماكن سكنهم، طعامهم، عالمهم
- جنّ الملك سليمان
- البساط الذي يطير به الجنّ
- الزعم بوجوب الاعتقاد بالجنّ
- الدجل في أصناف الجنّ
- الدجل في أشكالهم وأجناسهم
- الدجل في زواجهم من الإنس
- إمكانية رؤيتهم
- تصنيف آخر
- الدجل في تشكّلهم بأشكال الحيّات
- الكلام مع الحيّات الجنيّة
- أديان الجنّ
- الدجل في خدمات الجنّ للبشر

- الدجل في إمكانية اتّصال الجنّ بالإنس
- الدجل في قصة استحضار جيّ
- مزاعم أخرى في زواج الجنّ من الإنس
- الولد من الإنس والجنّ
- الحُكم على منكر الوجود الشيعي للجن
- آراء في شيوع انتشار الاهتمام بقصص الجنّ
- الجنّ في عهد العرب الجاهليين
- الجيّ والمارد في قصص "ألف ليلة وليلة"
- مفكّرون مسلمون امتازوا بنزعة عقلانية في تفسير مفهوم الجنّ
- حول استخدام المشايخ للجن في إيقاع أثر مُعيّن على الإنس: كالحب، والكراهية، وكشف الأسرار والمخبوءات إلخ..
- إجمال مفهوم الجنّ عند الناس
- أسماء مرده الجنّ والشياطين واستحضارهم
- كيفية استحضار الجنّ لاستخدامهم
- الجنّ في الأدب العربي المعاصر
- الجنّ في أدب طه حسين، نجيب محفوظ، محمد حسين هيكل ..
- أثر خُرافة الجنّ في الأطفال
- حفلات الزار والشيش لإرضاء الجنّ
- الابتزاز باسم الخُرافة

- رأي الدكتور البوطي: آمن بالدجل والخرافة وإلاّ فأنت سخيّف أو مجنون
- الجنّ وتحضير الأرواح في مفهوم الدكتور البوطي
- بيان القرآن الكريم في النفس والروح
- مدارج النفس الثلاث: النفس الأمّارة، القرين السيئ، النفس اللوامة
- النفس المطمئنّة
- البرزخ وعالم الروح
- هل لديك العلم حقّ اليقين بالوجود الشبهي والشياطين
- سؤال مخلص.

## الفصل الثاني : الاختلاف الكبير

- الاعتقاد الشبهي بالجنّ والشياطين يؤدّي إلى وجود تناقض واختلاف كبير في القرآن
- الإشكال الأوّل: ينصّ القرآن الكريم على أنّ الإنسان وحده منوط بالتكليف الذي يستلزم الحساب والجزاء
- الإشكال الثاني: يؤكّد القرآن الكريم أنّ الله تعالى لا يُرسل نبياً رسولاً للبشر إلاّ من جنسهم
- الإشكال الثالث: محمد صلى الله عليه وآله وسلّم هو وحده رسول الله إلى العالمين (الإنس والجنّ)
- الإشكال الرابع: القرآن الكريم شريعة وأحكام وهداية للناس حصراً
- الإشكال الخامس: بيّن القرآن الكريم أنّ ثمة تلازماً ومعاشرة ومعايشة بين الجنّ والإنس في حين أنّنا لا نرى ذلك في الواقع
- الإشكال السادس: الناس وحدهم هم وقود النار فكيف يدخلها الجنّ أيضاً؟

- الإشكال السابع: الجنّ والشياطين مخلوقات غاية في الضعف
  - الإشكال الثامن: لماذا لم ينصر الجنّ المؤمنون رسولَ الله وأصحابه في الذود عن دين الله
- الفصل الثالث: دراسة تحقيقية في المعنى اللغوي للفظي "الجنّ" و "الشيطان"**

## **الفصل الرابع: الشيطان الإمبراطور**

## **الفصل الخامس: الشيطان الدليل**

- عرش الشيطان
  - فندق الشيطان
  - حاذر أن تبصق كي لا تُغرق الشيطان
  - الشيطان يستجدي اللقمة
- الفصل السادس: حقيقة مفهوم الجنّ والشياطين في بيان الحديث الشريف**

- شيطان الأظافر
- مركب الشيطان
- الشيطان الوباء
- شياطين أول الليل
- طعام الجنّ
- لقمة الشيطان

— شيطان الفم

— وحز الجنّ

— الجنّ الناس

— الحرب مع الجنّ

## الفصل السابع: في بيان القرآن: الإسلام رسالة إلى الناس حصراً

— القرآن الكريم كتاب أنزله الله للناس فقط

— محمد صلى الله عليه وآله وسلّم رسول الله إلى الناس حصراً

— الآيات في القرآن الكريم إنما هي للناس حصراً

— البيت والحج للناس حصراً — في القرآن الكريم يضرب الله تعالى الأمثال للناس حصراً

— الخطاب في القرآن الكريم موجّه إلى الناس حصراً

— الخطاب في القرآن الكريم موجّه إلى الناس حصراً — الحساب للناس فقط — مزيد من

فيض البيان القرآني

## الفصل الثامن: حقيقة مفهوم الجنّ والشياطين في بيان القرآن الكريم

— الجنّ في سورة الناس

— جنس الناس وفئة الجنّ في سورة الناس

— الجنّ في سورة الجنّ

— نفر الجنّ

— تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

— معنى قول الجنّ: ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾



- الشهب الراصدة للجن — الكون المادّي والكون الروحي في القرآن الكريم
- السماء في المصطلح القرآني
- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾
- في معنى قوله تعالى: ﴿يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾
- وقفة تأملية
- قصّة جنّ الملك سليمان عليه السلام
- المعجزة وصفاتها وخصائصها
- الهدهد ومنطق الطير
- سليمان الملك والنملة
- أعمال جن الملك سليمان
- سليمان وعرش ملكة سبأ
- الغاية من استحضر ملكة سبأ إلى مملكة سليمان عليه السلام
- قصة هاروت وماروت — حقيقة موت الملك سليمان.

## الفصل التاسع: تفصيل الآيات في الجنّ والشیاطین

- في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وبيان أهمّ الناس حصراً.
- في قوله تعالى: ﴿شَیَاطِینَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ یُوحِیْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.
- في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾.
- في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ﴾.
- بيان الآيات التي جاء فيها ذكر الشیطان بمفاهيم متعددة.

- أعمال الشيطان هي أعمال الإنسان.
- خطوات الشيطان. وسوسة الشيطان هي وسوسة النفس.
- تسويل الشيطان.
- أمر الشيطان بالسوء والفحشاء.
- صدّ الشيطان عن السبيل. كيد الشيطان.
- فتنة الشيطان. إغواء الشيطان. شيطان الفلاة. خلاصة القول في الشيطان.
- وخلاصة القول

## الفصل العاشر: إبليس

- زمن خلق السموات والأرض
- خلق الإنسان أطواراً
- العناصر التي خلق الله منها الإنسان
- حقيقة تطوّر الإنسان في القرآن الكريم
- اكتشافات العلماء تؤكّد الحقيقة القرآنية في تطوّر الإنسان
- إنسان نياندرتال
- الإنسان العاقل
- دارون ونظرية النشوء والارتقاء
- الأدلة التي جعلت علماء العصر يتشبّهون بصحة نظرية التطوّر العضوي
- نظرية النشوء والارتقاء عبر التاريخ وعند العلماء المسلمين - رأي الدكتور البوطي في النشوء والارتقاء

- رأي علماء الدين المسيحي في دارون — آدم، الخليفة في الأرض
- محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الخليفة الحق لله تعالى
- عناصر خلق الإنسان في القرآن الكريم
- في معنى خلق تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾
- معنى كلمة "آدم"
- حقيقة معنى السجود لآدم
- إبليس الذي أبى واستكبر
- في معنى قوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾
- الشجرة المحرّمة وخطيئة آدم
- الشجرة الشريعة
- معنى خروج آدم وزوجه من الجنة
- رأي الشيخ محمد متوّلي الشعراوي في خطيئة آدم
- وقفة تأملية مع آدم والتعليم الذي أنزل عليه
- ملامح الشخصية الإبلسية وأدوارها
- إبليس
- الشيطان
- فشل إبليس الذريع.

## الفصل الحادي عشر: القوابين البشرية على مذابح تجار الخرافة

### والخيال

- لائحة المشعوذين بالأمراض التي سببها تلبّس الجنّ
- الزعم بكيفية تلبّس الجنّ
- الزعم بطريقة العلاج من لبس الجنّ
- الدجل في محضر جلسة تحضير لجي اسمه رأفت يسكن جسم فتاة اسمها عبير ويسبب لها حالة شلل
- الدجل في جلسة تحضي جيّ تحت عنوان حالة عشق للإنسية
- الدجل في محضر جلسة لجي اسمه جرجس يساعد جيّ اسمه مرقص على حب فتاة من خلال تلبّس جسدها أيضاً - الدجل في محضر جليلة الجيّ الصليب الأحمر والجنّة والجنّة الشيخة فاطمة
- الدجل في محضر جلسة عبّاد القرون المحروقة والنّار
- الدجل في محضر جلسة الجيّ المتسبب في حالة عقم ويتغذى على النّطاف
- الدجل في محضر الجنّة مرجانة المتسببة بحالة صرع
- الشيخ محمد متوّلي الشعراوي يطرد الجنّ فينوس
- رأي الشيخ الشعراوي في إمكانية قتل الجنّ المتشكّل في صور غير جنّة
- رأي الشيخ الشعراوي في تسبب الجنّ في الحب والكراهية بين الناس والأزواج
- رأي الشيخ الشعراوي في تسلّط الجنّ على الناس.

## الفصل الثاني عشر: نداء مخلص

- لا تغفلوا عن بلاء هذا الدجل الفتاك

مصادر ومراجع البحث

بحوث الكتاب

# صدر للمؤلف

من سلسلة "الإسلام الذي يجهلون" صدر للمؤلف

- (1) "قتل المرتد—الجريمة التي حرّمها الإسلام" (1)
- (2) "أبناء آدم من الجنة والشياطين" (2)
- (3) "انتبهوا..الدجال يجتاح العالم!" (3)
- (4) "مات المسيح وما قام—ملفّ المسيح يُفتح من جديد" (4)
- (5) "النبأ العظيم" (5)
- (6) "نزع فتيل الإرهاب الدولي—إسلام السلام وأمان العالم" (6)
- (7) "ملائكة الله (حقيقتهم .. مهامهم .. الغاية من وجودهم) (7)

\*\*\*\*\*

## ترجمات المؤلف عن الإنكليزية

- (1) "المسيحية رحلة من الحقائق إلى الخيال" تأليف ميرزا طاهر أحمد—صدر في لندن
- (2) "شروط البيعة—واجبات الأحدي ومسؤولياته" تأليف ميرزا مسرور أحمد—صدر من لندن

- (3) "القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح"
- (4) "الدكتور فاوست في محكمة السماء" / كتبها المؤلف بالإنكليزية وترجمها إلى العربية "

## الفهرس

- أبناء آدم من الجن والشیاطین.....- 1 -
- جميع حقوق النشر والطباعة محفوظة © محمد منیر ادلی وأولاده.....- 3 -
- كلمة شكر.....- 4 -
- الإهداء.....- 5 -
- المقدمة:.....- 6 -
- الفصل الأول.....- 7 -
- ضحایا الخرافة والخیال.....- 7 -
- \* المفهوم الخرافي للجن.....- 13 -
- \* الجن في الأدب العربي المعاصر.....- 42 -
- \* حفلات الزار وضرب الشیش.....- 57 -
- \* بیان القرآن الكريم في النفس.. والروح.....- 77 -
- \* أولاً: النفس الأمانة.....- 78 -

- 79 - ..... \* ثانياً: النفس اللوامة.
- 79 - ..... \* ثالثاً: النفس المطمئنة.
- 90 - ..... \* سؤال مخلص.
- 93 - ..... الفصل الثاني.
- 93 - ..... الاختلاف الكبير.
- 97 - ..... \* الإشكال الأول.
- 100 - ..... \* الإشكال الثاني.
- 108 - ..... \* الإشكال الرابع.
- 112 - ..... \* الإشكال الخامس.
- 117 - ..... \* الإشكال السادس.
- 118 - ..... \* الإشكال السابع.
- 121 - ..... \* الإشكال الثامن.
- 125 - ..... الفصل الثالث.
- 125 - ..... دراسة تحقيقية في المعنى اللغوي للفظتي "الجن" و"الشيطان".
- 141 - ..... الفصل الرابع.
- 141 - ..... الشيطان الإمبراطور.
- 151 - ..... الفصل الخامس.
- 151 - ..... الشيطان الدليل.
- 154 - ..... \* فندق الشيطان.
- 155 - ..... \* حاذر أن تبصق كي لا تُغرق الشيطان!

- 156 - ..... \* الشيطان يستجدي اللقمة.
- 159 - ..... الفصل السادس
- 159 - ..... الجن والشياطين في بيان الحديث الشريف
- 164 - ..... \* الحديث الأول
- 165 - ..... \* الحديث الثاني
- 166 - ..... \* الحديث الثالث
- 170 - ..... \* الحديث الرابع
- 172 - ..... \* الحديث الخامس
- 175 - ..... \* الحديث السادس
- 176 - ..... \* الحديثان السابع والثامن
- 177 - ..... \* الحديث التاسع
- 179 - ..... \* الجنّ الناس
- 185 - ..... الفصل السابع
- 185 - ..... في بيان القرآن:
- 185 - ..... الإسلام رسالة إلى الناس حصراً
- 190 - ..... \* القرآن الكريم كتاب أنزله الله للناس فقط
- 192 - ..... \* محمد ﷺ رسول الله إلى الناس حصراً
- 194 - ..... \* الآيات والأمثال في القرآن الكريم إنما هي للناس حصراً
- 196 - ..... \* البيت والحج للناس حصراً
- 198 - ..... \* في القرآن الكريم يضرب الله تعالى الأمثال بالناس فقط:



- 199 - ..... \* الخطاب في القرآن الكريم موجه إلى الناس حصراً
- 201 - ..... \* الحساب للناس فقط
- 204 - ..... \* مزيد من فيض البيان القرآني
- 211 - ..... الفصل الثامن
- 211 - ..... حقيقة مفهوم الجنّ والشياطين
- 211 - ..... في بيان القرآن الكريم
- 311 - ..... الفصل التاسع
- 311 - ..... تفصيل الآيات في الجنّ والشياطين
- 337 - ..... الفصل العاشر
- 337 - ..... إبليس
- 473 - ..... الفصل الحادي عشر
- 473 - ..... القربان البشرية
- 473 - ..... على مذابح الخرافة و الخيال
- 517 - ..... الفصل الثاني عشر
- 517 - ..... نداء مخلص
- 527 - ..... مصادر ومراجع البحث
- 531 - ..... بحوث الكتاب
- 540 - ..... صدر للمؤلف
- 541 - ..... الفهرس

